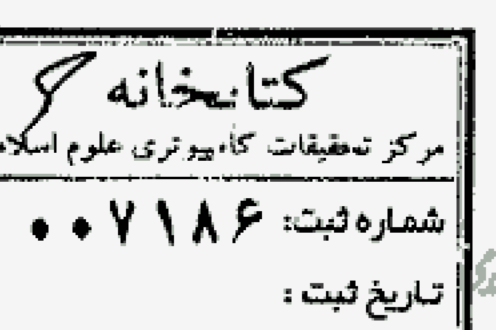


المختار من مناقب الأخيار

لابن الأثير
مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني
الجزري ثم الموصلي
المتوفى ٦٠٦ هـ





الجزء الخامس

حققه وعلق عليه
مأمون الصاغرجي　عدنان عبد ربه　محمد أديب الجادر



مركز زايد للتراث والتاريخ

رقم التصنيف	: ديوي 922.1
المؤلف ومن هو في حكمه	: مأمون الصاغرجي ـ عدنان عبد ربه محمد أديب الجادر.
عنوان الكتاب	: المختار من مناقب الأخيار ١ ـ ٦
الموضوع الرئيسي	: تراجم وسير الصحابة ورجال الدين والتابعين
قيد الكتاب	: تم قيد الكتاب في سجل الإيداع النوعي، بقسم الملكية الفكرية وحقوق المؤلف بوزارة الإعلام والثقافة تحت رقم: أ م ف ٤/١٥٢ ـ ٢٠٠٣ م تاريخ ٢٠٠٢/٧/٩ م
الناشر	: مركز زايد للتراث والتاريخ ـ العين ـ دولة الإمارات العربية المتحدة
توصيف الكتاب	: مقاس ١٧ × ٢٤، عدد الصفحات ٢٩٦٨
الرقم الدولي	: ردمك ISBN 9948 - 06 - 090 - 3

الطبعة الأولى

٢٠٠٣ م ـ ١٤٢٤ هـ



مركز زايد للتراث والتاريخ

ZAYED CENTER FOR HERITAGE AND HISTORY

ص. ب. ٢٣٨٨٨ العين ـ الإمارات العربية المتحدة ـ هاتف : ٧٦١٥١٦٦ ـ ٣ ـ ٩٧١ ـ فاكس: ٧٦١٥١٧٧ ـ ٣ ـ ٩٧١

P.O. BOX: 23888 AL AIN - U. A. E. - TEL: 971 - 3 - 7615166, - FAX: 971 - 3 - 7615177

E-mail: zo4HH@zayedcenter.org.AE


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی


المختار من مناقب الأخيار

بسم الله الرحمن الرحیم

(٤٦٨) مِسعر بن كِدام(*)

أبو سلمة الكوفيُّ.

روى عن غيرِ واحدٍ من أعلام التابعين.

وروى عنه: سُفيان الثوريُّ، وشُعبة، وابن عُيينة، وغيرهم.

قيل لسُفيان بن عُيينة: من أفضلُ من رأيتَ؟ قال: مِسعر[١].

وقال ابنُ عيينة عن هشام: مارأيتُ بالكوفةِ أفضلَ من مسعر[١].

وقال النُعمان بن عبد السَّلام[٢]: قال لي ابنُ عُيينة: هل لقيت مِسعرًا؟ قلت: بلى. قال: أما إنَّك لم تلقَ أبدًا مثلَه فضلاً[٣].

وقال الثوري: لم يكن في زمانِهِ مثلُه ـ يعني مِسعرًا[٣].

وقال حفص بن عبد الرحمٰن: رأيتُ مِسعرَ بنَ كِدام، وكأنَّه على شفير جهنَّم[٤].

(*) ترجمته في: طبقات ابن سعد ٦/٣٦٤، تاريخ خليفة ٤٢٦، طبقات خليفة ١٦٨، التاريخ الكبير ٨/١٣، التاريخ الصغير ٢/١١٢، المعارف ٤٨١، الجرح والتعديل ٨/٣٦٨، مشاهير علماء الأمصار ١٦٩، ثقات ابن حبان ٧/٥٠٧، حلية الأولياء ٧/٢٠٩، صفة الصفوة٣/١٢٩، تهذيب الأسماء واللغات ٢/٨٩، تهذيب الكمال ٢٧/٤٦١، سير أعلام النبلاء ٧/١٦٣، العبر ١/٢٢٤، تذكرة الحفاظ ١/١٨٨، ميزان الاعتدال ٤/٩٩، تاريخ الإسلام ٦/٢٨٧، طبقات ابن عبد الهادي ترجمة ١٦٩، تهذيب التهذيب ١٠/١١٣، طبقات الشعراني ١/٥٧، طبقات الحفاظ ٨١، الكواكب الدرية ١/٤٥٢، شذرات الذهب ١/٢٣٨.

(١) حلية الأولياء ٧/٢٠٩.

(٢) في الأصل عبد الرحمٰن والتصحيح من تهذيب الكمال ٢٩/٤٥٢.

(٣) حلية الأولياء ٧/٢١٠.

(٤) حلية الأولياء ٧/٢١٢.

وقال محمد بن مِسْعر: كان أبي لاينام حتى يقرأ نصف القرآن، فإذا فرغَ من وردِه، لفَّ رداءه، ثم هجعَ عليه هجعةً خفيفةً، ثم يثبُ كالرَّجلِ الذي قد ضلَّ منه شيءٌ فهو يطلبُه، فإنَّما هو السِّواكُ والطَّهور، ثم يستقبل المِحرابَ كذلك إلى الفجرِ، وكان يجتهدُ على إخفاء ذلك جدًّا[١].

وقال سُفيان: قالوا للأعمش: إنَّ مِسعرًا يَشكُّ في حديثِهِ. فقال: شكُّ مِسعر كيقين غيره[٢].

وقال شُعبة: شكُّ مِسعرٍ أحبُّ إلي من يقين غيره[٢].

وقال الثوري: كُنَّا إذا اختلفنا في شيءٍ أتينا مِسعرًا[٣].

وقال خالد بن عمرو: رأيتُ مسعر بن كِدام، كأنَّ في وجهه رُكبَةَ عنزٍ من السُّجود[٤].

وقال مِسْعر: العلمُ أشرفُ الأحسابِ، يرفعُ الخَسيس في نسبهِ، ومن قعدَ به حسبُه نهضَ به أدبُه[٤].

وقال: أشتهي أن أسمعَ صوتَ باكيةٍ حزينة[٥].

وقال: من أهمَّتهُ نفسُهُ تبيَّن ذلك عليه[٦].

وقال له رجلٌ: أتحبُّ أن يُخبركَ الرَّجلُ بعيوبك؟ قال: إن كان ناصحًا فنعمْ، وإن كان يُريد أن يُؤنِّبني فلا[٧].

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٢١٦. صفة الصفوة ٣/ ١٢٩.
(٢) حلية الأولياء ٧/ ٢١٢.
(٣) حلية الأولياء ٧/ ٢١٣.
(٤) حلية الأولياء ٧/ ٢١٤.
(٥) حلية الأولياء ٧/ ٢١٨.
(٦) حلية الأولياء ٧/ ٢١٧، صفة الصفوة ٣/ ١٢٩.
(٧) حلية الأولياء ٧/ ٢١٧.

وقال: دعاني أبو جعفر ـ يعني المنصور ـ ليولِّيني. قلت: أصلحَ اللهُ الأمير، إن أهلي ليريدوني على أن أشتري الشيءَ بدرهمين، فأقولُ: أعطوني أشترِ لكم. فيقولون: لاوالله، لانرضى اشتراءك. فأهلي لايرضون اشترائي الشيءَ بدرهمين، وأميرُ المؤمنين يولِّيني. إنَّ لنا قرابةً وحقًّا. فأعفاه[1].

وقال: من أراد هذا العلمَ لنفسهِ فلْيُقلَّ منه، ومن طلبه للنَّاسِ فليكثر؛ فإنَّ مؤنتَهم شديدةٌ[2].

وقال: ودِدْتُ أنَّ الحديثَ كان قواريرَ على رأسي، فسقطتْ فتكسَّرت[2].

وقال: إنَّ هذا الحديث يصدُّكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون[3].

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٢١٥.

(٢) حلية الأولياء ٧/ ٢١٦.

(٣) سير أعلام النبلاء ٧/ ١٦٧، وقال الذهبي معقبًا: «قلت: هذه مسألةٌ مُختلَفٌ فيها: هل طلَبُ العلمِ أفضلُ، أوصلاةُ النافلةِ والتِّلاوةِ والذِّكر؟ فأمَّا مَنْ كان مخلصًا للهِ في طلبِ العلم، وذهنُه جيد، فالعلمُ أولى، ولكنْ مع حَظٍّ من صلاةٍ وتعبُّدٍ، فإن رأيتَهُ مُجِدًّا في طلب العلم، لاحظَّ له في القُرُبات، فهذا كسلان مَهين، وليس هو بصادق في حسن نيته. وأما من كان طلبُه الحديثَ والفِقْهَ غِيَّةً ومحبَّةً نَفْسانيَّة، فالعِبادةُ في حقِّه أفضل، بل ما بينهما أفْعَلُ تَفْضِيل، وهذا تقسيمٌ في الجملة، فقلَّ ـ واللهِ ـ من رأيتهُ مخلصًا في طلب العلم، دعنا من هذا كلِّه. فليس طلبُ الحديث اليوم على الوضع المتعارف من حيِّز طلب العلم، بل اصطلاحٌ وطلبُ أسانيد عالية، وأخذ عن شيخٍ لايَعي، وتسميع لطفلٍ يلعبُ ولا يفهم، أو لِرَضيعٍ يبكي، أو لِفقيهٍ يتحدَّثُ مع حَدَثٍ، أو آخر ينسخ. وفاضِلُهم مشغولٌ عن الحديث بكِتابة الأسماء أو بالنُّعاس، والقارئ إن كان له مشاركة فليس عنده من الفضيلة أكثرُ من قراءةِ ما في الجزء، سواء تصحَّف عليه الاسمُ، أو اختبطَ المتن، أو كان من الموضوعات. فالعلم عن هؤلاء بمعزِلٍ، والعمل لا أكادُ أراهُ، بل أرى أموراً سيِّئة. نسألُ اللهَ العفو».

وقال الأشجعيُّ: استسقتْ أمُّ مِسْعرٍ ماءً منه في نصف الليل، فذهب فجاء بقُربة من الماء، فوجدها قد ذهب بها النّومُ، فثبت بالشَّربة على يده حتى أصبح[1].

وقال سُفيان: كنت أذهبُ إلى مسعر مابي إلا [أن] أسمعَ ذكرَهُ، فإذا كان عند المغرب قلت: ياأبا سلَمة، [لو أنك] تكلَّمتَ. فيقول: لو أنَّك سكتَّ عني كان أحبَّ إليَّ. وأكره أن تقول: اذكرِ الله، فلا أفعل[2].

وقال جعفر بن عون: قال مِسعر: الإيمانُ قولٌ وعمل[3].

وقال مَرّةً: الإيمانُ يزيدُ وينقص[3].

وقال مُعتمرُ بن سُليمان: قال مِسعر: إن التّكذيب بالقدرِ أبو جاد[4] الزّندقة[3].

وقال: إن صبرتَ على أكلِ البقلِ والخُبزِ، لم يستعبدْك كثيرٌ من هؤلاء[5].

وقال جارٌ لِمسعر: بكى مِسعرٌ، فبكت أمُّه، فقال لها مسعر: ماأبكاكِ ياأُمّاه؟ قالت: يابُني، رأيتُكَ تبكي، فبكيتُ. قال: ياأُمَّاه، لمثل مانهجمُ عليه غدًا فلنُطِلِ البُكاء. قالت: وماذاك؟ فانتحبَ، وقال: القيامةُ ومافيها. ثم غلبه البُكاء، فقام[6].

قال: وكان مِسعر يقول: لولا أُمّي مافارقتُ المسجدَ إلا لما لابدَّ منه. وكان إن دخل بكى، وإنْ خرجَ بكى، وإن صلَّى بكى، وإن جلس بكى[6].

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٢١٧.

(٢) حلية الأولياء ٧/ ٢١٨، وما بين معقوفين مستدرك منه.

(٣) حلية الأولياء ٧/ ٢١٨.

(٤) أبو جاد: أبجدية. انظر إلى مقالتي الدكتور عبد الكريم اليافي في مجلة المعلومات، العدد: ٤٦، ٤٧.

(٥) حلية الأولياء ٧/ ٢١٩.

(٦) صفة الصفوة ٣/ ١٣٠.

قال محمد بن إسحاق السرَّاج: أنشدني عبد الله بن محمد بن عبيد [في مِسعر]:

من كان مُلتمِسًا جليسًا صالحًا فليأتِ حلقةَ مِسعرِ بنِ كِدَام
فيها السَّكينةُ والوَقَارُ وأهلُها أهلُ العفافِ وعِلْيَةُ الأقوامِ[1]

وقال عبد العزيز: سمعت مِسْعر بنَ كِدام يقول:

اقبَلْ من الدَّهرِ يومًا ماأتاكَ به واصبرْ لريبِ زَمانِ السُّوء إن عَثَرا
ما لامرئٍ فوق[2] مايجري القَضاءُ به والهمُّ فضلٌ وخيرُ الناسِ من صبَرا
يارُبَّ ساعٍ له من سَعْيِهِ أَمَلٌ يفنى ولم يقضِ من مأمُولِه وَطَرا
ما ذاقَ طَعْمَ الغِنى من لاقُنوعَ له ولن تَرى قَانعًا ماعِشتَ مُفتقرا
والعُرفُ من يأتِهِ يحمِدْ عواقبَه ماضاعَ عُرفٌ ولو أوليتَه حَجَرا[3]

وقال جعفر بن عون: سمعتُ مِسعرًا يقول:

نهارُكَ يامغرورُ سَهوٌ وغَفلةٌ وليلُكَ نومٌ والرَّدَى لك لازِمُ
وتتعَبُ فيما سوف تَكرَهُ غِبَّهُ كذلك في الدُّنيا تعيشُ البهائم[4]

وقال عبد الله بنُ المُغيرة: سمعتُ مِسْعرَ بنَ كِدام يُنشد:

ألا قد فسَدَ الدَّهْر فأضحى حُلوهُ مُرّا
وقد جرَّبتُ من أهوى فقد أنكرتُهم طُرّا
فألزمْ نفسَك اليأسَ من الناسِ تعِشْ حُرّا[4]

وقال عبد الله بن صالح: قال مسعر بن كدام:

تفنى اللَّذاذةُ ممَّن نالَ صفوتها من الحرامِ ويبقى الإثمُ والعارُ
تبقى عواقبُ سوءٍ من مغبَّتِها لاخيرَ في لَذَّةٍ من بعدها النَّارُ[5]

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٢١٩.
(٢) في (ب): فوت.
(٣) حلية الأولياء ٧/ ٢٢٠.
(٤) صفة الصفوة ٣/ ١٣٠.
(٥) حلية الأولياء ٧/ ٢٢١.

وقال مُصعب بن المقدام: رأيتُ النَّبيَّ ﷺ في المنامِ، وسُفيان الثوريُّ آخذٌ بيده، وهما يطوفان، فقال سُفيان: يارسولَ الله، ماتَ مِسعر بن كدام؟ قال: نعم، واستبشَرَ به أهلُ السماء(١).

وقال يحيى بن آدم: لمَّا حضرتْ مِسعرًا الوفاةُ، دخل عليه سُفيان الثوري، فوجده جَزِعًا، فقال له: لِمَ تجزع؟ فو اللهِ لوددتُ أني مُتُّ السَّاعةَ. فقال مِسعر: أَقعِدُوني. فأعادَ عليه سُفيان الكلام. فقال: إنَّك إذًا لواثقٌ بعملِكَ ياسُفيان، واللهِ لكأنِّي على شاهقةِ جبلٍ، لاأدري أين أهبط. فبكى سُفيان، وقال: أنت أخوفُ لله مني(٢).

وقال ابن السمّاك: رأيت مِسعرًا في المنام، فقلت: أليس قد متَّ؟ قال: بلى. قلت: فأيُّ العملِ وجدتَ أنفع؟ قال: ذِكرُ الله تعالى(٣)

وتوفي بالكوفة سنة اثنتين وخمسين ومئة. وقيل سنة خمس وخمسين.

رحمة الله عليه ورضوانه.

(٤٦٩) مسعود أبو جهير الضرير(*)

قال صالح المُري: قال مالكُ بن دينار: اغدُ عليَّ ياصالح إلى الجُبَّان، فإنِّي قد وعدت نفرًا من إخواني بأبي جهير مسعود الضرير نُسلِّم عليه.

قال صالح: وكان أبو جَهير هذا رجلاً قد انقطع إلى زاويةٍ فتعبَّد فيها،

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٢١٠، صفة الصفوة ٣/ ١٣١.
(٢) حلية الأولياء ٧/ ٢١٢، صفة الصفوة ٣/ ١٣٠.
(٣) حلية الأولياء ٧/ ٢١٧.
(*) ترجمته في: صفة الصفوة ٣/ ٣٣١، روض الرياحين ٤١٩ (الحكاية ٣٨٩)، الطبقات الصغرى للمناوي ٥٩٠، جامع كرمات الأولياء ٢/ ٢٥١.

ولم يكن يدخلُ البصرة إلا يوم الجُمعةِ في وقتِ الصَّلاة، ثم يرجعُ من ساعته، قال: فغدوتُ لموعدِ مالكٍ إلى الجبَّان، فانتهيتُ إلى مالكٍ، وقد سبقني، وإذا معه محمدُ بن واسع، وإذا ثابتُ البُنَاني، وحبيبٌ، فلمّا رأيتهم قد اجتمعوا قلت: هذا واللهِ يومُ سرورٍ. قال: فانطلقنا نُريد أبا جُهير، فكان مالك إذا مرَّ بموضعٍ نظيفٍ، قال: ياثابت، صلِّ هاهنا، لعلَّه أن يشهد لك غدًا. فكان ثابت يُصلِّي. ثم انطلقنا حتى أتينا موضعه، فسألنا عنه، فقالوا: الآن يخرجُ إلى الصَّلاةِ. فانتظرناه، فخرجَ علينا رجلٌ إن شئتَ قلتَ قد نُشرَ من قبره. فوثبَ رجلٌ، فأخذ بيده حتى أقامهُ عند باب المسجد، ثم أُمهل يسيرًا، ثم دخل المسجد فصلى ماشاءَ الله، ثم أقام الصلاةَ، فصلَّينا معه، فلمّا قضى صلاتَهُ جلس كهيئةِ المهموم، فتوامرَ[1] القومُ في السَّلام عليه، فتقدَّم محمدُ بن واسع فسلَّم عليه، فردَّ عليه السلام، وقال: من أنت لاأعرفُ صوتَك؟ قال: أنا من أهل البصرة. قال: ما اسمُكَ، يرحمُكَ الله؟ قال: أنا محمد بن واسع. قال: مرحبًا وأهلاً، أنت الذي يقولُ هؤلاء القوم ـ وأومأَ بيده إلى البصرة ـ إنَّك أفضلُهم[2]، لله أنت، إن قُمتَ بشُكرِ ذلك، اجلس. فجلسَ.

فقامَ ثابتُ البُنانيُّ، فسلم عليه، فردَّ عليه السَّلامَ، وقال: من أنت، يرحمُك الله؟ قال: أنا ثابت البُنَاني. قال: مرحبًا ياثابت، أنت الذي يزعمُ أهل هذه القريةِ أنك من أطولهم صلاةً؟ اجلس، فقد كنتُ أتمنَّاك على ربِّي.

فقام إليه حبيب أبو محمد، فسلَّم عليه، فردَّ عليه السلام، وقال: من أنتَ، يرحمُك الله؟ قال: أنا حبيب. فقال: مرحبًا بك ياأبا محمد، أنت الذي يزعمُ هؤلاء القوم أنَّك لم تسأل الله شيئًا إلا أعطاكَ، فهلاَّ سألتَهُ أن يُخفي لك ذلك؟ اجلس يرحمُكَ الله. وأخذ بيده، وأجلسه إلى جنبه.

---

(١) توامر: تشاور. انظر متن اللغة.

(٢) في ب: (أوصلهم).

فقام إليه مالكُ بن دينار، فسلَّم عليه، فردَّ عليه السلام، وقال: من أنت، يرحمُك الله؟ قال: أنا مالك بن دينار. قال: بَخٍ بخ أبا يحيى، إن كنتَ كما يقولون، أنت الذي يزعمُ هؤلاء القوم أنّك أزهدُهم؟ اجلس، فالآن تمّتْ أُمنيتي على ربِّي في عاجلِ الدنيا.

فقال صالح: فقمتُ إليه لأسلِّم عليه، فأقبل على القوم، فقال: انظروا كيف تكونون غدًا بين يدي الله في مجمعِ القيامة؟ فسلَّمتُ عليه، فردَّ عليَّ السلام، فقال: من أنتَ، يرحمك الله؟ قلتُ: أنا صالح المُرِّيُّ. قال: أنت الفتى القارئ، أنت أبو بشر؟ [قلت: نعم.] قال: اقرأ يا صالح. فابتدأتُ، فقرأتُ فما استتممتُ إلا سبعًا حتى خرَّ مَغشيًا عليه، ثم أفاقَ إفاقة، فقال: عُدْ في قراءتك ياصالح. فعدْتُ، فقرأتُ ﴿وقَدِمْنا إلى ماعَمِلُوا من عمَلٍ فجَعَلْناهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾[الفرقان: ٢٣] قال: فصاحَ صيحةً ثم انكبَّ لوجهِهِ، وانكشفَ بعضُ جسدِهِ، وجعل يخورُ كما يخور الثَّورُ، ثم هدأ، فدنونا منه ننظرُ، فإذا هو قد خرجتْ نفسُه، كأنَّه خشبةٌ. فخرجنا، فسألنا: هل له أحد؟ فقالوا: عجوزٌ تخدمه، تأتيه الأيام، فبعثنا إليها، فجاءت، فقالتْ: مالَهُ؟ قلنا: قُرئ عليه القرآن فمات. قالتْ: حُقَّ له والله، ومن ذا الذي قرأ عليه؟ لعلَّه صالحُ القارئ؟ قلنا: نعم، وما يُدريكِ من صالحٌ؟ قالت: لا أعرفُه، غيرَ أنِّي كثيرًا ممّا كنتُ أسمعهُ يقول: إن قرأ عليَّ صالحٌ قتلني. قلنا: فهو الذي قرأ عليه. قالتْ: هو الذي قتلَ حبيبي. فهيَّأناه، ودفنّاه[١].

رحمة الله عليه ورضوانه.

* * *

---

(١) صفة الصفوة ٣/ ٣٣١، وما بين معقوفين مستدركٌ منه.

(٤٧٠) مُسلم بن يَسار(*)

أبو عبد الله البصريُّ.

مولى طلحةَ بنِ عُبيد الله التَّيميّ، وقيل مولى بني أُميةَ.

وهو من تابعي البصرة، لقي جماعةً من الصحابة.

وروى عن: أبي الأشعث الصَّنعانيّ.

وروى عنه: محمد بن سيرين، وأبو قِلابة.

قال ميمون بن جابان: مارأيتُ مسلمَ بن يسار مُلتفتًا في صلاتِهِ كانت[٢] خفيفةً ولا طويلةً، ولقد انهدمتْ ناحيةٌ من المسجد، ففزِعَ أهلُ السُّوقِ لهدمهِ، وإنَّه لفي المسجد في صلاته فما التفتَ[٣].

وقال حبيب بن الشَّهيد: إنَّ مُسلم بن يسار كان قائمًا يصلِّي، فوقعَ حريقٌ إلى جنبه، فما شعرَ به حتى طُفِئتِ النار[٤].

(*) ترجمته في: طبقات ابن سعد ٧/١٨٦، الزهد لأحمد ٣٥٤، تاريخ خليفة ٢٨٦،٣٢١، طبقات خليفة ٢٠٦، التاريخ الكبير ٧/ ٢٧٥، التاريخ الصغير ١/٢٩٨، المعارف ٢٣٤، الجرح والتعديل ٨/١٩٨، ثقات ابن حبان ٥/ ٣٩٠، حلية الأولياء ٢/ ٢٩٠، طبقات الفقهاء ٨٨، صفة الصفوة ٣/ ٢٣٩، جامع الأصول ١٥/ ٣١٥، تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٩٣، مختصر تاريخ دمشق ٢٤/٢٩٨، تهذيب الكمال ٢٧/ ٥٥١، سير أعلام النبلاء ٤/ ٥١٠، العبر ١/ ١٢٠، تاريخ الإسلام ٤/ ٥٤، ميزان الاعتدال ٤/ ١٠٧، البداية والنهاية ٩/ ١٨٦، العقد الثمين ٧/ ١٩٢، تهذيب التهذيب ١٠/ ١٤٠، الكواكب الدرية ١/ ٤٤٦، شذرات الذهب ١/ ١١٩.

(٢) لفظة (كانت) ليس في (أ). وفي الحلية ٢/ ٢٩١ قطُّ.

(٣) حلية الأولياء ٢/ ٢٩٠، صفة الصفوة ٣/ ٢٣٩.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ١٨٦.

وقال ابن المبارك: ذُكر لمسلم بن يسار قلَّةُ التفاته في صلاته فقال: وما يُدريكم أين قلبي[1].

وقال عبدُ الله ابنُه: ماراَيتُ أبي يُصلِّي قطُّ إلا ظننتُ أنه مريض[2].

وقال ابنُ شَوذَب: كان مسلمٌ يقول لأهلِه، إذا دخلَ في صلاتِه في بيته: تحدَّثوا فلستُ أسمعُ حديثكم[3].

وقال ابنُه عبدُ الله: كان مُسلم إذا دخل المنزل سكتَ أهلُ البيتِ، فلا يُسمع لهم كلامٌ، فإذا قام يُصلِّي تكلَّموا، وضحكوا[4].

وقال غَيلان بن جرير: كان مُسلم إذا رأيتَهُ يُصلِّي كأنَّه ثوبٌ مُلقى[5].

وقال قَتَادة: كان مسلمُ بنُ يسار يُعدُّ خامسَ خمسةٍ من فقهاء أهلِ البصرة[6].

وقال الواقِديُّ: كان مُسلمُ بنُ يَسار لا يُفضَّلُ عليه أحدٌ في ذلك الزَّمان في العلم والزُّهد، وكان يقول: إنِّي لأكرهُ أن أمُسَّ فرجي بيميني، وأنا أرجو أن آخذَ بها كتابي يومَ القيامة[7].

وقال الحسن: يكونُ الرَّجلُ عالمًا ولا يكون عابدًا، ويكونَ عابدًا ولا يكون عاقلاً. وكان مُسلم بن يسار عالمًا عابدًا عاقلاً[6].

وقال ابنُ عَون: كان مُسلم بنُ يَسار لايُفضَّلُ عليه أحدٌ في ذلك

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/١٨٦، حلية الأولياء ٢/ ٢٩٠.
(٢) حلية الأولياء ٢/ ٢٩٠.
(٣) صفة الصفوة ٣/ ٢٣٩.
(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ١٨٦، حلية الأولياء ٢/ ٢٩١.
(٥) حلية الأولياء ٢/ ٢٩١.
(٦) مختصر تاريخ دمشق ٢٤/ ٢٩٩.
(٧) مختصر تاريخ دمشق ٢٤/ ٢٩٩. وقول مسلم في حلية الأولياء ٢/ ٢٩٣.

الزَّمان، وأدركتُ هذا ☆المسجدَ مسجد البصرة ومافيه حلقةٌ تُنسبُ إلى الفقه إلاّ حلقةً واحدةً تُنسب إلى مُسلم بن يسار وسائر☆[1] المسجد قُصَّاصٌ.

وقال سُفيان الثوريُّ: قال رجلٌ لمسلم بن يسار: علِّمني كلمةً تجمع لي موعظةً نافعةً. فأطرقَ طويلاً، ثم رفع رأسه، فقال: لاتُرِدْ بعملك غيرَ من يَمْلِكُ ضرَّكَ ونفعَكَ. قال: زدني. قال: أهمل رجاءَكَ ولا تستعمله، واستشعر الخوفَ ولا تُغفِله. قال: زدني قال: يومَ العرضِ على ربِّك لا تنسَهُ. ثم سقط لوجهه مُكبًا[2].

وقال: اعمل عملَ رجلٍ لايُنجيه إلاّ عملُه، وتوكَّل توكُّلَ رجلٍ لايُصيبه إلاّ ماكتبَ اللهُ عزَّ وجلَّ له[3].

وسمعَ رجلاً يدعو على رجلٍ ظلمَهُ، فقال له مُسلم: كِلِ الظَّالمَ إلى ظُلمهِ؛ فإنَّه أسرعُ إليه من دُعائك عليه، إلا أن يتداركه اللهُ بعملٍ، وقمِن ألاَّ يفعل[4].

وقال: مَنْ رجا شيئًا طلبَهُ، ومن خافَ من شيءٍ هربَ منه، وما أَدري ما حَسْبُ رجاء امرئٍ عرضَ له [بلاءٌ لم يصبرْ عليه لِمَا يرجو، وما أدري ماحسب خوف امرئٍ عرضتْ له] شهوةٌ لم يدعها لما يخشى[5].

وقال: ما أدري ما حسب إيمان عبدٍ لايتركُ شيئًا يكرهه الله تعالى[3].

وقال: إذا لبستَ ثوبًا فظننتَ أنَّك في ذلك الثَّوبِ أفضلُ ممَّا أنت في

---

(١) (☆-☆) مابينهما ليس في (أ)
(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢٤/ ٣٠١.
(٣) حلية الأولياء ٢/ ٢٩٢.
(٤) الخبر بنحوه في مختصر تاريخ دمشق ٢٤/ ٣٠١. وقمن: خليق وجدير.
(٥) حلية الأولياء ٢/ ٢٩٢، وما بين معقوفين مستدرك منها.

غيره، فبئس الثوبُ هو لك[1].

وقال مكحول: رأيتُ سيِّدًا من ساداتِكم ياأهل البصرة دخل الكعبة فصلى ركعتين بين العمودين ☆المقدَّمين وهو ساجدٌ، فبكى حتى بلَّ المرمر، فسمعتُه يقول: اغفرْ لي ذنوبي، وما قدَّمتْهُ يداي، وإذا هو☆[2] مسلم بن يسار[1].

وقال محمدُ بن سيرين: رأيتُ مسلمَ بن يسار رفعَ رأسه من السُّجود في المسجد الجامعِ، فنظرتُ إلى موضعِ سجودِه كأنَّه قد صُبَّ فيه الماءُ من كثرة دموعِه[3].

وقال ابنُ المبارك: قال مُسلمُ بنُ يسار لأصحابه يوم التَّرويةِ: هل لكم في الحجِّ؟ قالوا: خرِفَ الشيخُ، وعلى ذلك فلنطعْه. فقال: من أراد ذلك فليخرجْ. فخرجوا إلى الجَبَّانِ برواحِلهم، فقال: خلُّوا أزمَّتها. فأصبحوا وهم ينظرون إلى جبال تِهامة[4].

وقال سُليمان بن المُغيرة: جاءَ مُسلم بنُ يسار إلى دَجلة، وهي تقذف بالزَّبدِ، فمشى على الماء، ثم التفت إلى أصحابه فقال: هل تفقدون شيئًا[4]؟

وقال محمد بن واسع: كان مُسلمُ بن يسار يقولُ: إيَّاكم والمِراءَ؛ فإنَّها ساعةُ جهلِ العالم، فيها يبتغي الشَّيطانُ زلَّتَه[5].

وقال: ما تلذَّذ المتلذِّذون بمثل الخلوةِ بمناجاة الله عزَّ وجلَّ[1].

ومات سنة إحدى ومئة، وقيل سنة مئة.

---

(1) حلية الأولياء ٢/ ٢٩٤.
(2) (☆-☆) ما بينهما ليس في (أ).
(3) صفة الصفوة ٣/ ٢٣٩، والخبر عن رجلٍ من آل محمد بن سيرين.
(4) صفة الصفوة ٣/ ٢٤٠.
(5) طبقات ابن سعد ٧/ ١٨٧.

قال مالك بن دينار: رأيتُ مسلمَ بنَ يسار في منامي بعد موته بسنةٍ، فسلَّمتُ عليه، فلم يردَّ عليَّ السَّلام، فقلتُ: مايمنعُكَ أن تردَّ عليَّ السلام؟ فقال: أنا ميِّتٌ، فكيف أردُّ عليك السلام؟ قلت له: فماذا لقيتَ بعد الموتِ؟ قال: لقيتُ ـ والله ـ أهوالاً وزلازلَ عِظامًا شِدادًا. قلت: وما كان بعد ذلك؟ قال: وما تراه يكونُ من الكريم، قَبِلَ منَّا الحسنات، وعفا لنا عن السَّيئات، وضمِنَ عنَّا التَّبعات. قال: ثم شهقَ مالكٌ شهقةً خرَّ مَغشيًّا عليه. فلبث بعد ذلك أيَّامًا مريضًا من غشيتِهِ، ثم مات. فيرونَ أنَّه انصدعَ قلبُه. فماتَ[1].

رحمة الله عليه ورضوانه أمين.

(٤٧١) مُصعب بن ثابت(*)

مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزُّبير القُرشيُّ، مدنيٌّ.

قال الزُّبير بن بكَّار: كان مُصعبُ بن ثابت من أعبدِ أهلِ زمانه، صامَ خمسين سنة[2].

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ٢٩٤،٢٩٥، صفة الصفوة ٣/ ٢٤١.

(*) ترجمته في: طبقات ابن سعد (القسم المتمم) ٤٢٢، تاريخ خليفة ٤٢٨، طبقات خليفة ٢٦٧، التاريخ الكبير ٧/ ٣٥٣، الضعفاء للعقيلي ٤/ ١٩٦، الجرح والتعديل ٨/ ٣٠٤، مشاهير علماء الأمصار ١٣٨، ثقات ابن حبان ٧/ ٤٧٨، المجروحين لابن حبان ٣/ ٢٨، الكامل في الضعفاء لابن عدي ٦/ ٣٦١، صفة الصفوة ٢/ ١٧٦، تهذيب الكمال ٢٨/ ١٨، سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٩، العبر ١/ ٢٢٨، تاريخ الإسلام ٦/ ٢٩٠، ميزان الاعتدال ٤/ ١١٨، تهذيب التهذيب ١٠/ ١٥٨، شذارت الذهب ١/ ٢٤٢.

(٢) صفة الصفوة ٢/ ١٧٦.

وقال يحيى بن مِسكين: مارأيتُ أحدًا قطُّ أكثر ركوعًا وسجودًا من مُصعب بن ثابت، كان يُصلِّي في كلِّ يوم وليلةٍ ألفَ ركعة[1].

وقال محمد بن سعد[2]: توفيَّ مصعب بن ثابت سنة سبع وخمسين ومئة.

رحمة الله عليه ورضوانه.

(٤٧٢) مَضاءُ بن عيسى الكلاعيُّ الزَّاهد(*)

صحبَ سُليمان الخوَّاص.

وحدَّث عن: شُعبة.

حكى عنه: القاسمُ بن عثمان الجُوعيُّ، وأحمد بن أبي الحواريُّ، وغيرهما.

قال أبو عبد الرَّحمٰن السُّلميُّ: مضاءُ بنُ عيسى الشَّاميُّ من أقران أبي سُليمان الدَّاراني، وكان من أهلِ دمشق[3].

وقال أحمدُ بن أبي الحواري: سمعتُ مضاءَ بن عيسى يقول: مثقالٌ من لحمٍ يُقسِّي القلبَ أربعين صباحًا.

وسمعته يقول: خفِ اللهَ يُلهِمْكَ، واعملْ له لا يُلجئْكَ إلى دليل[4].

---

(١) صفة الصفوة ٢/ ١٧٦.

(٢) الطبقات ٤٢٢.

(*) ترجمته في: حلية الأولياء ٩/ ٣٢٤، صفة الصفوة ٤/ ٢٣٥، مختصر تاريخ دمشق ٢٤/ ٣٤١، الكواكب الدرية ١/ ٧١٤.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ٢٤/ ٣٤١.

(٤) حلية الأولياء ٩/ ٣٢٤، صفة الصفوة ٤/ ٢٣٥.

وسمعته يقولُ: إذا وصلوا إليه لم يَرجعوا عنه، إنَّما رجعَ من رجعَ من الطَّريقِ[1].

وقال قاسمُ الجُوعيُّ: قال لي (☆مضاءُ بن عيسى: ويحكَ ياقاسم، إنَّما تفاضلوا بالإراداتِ، لم يتفاضلوا بالصَّوم والصَّلاة.

قال قاسم☆): أضفتُ بمضاءِ بن عيسى، فأخرجَ إليَّ نِصفَ رغيفٍ عليه نصفُ خيارةٍ، وقال لي: ياقاسم، كلْ، إنَّ كسبَ الحلال صعبٌ[2]، من درى كيفَ يكسبُ، درى كيف يُنفق[3].

رحمة الله عليه ورضوانه.

(٤٧٣) مطر الورّاق(*)

من تابعي البصرةِ.

روى عن: أنسِ بن مالك، والحسنِ، وابنِ سيرين، وغيرهم[4] من كبار التابعين.

قال مالك بن دينار: رحم الله مطرًا؛ إني لأرجو له الجنَّة[5].

---

(١) صفة الصفوة ٤/ ٢٣٥.

(☆-☆) مابينهما ليس في (أ).

(٢) في (ب): لصعب.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ٢٤/ ٣٤٢.

(*) ترجمته في: طبقات ابن سعد ٧/ ٢٥٤، تاريخ خليفة ٣٨٩، طبقات خليفة ٢١٥، التاريخ الكبير ٧/ ٤٠٠، الضعفاء للعقيلي ٤/ ٢١٩، الجرح والتعديل ٨/ ٣٨٧، الثقات ٥/ ٤٣٥، الكامل في الضعفاء ٦/ ٣٩٦، حلية الأولياء ٣/ ٧٥، تهذيب الكمال ٢٨/ ٥١، سير أعلام النبلاء ٥/ ٤٥٢، تاريخ الإسلام ٥/ ١٦٤، ميزان الاعتدال ٤/ ١٢٦، تهذيب التهذيب ١٠/ ١٦٧، الطبقات الصغرى للمناوي ٥٩٨.

(٤) في الأصل وغيرهما.

(٥) حلية الأولياء ٣/ ٧٦.

وقال أبو عيسى عمُّ الخليلِ بن عمر: مارأيتُ مثلَ مطرٍ في فقهه وزُهده[1].

وقال ابن شَوْذَب عن مطر الوراق، قال: لو وُزِنَ خوفُ المؤمن ورجاؤه لم يوجدْ أحدُهما يزيدُ على الآخر شيئًا[2].

وقال ابن شَوْذَب: قال مطرٌ: عملٌ قليلٌ في سُنَّةٍ خيرٌ من عملٍ كثيرٍ في بدعة. ومن عملَ عملاً في سُنَّةٍ قَبِلَ اللهُ منه عمله، ومن عمل عملاً في بدعةٍ ردَّ الله عليه عمله[3].

وقال في قوله تعالى ﴿ولقد يَسَّرْنا القرآنَ للذكرِ فهل من مُدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧]: هل من طالِبِ علمٍ فيُعانُ عليه[2]؟

رحمه الله.

(٤٧٤) مطرِّفُ بن عبد الله(*)

مطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير، أبو عبد الله.

من تابعي البصرةِ، ولأبيه صحبةٌ.

---

(١) حلية الأولياء ٣/ ٧٥.

(٢) حلية الأولياء ٣/ ٧٦.

(٣) حلية الأولياء ٣/ ٧٦، وفيه: رد الله عليه بدعته.

(*) ترجمته في: طبقات ابن سعد ٧/ ١٤١، الزهد لأحمد بن حنبل ٣٤١، طبقات خليفة ١٩٧، تاريخ خليفة ٢٩٢، التاريخ الكبير ٧/ ٣٩٦، التاريخ الصغير ١/ ٣٥٤، الجرح والتعديل ٨/ ٣١٢، ثقات ابن حبان ٥/ ٤٢٩، حلية الأولياء ٢/ ١٩٨، صفة الصفوة ٣/ ٢٢٢، مختصر تاريخ دمشق ٢٤/ ٣٤٣، تهذيب الكمال ٢٨/ ٦٧، سير أعلام النبلاء، ٤/ ١٨٧، تذكرة الحفاظ ١/ ٦٠، العبر ١/ ١١٣، تاريخ الإسلام ٤/ ٥٦، طبقات ابن عبد الهادي ترجمة ٥٣، البداية والنهاية ٩/ ٦٩، و١٤٠، الإصابة ترجمة ٨٣٢٤، تهذيب التهذيب ١٠/ ١٧٣، النجوم الزاهرة ١/ ٢١٤، طبقات الشعراني ١/ ٣٤، طبقات الحفاظ ٢٤، الكواكب الدرية ١/ ٤٤٨، شذرات الذهب ١/ ١١٠.

حدَّث عن: عُثمان، وعليٍّ، وأبي ذرٍّ، وعِمران بن حُصين.

روى عنه: الحسنُ، وقتادة، وثابت، ومحمد بن واسع، ومن في طبقتهم.

قال ثابت: قال مُطرِّف: إني لأستلقي من اللَّيل على فراشي، فأتدبَّرُ القرآن كلَّه، أعرض نفسي على أعمالِ أهل الجنةِ، فأرى أعمالَهم شديدةً، ﴿كانوا قليلاً من الليل مايَهْجَعُون﴾ [الذاريات: ١٧] ﴿يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وقِيامًا﴾ [الفرقان: ٦٤] ﴿أمَّنْ هو قانتٌ آناءَ الليلِ ساجدًا وقائمًا﴾ [الزمر: ٩] فلا أرى صفتي فيهم، فأعرض نفسي على أعمالِ أهل النار، قالوا: ﴿ما سَلَكُمْ في سَقَر * قالوا لم نَكُ من المُصَلِّينَ * ولم نَكُ نُطْعِمُ المِسْكِين * وكُنَّا نَخُوضُ مع الخائضينَ * وكُنَّا نُكَذِّبُ بيوم الدِّين * حتى أتانا اليَقِين﴾ [المدثر: ٤٢ـ٤٧] فأرى القومَ مكذِّبين، فلا أراني فيهم، فأمرُّ بهذه الآية: ﴿وآخرونَ اعترَفُوا بذنوبِهم خَلَطُوا عمَلاً صالِحًا وآخرَ سَيِّئًا عسى اللهُ أن يَتُوبَ عليهم إنَّ اللهَ غفورٌ رَحيم﴾ [التوبة: ١٠٢] فأرجو أن أكونَ أنا وأنتم ياإخوتاه منهم[1].

وقال ثابت: كان مطرف يقول: ياإخوتاه، اجتهدوا في العملِ، فإن يكن الأمرُ كما نرجو من رحمةِ الله وعفوه كانت لنا درجاتٌ في الجنَّة، وإن يكنِ الأمرُ شديدًا كما نخافُ ونحذرُ لم نقل: ربَّنا ارجعنا ﴿نَعْمَلْ صالِحًا غيرَ الذي كُنَّا نَعْمَلُ﴾[1] [فاطر: ٣٧] نقول: قد عملنا فلم ينفعنا ذاك[2].

وقال: لأنْ أبيتُ نائمًا، وأُصبحُ نادمًا أحبُّ إليَّ من أن أبيتَ قائمًا، وأصبحُ مُعجبًا[3].

---

(١) حلية الأولياء ٢/١٩٨، مختصر تاريخ دمشق ٢٤/٣٤٦.
(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢٤/٣٤٦.
(٣) حلية الأولياء ٢/٢٠٠.

وقال: ما مدحني أحدٌ قطُّ إلاّ تصاغرتْ إليَّ نفسي.

وقال: إنَّك لتلقى الرَّجلين، أحدُهما أكثر صومًا وصلاةً، والآخرُ أكرمُهما على الله بونًا بعيدًا. قالوا: كيف يكونُ ذلك؟ قالوا: يكون أورعَهما عن محارم الله[1].

وقال: إنَّ أقوامًا يزعمون أنهم إن شاؤوا دخلوا الجنة، وإن شاؤوا دخلوا النارَ. فأبعدهم اللهُ إنْ دخلوا النار. ثم قال: واللهِ الذي لاإله إلا هو ـ ثلاثًا مجتهدًا ـ لايدخلُ الجنةَ عبدٌ أبدًا حتى يُدْخِلَه اللهُ الجنةَ[2].

وقال: لأنْ أُعافى فأَشكُرُ أحبُّ إليَّ من أن أُبتلى فأَصبِر. نظرتُ في العافية فوجدتُ فيها خيرَ الدُّنيا والآخرة[3].

وقال زهير: مات ابنٌ لمُطرِّفٍ، فخرج على الحيِّ، وقد رجَّلَ لِمَّتَه، ولبس حُلَّتَهُ، فقيل له: أيُرضى منك بهذا، وقد مات ابنُك؟ فقال: أتأمروني أن أستكينَ للمُصيبة؟ فو اللهِ لو أن الدنيا وما فيها لي وأخذها الله منِّي، ووعدني عليها شربةَ ماءٍ غدًا ما رأيتُها لتلك الشَّربةِ أهلاً، فكيف بالصَّلواتِ والهُدى والرحمة[4]؟

وقال غلامُ مُطرِّف: أقبلتُ معه في ليلةٍ ظلماء، فقال له غلامُه: ماتبصر شيئًا. فدعا ربَّه، فأضاءَ له مثلَ السِّراج على طرف سوطِهِ.

وقال أبو عقيل الدَّورقيُّ: حدثنا يزيدُ، قال: كان مُطرِّفُ يبدو فإذا كان ليلةُ الجمعة فبينا هو يسير في وجهِ الصُّبحِ سطعَ من رأسِ سوطه نورٌ له شُعبتان، فقال لابنه عبد الله وهو خلفه: أتراني لو أصبحتُ فحدَّثتُ الناس هذا كانوا يُصدِّقوني؟ فلمّا أصبح ذهب[5].

---

(١) صفة الصفوة ٣/ ٢٢٣.
(٢) حلية الأولياء ٢/ ٢٠١، مختصر تاريخ دمشق ٢٤/ ٣٤٧.
(٣) صدر الخبر في حلية الأولياء ٢/ ٢٠٠.
(٤) حلية الأولياء ٢/ ١٩٩، مختصر تاريخ دمشق ٢٤/ ٣٤٨.
(٥) طبقات ابن سعد ٧/ ١٤٤، حلية الأولياء ٢/ ٢٠٥، مختصر تاريخ دمشق ٢٤/ ٣٤٩.

وقال غيلان بن جرير: أقبلَ مُطرِّفٌ مع ابن أخٍ له من البادية فبينا هو يسيرُ، سمعَ في طرَفِ سوطهِ كالتَّسبيح، فقال له ابنُ أخيه: يا أبا عبد الله، لو حدَّثنا الناس بهذا كذَّبونا. فقال مُطرِّفٌ: المكذِّبُ بهذا أكذبُ الناس[1].

وقال حُميد بن هلال: كان بين مُطرِّفٍ وبين رجلٍ من قومه شيءٌ، فكذَبَ على مُطرِّفٍ، فقال له مُطرِّفٌ: إن كنتَ كاذبًا فعجَّلَ الله حتفكَ. فمات الرجلُ مكانه، فاستعدى أهلُه زياداً على مُطرِّفٍ. فقال لهم زيادٌ: هل ضربهُ، هل مسه بيده؟ قالوا: لا. قال: دعوةُ رجلٍ صالحٍ وافقتْ دعوتهُ قدرًا. فلم يجعل لهم شيئًا[2].

وقال مُطرِّفٌ: لو أُخرجَ قلبي فجُعِلَ في يدي هذه اليسار، وجيءَ بالخيرِ، فجُعل في هذه اليمين مااستطعتُ أن أُولجَ قلبي منه شيئًا حتى يكونَ اللهُ يضعُه[3].

وقال ثابتٌ: كان مُطرِّفٌ يسكن البادية، فإذا كان يوم الجمعة يركبُ، فيجيءُ إلى الجُمعةِ، فمرَّ بمقابرَ فنَعَسَ، فرأى أهلَ القبورِ على أفواهِ القُبورِ، فقالوا: هذا يذهبُ إلى الجمعة. قال: وتعرفونَ يومَ الجمعةِ من غيره؟ قالوا: نعم، ونعرفُ ماتقولُ الطَّيرُ في جوِّ السَّماء. قال: وما تقولُ؟ قالوا: تقول: سلامٌ سلامٌ ليومٍ صالحٍ[4].

وقال: لأنْ يسألني ربِّي عزَّ وجلَّ يومَ القيامة، فيقولِ: يا مُطرِّفُ، ألا فعلت؟ أحبُّ إليَّ من أن يقولَ: لمَ فعلتَ[5]؟

---

(١) حلية الأولياء ٢/٢٠٥.
(٢) حلية الأولياء ٢/٢٠٦، مختصر تاريخ دمشق ٢٤/٣٤٩.
(٣) حلية الأولياء ٢/٢٠١، مختصر تاريخ دمشق ٢٤/٣٤٧.
(٤) حلية الأولياء ٢/٢٠٥، صفة الصفوة ٣/٢٢٢.
(٥) حلية الأولياء ٢/٢٠٠، صفة الصفوة ٣/٢٢٣.

وقال: إنَّ هذا الموتَ قد أفسدَ على أهلِ النَّعيمِ نعيمَهم، فاطلبوا نعيمًا لاموتَ فيه[1].

وخاض عنده قومٌ في ذِكر الجنَّةِ، فقال: لاأدري ماتقولون، حالَ ذكرُ النَّارِ بيني وبين الجنَّةِ[2].

وقال: وجدتُ الغفلةَ التي ألقاها اللهُ عزَّ وجلَّ في قلوبِ الصدّيقين من خلقِهِ رحمةً رحمهم بها، فلو ألقى في قلوبهم الخوفَ على قدرِ معرفتهم به ما هنَّأهم العيشُ[3].

وقال: إذا استوتْ سَريرةُ العبدِ وعلانيته، قال الله عزَّ وجل: هذا عبدي حقًّا[4].

وكان يقول: اللَّهُمَّ، ارضَ عنَّا، فإن لم ترضَ عنَّا، فاعفُ عنَّا، فإنَّ المولى قد يعفو عن عبدِهِ وهو عنه غيرُ راضٍ[3].

وقال: إنَّ أقبحَ ما طُلبتْ به الدُّنيا عملُ الآخرة[5].

وقال لبعض إخوانه: إذا كانتْ لك حاجةٌ فلا تكلِّمني فيها، ولكن اكتُبها في رُقعةٍ، ثم ارفعها إليَّ؛ فإنِّي أكره أن أرى في وجهِك ذُلَّ السُّؤال، وقد قال الشاعر:

لاتحسبنَّ المَوتَ مَوتَ البِلى ... وإنَّما المَوتُ سُؤالُ الرِّجالِ

كــلاهمــا مــوتٌ ولكــنَّ ذا ... أشدُّ من ذاكَ لِذُلِّ السُّؤالِ[6]

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ٢٠٤، صفة الصفوة ٣/ ٢٢٤.

(٢) حلية الأولياء ٢/ ٢٠٢.

(٣) صفة الصفوة ٣/ ٢٢٥.

(٤) حلية الأولياء ٢/ ٢٠٥، صفة الصفوة ٣/ ٢٢٥.

(٥) حلية الأولياء ٢/ ٢٠٨.

(٦) حلية الأولياء ٢/ ٢١٠، صفة الصفوة ٣/ ٢٢٦.

وقال: كأنَّ القلوبَ ليستْ منَّا، وكأنَّ الحديثَ يُعنى به غيرُنا[1].

وقال: صلاحُ قلبٍ بصلاحِ عملٍ، وصلاحُ عملٍ بصلاحِ نيَّةٍ.

وقال: إنَّ من أحبِّ عبادِ الله إلى الله الصبَّارَ الشَّكورَ الذي إذا ابتُلي صبرَ، وإذا أُعطي شكر[2].

وقال: نظرت ما هو خيرٌ لا شرَّ فيه ولا آفة، ولكلِّ شيءٍ آفةٌ فما وجدتُه إلا أن يُعافى عبدٌ فيشكر[3].

وقال غيلان بنُ جرير: حبسَ الحجَّاجُ مُورِّقًا في السجن، فقال لي مُطرِّفٌ: تعالَ ندعو وأمِّنوا، فدعا مطرِّفٌ، وأمَّنَّا على دُعائه، فلمّا كان العشيُّ خرجَ الحجَّاجُ، ودخلَ النَّاسُ، ودخلَ أبو مُورِّقٍ فيمن دخلَ، فقال الحجَّاجُ لَحَرَسيٍّ: اذهب إلى السِّجنِ، فادفع ابنَ هذا الشيخ إليه. من غيرِ أن يُكلِّمهُ فيه أحدٌ من النَّاس[4].

وقال مُطرِّفٌ: نظرتُ في بدو هذا الأمرِ ممَّن هو؟ قال: فإذا هو من الله تعالى. قلتُ: فعلى من تمامُهُ؟ فإذا هو على اللهِ تعالى، ونظرتُ ماملاكُه؟ فإذا ملاكُه الدُّعاء[5].

وكان يقول في دعائه: اللَّهُمَّ، إني أستغفرُكَ ممّا تُبتُ إليك منه، ثم عدتُ فيه، وأستغفركَ ممّا جعلتُهُ لك، ثم لم أفِ لكَ به، وأستغفرُكَ مما زعمتُ أنِّي أردتُ به وجهَكَ، فخالطَ قلبي منه ما قد علمتَ[6].

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/١٤٣، حلية الأولياء ٢/٢٠٢.
(٢) حلية الأولياء ٢/٢٠٠، مختصر تاريخ دمشق ٢٤/٣٤٨.
(٣) حلية الأولياء ٢/٢٠٠.
(٤) حلية الأولياء ٢/٢٠٦،٢٠٧، مختصر تاريخ دمشق ٢٤/٣٤٩.
(٥) حلية الأولياء ٢/٢٠٨.
(٦) حلية الأولياء ٢/٢٠٧، مختصر تاريخ دمشق ٢٤/٣٤٩.

وكان يقول: اللَّهُمَّ، إنِّي أعوذُ بك أن أقولَ بحقٍّ أطلبُ به غيرَ طاعتك، وأعوذُ بك أن أتزيَّنَ للنَّاسِ بشيءٍ يُشينني عندك، وأعوذُ بك أنْ أستعينَ بشيءٍمن معاصيك على ضُرٍّ نزلَ بي، وأعوذُ بكَ من أن تجعلني عِبرةً لأحدٍ من خلقِك، وأعوذُ بك أن تجعل أحدًا أسعدَ بما علمته منّي، اللَّهمَّ، لا تُخزني؛ فإنَّك بي عالم، اللَّهُمَّ لاتُعذّبني؛ فإنَّكَ عليَّ قادر[1].

وقال: أتى على الناسِ زمانٌ، وأفضلُهم في أنفسهم المُسارع، وأمّا اليومَ فأفضلُهم في أنفسِهم المُتانّي[2].

وقال: لو حَمدتُ نفسي لقليتُ الناسَ[3].

وقال: احترسوا من النَّاسِ بسوءِ الظَّنِّ[4]

وقال عبد الله بن مسلم العبدي: قال مُطرّف لما حضره الموتُ[5]: اللَّهُمَّ، خِرْ لي في الذي قضيتَه عليَّ من أمرِ الدُّنيا والآخرة، قال: وأمَرَهُم أن يحملوه إلى قبر، فختمَ فيه القرآنَ قبلَ أن يموتَ[6].

وقال ثابت البُنانيُّ: إنَّه دخل على مُطرِّفٍ، وهو مغمىً عليه، فسطعتْ منه أنوارٌ ثلاثةٌ: نورٌ من رأسهِ، ونورٌ من وسطه، ونورٌ من رجليه وقدميه. قال: فهالنا ذلك، فأفاقَ، فقلنا: كيف أنت يا أبا عبد الله؟ فقال: صالح. فقيل: لقد رأينا شيئًا هالَنا. قال: وما هو؟ قُلنا: أنوارٌ سطعتْ منك. قال: وقد رأيتُم ذلك؟ قالوا: نعم. قال: تلك تنزيل السَّجدةِ، وهي تسعٌ

(١) حلية الأولياء ٢/ ٢٠٧، مختصر تاريخ دمشق ٢٤/ ٣٤٩.
(٢) حلية الأولياء ٢/ ٢٠٩، مختصر تاريخ دمشق ٢٤/ ٣٤٧.
(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ١٤٤، حيلة الأولياء ٢/ ٢١٠.
(٤) حلية الأولياء ٢/ ٢١٠.
(٥) في (ب): لمّا حضر مطرّفًا الموتُ قال.
(٦) مختصر تاريخ دمشق ٢٤/ ٣٥٠.

وعشرون آية، سطعَ أولُها من رأسي، ووسطها من وسطي، وآخرها من قدمي، وقد صُوِّرتْ تشفعُ لي، وهذا ثوابُها يحرسني[1].

ومات مُطرّف بعد الطَّاعون الجارف[2]، وكان الطَّاعون سنةَ سبعٍ وثمانين. وكان مُطرِّفٌ أكبرَ من الحسن بعشرين سنة.

رحمة الله عليه ورضوانه.

(٤٧٥) مُطهَّر السَّعديُّ(*)

من عُبَّادِ البصرة.

قال عبدُ العزيز بن سلمان العابد، وكان يرى الآيات والأعاجيب: حدَّثني مُطهَّر السَّعديُّ، وكان قد بكى شوقًا إلى الله تعالى ستين عامًا، قال: أُريتُ كأنِّي على ضفةِ نهرٍ يجري بالمسكِ الأذفَر حافَّتاه شجرُ اللؤلؤ، وقضبانُ الذَّهب، فإذا أنا بجوارٍ مُزيَّناتٍ يقلنَ بصوتٍ واحدٍ: سُبحان المُسبَّح بكلِّ لسانٍ سُبحانه، سُبحان الموجودِ بكلِّ مكانٍ سُبحانه، سُبحان الدَّائم في كلِّ الأزمانِ سُبحانه. فقلت: من أنتن؟ فقلن: خلقٌ من خلقِ

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/١٤٦، حلية الأولياء ٢/٢٠٦.

(٢) الطاعون الجارف: سُمِّي بذلك لكثرة من مات فيه من الناس ، وقد اختلف في زمانه اختلافًا شديدًا متباينًا، فقد وقعت في ديار الإسلام طواعين عدَّة، أشهرُها طاعون عَمَواس، وطاعون شيرويه بن كسرى، وطاعون الفتيات، وطاعون غُراب وكلٌّ منها تسمَّى جارفًا؛ لأن الجرف موجود في جميعها. والطاعون الذي وقع سنة سبع وثمانين يُسمى طاعون الفتيات لأنه بدأ في العذارى والجواري بالبصرة، ويقال له طاعون الأشراف. انظر المعارف لابن قتيبة ٦٠١، وشرح صحيح مسلم للإمام النووي ١/١٠٥.

(*) ترجمته في: الثقات لابن حبان ٧/٥٠٧ (مطهر بن عبد الله السعدي)، صفة الصفوة ٣/ ٣٨٠، روض الرياحين صفحة ٧٧، الطبقات الصغرى للمناوي ٣٣٨.

الرَّحمٰن سُبحانه. فقلت: ماتصنعن هاهنا؟ فقلن:

ذرأنا إلهُ النَّاسِ ربُّ مُحمَّدٍ لقومٍ على الأطرافِ باللَّيلِ قُوَّمُ
يُناجون ربَّ العالمين إلٰهَهُمْ فتسري همومُ القومِ والنَّاسُ نُوَّمُ

فقلت: بخٍ بخٍ لهؤلاء، من هؤلاء؟ لقد أقرَّ اللهُ أعينَهم بكنَّ. فقُلنَ: أوما تعرفهم؟ قلت: لا والله، ما أعرفُهم. قلنَ: بلى، هؤلاء المتهجِّدون، أصحابُ القُرآن والسَّهرِ[1].

رحمة الله عليه ورضوانه.

(٤٧٦) مُظفَّر القرميسينيُّ(*)

هو من كبار مشايخ الجبل وجِلَّتهم.

صحبَ عبد الله الخرَّاز، وغيره من المشايخ.

قال أبو بكر الدِّينوريُّ: سُئل مُظفَّر القرمسينيُّ: ماخيرُ ماأُعطي العبدُ؟ قال: فراغُ القلبِ عمَّا لايعنيه، ليتفرَّغَ إلى ما يعنيه[2].

وقال أبو عبدِ الله الدِّينوري: سمعتُ مُظفَّرَ القرميسينيّ يقولُ: أفضلُ أعمالِ العبيد حفظُ أوقاتِهم وهو أن لايُقصِّروا في أمرٍ، ولا يتجاوزوا عن حدٍّ[2].

وقال: ليس لك من عُمرك إلا نَفَسٌ واحدٌ، فإن لم تُفنه بما لك، فلا تُفنه بما عليك[3].

---

(١) صفة الصفوة ٣/ ٣٨٠، روض الرياحين ٧٧.

(*) ترجمته في: طبقات الصوفية ٣٩٦، حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٠، الرسالة القشيرية ١/ ١٧١، مناقب الأبرار ١٨٦/أ، طبقات الأولياء ٣٧١، طبقات الشعراني ١/ ١١٣، الكواكب الدرية ٢/ ١٦٩. والقرميسيني نسبة إلى قَرمِيسِين بلدة بجبال العراق.

(٢) طبقات الصوفية ٣٩٨، حلية الأولياء ١٠/ ٣٦١.

(٣) طبقات الصوفية ٣٩٨، حلية الأولياء ١٠/ ٣٦١، وفيهما: ليس لك من عمرك إلا نفس واحدة فإن لم تفنها...

وقال: العارفُ من جعلَ قلبَهُ لمولاه، وجسدَهُ لخَلْقِه. وأفضلُ ما يلقى به العبدُ ربَّه نصيحةٌ من قلبه، وتوبةٌ من ذنبه[1].

وقال: من قتلَهُ الحبُّ أحياه القُربُ[2].

وقال: الجوع ـ إذا ساعدَهُ القناعةُ ـ مزرعةُ الفكرة، وينبوعُ الحِكمة، وحياةُ الفطنة، ومصباحُ القلب[2].

وقال: إذا صحَّتْ لك مودَّةُ أخيك فلا تُبالي متى يكونُ اللقاء[3].

وقال: من عاملَ الله تعالى بالصِّدق استوحشَ من صُحبةِ المخلوقين[3].

وقال: من أفقرَهُ [الله] إليه أغناه به، ليُعرِّفَهُ بالفقر عبوديتَهُ، وبالغِنى ربوبيته[4].

وقال: يحاسبُ الله المؤمنين يومَ القيامة بالمِنَّةِ والفضلِ، ويُحاسبُ الكفَّارَ بالحُجّة والعدل[5].

وقال: ليكن نظرُكَ إلى الدنيا اعتباراً، وسعيكَ فيها اضطراراً، ورفضكَ لها اختياراً[5].

وقال: بصحَّةِ الإيمان، وكمالِ التَّقوى يفتحُ الله على العبدِ خيرَ الدُّنيا والآخرة. قال اللهُ تعالى: ﴿ولو أنَّ أهلَ القُرَى آمَنُوا واتَّقَوْا لَفَتَحْنا عليهمْ بركاتٍ من السماءِ والأرض﴾[5] [الأعراف: ٩٦].

وقال: الصَّومُ ثلاثةُ أوجهٍ: صومُ الرُّوحِ بقصر الأملِ، وصومُ العقلِ بخلافِ الهوى، وصومُ النَّفسِ بالإمساكِ عن الطَّعامِ والمحارمِ[3].

وقال: التَّواضعُ قبولُ الحقِّ ممّن كان[3].

---

(١) طبقات الصوفية ٣٩٦، ٣٩٧، حلية الأولياء ١٠/ ٣٦١.

(٢) طبقات الصوفية ٣٩٧، حلية الأولياء ١٠/ ٣٦١.

(٣) طبقات الصوفية ٣٩٦.

(٤) طبقات الصوفية ٣٩٦، وما بين معقوفين مستدرك منه.

(٥) طبقات الصوفية ٣٩٧.

وقال: الفقيرُ الذي لا يكونُ له إلى الله تعالى حاجةٌ.

وقال: من تأدَّب بأدبِ الشَّرعِ تأدَّبَ به مُتَّبعوه، ومن تهاون بالآداب هلكَ وأهلَكَ، ومن لم يأخذِ الأدبَ عن حكيمٍ لا يتأدَّبُ به مُريد[1].

رحمه الله.

(٤٧٧) المُعافى بن عِمْران(*)

أبو مَسعود الأزديُّ.

من أهلِ الموصلِ، رحلَ في الحديثِ إلى البلدان النَّائية، وجالسَ العلماء، ولزمَ سُفيان الثَّوريَّ فتفقَّه به، وتأدَّبَ بآدابه، وصنَّف كُتبًا في السُّنن، والزُّهد، والأدب[2].

وحدَّثَ عن: الثَّوريِّ، وابنِ أبي ذئب، ومالِك، وابنِ جُريج، والأوزاعيِّ، واللَّيثِ، وخلقٍ سواهم كثير.

روى عنه: ابنُ المُبارك، وموسى بنُ أَعْيَنَ، وبشرُ بن الحارث، ومحمدُ بن جعفر الوَركَانيُّ، وإبراهيمُ بن عبد الله الهَرَويُّ.

---

(١) طبقات الصوفية ٣٩٨.

(*) ترجمته في: طبقات ابن سعد ٧/٤٨٧، طبقات خليفة ٣٢١، التاريخ الكبير ٨/٦٠، الجرح والتعديل ٨/٣٩٩، مشاهير علماء الأمصار ت ١٤٨٩، ثقات ابن حبان ٧/٥٢٩، حلية الأولياء ٨/٢٨٨، تاريخ بغداد ١٣/٢٢٦، صفة الصفوة ٤/١٨٠، تهذيب الكمال ٢٨/١٤٧، سير أعلام النبلاء ٩/٨٠، ميزان الاعتدال ٤/١٣٤، تذكرة الحفاظ ١/٢٨٧، دول الإسلام ١/١١٨، العبر ١/٢٩١، طبقات ابن عبد الهادي ت٢٥٠، تهذيب التهذيب ١٠/١٩٩، النجوم الزاهرة ٢/١١٧، طبقات الحفاظ ١٢٠، الطبقات الصغرى للمناوي ٥٩٩، شذرات الذهب ١/٣٠٨.

(٢) تاريخ بغداد ١٣/٢٢٦.

وكان زاهدًا، فاضلاً في العلوم، كريمًا، عاقلاً، صاحبَ سُنةٍ.

قال الجُنيد: سمعتُ سريًا السَّقطيَّ يقول: جاءَ بشرُ بن الحارث يوم الجمعة يدخلُ المسجد، فطردَهُ البوابون؛ ظنّوه سائلاً، فقعدَ في قُبّةِ الشُّعراء يبكي، فأتاه المُعافى بن عِمران، فقال: مالكَ تبكي؟ قال: طردوني البوّابون، لم يدعوني أدخلُ المسجدَ. قال: قد اغتممتَ؟ قال: نعم. قال: قم حتى أُدْخِلك المسجدَ أنا. قال: لاأُريد. قال المُعافى: سمعتُ سفيانَ الثَّوريَّ يقولُ: لايستكملُ المؤمنُ حقيقةَ الإيمانِ حتى يأتيه البلاءُ من كلِّ مكانٍ[1].

وقال علي بن خَشرم: سمعتُ بشرَ الحافي، وقال له رجلٌ: ألا أراكَ عاشقًا للمُعافى بن عمران؟ فقال: مالي لاأعشقُهُ، وكان الثَّوريُّ يُسمِّيه الياقوتة، وحضرتُهُ يومًا فنُعيَ إليه ابناهُ، قُتلا في وقعةِ الموصلِ، فما حلَّ حبوتَهُ، وقال: ظالمين أو مَظلومين؟ قيل: مَظلومين. فحلَّ حبوته، وخرَّ ساجدًا، ثم رفعَ رأسه، وقال: كيفَ كانت قصتُهما؟.

وفي روايةٍ: فجاء إخوانه يُعزُّونه من الغدِ، فقال لهم: إن كنتم جئتم لتعزُّوني فلا تُعزُّوني، ولكن هنّئوني. فهنّؤوه، فما برحوا حتى غدّاهم، وغلّفهم بالغالية[2].

وقال بشر: كان المُعافى صاحبَ كمَدٍ، أُصيب بابنين له قُتلا، وأُصيب بماله فما رُئيَ عليه أثرُ حُزنٍ، ولا سُمعَ من داره صوتٌ.

قال: وكان ابنُ المبارك يقول: حدَّثني ذلك الرَّجلُ الصَّالح. يعني المُعافى بن عِمران[3].

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/٢٢٧، ٢٢٨.

(٢) حلية الأولياء ٨/٢٨٨، تاريخ بغداد ١٣/٢٢٨. والغالية: الطيب.

(٣) تاريخ بغداد١٣/٢٢٨.

وقال: كان سُفيان الثَّوريُّ يقول للمُعافى: أنت المعافى كاسمك. وكان يُسمِّيه الياقوتة. وفي رواية: ياقوتة العُلماء[1].

وقال ابنُ عمّار: كنتُ عند عيسى بن يُونس بالحَدَثِ[2]، فقال لي: ممَّن أنتَ؟ قلت: من أهلِ الموصل. قال: رأيتَ المُعافى بن عِمران؟ قلتُ نعم. قال: وسمعتَ منه؟ قلتُ: نعم. قال: ماأحسبُ أحدًا رأى المُعافى، وسمِعَ من غيره يريدُ الله بعلمِهِ[3].

وقال أبو يعلى الموصلي: قيل للمُعافى بن عِمران: ماترى في الرَّجلِ يقرِضُ الشِّعرَ، ويقوله؟ قال: هو عمرُكَ فأَفنِهِ بما شئتَ[4].

وقال بشرٌ: سمعتُ المُعافي يقول: عزُّ المؤمنِ استغناؤهُ عن النَّاس، وشرفُهُ قيامُهُ بالليل[5].

وتوفي سنةَ أربعٍ وثمانين ومئةٍ. وقيل سنة خمسٍ وثمانين بالموصل. وقبرُهُ بها معروفٌ يُزار[3].

رحمة الله عليه ورضوانه.

* * *

(١) تاريخ بغداد ١٣/ ٢٢٨.
(٢) الحدث: قلعة حصينة بين ملطية وسُمَيساط ومرعش من الثغور. معجم البلدان.
(٣) تاريخ بغداد ١٣/ ٢٢٩.
(٤) حلية الأولياء ٨/ ٢٨٩.
(٥) صفة الصفوة ٤/ ١٨١.

(٤٧٨) مُعاوية بن قُرَّة(*)

معاوية بن قُرَّةَ بن إياس، أبو إياس البَصري، المُزنيُّ. من تابعي البصرة.

روى عن: عليِّ بن أبي طالب، وأنسِ بن مالك، وابن عمر، وعبدِ الله بن مُغَفَّل، وابنِ عبَّاس.

روى عنه: أبو إسحاق الهَمْدَانيُّ، وسِمَاكُ بن حرب، والأعمش، وشُعبة، وثابت، وقَتَادة، وخلْقٌ سِواهم كثيرٌ.

قال: أدركتُ سبعين رَجلاً من أصحابِ رسولِ الله ﷺ لو خرجوا فيكم اليومَ ماعرفوا شيئًا ممَّا أنتم عليه إلاَّ الأذان[1].

وقال سفيان: قدم الحجَّاجُ على عبدِ الملك بن مروان وافدًا، ومعه مُعاوية بن قُرَّةَ. فسأل عبدُ الملك مُعاويةَ عن الحجَّاجِ، فقال: إنْ صدقْناكم قتلتمونا، وإن كذبْناكم خشينا اللهَ. فنظر إليه الحجَّاج، فقال له عبدُ الملك: لاتَعرَّضْ له. فنفاه الحجَّاجُ إلى السِّند. وكان يذكرُ من بأسه[2].

وقال جعفر بن عبد الله: قال لي معاوية بن قُرَّةَ يومًا: كُنَّا لانَحمَدُ ذا

(*) ترجمته في: طبقات ابن سعد ٧/ ٢٢١، تاريخ خليفة ٢٥٧، طبقات خليفة ٢٠٧، تاريخ البخاري الكبير ٧/ ٣٣٠، التاريخ الصغير ١/ ٢٤٠، الجرح والتعديل ٨/ ٣٧٨، ثقات ابن حبان ٥/ ٤١٢، حلية الأولياء ٢/ ٢٩٨، صفة الصفوة ٣/ ٢٥٧، مختصر تاريخ دمشق ٢٥/ ١٠٢، تهذيب الكمال ٢٨/ ٢١٠، سير أعلام النبلاء ٥/ ١٥٣، العبر ١/ ٢٣٤، تاريخ الإسلام ٤/ ٣٠٤، تهذيب التهذيب ١٠/ ٢١٦، الكواكب الدرية ١/ ٤٥٤، شذرات الذهب ١/ ١٤٧.

(١) حلية الأولياء ٢/ ٢٩٨، مختصر تاريخ دمشق ٢٥/ ١٠٤.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢٥/ ١٠٣.

فضْلٍ لا يفضلُ عنه فضلُه، فصرْنا اليوم نحمَدُ ذا شرٍّ لايفضُلُ عنه شرُّه. ثم قال لي: لا تطلبْ من النَّاسِ اليومَ الخيرَ، واطلبْ منهم كفَّ الأذى، فمن كفَّ أذاه عنك اليومَ فهو بمنزلةِ من كان يُعطيك الجوائز[1].

وقال حجَّاجُ الأسود: قال مُعاويةُ بن قُرَّة: من يَدُلُّني على بكَّاءٍ بالليل، بسَّامٍ بالنَّهار[2]؟

وقال عَوْنُ بن موسى: [حدَّثنا معاوية بن قُرَّة، قال]: كُنَّا عند الحسنِ، فتذاكرنا: أيُّ العمل أفضل؟ فكلُّهم اتَّفقوا على قيامِ الليل. فقلتُ أنا: تَرْكُ المحارمِ. فانتبه لها الحسنُ فقال: تمَّ الأمرُ، تمَّ الأمر[3].

وقال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ يرزقُ العبدَ رزقَ شهرٍ في يومٍ واحدٍ، فإنْ أصلحَهُ أصلحَ الله على يديه، وعاشَ هو وعيالُه بقيَّةَ شهرهم بخيرٍ، وإنْ هو أفسدَهُ أفسدَ اللهُ على يديه، وعاشَ هو وعيالُه بقيَّةَ شهرِهم بشرٍّ[4].

وقال مُسلم: لقيني مُعاويةُ بن قُرَّة، وأنا جاءٍ من الكلأ، فقال لي: ما صنعتَ؟ فقلتُ: اشتريتُ لأهلي كذا، وكذا. قال: وأصبتَ من حلالٍ؟ قلت: نعم. قال: لأنْ أغدوَ فيما غدوتَ فيه أحبُّ إليَّ من أن أقومَ اللَّيلَ، وأصومَ النَّهار[5].

وقال: إنَّ القومَ يحجُّونَ، ويَعتمرون، ويُجاهدون، ويُصلُّون، ويصُومون، وما يُعطوْنَ يومَ القيامةِ إلا على قدرِ عُقُولهم[5].

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٢٥/ ١٠٤.

(٢) حلية الأولياء ٢/ ٢٩٩، مختصر تاريخ دمشق ٢٥/ ١٠٤، وانظر الحاشية (١) في الصفحة التالية.

(٣) حلية الأولياء ٢/ ٢٩٩، صفة الصفوة ٣/ ٢٥٧، وما بين معقوفين مستدركٌ منه.

(٤) حلية الأولياء ٢/ ٢٩٩.

(٥) حلية الأولياء ٢/ ٣٠٠.

وقال حجّاجُ الأسودُ[1]: سمعتُ معاويةَ بنَ قُرَّة، يقول: اللَّهُمَّ، إنَّ الصَّالحين أنتَ أصلَحتَهُم ورزقتَهم، يعملون بطاعتك، فرضيتَ عنهم، اللَّهُمَّ كما أصلحتَهم ورزقتَهم فرضيتَ عنهم، فارزقنا أن نعمل بطاعتك، وارضَ عنَّا[2].

وقال: مكتوبٌ في الحكمة: لاتُجالسْ بحلمكَ السُّفهاءُ، ولا تجالس بسفَهكَ العلماء[3].

و[قال:] وكان يُقال: الخصوماتُ في الدِّين تُحبطُ الأعمال[4].

وقال قُريشُ بن أنس: قدِمَ معاويةُ بن قُرَّة من سفَرٍ، فدخل على ابنه إياسِ بن مُعاوية، فقال: إنَّ هذا اليوم ما ينبغي أن أكونَ فيه حيًّا. إنّي رأيتُ في النَّومِ كأنّي وأبي نستبقُ إلى غايةٍ، فأدركناها معًا، وقد بلغتُ سِنَّ أبي اليومَ. فما أُخرج إلاّ ميتاً[5].

ومات سنة ثلاثَ عشرة ومئة.

رحمة الله عليه، ورضوانه.

* * *

(1) في الأصل حجاج بن الأسود، والتصحيح من تهذيب الكمال ٢٨/ ٢١١، ٢١٣، وهو: حجاج بن أبي زياد.
(2) حلية الأولياء ٢/ ٢٩٩، مختصر تاريخ دمشق ٢٥/ ١٠٤. تهذيب الكمال ٢٨/ ٢١٤.
(3) حلية الأولياء ٢/ ٣٠١.
(4) حلية الأولياء ٢/ ٣٠٠، ٣٠١. وما بين معقوفين مستدرك منه.
(5) حلية الأولياء ٢/ ٣٠٠.

(٤٧٩) معروفُ بن فيروز(*)

أبو محفوظ الكرخي، ويُقال: ابن الفَيْرُوزان، ويقال: ابنُ عليٍّ. منسوبٌ إلى كَرخِ بغداد.

كان أحدَ المشهورين بالزُّهد، والعبادةِ، والورعِ، والعُزوف عن الدُّنيا، يغشاه الصالحون، ويتبرَّكُ بلقائِهِ العارفون، وكان مُجابَ الدَّعوةِ، وله الكراماتُ، يُستسقى[1] بقبره، وهو من جِلَّة المشايخِ، وقدمائهم، والمشهورين بينهم، وهو من موالي عليِّ بن موسى الرِّضا.

صحبَ داودَ الطَّائيَّ[2].

وأهلُ بغداد يقولون: قبرُ معروفٍ ترياقٌ مُجرَّبٌ[3].

(*) ترجمته في: ثقات ابن حبان ٩/٢٠٦، طبقات الصوفية ٨٣، حيلة الأولياء ٨/٣٦٠، تاريخ بغداد ١٣/١٩٩، الرسالة القشيرية ١/٦٥، طبقات الحنابلة ١/٣٨١، مناقب الأبرار ٣١/ب، الأنساب ١٠/٣٨٩، صفة الصفوة ٢/٣١٨، وفيات الأعيان ٥/٢٣١، سير أعلام النبلاء ٩/٣٣٩، دول الإسلام ١/١٢٦، العبر ١/٣٣٥، مرآة الجنان ١/٤٦٠، طبقات الأولياء ٢٨٠، طبقات الشعراني ١/٧٢، الكواكب الدرية ١/٧١٥، شذرات الذهب ١/٣٦٠.

(١) في (أ): يستقى.

(٢) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ٩/٣٣٩: وذكر السُّلمي أنه صحب داود الطائي، ولم يصحَّ.

(٣) القول لإبراهيم الحربي، قال الإمام الذهبي في السير ٩/٣٤٣،٣٤٤: يريد إجابة دعاء المضطر عنده لأن البقاع المباركة يُستجابُ عندها الدعاء، كما أن الدعاء في السحر مرجو، ودبر المكتوبات وفي المساجد، بل دعاء المضطر مجابٌ في أي مكان اتفق.

قال الشيخ شعيب الأرناؤوط معقبًا: هذا الكلام لا يسلم لقائله، إذ كيف يكون قبر أحد من الأموات الصالحين ترياقًا ودواءً للأحياء، وليس ثمةَ نصٌّ من كتاب الله يدلُّ على خصوصية الدعاء عند قبر ما من القبور، ولم يأمر به النبيُّ ﷺ، ولا سنَّه=

وقال عبد الله بن صالح: كان معروف قد بادأه الله بالاجتباءِ في حالِ

= لأمته، ولا فعله أحد من الصحابةِ والتابعين لهم بإحسان، ولا استحسنه أحدٌ من أئمةِ المسلمين الذين يُقتدى بقولهم، بل ثبت النهيُ عن قصد قبور الأنبياء والصالحين لأجل الصلاة والدعاء عندها، فعن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب زين العابدين الثقة الثبت، الفقيه أنه رأى رجلاً يجيءُ إلى فرجةٍ كانتْ عند قبرِ النبيِّ ﷺ فيدخل فيها فيدعو، فدعاهُ، فقال: ألا أحدِّثك بحديثٍ سمعتُه من أبي عن جدِّي رسولِ الله ﷺ؟ قال: «لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، وصلُّوا عليَّ، فإنَّ صلاتكم وتسليمكم تبلُغُني حيثما كنتم». أخرجه ابنُ أبي شيبة ٢/ ٣٧٥، وإسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ رقم (٢٠)، ويقوِّيه ما أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٦٧٢٦) من طريق سهيل، عن الحسن بن علي، قال: رأى قومًا عند القبر، فنهاهم، وقال: إنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لا تتخذوا قبري عيدًا . . .».

وأخرجه أبو داود (٢٠٤٢)، وأحمد ٢/ ٣٦٧ من طريق عبد الله بن نافع، عن ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلُّوا عليَّ، فإنَّ صلاتكم تبلغني حيث كنتم»، وهذا سندٌ حسن. وأخرج ابنُ أبي شيبة في «المصنف» ٢/ ٣٧٦ من طريق أبي معاوية عن الأعمش، عن المعرور بن سويد قال: خرجنا مع عمر في حجةٍ حجَّها، فقرأ بنا في الفجر: ﴿ألم تر كيف فعل ربُّك بأصحاب الفيل﴾ و﴿لإيلاف قريش﴾، فلما قضى حجَّه ورجع والناس يبتدرون، فقال: ما هذا؟ فقالوا: مسجدٌ صلَّى فيه رسولُ الله ﷺ، فقال: هكذا هلكَ أهلُ الكتاب، اتَّخذوا آثارَ أنبيائهم بِيَعًا، مَنْ عرضت له منكم فيه الصلاة، فليصلِّ، ومن لم تعرضْ له منكم فيه الصلاة، فلا يصلِّ. وإسنادُه صحيح على شرط الشيخين.

وجاء في «مناسك الحج» للإمام النووي ٢/ ٦٩، وهو من محفوظات الظاهرية ما نصُّه: كره مالك رحمه الله لأهل المدينة كلَّما دخل أحدهم وخرج الوقوف بالقبر، قال: وإنما ذلك للغرباء، قال: ولا بأس لمن قدم من سفر، أو خرج إلى سفر أن يقف عند قبر النبيِّ ﷺ، فيصلِّي عليه ويدعو له ولأبي بكر وعمر رضي الله عنهما. قال الباجي: فرق مالك بين أهل المدينة والغرباء، لأنَّ الغرباء قصدوا ذلك: «يصلي عليه ويدعو له ولأبي بكر وعمر» فإنَّ هذه الزيارةَ الشرعية للقبور أن تسلِّمَ على أصحابها وندعو لهم كما علَّمنا رسولُ الله ﷺ في الحديث المخرَّج في صحيح مسلم (٩٧٤) عن عائشة، و(٩٧٥) عن بريدة.

الصِّبا. يُذكرُ أن أخاه عيسى قال: كنتُ أنا وأخي معروفٌ في الكُتَّاب، وكُنَّا نصارى، وكان المعلِّمُ يُعلِّمُ الصِّبيان: آبٌ وابنٌ. فيصيحُ أخي معروفٌ: أحدٌ أحد. فيضربه المُعلِّمُ على ذلك ضربًا شديدًا، حتى ضربهُ يومًا ضربًا عظيمًا، فهربَ على وجهه، فكانت أُمي تبكي، وتقول: لئن ردَّ اللهُ عليَّ ابني معروفًا لأتبعنَّه على أيِّ دينٍ كان. فقدمَ عليها معروفٌ بعد سنين كثيرة، فقالت له: يابُني، على أيِّ دينٍ أنت؟ فقال: علي دينِ الإسلام. فقالتْ: أشهدُ أن لا إله إلا الله، وأشهدُ أن محمدًا عبده ورسوله. فأسلمَتْ أُمي، وأسلمنا كلُّنا[1].

وفي رواية: أنَّه مضى إلى عليِّ بن موسى الرِّضا، وأسلمَ على يده، ورجعَ إلى منزله، فدقَّ الباب، فقالوا: على أيِّ دينٍ أنت؟ فقال: على الدِّين الحنيفيِّ. فأسلمَ أبواه، ووافقاه.

وقال ابنُ شيرويه: كنتُ أجالسُ معروفًا الكرخي كثيرًا، فلمّا كان ذات يومٍ رأيتُ وجهَهُ قد خلا، فقلت له: يا أبا محفوظ، بلغني أنك تمشي على الماء؟ فقال لي: مامشيت قطُّ على الماء، ولكنْ إذا هممتُ بالعبور يُجمع لي بين طرفيها فأتخطَّاها[2].

وقال محمدُ بن منصور: مضيتُ يومًا إلى معروفِ الكرخيِّ، ثم عدتُ إليه من غدٍ، فرأيتُ على وجههِ أثرَ شجَّةٍ، فهبتُ أنْ أسأله عنها، وكان عنده رجلٌ أجرأُ عليه مني، فقال له: كُنّا عندك البارحة فلم نرَ في وجهِك هذا الأثر. فقال معروف: خذْ فيما تنتفعُ به. فقال له: أسألُكَ بحقِّ الله. فانتفضَ معروفٌ، ثم قال له: ويحك، وما حاجتكَ في هذا؟ مضيتُ البارحةَ إلى بيتِ الله الحرام، ثم صِرتُ إلى زمزمَ، فشربتُ منها،

---

(١) صفة الصفوة ٢/٣١٨، ٣١٩.
(٢) تاريخ بغداد ١٣/٢٠٦.

فزلَّت[1] رجلي، فنطح وجهي البابَ، فهذا الذي ترى من ذلك[2].

وقال خليلُ الصيَّاد، وكفاك به: غابَ ابني إلى الأنبار، فوجدتْ أمُّه وجدًا شديدًا، فأتيتُ معروفًا، فقلتُ له: ياأبا محفوظ، غابَ ابني، فوجدتْ أمُّه وجدًا شديدًا. قال: فما تشاء؟ قلت: تدعو الله أن يرَدَّه عليها. فقال: اللَّهمَّ، إنَّ السَّماءَ سماؤك، والأرض أرضُك، وما بينهما لك فأتِ به. قال خليل: فأتيت باب الشَّام[3] فإذا ابني قائمٌ مُنبهرٌ. فقلت: يامحمدُ، فقال: ياأبةِ، السَّاعةَ كنتُ بالأنبار[4].

وقال أبو العباس المؤدّب: حدثني جارٌ لي هاشميٌ في سوق يحيى ـ وكانت حالُه رقيقةً ـ قال: ولِدَ لي مولودٌ، فقالتْ لي زوجتي: هو ذا ترى حالي وصورتي ولا بدَّ لي من شيءٍ أتغذّى به، ولا يمكنني الصَّبر على هذه الحال، فاطلبْ شيئًا. فخرجتُ بعد عشاءِ الآخرةِ، فجئتُ إلى بقالٍ أُعامله، فعرَّفتُهُ حالي، وسألته شيئًا يدفعه إليَّ، وكان له عليَّ دينٌ، فلم يفعل، فصرتُ إلى غيره ممن كنت أرجو أن يغير حالي، فلم يدفع إليَّ شيئًا، فبقيتُ متحيِّرًا لاأدري إلى أينَ أتوجَّهُ، فصِرتُ إلى دِجلةَ، فرأيت مَلاَّحًا في سُمَّارِيَّة[5] يُنادي: فُرضة عثمان، قصر عيسى، أصحاب السَّاج. فصحتُ به، فقربَ إلى الشطِّ، فجلستُ معه، وانحدر بي، فقال: إلى أين تُريد؟ فقلت: لا أدري أين أُريد. فقال: مارأيتُ أعجبَ أمرًا منك؟ تجلسُ معي في مثلِ هذا الوقتِ، وأنحدرُ بك، وتقول لاأدري أين أتوجه! فقصصتُ عليه قصتي، فقال لي: لاتغتمَّ، فإنِّي من أصحاب السَّاجِ، وأنا أقصد بك

---

(١) في (ب): فزلقت.

(٢) تاريخ بغداد ١٣/ ٢٠٢.

(٣) باب الشام: محلة كانت بالجانب الغربي من بغداد. معجم البلدان.

(٤) حلية الأولياء ٨/ ٢٦٢، تاريخ بغداد ١٣/ ٢٠٧.

(٥) سمارية: ضرب من السفن.

بُغيتك إن شاء الله. فحملني إلى مسجدِ معروفِ الكرخّي الذي على دجلة في أصحابِ السَّاج، وقال لي: هذا معروفُ الكرخيُّ يبيتُ في المسجد، ويُصلّي فيه. تطهَّرْ للصلاة، وامضِ إليه، وقصَّ عليه حالَك، وسَلْه أن يدعو لك، ففعلتُ، ودخلتُ المسجدَ، فإذا معروفٌ يُصلِّي في المحرابِ، فسلَّمتُ، وصلَّيت ركعتين، وجلست، فلمّا سلَّم ردَّ عليَّ السَّلامَ، وقال لي: من أنت، رحمَكَ الله؟ فقصصتُ عليه قصَّتي وحالي، فسمعَ ذلك منِّي، وقامَ يُصلِّي، ومطرتِ السماءُ مطرًا كثيرًا، فاغتممتُ لذلك، وقلتُ: كيف جئتُ إلى هذا الموضع، ومنزلي سُوق يحيى؟ وقد جاء هذا المطرُ، وكيف أرجعُ إلى منزلي؟ واشتغلَ قلبي بذلك، فبينا نحن كذلك إذ سمعتُ صوتَ حافرِ دابَّةٍ، فقلتُ: في مثلِ هذا الوقتِ حافر دابةٍ! فإذا هو يُريدُ المسجدَ، فنزلَ ودخلَ وسلَّم وجلسَ، فسلَّم معروفٌ، وقال: من أنت، رحمكَ الله؟ فقال له الرجلُ: أنا رسولُ فلانٍ، وهو يقرأُ عليك السلام، ويقولُ لك: كنتُ نائمًا على وطاءٍ، وفوقي دثارٌ، فانتبهتُ على صورةِ نعمةِ الله عليَّ، فشكرتُ الله، ووجَّهتُ إليك بهذا الكيس، فادفعه إلى مُستحقِّه. فقال له: ادفعهُ إلى هذا الرجلِ الهاشميّ. فقال له: إنَّه خمسُ مئة دينار. فقال له: اعطِهِ، فلذلك طُلب له. قال: فدفعها إليَّ، فشددتُها في وسطي، وخضتُ الوحلَ والطينَ في الليل حتى صِرتُ إلى منزلي، وجئت إلى البقَّال، فقلت له: افتح بابك. ففتح. فقلتُ: هذه خمسُ مئةِ دينار قد رزقني الله، فخُذْ مالكَ عليَّ، وخُذ ثمنَ ماأريد. فقال لي: دعْها معك [إلى غدٍ] وخذ ماتريد. وأخذَ مفاتيحه، وصار إلى دُكانه، ودفعَ إليَّ سكرًا وعسلاً وشيرجًا[1]، وشحمًا وأرزًا وما يُحتاج إليه، وقال لي: خذ. فقلت: ما أطيق حمله. فقال: أنا أحملُ معك. فحمل بعضَهُ، وحملتُ أنا بعضه، وجئتُ إلى منزلي، والبابُ مفتوحٌ، ولم تكن فيها نهوضٌ لإغلاقه، وقد

---

(١) الشَّيْرج: دهن السمسم. متن اللغة.

كادتْ تتلفُ، فوبَّختني على تركي إيَّاها على مثلِ صورتها. فقلت لها: هذا عسلٌ وسكرٌ وشيرج، وجميعُ ما تحتاجين إليه. فسُرِّيَ عنها بعضُ ماكانت تجده. ولم أُعلمها بالدنانير خوفًا أن تتلف فرحًا، فلمَّا أصبحنا أريتُها الدَّنانير، وشرحتُ لها القصَّة، واشتريتُ بها عقارًا، ونحن نستغلُّه[1]، ونعيشُ من فضله، ومن غلَّته، وكشفَ الله عنا ماكُنا فيه ببركةِ معروفٍ الكرخيِّ[2].

وقال ابن شيرويه: جاءَ رجلٌ إلى معروفٍ الكرخيِّ، فقال: ياأبا محفوظ، جاءني البارحة مولودٌ، وجئتُ لأتبرَّكَ بالنَّظرِ إليك. قال: اقعد عافاك الله، وقلْ مئة مرَّةٍ: ماشاء الله كان. فقال الرَّجلُ. قال: فقل مئةً أخرى. فقال. فقال له: قلْ مئةً أخرى. حتى قال له ذلك خمسَ مرَّاتٍ. فلمّا استوفى خمسَ مئة مرة دخل عليه خادمُ أبي جعفر[3] وبيده رقعةٌ وصُرَّةٌ، وقال له: ياأبا محفوظ، سُتُّنا تقرأُ عليك السلام، وقالت لك: خذ هذه الصُّرة، وادفعها إلى قومٍ مساكين. فقال له: ادفعها إلى ذلك الرَّجلِ. فقال: ياأبا محفوظ، فيها خمس مئة درهم، فقال: قد قال خمس مئةِ مرة: ماشاء الله كان، ثم أقبلَ على الرَّجلِ، فقال: ياعافاك الله، لو زِدتنا لزدناك[4].

وقال ابن شيرويه: كنتُ عند معروفِ الكرخيِّ، إذ أتاه ضريرٌ، فشكا إليه الحاجة، فقال له: مُرّ، عافاك اللهُ، ارجع إلى عيالك، وقل ماشاء الله كان. فمضى الضريرُ، ومعه قائدٌ يقودُهُ، فلمّا بلغَ إلى قنطرة المَعْبَدي إذا براكبٍ يركضُ خلفه، ويقولُ له: مكانَك ياضرير. فدفعَ إليه صُرَّةً ومرَّ.

---

(١) في (أ): نستعمله.

(٢) تاريخ بغداد ١٣/٢٠٣ـ٢٠٥، وما بين معقوفين مستدرك منه.

(٣) في تاريخ بغداد ١٣/٢٠٥: خادم أم جعفر زبيدة.

(٤) تاريخ بغداد ١٣/٢٠٥.

فقال الضريرُ لمن يقوده: انظرْ أي شيءٍ هي ؟ فإذا هي دنانير. قال: فارجعْ إلى الشيخِ وبشِّرهُ. فلمَّا دخلا على معروفٍ، قال له: لِمَ رجعت، وقد قُضيتِ الحاجة؟ مُرَّ عافاك الله، وقل: ماشاء الله كان[1].

وقال سعيد بن عثمان: قلتُ لأخٍ لمعروف: إن الناس يتحدَّثون عن عُرسٍ كان لكم، وأنكم سألتم معروفًا أن يقعدَ على الدُّكان حتى ينقضي عرسُكم، فقعدَ والسُّؤالُ حواليه، ففرَّقَ الدَّقيق واغتممتُم بذلك، وسألتموه عن الدَّقيق، فقال: لاتغتمُّوا، انظروا كم ثمنُ دقيقكم هو في الصندوق. فقال لي: قد كان بعضُ هذا. فقلت له: أصبتُم دراهمَ الدَّقيق في الصُّندوقِ كما قال؟ قال: نعم[2].

وقال أبو شعيب: قال لي معروف: كنتُ ليلةً في المسجد، فإذا بصوتٍ من ذلك الجانب يقول لملاحٍ: عليَّ ثلاثةُ أطفالٍ، وقد خرجتُ من غدوةٍ، وليس عندهم شيءٌ، خُذ من قُوتِنا من هذا الخبزِ وعبِّرني. فأبى عليه، فنزلتُ إلى الشطِّ إلى زورقٍ، فقعدتُ في الزَّورق، فضربتُ بيدي إلى المِجذافِ، فلم أُحسنْ، فجعل الزَّورقُ يجذِّفُ نفسه، وليسَ أرى أحدًا، حتى عبرتُ، فعبرت الرَّجلَ وقعدتُ عند المِجذافِ، والمجذافُ يجذِّفُ نفسه حتى أوصلَهُ إلى منزله[3].

وقال الحسنُ بن عبد الوهاب: سمعتُ أبي يقول: قالوا إنَّ معروفًا الكرخيَّ يمشي على الماءِ. لو قيل لي: إنَّه يمشي على الهواءِ لصدَّقتُ[4].

وقال يعقوب ابن أخي معروف: قالوا لمعروفٍ: ياأبا محفوظ، لو

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/٢٠٥.
(٢) تاريخ بغداد ١٣/٢٠٥،٢٠٦.
(٣) تاريخ بغداد ١٣/٢٠٦.
(٤) تاريخ بغداد ١٣/٢٠٧.

سألتَ الله أن يُمطرنا؟ وكان يومًا صائفًا شديدَ الحرِّ، قال: ارفعوا إذًا ثيابكم، فما استمرَّ رفعُ ثيابهم حتى جاء المطر[1].

وقال خلفُ بن المَرزبان: كُنّا عند معروف الكرخي نتحدَّثُ، إذ جاءَهُ رجلٌ ومعه بعيرٌ، فقال له: ياأبا محفوظ، هذا البعيرُ لي، ومعي جماعةٌ من العيال أكِدُّ عليه، وأعودُ به عليهم، وقد مُنعَ البولَ من ثلاثٍ فلم يبُل، فقال له: ماتُريد؟ قال: أُريدُ أن تدعوَ لي. قال فالتفتَ إلينا، فقال: ادعوا الله لأخيكم؛ لعلَّه أن يُفرِّجَ عنه. فرفع يديه يدعو، فدعا، ودعونا فتفاجَّ[2] الجملُ فبالَ.

وكان أكثرُ دعائه: يامنَ وفَّقَ أهل الخيرِ للخير، وأعانهم عليه وفِّقنا للخيرِ وأعنا عليه.

وقال أبو محمد الضَّرير: أرسل إليَّ مَردويه الصائغ، فأتيتُه، فقال: إنَّ ابني قد غابَ مُنذ أيامٍ، وقد ضيَّقَ عليَّ النساءُ مما يبكين، فاغدُ بنا إلى معروف. فغدوتُ أنا وهو إلى معروفٍ، فسلَّمَ عليه، وهو في المسجد، فقال معروفٌ: ماالذي جاء بك ياأبا بكر؟ قال: إنَّ ابني قد غابَ عنّا، وقد ضيَّقَ عليَّ النساءُ ممّا يبكين. فقال معروف: ياعالمُ بكُلِّ شيءٍ، ويا مَنْ لايخفى عليه شيءٌ، ويامن هو يُحيط بكلِّ شيءٍ، أوضِحْ لنا أمر الغلامِ. ثلاث مرار، ثم انصرفنا من عنده، فلما أن أصبحتُ قبلَ صلاةِ الفجر إذا رسولُ مردويه قد جاءني يدعوني، فقلتُ له: أيُّ شيءٍ الخبر؟ فقال: قد جاءَ الغلامُ، فجئتُ فإذا الغلامُ قاعدٌ بين يدي مردويه، فقال لي: اسمعِ العجب. فقال الغلام: كنتُ أمشي بالكوفة فأتاني نَفْسَان، فأخذا بيدي، فأخرجاني من الكُوفة، وقالا لي: امضِ إلى بيتِكم. فلم أقعدْ، ولم آكل،

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/٢٠٧، وفيه: فما استتموا.

(٢) التَّفاجُّ: المبالغة في تفريج مابين الرجلين. اللسان (فجج).

ولم أشربْ حتى أتيتكم، فأطعموني؛ فإني جائع، وماأكلتُ شيئًا حتى جِئتكم[1].

وقال إبراهيم الأطروش: كان معروفٌ الكرخيُّ قاعدًا على دجلةَ ببغداد، إذْ مر بنا أحداثٌ في زَورقٍ يضربون الملاهي، ويشربون. فقال له أصحابُه: أما ترى هؤلاء في هذا الماءِ يعصون الله؟ ادعُ الله عليهم. فرفعَ يده إلى السماءِ، فقال: إلهي وسيِّدي، إنِّي أسألُك أن تُفرِّحَهم في الجنَّة كما فرَّحتهم في الدُّنيا. فقال له أصحابه: إنَّما قُلنا: ادع الله عليهم، ولم نقلْ ادعُ الله لهم. فقال: إذا فرَّحهم الله في الآخرةِ تاب عليهم، ولا يضرُّكم شيءٌ[2].

وقال محمد بن مُسلم: قال معروفٌ الكرخيُّ لرجلٍ: توكَّل على الله حتى يكونَ هو مُعلِّمَك وأنيسَك، وموضعَ شكواك، وليكنْ ذكرُ الموتِ جليسَكَ لا يُفارقك، واعلم أنَّ الشِّفاءَ من كلِّ بلاءٍ نزل بك كتمانُهُ، فإنَّ الناس لاينفعونكَ ولا يضرونك ولا يمنعونك ولا يُعطونك[3].

وقال أبو بكر بن أبي طالب: دخلتُ مسجدَ معروفٍ وكان في منزله، فخرجَ إلينا ونحن جماعةٌ، فقال: السَّلامُ عليكم ورحمةُ الله. فرددنا عليه السَّلامَ. فقال: حيَّاكم الله بالسَّلام، ونعَّمنا وإيَّاكم في الدُّنيا بالأحزانِ. ثم أذَّنَ، فلمَّا أخذَ في الأذان اضطرب، وارتعد حين قال: أشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلاَّ الله، فقام شعرُ حاجبيه ولحيته واضطربَ حتى خِفتُ أن لايتمَّ أذانه، وانحنى حتى كاد يسقط[4].

وقال إبراهيم بنُ الجنيد: كان من دُعاءِ معروف: لاتجعلنا بثناءِ الناس

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٣٦٢،٣٦٣.
(٢) صفة الصفوة ٢/ ٣٢١.
(٣) حلية الأولياء ٨/ ٣٦٠، وأول الخبر في طبقات الصوفية ٨٧.
(٤) حلية الأولياء ٨/ ٣٦٠،٣٦١.

مغرورين، وبالسِّترِ مفتونين، اجعلنا ممّن يُؤمنُ بلقائك، ويرضى بقضائك، ويقنعُ بعطائك، ويخشاكَ حقَّ خشيتك[١].

وقال أحمد بن إبراهيم الدَّورقيُّ: حضرت الصَّلاة، فقال معروف الكرخي لمحمد بن أبي توبة: صلِّ بنا. فقال: إن صلَّيتُ بكم هذه الصلاةَ لاأُصلِّي بكم الثانية. فقال معروف: وأنتَ تطمعُ أن تعيشَ إلى الصلاةِ الثانية؟! نعوذُ بالله من طولِ الأملِ؛ فإنَّه يمنعُ خيرَ العمل[٢].

وقال: كان معروفٌ على شطِّ دجلة فتيمَّمَ، فقيل له: الماءُ منك قريبٌ. فقال: لعلِّي لا أعيشُ حتى أبلغه[٣].

وجاءتِ امرأةٌ سائلةٌ، فقالتْ: أَعطوني شيئًا أُفطرُ عليه، فإنِّي صائمة. فدعاها معروفٌ، وقال لها: ياأُختي، سرُّ اللهِ أفشيتيه، وتأملينَ أَنْ تعيشينَ إلى اللَّيلِ؟[٤].

وقال: إنَّما الدنيا قِدْرٌ تَغْلي، وكَنيفٌ تَرمي[٥].

وقال: إذا أرادَ اللهُ بعبدٍ خيرًا فتحَ عليه بابَ العَمَل، وأَغلقَ عنه بابَ الجَدَل، وإذا أرادَ اللهُ بعبدٍ شرًّا أَغلقَ عنه بابَ العمل، وفتحَ عليه باب الجَدَل[٦].

وقال يعقوب ابنُ أَخي معروفٍ: قال لي عمِّي: يابُنَيَّ، إذا كانتْ لك إلى اللهِ حاجةٌ فسَلْهُ بي[٧].

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٣٦١.
(٢) حلية الأولياء ٨/ ٣٦١، وفي صفة الصفوة ٢/ ٣١٩ بنحوه.
(٣) طبقات الصوفية ٨٨، حلية الأولياء ٨/ ٣٦٤.
(٤) صفة الصفوة ٢/ ٣١٩.
(٥) حلية الأولياء ٨/ ٣٦١.
(٦) طبقات الصوفية ٨٧.
(٧) حلية الأولياء ٨/ ٣٦٤.

وقال أحمد: مَرَّ معروفٌ على قومٍ من أَصحابِ زهيرٍ، يَخرجون إلى القتالِ، ومعهم فتًى، فقال: اللَّهُمَّ احفظهم. فقيل له: تدعو لهؤلاء؟. فقال: ويحك، إنْ حفظَهم، رجعوا، فلم يذهبوا[1].

وسُئل عن حقيقةِ الوَفاء، فقال: إفاقَةُ السِّرِّ عن رَقْدَةِ الغَفَلات، وفراغُ الهَمِّ عن فُضولِ الآفات[2].

وقال: طلبُ الجنَّةِ بلا عملٍ ذنبٌ من الذُّنوب، وانتظارُ الشَّفاعةِ بلا سببٍ نوعٌ من الغُرور، وارتجاءُ رحمةِ من لايُطاعُ جَهْلٌ وحُمقٌ[3].

وسُئل: بِمَ نُخرجُ الدُّنيا من القلب؟ فقال: بصفاءِ الودِّ، وحُسْنِ المعاملة[4].

وقال: للفتيان علاماتٌ ثلاثٌ: وفاءٌ بلا خلاف، وعطاءٌ بلا سُؤال، ومدحٌ بلا جُود. وعلامةُ الأولياءِ ثلاثٌ: همُّهم اللهُ تعالى، وشغلُهم فيه، وفرارُهم إليه[5].

وقال: ليسَ للعارفِ نعمةٌ، وهو في كلِّ نِعمةٍ[6].

وكان كثيرًا مايُعاتبُ نفسَه، ويقول: يامسكين، كم تبكي وتندب! أَخلِصْ وتخلَّص[7].

وقال: السَّخاءُ إيثارُ مايُحتاج إليه عند الإعسار[2].

وقال ابن اخت معروف: قلت لخالي معروف: ياخالي، أراكَ تُجيب

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٣٦٦.
(٢) طبقات الصوفية ٨٨، حلية الأولياء ٨/ ٣٦٧.
(٣) طبقات الصوفية ٨٩، حلية الأولياء ٨/ ٣٦٧.
(٤) طبقات الصوفية ٨٩، حلية الأولياء ٨/ ٣٦٧، وفي نسخة (أ): بما تُخرج الدنيا.
(٥) طبقات الصوفية ٨٩، ٩٠، حلية الأولياء ٨/ ٣٦٧.
(٦) طبقات الصوفية ٩٠، حلية الأولياء ٨/ ٣٦٧.
(٧) طبقات الصوفية ٨٩، وفيها أخلص تَخلُص.

كلَّ من دَعَاكَ. فقال: يابُنِي، إنَّما خالُكُ ضيفٌ يَنزِلُ حيث يُنْزِل[1].

وقال سَرِيٌّ السَّقطِيُّ: سألتُ مَعروفًا عن الطَّائعين لله عزَّ وجلَّ: بأيِّ شيءٍ قَدَروا على الطَّاعةِ؟. فقال: بخروجِ الدُّنيا من قلوبهم، ولو كانتْ في قلوبهم ماصَحَّتْ لهم سَجْدةٌ[2].

وقال محمد بن المبارك: مَرَّ معروفٌ على سقَّاءٍ يَسقي الماءَ، وهو يقول: رَحِمَ اللهُ من شَرِبَ. فشربَ، وكان صائمًا، وقال: لعلَّ الله أَن يستجيبَ له[3].

وقال: ماأكثرَ الصَّادقين! وأقلَّ الصادقين في الصَّالحين؟![4].

وقال: التَّصوفُ: الأخذُ بالحقائقِ، والكلامُ في الدَّقائق، والإياسُ ممّا في أيدي الخلائق[5].

وقال إدريسُ بنُ عبد الكريم: جاءَ يحيى بنُ مَعين، وأحمدُ بنُ حنبل معروفًا يَكتبانِ عنه، فقال يحيى: أُريدُ أسألُهُ عن مسألةٍ: فقال له أحمد: دَعْه. فسألَه يحيى عن سَجْدتي السَّهوِ، فقال له معروف: عقوبةٌ للقلبِ، لِمَ اشتغلَ وغَفلَ عن الصَّلاة؟ فقال له أحمد: هذا في كيسك[6].

وقال عبد العزيز بن منصور: سمعتُ جدّي يقول: كنتُ عند أحمدَ بنِ حنبلٍ فذُكر في مجلسه أمرُ معروفٍ الكرخيِّ، فقال بعضُ من حضر: هو قَصيرُ العلم. فقالَ أحمد: أَمْسِكْ ـ عافاك اللهُ ـ وهل يُرادُ من العلمِ إلاّ ماوصل إليه معروف[6].

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٣٦٤.

(٢) طبقات الصوفية ٨٩.

(٣) تاريخ بغداد ١٣/ ٢٠٨.

(٤) طبقات الصوفية ٨٧.

(٥) مناقب الأبرار ٣٢/ب .

(٦) تاريخ بغداد ١٣/ ٢٠٠.

وقال عبدُ الله بنُ أحمد بن حنبل: قلتُ لأبي: هل كانَ مع معروفٍ الكرخيِّ شيءٌ من العلم؟. فقال: يابُني، كان معه رأسُ العلمِ، خشيةُ الله تعالى[1].

وقال إسماعيل بن شدَّاد: قال لنا سُفيان بن عُيينة: من أين أنتم؟. قلنا: من أهلِ بغداد. قال: مافعلَ ذلك الحَبْرُ الذي فيكم؟. قلنا: من هو؟. قال: أبو محفوظ معروفٌ. قُلنا: بخيرٍ. قال: لايزالُ أهلُ المدينةِ بخيرٍ مابقي فيهم[2].

وقال عيسى أخو معروفٍ: دخلَ رجلٌ على معروفٍ في مرضِهِ الذي ماتَ فيه، فقال له: أخبرني عن صومِكَ. قال: كان عيسى عليه السَّلام يصومُ كذا. قال: أَخبرني عن صومِكَ. قال: كان داود عليه السَّلام يَصوم كذا. قال: أَخبرني عن صومِكَ. قال: كان النَّبيُّ ﷺ يصوم كذا. قال: أخبرني عن صومِكَ. قال: أمَّا أنا فكنتُ أُصبحُ دهري كلَّه صائمًا، فإن دُعيتُ إلى طعامٍ أكلتُ ولم أَقُلْ إِنِّي صائم[3].

وقال أبو بكر الزَّجَّاج: قيل لمعروفٍ في علَّته: أوصِ. فقال: إذا متُّ فتصدَّقوا بقميصي هذا، فإنِّي أُحبُّ أن أَخرجَ من الدُّنيا عُريانًا كما دخلتُ إليها عريانًا[4].

وقال أبو بكر الخيَّاط: رأيتُ كأنِّي دخلتُ المقابرَ، فإذا أهلُ القبورِ جلوسٌ على قبورهمِ، وبين أيديهم الريحان، فإذا أنا بمعروفٍ أبي محفوظ قائمٍ فيما بينهم، يذهبُ ويَجيء، فقلت له: ياأبامحفوظ، ماصنعَ بك ربُّكَ؟

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/ ٢٠١.
(٢) حلية الأولياء ٨/ ٣٦٦، تاريخ بغداد ١٣/ ٢٠١.
(٣) تاريخ بغداد ١٣/ ٢٠٢، ٢٠٣.
(٤) حلية الأولياء ٨/ ٣٦٢.

أليس قد مِتَّ، قال: بلى، ثم أنشأ يقول:

موتُ التَّقيِّ حياةٌ لانفادَ لها قد ماتَ قومٌ وهم في النَّاسِ أحياءُ[1]

وقال عبد الله بن سعيد الأنصاريُّ: رأيتُ معروفًا الكرخيَّ في المنام كأنَّه تحت العرشِ، والربُّ عزَّ وجلَّ يقول لملائكته: ياملائكتي، من هذا؟. فقالتِ الملائكة: أنتَ أعلمُ. قال: هذا معروفٌ الكرخيُّ، قد سَكِرَ من حُبِّي فلا يَفيقُ إلاّ بلقائي[2].

وقال أحمد بن الفتح: رأيتُ بشرَ بنَ الحارث في منامي، وهو قاعدٌ في بُستانٍ وبين يديه مائدةٌ، وهو يأكلُ منها، فقلت له: ياأبانصر، مافعل الله بك؟. قال: رحمني وغفرَ لي، وأَباحَني الجنَّةَ بأسرها، وقال لي: كلْ من جميعِ ثمارِها، واشربْ من أنهارها، وتمتَّعْ بجميع مافيها كما كنتَ تحرمُ نفسَكَ الشهواتِ في دار الدنيا. فقلتُ له: فأينَ أخوك أحمدُ بنُ حنبل؟. قال: هو قائمٌ على باب الجنَّةِ، يشفعُ لأهلِ السُّنَّة ممَّن يقول: إنَّ القرآنَ كلامُ الله، غيرُ مخلوق. فقلتُ له: فما فعلَ معروفٌ الكرخيُّ؟ فحرَّك رأسَه ثم قال لي: هيهات، حالتْ مابيننا وبينه الحجُبُ، إن معروفًا لم يعبدِ الله شوقًا إلى جنَّته، ولاخوفًا من ناره، وإنَّما عبدَه شوقًا إليه. فرفعه الله إلى الرَّفيعِ الأعلى، ورفعَ الحجُبَ بينَه وبينه ذلك التِّرياق المقدَّس المجرَّب، فمن كانتْ له إلى اللهِ حاجةٌ فليأتِ قبرَه، وليدعُ، فإنّه يُستجاب له إن شاء الله[3].

وقال محمد بن الحسن: سمعتُ أبي يقول: رأيتُ معروفًا الكرخيَّ في المنام بعد موتِهِ، فقلتُ له: مافعلَ اللهُ بك؟. فقال: غَفَرَ لي. فقلت بزُهدك

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٣٦٠.

(٢) حلية الأولياء ٨/٣٦٦، صفة الصفوة ٢/ ٣٢٣، وفيهما، وفي (أ): أنت أعلم، هذا معروف الكرخي، قد سكر من حبّك، لايفيق إلا بلقائك.

(٣) صفة الصفوة ٢/ ٣٢٣، ٣٢٤.

وورعك؟. فقال: لا، بل بقبولي موعظةَ ابنِ السمَّاك، ولزومي الفقرَ، ومحبّتي الفقراءَ.

وماتَ ببغداد سنة مئتين.

رحمة الله عليه ورضوانه.

(٤٨٠) مِعْضَدُ بن يزيد(*)

أبو زياد العجليُّ.

من المشهورين بالعِبادة في الكوفة، شغلتْهُ العبادةُ عن الرِّواية.

قال بلال بن سعد: قال مِعْضَدُ: لولا ثلاثٌ: ظَمَأُ الهواجر، وطولُ ليلِ الشِّتاءِ، ولَذاذةُ التهجُّدِ بكتابِ الله عزَّ وجلَّ، ماباليت أن أكون يَعْسوبًا ـ يعني زنبورًا(١).

وقال همَّامُ: انتهيتُ إلى مِعْضَدٍ، وهو ساجدٌ، فانتبه، وهو يقول: اللَّهُمَّ اشفني من النَّومِ باليسير. ثم مضى في صَلاته(٢).

وقال عبد الرحمن بن يزيد: خرجنا في جيشٍ فيهم علقمة، ويزيدُ بنُ

(*) ترجمته في: طبقات ابن سعد ٦/ ١٦٠، طبقات خليفة ١٤٤، تاريخ خليفة ١٦٥، تاريخ الطبري ٤/ ٣٠٤،٣٠٦، الجرح والتعديل ٨/ ٤٣٢، ثقات ابن حبان ٥/ ٤٥٤، حلية الأولياء ٤/ ١٥٩، صفة الصفوة ٣/ ٤٣، الكامل في التاريخ ٣/ ١٣٢،١٣٤، الطبقات الصغرى للمناوي ١٩٤، وقد اختلف في كنيته ففي طبقات خليفة، الجرح والتعديل: أبو يزيد، وفي الحلية: أبو زيد، وفي صفة الصفوة: أبو ذر، وفي طبقات ابن سعد كما هنا: أبو زياد.

(١) حلية الأولياء ٤/ ١٥٩.

(٢) طبقات ابن سعد ٦/ ١٦٠، حلية الأولياء ٤/ ١٥٩، صفة الصفوة ٣/ ٤٣، وفي الأصل: اسقني من النوم. والمثبت من مصادر الخبر.

معاوية النَّخعيُّ، وعمرو بن عتبة، ومِعْضَد، فخرجَ عمرو بن عتبة، وعليه جُبَّةٌ جديدةٌ بيضاءُ، فقال: ماأحسنَ الدَّم ينحدرُ على هذه! فخرجَ، فتعرَّضَ للقَصر[1] فأصابه حجرٌ فشجَّهُ، فتحدَّرَ عليه الدَّمُ ثم مات، فدفنَّاهُ. قال: وخرج مِعْضَدُ العجليُّ يتعرَّضُ للقصرِ فأصابه حجرٌ فشجَّه، فجعلَ يَلْمسُها بيده، ويقول: إنَّها لصغيرةٌ، وإنَّ اللهَ ليبارِكُ في الصَّغيرِ، فمات منها، فدفنَّاه[2].

وقال علقمة: حاصرنا مَدينةً، فأعطيتُ مِعْضَدًا ثوبًا لي، فاعتجرَ به، فأصابَه حَجَرٌ في رأسه، فجعلَ يمسحُهُ وينظرُ إليَّ ويقول: إنَّها لصغيرةٌ، وإنَّ اللهَ ليُبارِكُ في الصَّغيرِ. فأصابه من دمِهِ، فغسَلَهُ فلم يَذهبْ، فكانَ علقمةُ يلبسُهُ ويصلِّي فيه، ويقول: إنَّه ليزيدُهُ إليَّ حُبًّا أَنَّ دَمَ مِعْضَدٍ فيه[3].



---

(١) القصر: أصول الشجر والنخل، وسائر الخشب، وقيل: بقايا الشجر، قال تعالى: ﴿إنها تَرْمِي بِشَرَرٍ كالقَصْر﴾. انظر اللسان (قصر).

(٢) حلية الأولياء ٤/ ١٥٩.

(٣) حلية الأولياء ٤/ ١٥٩، وهو بنحوه في تاريخ الطبري ٤/ ٣٠٦.

(٤٨١) مَكْحُول(*)

أبو عبد الله الشَّاميُّ.

كان مولى لامرأةٍ من قريشٍ، وقيل لامرأةٍ من هُذَيْل.

وهو من سَبْي كَابُل. وكان سِنديًا لايفصُحُ، وهو فقيهُ أهلِ الشَّامِ وعالِمُهم، وأحدُ قرّائهم، وهو تابعيٌّ.

روى عن: أنسِ بنِ مالك، وواثلةَ بنِ الأسْقع، وأبي أمامة، وغيرِهم من الصَّحابةِ.

روى عنه: الزُّهريُّ، وحُميدُ الطَّويل، والأوْزَاعيُّ، وابنُ جريج، وخَلْقٌ سواهم كثير.

قال مكحول: عُتقتُ بمصرَ، فلم أدعْ بها عِلمًا إلاّ حَويتُ عليه فيما أرى. ثم أتيتُ العراقَ فلم أَدع بها علمًا إلاّ حويتُ عليه فيما أرى، ثم أتيتُ المدينةَ فلم أَدع بها عِلمًا إلاّ حَويتُ عليه فيما أرى، ثم أتيتُ الشَّامَ فغَرْبَلْتُها[1].

(*) ترجمته في: طبقات ابن سعد ٧/ ٤٥٣، طبقات خليفة ٣١٠، تاريخ خليفة ٢٠٦، ٣٤٥، التاريخ الكبير ٨/ ٢١، التاريخ الصغير ١/ ٣٠٦، ٣٠٧، المعارف ٤٥٢، الجرح والتعديل ٨/ ٤٠٧، ثقات ابن حبان ٥/ ٤٤٦، حلية الأولياء ٥/ ١٧٧، طبقات الشيرازي ٧٥، تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ١١٣، وفيات الأعيان ٥/ ٢٨٠، مختصر تاريخ دمشق ٢٥/ ٢٢٤، تهذيب الكمال ٢٨/ ٤٦٤، سير أعلام النبلاء ٥/ ١٥٥، تذكرة الحفاظ ١/ ١٠٧، تاريخ الإسلام ٥/ ٣، ميزان الاعتدال ٤/ ١٧٧، البداية والنهاية ٩/ ٣٠٥، تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٨٩، النجوم الزاهرة ١/ ٢٧٢، طبقات الحفاظ ٤٢، طبقات الشعراني ١/ ٤٥، الكواكب الدرية ١/ ٤٥٥، شذرات الذهب ١/ ١٤٦.

(١) مختصر تاريخ دمشق ٢٥/ ٢٢٥.

وقال أبو مُسهر: جاء سُليمان بن موسى بصحيفةٍ قد استظهرها، فأعجبَهُ، فقال له مكحول: أتعجبُ؟ ماسمعتُ شيئًا قطُّ فاستودَعْتُهُ صدري إلاّ وجدتُه حين أُريد.

وقال أبو المليح الرَّقيُّ عن رجلٍ من أهل الشام: جلسنا إلى مكحولٍ، فرأيناه مغتمًّا، فأقبلنا عليه نحدِّثُهُ، فما زادَ على أن قال: بأيِّ وجوهٍ تلقونَ اللهَ؟ زهّدكم في أمرٍ فرغبتم فيه، ورغَّبكم في أمرٍ فزهدتم فيه[1].

وقال: كُنّا أَجِنَّةً في بطون أُمهاتنا، فهلكَ مَنْ هلك ونجونا فيمن نجا، ثم كُنّا أَطفالاً، فهلَكَ من هلك ونَجونا فيمن نجا، ثم كُنّا يَفَعَةً، فهلكَ من هلك ونجونا فيمن نجا، ثمّ كُنّا شَبابًا، فهلك من هلَكَ ونجونا فيمن نجا، ثم جاء الشَّمَطُ ـ لاأبالك ـ فماذَا تنتظر؟ أَتُرى هل بَقيتْ لك حالةٌ تنتقل إليها إلاّ الموت؟[2].

وقال: أرقُّ النَّاس قلوبًا أرقُّهم ذنوبًا[3].

وقال: المؤمنون هيِّنونَ ليِّنونَ، مثلُ الجملِ الأَنِفِ، إنْ قدْتَهُ انقادَ، وإن أنختَهُ على صخرةٍ استناخ[4].

وقال: إنْ كان الفضلُ في الجماعةِ فإن السَّلامةَ في العُزْلَةِ[5].

وقال: أفضلُ العِبادةِ بعد الفرائضِ الجوعُ والظَّماُ[6].

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٢٥/٢٢٩.
(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢٥/٢٣١.
(٣) حلية الأولياء ٥/١٨٠، مختصر تاريخ دمشق ٢٥/٢٢٨، وفيها: أقلُّهم ذنوبًا.
(٤) حلية الأولياء ٥/١٨٠.
(٥) حلية الأولياء ٥/١٨١، ومختصر تاريخ دمشق ٢٥/٢٢٨، وفي (ب): ففي العزلة السلامة.
(٦) حلية الأولياء ٥/١٨١.

وقال: لايأتي على النَّاسِ مايُوعدون حتّى يكونَ عالمُهم فيهم أَنتنَ من جِيفةِ حمارٍ[1].

وقال: عينانِ لايمسُّها العذابُ: عينٌ بكتْ من خشيةِ اللهِ، وعينٌ باتت من وراء المسلمين[2].

وقال: برُّ الوالدين كفَّارةٌ للكبائر، ولايزالُ الرَّجلُ قادرًا على البرِّ مادامَ في فصيلته من هو أكبرُ منه[3].

وقال: من ماتَ مُداريًا مات شهيدً.

وقال ابنُ جابر: أقبلَ يزيدُ بن عبد الملك بن مروان إلى مَكحولٍ في أصحابه، فلمَّا رأيناه هَممنا بالتَّوْسِعَةِ له، فقال مكحول: مكانَكم، دَعوهُ يجلسُ حيثُ أدركَ، يتعلَّم التَّواضع[4].

وقال سعيد بن عبد العزيز: كنتُ جالسًا عند مكحولٍ، فاستطالَ عليه رجلٌ، فقال مكحولٌ: ذَلَّ من لاسَفيهَ له.

وقال: لاتَعاهدوا السَّفيهَ ولاالمُنافقَ، فما نَقَضُوا من عهدِ الله أكثرُ من عهدكم[5].

وقال: رأيتُ رجلاً يُصلِّي كلَّما ركعَ وسجدَ بكى، فاتَّهمتُهُ أنَّه يُرائي ببُكائِهِ، فحُرِمْتُ البُكاءَ سنةً[4].

وقال: من طابَ ريحُهُ زاد في عقلِه، ومن نظفَ ثوبُه قلَّ همُّه[5].

وقال له رجلٌ: ياأباعبد الله، قوله عزّ وجلّ: ﴿عليكم أنفسكم لا يضرّكم من ضَلَّ إذا اهتديتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥] قال: ياابنَ أخي، لم يأتِ

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ١٨١.

(٢) حلية الأولياء ٥/ ١٨٠.

(٣) حلية الأولياء ٥/ ١٨٣.

(٤) حلية الأولياء ٥/ ١٨٤، مختصر تاريخ دمشق ٢٥/ ٢٢٩.

(٥) حلية الأولياء ٥/ ١٨٤.

تأويلُ هذه بعدُ، إذا هابَ الواعظُ، وأنكر الموعوظُ فعليك حينئذ نفسك، لايضرُّكَ من ضلَّ إذا اهتديتَ، ياأخي، الآن نعظُ ويُسمعُ منّا[1].

وقال عبد ربِّه بن صالح: دُخل على مكحولٍ في مرضه الذي مات فيه، فقيل له: أحسنَ اللهُ عافيتَك أبا عبد الله. فقال: الإلحاقُ بمن يُرجى عفوه خيرٌ من البقاءِ مع من لايُؤمنُ شرُّه: شياطين الإنس، وإبليس، وجنوده[2].

وقال أبو القاسم القُشيري: قِيل: كان مكحولُ الشَّامي الغالبُ عليه الحُزن، فدخلوا عليه في مرضِ موته، وهو يَضحَكُ، فقيل له في ذلك، فقال: ولِمَ لا أَضحكُ؛ وقد دَنَا فراقُ من كنتُ أَحذرُهُ، وسرعةُ القدومِ على من كنتُ أرجوه وأُؤمِّلُه[3].

وماتَ سنة ثماني عشرةَ ومئة، وقيل قبل ذلك.

رحمة الله عليه ورضوانه.

(٤٨٢) مُمْشَاذ الدِّينَوريُّ(*)

من كبارِ مشايخِهم وفتيانهم.

صحبَ يحيى بن الجلاَّء، ومن فوقَه من المشايخ.

قال فارس الدِّينوريُّ: خرجَ ممْشَاذُ يومًا من باب الدّار، فَنَبحَ عليه كلبٌ، فقال ممْشاذ: لاإله إلاّ الله. فماتَ الكلبُ مكانَه[4].

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ١٧٩.

(٢) حلية الأولياء ٥/ ١٧٧، مختصر تاريخ دمشق ٢٥/ ٢٣٢.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ٢٥/ ٢٣٢.

(*) ترجمته في: طبقات الصوفية ٣١٦، حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٣، الرسالة القشيرية ١/ ١٥٥، مناقب الأبرار ٥٦/ب، صفة الصفوة ٤/ ٧٨، طبقات الأولياء ٢٨٨، النجوم الزاهرة ٣/ ١٧٩، طبقات الشعراني ١/ ١٠٢، الكواكب الدرية ١/ ٧١٨، سير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٦٣، واسمه في حلية الأولياء، والرسالة القشيرية، وصفة الصفوة، والنجوم الزاهرة: ممشاد. بالدال المهملة.

(٤) طبقات الصوفية ٣١٧.

وقال أبو بكر الرَّازيُّ: كنتُ عند ممْشاذ الدِّينوري، فجرى حديثُ الدَّين، فقال لي: كان عليَّ دينٌ، فاشتغلَ قلبي به، فرأيتُ في المنام كأنَّ قائلاً يقولُ لي: يابخيل، أخذت علينا هذا المقدارَ خُذْ، عليك الأخذُ وعلينا العَطاء. فما حاسبتُ بعد ذلك قصَّابًا، ولابقَّالاً، ولاغيرِهما.

وقال: منذ علمتُ أَنَّ أحوالَ الفقراء جِدٌّ كلُّها لم أُمازحْ فقيرًا، وسببُ ذلك أَنَّ فقيرًا جاءَني قادمًا عليَّ، فقال لي: أيُّها الشيخ، أُريد أن تتخذَ لي عَصيدةً. فجرى على لساني: إرادةٌ وعَصيدة؟!. فتأخَّر الفقيرُ، ولم أشعرْ، ثم أَمرتُ باتِّخاذِ عصيدةٍ، وطلبتُ الفقيرَ فلم أجدْه، فتعرَّفْتُ خبرَه، فقيل لي: إنَّه انصرفَ من فوره، وكان يقولُ في نفسِه: إرادةٌ وعصيدة! إرادةٌ وعصيدة!. وهامَ على وجهه، حتّى دخلَ البادية، ولم يزلْ يقول هذه الكلمة حتّى مات رحمه الله[1].

ورُوِيَ أن جماعةً من الصوفية اجتمعوا في دار الحسين القزَّاز، ومعهم قَوَّالون يقولون ويتواجدون، فأشرفَ عليهم مُمْشاذ، فسكتوا، فقال: ارجعوا إلى ماكنتم فيه، فلو جُمعَ مَلاهي الدُّنيا في أُذني ماشغل همِّي، ولا شَفَى بعضَ مابي.

وقال أبو عَمرو الدِّينوريُّ: كُنَّا عند شيخنا مُمْشاذ يومًا، فجاءه إنسانٌ خياطٌ، وسأله أن يجيءَ هو ومن عنده[2] من الفقراء إلى دعوته. فقال له مُمْشاذ: إنَّ الفقراءَ ليس يرضون بوكالتك، بل لو كنتَ ممّن توكَّلْتَ لهم بالأسباب، رضوا بك، فلاتجعلْ بينَك وبينهم سُوقًا فيما الحكمُ فيه إلى غيرك. فقال إنسانٌ بَصْري كان حاضرًا: ياسيدي، هاهنا مَنْ قد أَشكلَ عليه كلامُ الشَّيخ لهذا الرجل. فقال مُمْشاذ: نعم، هذا رجلٌ كان مَعنا يُصاحبُ

---

(١) طبقات الأولياء ٢٨٩.

(٢) في (ب): معه.

هذه الطَّائفةَ، فدخلتْ عليه الدُّنيا، ففسختْ عليه عَقْدَه، فرجعَ يَستدعي تلك الأحوال بأسبابٍ يُريد إدخال الرِّفقِ عليهم، وعامَّتها موقوفةٌ على إرادته، لاوالله، أو يُخرج الرَّغبةَ فيها عن قلبه إخراجَ يدِه عن مُلكه.

وقال: فقدتُ قلبي منذ عِشرين سنةً مع اللهِ عزَّ وجلَّ، وتركتُ قولي للشيءِ كُنْ فيكون مَنذ عشرين سنةً مع الله تعالى.

فسُئل بعضُ المشايخ عن معنى هذا الكلام، فقال: كان ممْشاذ يرجعُ إلى قلبه، ثم يرجعُ بقلبه إلى الله تعالى، فصار يرجعِ إلى اللهِ تعالى باللهِ، ففقد قلبَه مع الله ومعنى قوله: تركتُ قولي للشيءِ كن فيكون: أنَّه كان مُجابَ الدَّعوةِ كلمَّا دعا أجيب، ثم ارتفعَ عن ذلك إلى الله، فصار بمُرادِ اللهِ لابمراده، فترك الدُّعاء.

وقال بعضهم: كنتُ عند مُمْشاذ الدِّينوريِّ، فقدمَ عليه فقيرٌ فسلَّمَ، فردُّوا عليه السَّلام، فقال: هل هاهنا موضعٌ نظيفٌ يُمكنُ الإنسان أن يموتَ فيه؟. فأشاروا عليه بمكانٍ فيه عينُ ماء. فجدَّدَ الفقيرُ الوضوءَ، وركعَ ماشاء الله تعالى، ثم مضى إلى المكانِ الذي أشاروا إليه، ومدَّ رجليه، ومات.

وقال ممْشاذُ: طريقُ الحقِّ بعيدٌ، والصَّبرُ مع الحقِّ شديدٌ[1].

وقال: جِماعُ المعرفةِ صِدقُ الافتقارِ إلى الله تعالى[1].

وقال: ماأقبحَ الغفلةَ عن طاعةِ من لايغفلُ عن بِرِّكَ! وماأقبحَ الغَفْلَةَ عن ذِكر من لايَغفلُ عن ذِكرِك[2]!.

وقال: من يكُن الله تعالى همَّتَه لم تستطعه الأقدار، ولم تَمْلِكْهُ الأخطار[3].

---

(١) طبقات الصوفية ٣١٦.

(٢) طبقات الصوفية ٣١٧.

(٣) طبقات الصوفية ٣١٧، وفيه: لم تَسْتَقْطِعْه الأقدار.

وقال: أدبُ المُريد في أشياءَ أربعة: التزامُ حُرُماتِ المشايخ، وخِدْمةُ الإخوان، والخروجُ عن الأسباب، وحفظ آداب الشَّرعِ على نفسه[1].

وقال: أحسنُ النَّاسِ حالاً من أَسقطَ عن نفسه رؤيةَ الخَلْقِ[2].

وسُئل عن التَّوكُّل، فقال: التَّوكُّلُ حَسْمُ الطَّمعِ عن كلِّ مايَميلُ إليه قلبُك ونفسُك[3].

وسُئل عن التَّصوفِ، فقال: صفاءُ الاسرار، والعملُ بما يُرضي الجبَّار، وصُحبةُ النّاس بلا اختيار.

وقيل له: إذا جاع الفقير أيُّ شيءٍ يعمل؟. فقال: يُصلِّي. قيل: فإنْ لم يقدرْ؟. قال: يَنام. قيل: فإن لم يَقدر؟. فقال: إنَّ الله تعالى لايُخلِّي الفقيرَ عن إحدى ثلاثٍ: إما قوة، أو غذاءٍ، أو أخذٍ.

وروي أنَّه دخل عليه جماعةٌ في مرضِ موته، فقالوا: فعلَ الله بك وصنع. فقال: منذ ثلاثين سنة تُعْرَضُ عليَّ الجنَّةُ بما فيها فما أَعَرْتُها طرفي[4]. فقالوا له عند النَزعِ: كيف تجدُ قلبَك؟. فقال: قد فقدتُ قلبي منذ ثلاثين سنة.

وقال بعضُهم: حضرتُ مُمْشاذ عند وفاته، فقيل له: كيف تجد العِلَّةَ؟. فقال: سَلوا العِلَّةَ عني. فقيل له: قل لا إله إلاّ الله. فحوَّلَ وجهه إلى الجِدارِ، وقال:

أفنيـــتُ كلِّـــي بكلِّـــكْ   هــذا جـزا مـن يُحبُّـكْ[5]

ومات سنةَ تسع وتسعين ومئتين.

رحمة الله عليه ورضوانه.

---

(١) طبقات الصوفية ٣١٨.

(٢) طبقات الصوفية ٣١٨. حلية الأولياء ١٠/٣٥٣.

(٣) طبقات الصوفية ٣١٨.

(٤) في(ب): فما أغترَّ فيها طرفي.

(٥) النجوم الزاهرة ٣/١٧٩.

(٤٨٣) مَنصور بن زَاذان(*)

تابعيٌّ.

روى عن: أنسِ بنِ مالك، وعن الحسنِ، وابنِ سِيرين، وعطاءٍ، وعَمرو بن دِينار، ومن في طبقتهم.

قال هشام بن حسّان: صلَّيتُ إلى جنب منصورِ بنِ زاذان يوم الجمعة في مسجدِ واسط، فختمَ القُرآنَ مرَّتين، والثَّالثةُ إلى الطَّواسيم(1)، وكانت عليه عِمامةٌ كورها اثنا عشر ذراعًا فبلَّها بدموعه، ووضعَها قُدَّامه(2).

وقال: كنتُ أُصلي أنا ومنصور جميعًا، فكان إذا جاءَ شهرُ رمضان ختمَ القرآنَ فيما بين المغربِ والعشاء خَتمتَين، ثم يقرأُ إلى الطَّواسيم قبل أن يُقامَ إلى الصلاة. قال: وكانوا إذْ ذَاك يؤخِّرونَ العشاءِ في شهرِ رمضان إلى أن يذهبَ ربعُ اللَّيلِ. وكان منصور يجيءُ والحسنُ جالسٌ مع أصحابه، فيقومُ إلى عمودٍ يُصلِّي، فيختمُ القرآنَ، ثم يأتي الحسنَ فيجلسُ قبل أن يتفرَّقَ(3) أصحابُه. وكان يختمُ القرآنَ فيما بين الظُّهر والعصر، ويختمُ فيما

(*) ترجمته في: طبقات ابن سعد ٧/ ٣١١، طبقات خليفة ٢١٧، ٣٢٥، التاريخ الكبير ٧/ ٣٤٦، التاريخ الصغير ٢/ ٣٠، الجرح والتعديل ٨/ ١٧٢، ثقات ابن حبان ٧/ ٤٧٤، حلية الأولياء ٣/ ٥٧، صفة الصفوة ٣/ ١١، تهذيب الكمال ٢٨/ ٥٢٣، سير أعلام النبلاء ٥/ ٤٤١، تذكرة الحفاظ ٢/ ١٤١، تاريخ الإسلام ٥/ ٣٠٣، طبقات ابن عبد الهادي ترجمة ١٢٥، تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٠٦، الكواكب الدرية ١/ ٤٥٨، شذرات الذهب ١/ ١٨١.

(1) الطواسيم: سور في القرآن أولها حروف ﴿طسم﴾ جمعوها على غير قياس، والصواب ذوات طسم. متن اللغة (طسم).

(2) حلية الأولياء ٣/ ٥٧.

(3) في (أ) يفرّق.

بين المغربِ والعشاء في غيرِ شهرِ رمضان. قال مخلد بن الحُسين: ولو أَنَّ غيرَ هشامٍ يُخبرني هذا ماصدَّقْتُه[1].

وقال أبو عوانة: لو قِيل لمنصور بن زاذان: إنَّكَ ميتٌ اليوم أو غدًا، ماكان عنده من مَزيد[2].

وقال أبو سعيد جارٌ لمنصور: رأيتُ منصورًا يتوضَّأُ يومًا، فلمّا فرَغَ دمعتْ عيناه، ثم جعلَ يَبكي حتّى ارتفعَ صوتُهُ، فقلتُ: رحمَك اللهُ، ما شأنُك؟. فقال: وأيُّ شيءٍ أَعظمُ من شأني؟ إنِّي أُريد أن أقومَ بين يدي مولًى[3] لاتأخذُهُ سِنَةٌ ولانوم، لعلَّهُ يُعرضُ عني. فأبكاني ـ واللهِ ـ بقوله[4].

وقال هُشيم: مكثَ منصورُ بنُ زاذان يُصلِّي الفجرَ بوضوءِ العشاء الآخرة عِشرين سنةً[4].

وقال هُشيم: لو قِيل لمنصور إنَّ مَلَكَ الموتِ على الباب، ماكان عنده زيادةٌ في العمل، وذلك أنَّه كان يَخرجُ فيُصلِّي الغداةَ في جماعةٍ، ثم يجلسُ فيُسبِّحُ حتى تطلعَ الشَّمسُ، ثم يُصلِّي إلى الزَّوال، ثم يُصلِّي الظُّهر، ثم يُصلِّي إلى العصر، ثم يجلسُ فيُسبِّحُ إلى المغربِ، ثم يُصلِّي المغربَ، ثم يُصلِّي إلى العِشاء، ثم ينصرفُ إلى بيته، فنكتبُ عنه في ذلك الوقت[4].

وقال عبَّاد بن العوام: شَهدتُ جنازةَ منصورٍ فرأيتُ النَّصارى على حِدة، والمَجوس على حِدة، واليَهود على حِدة. وقد أَخَذَ خالي بيدي من كثرةِ الزِّحام، وأناحَدَثٌ.

زاد في رواية: والرِّجالُ على حِدة، والنِّساء على حِدة[5].

---

(١) حلية الأولياء ٣/ ٥٧، ٥٨.
(٢) حلية الأولياء ٣/ ٥٨.
(٣) في (ب): بين يدي من. . . .
(٤) صفة الصفوة ٣/ ١٢.
(٥) حلية الأولياء ٣/ ٥٧.

ومات في الطَّاعونِ سنة إحدى وثلاثين ومئة، وقيل سنة تسعٍ وعشرين.

رحمه الله.

(٤٨٤) منصور بن عمّار(*)

أبو السَّرِيِّ الواعظ.

خراسانيُّ الأصل، وهو معدودٌ في أهل البصرة، جمع بين العلم والزُّهد والعبادة، واشتهرَ بالوعظ الحسن.

روى عن جماعةٍ من العلماء منهم: اللَّيثُ بنُ سعد، وابنُ لَهيعة، وعليُّ بن خَشْرَم، وزهير بن عبّاد، وغيرهم.

رُوِيَ أَنَّ سببَ توبته أنَّه وجدَ في الطَّرِيقِ رُقعةً مكتوبٌ عليها: بسم الله الرحمن الرحيم، فأخذها، فلم يجدْ لها مَوْضعًا فأكلَها. فأُرِيَ في المَنام كأَنَّ قائلاً يقول[1] له: فُتِح عليك بابُ الحكمة باحترامكَ لتلك الرُّقعة[2].

وقال: قال لي هارون الرشيد: كيفَ تعلَّمْتَ هذا الكلام؟. قلتُ:

=(*) ترجمته في: التاريخ الكبير ٧/ ٣٥٠، الضعفاء للعقيلي ٤/ ١٩٣، الجرح والتعديل ٨/ ١٧٦، الثقات لابن حبان ٩/ ١٧٠، الكامل في الضعفاء ٦/ ٣٩٣، طبقات الصوفية ١٣٠، حلية الأولياء ٩/ ٣٢٥، تاريخ بغداد ١٣/ ٧١، الرسالة القشيرية ١/ ١١٢، مناقب الأبرار ٨٨/ب، صفة الصفوة ٢/ ٣٠٨، مختصر تاريخ دمشق ٢٥/ ٢٥٩ سير أعلام النبلاء ٩/ ٩٣، ميزان الاعتدال ٤/ ١٨٧، طبقات الأولياء ٢٨٦، النجوم الزاهرة ٢/ ٢٤٤، طبقات الشعراني ١/ ٨٣، الكواكب الدرية ١/ ٧٢٠.

(١) في (أ): قال له.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢٥/ ٢٦٠.

ياأميرَ المؤمنين، رأيتُ النَّبيَّ ﷺ في منامي، وكأنَّه تَفَلَ في فيَّ، وقال لي: يامنصور، قُلْ، فانطلقتُ بإذن الله[1].

وقال سُليمُ بنُ مَنصور بن عمَّار: كانَ أبي ـ واللهِ ـ لايُبقي له شيئًا في رمضان لاكُسوة، ولادرهم، ولاطعامًا حتى يبعثَ به إلى إخوانه المتقلِّلين[2].

وقيل له: تكَلَّمُ بهذا الكلام، ونَرى منك أشياءَ! فقال: احسبوني دُرَّةً وجدتموها على كُنَاسَةٍ، استنفعوا بالدُّرَّةِ، ودعوا الكُنَاسةَ مكانها[3].

وقال أبو سعيد بن يُونس: قدمَ منصور بن عمَّار مِصر، وجلس يقصُّ على الناس، فسمع كلامَه الليثُ بنُ سعد، فاستحسن قَصَصَهُ وفصاحتَهُ، فذُكر أنَّ اللَّيثَ قال له: ياهذا، ماالذي أَقْدَمَكَ إلى بلدِنا؟. قال: طلبتُ أكتسبُ بها ألفَ دينار. فقال له اللَّيثُ: فهي لك عليّ، وصُنْ كلامَكَ هذا الحسن ولاتبتذلْه. فأقامَ بمصر في جملة اللَّيثِ بنِ سعد وفي جِرَايَتِهِ إلى أن خرجَ عن مصر، فدَفَعَ إليه ألفَ دينار، ودَفَعَ إليه بنوه ألفَ دينار. فخرجَ وسكنَ بغداد. وكان في قَصَصِهِ وكلامِهِ شيء عجب[4].

وقال إبراهيمُ بنُ الحسن الأصفهانيُّ: كتبَ بِشرُ الحَافي إلى منصورِ بن عمار: اكتب لي بما مَنَّ اللهُ علينا. فكتب إليه منصور: أمّا بعدُ ياأخي، فقد أصبحَ بنا من نِعَمِ الله مالا نحصيه في كثرة مانعصيه، ولقد بقيتُ متحيِّرًا فيما بين هذين، لاأدري كيف أشكرُهُ لجميلِ مانشرَ، أو قَبيح ماستر؟[5].

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/٧٤، مختصر تاريخ دمشق ٢٥/٢٦٢، وفيهما: فأُنطلقت بإذن الله.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢٥/٢٦٦.

(٣) حلية الأولياء ٩/٣٢٧، مختصر تاريخ دمشق ٢٥/٢٦٦.

(٤) تاريخ بغداد ١٣/٧٢، مختصر تاريخ دمشق ٢٥/٢٥٩، ٢٦٠.

(٥) تاريخ بغداد ١٣/٧٤، مختصر تاريخ دمشق ٢٥/٢٦٥.

وكتب بِشر المَرِيسيُّ إلى منصور بن عمّار: بلغني اجتماعُ النَّاسِ عليك، وماحُكِي من العلم، فأخبرني عن القرآن خالقٌ أم مَخلوق؟. فكتب إليه منصور: بسم الله الرحمن الرحيم، عافانا اللهُ وإيَّاكَ من كلِّ فتنةٍ، فإنَّه إنْ يفعلْ فأعظمْ بها من نِعمةٍ. وإنْ لم يفعلْ فتلك أَسبابُ الهَلَكَةِ، وليستْ لأحدٍ على اللهِ بعد المُرسلين حجّةٌ. نحن نرى أنَّ الكلامَ في القرآن بِدْعَةٌ اشتركَ فيها السَّائلُ والمُجيبُ. فتعاطى السَّائلُ ماليس له، وتكلَّفَ المُجيبُ ماليس عليه، وماأعلمُ خالقًا غيرَ الله، ومادُونَ اللهِ مَخلوق، والقرآنُ كلامُ اللهِ [ولو كانَ القرآنُ خالقًا لم يكنْ للذين وَعَوْهُ إلى الله شافعًا، ولا بالذين ضيَّعوه ماحِلاً]، فانْتَهِ بنفسك وبالمُختَلفين في القرآن إلى أسمائه التي سمَّاهُ اللهُ بها تكنْ من المُهتدين ﴿وذَرُوا الذينَ يُلْحِدُونَ في أسمائهِ سيُجْزَوْنَ ما كانوا يعملون﴾ [الأعراف: ١٨٠] ولاتُسمِّ القرآنَ باسمٍ من عندك، فتكونَ من الضَّالين، جعلنا الله وإيَّاك من ﴿الذين يخشَوْنَ ربَّهم بالغَيْبِ وهم من الساعةِ مُشْفِقُون﴾[1][الأنبياء: ٤٨].

وكتب إليه بشرٌ أيضًا يسألُه عن قوله تعالى: ﴿الرحمٰنُ على العَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٤] كيفَ استوى؟. فكتب إليه منصور: استواؤُه غيرُ محدودٍ، والجوابُ فيه تكلُّفٌ، ومسألتُكَ عن ذلك بِدْعَةٌ، والإيمانُ بجملة ذلك واجبٌ. قال الله تعالى: ﴿فأمَّا الذين في قلوبهم زَيْغٌ فيتَّبِعونَ ما تشابَهَ منهُ ابْتِغاءَ الفتنةِ وابْتِغاءَ تأويلِه وما يعلمُ تأويلَهُ إلاَّ الله﴾ وحده، ثم استأنفَ الكلام فقال: ﴿والراسِخُونَ في العِلْمِ يقولونَ آمَنَّا بهِ كلٌّ من عندِ ربِّنَا وما يذَّكَرُ إلاَّ أُولو الألباب﴾ فنسبَهم إلى الرُّسُوخِ في العلم بأَنْ قالوا لمَّا تشابه منه عليهم: ﴿آمَنَّا بهِ كلٌّ من عندِ ربِّنَا﴾ [آل عمران: ٧] فهؤلاء هم الذين أَغْنَاهم الرُّسُوخُ في العلم عن الاقتحام على السُّدد المضروبةِ دون

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/٧٥،٧٦. مختصر تاريخ دمشق ٢٥/٢٦٤،٢٦٥، ومابين معقوفين مستدرك منهما.

الغُيوبِ، بماجَهلوا تفسيره من الغيب المَحجوبِ، فمَدَحَ اعترافَهم بالعَجْزِ عن تأويلِ مالم يُحيطوا به عِلماً، وسمَّى تركَهُم التَّعمُّقَ فيما لم يكلِّفْهُمْ رُسوخًا في العلم، فانْتَهِ ـ رحمك الله ـ من العلم إلى حيث انتهى بك إليه، ولاتجاوزْ ذلك إلى ماحُظِرَ عنك علمُهُ، فتكونَ من المتكلِّفين وتَهْلِكَ مع الهالكين، والسَّلامُ عليك[1].

وقال: من جزعَ من مصائبِ الدُّنيا تحوَّلتْ مُصيبتُهُ في دينه[2].

وقال: أحسنُ لباسِ العبد التَّواضعُ والانكسار، وأحسنُ لباسِ العارفين التَّقوى[3].

وقال: قلوبُ العباد كلُّها رُوحانية، فإذا دخلَها الشَّكُّ والخَبَثُ امتنع منها رُوحُها[4].

وقال: إنَّ الحكمةَ تنطقُ في قلوبِ العارفين بلسان التَّصديقِ، وفي قلوبِ الزَّاهدين بلسانِ التَّفضيل، وفي قلوبِ العُبَّاد بلسان التوفيق، وفي قلوب المُريدين بلسان التَّفكير، وفي قلوب العُلَماء بلسانِ التَّذكير[4].

وقال: سُبحانَ من جعل قلوبَ العارفين أوعيةَ الذِّكْرِ، وقلوبَ أهلِ الدُّنيا أوعيةَ الطمع، وقلوبَ الزَّاهدين أوعيةَ التَّوكُّلِ، وقلوبَ الفُقراءِ أوعيةَ القَناعةِ، وقلوبَ المتوكِّلين أوعيةَ الرِّضا[5].

وقال: سلامةُ النَّفسِ في مُخالفتها، وبَلاؤها في مُتابعتها[6].

---

(١) حلية الأولياء ٩/ ٣٢٦، تاريخ بغداد ١٣/ ٧٦، مختصر تاريخ دمشق ٢٥/ ٢٦٥.
(٢) حلية الأولياء ٩/ ٣٢٧، مختصر تاريخ دمشق ٢٥/ ٢٦٠.
(٣) طبقات الصوفية ١٣٦، حلية الأولياء ٩/ ٣٢٧، مختصر تاريخ دمشق ٢٥/ ٢٦٠، وتتمة الخبر فيهم: قال الله تعالى ﴿ولِبَاسُ التَّقْوَى ذلك خير﴾ [الأعراف: ٢٦].
(٤) طبقات الصوفية ١٣٥، حلية الأولياء ٩/ ٣٢٧.
(٥) طبقات الصوفية ١٣٥، حلية الأولياء ٩/ ٣٢٧، وفي (ب): أوعية للذكر.... للطمع ... للتوكل ... للقناعة ... للرضا.
(٦) حلية الأولياء ٩/ ٣٢٧.

وقال: سرورُكَ بالمعصيةِ إذا ظفرتَ بها شرٌّ من مُباشرتك لها[1].

وقال لرجلٍ عصى بعد توبتِهِ: ماأراكَ رجعتَ عن طريقِ الآخرة إلاّ من الوَحْشَةِ، لِقِلَّةِ سالكيها[2].

وقال: اترك نَهْمةَ الدُّنيا تسترحْ من الغَمِّ. واحفظْ لسانَكَ تسترحْ من المَعْذِرةِ[2].

وقال: النَّاسُ رجلان: عارفٌ بنفسه فشُغْلُه المجاهدةُ والرِّياضةُ. وعارفٌ بربِّه فشُغْلُه خدمتُهُ وعبادتُه ومرضاتُه[3].

ورُوِيَ أنَّ رجلاً كان يَشربُ الخمرَ، فجمع قومًا من نُدمائه، ودفعَ إلى غلامٍ له أربعةَ دراهم، وأَمَرَه أَنْ يَشتريَ شيئًا من الفَواكهِ لمجلسهم. فمرَّ الغلامُ بمجلسِ مَنصورِ بن عمّار، وهو يسألُ لفقيرٍ شيئًا، ويقول: من دفعَ إليه أربعةَ دراهم دعوتُ له أربعَ دعواتٍ. فدفعَ الغُلامُ الدَّراهمَ إليه، فقال له مَنصور: ماالذي تُريدُ أن أدعوَ لك؟. قال: لي سيِّدٌ أُريد أَنْ أتخلَّصَ منه. فدعا منصور. قال: والأخرى؟ قال: أَنْ (٥يخلفَ اللهُ عليَّ دراهمي. فدعا وقال: والأُخرى؟. قال: يتوبُ اللهُ على سيِّدي. فدعا. قال: والأُخرى؟ قال: أَنْ٥)[4] يغفرَ اللهُ لي، ولسيِّدي ولكَ، وللقوم. فدعا منصورٌ ثم رجعَ الغلامُ إلى سيِّده. فقال له: أبطأتَ. فقصَّ عليه القصَّةَ. فقال له: بِمَ دعا؟ قال: سألتُ لنفسي العِتقَ. فقال له: اذهبْ، فأنتَ حرٌّ لوجه الله تعالى، وأيشِ الثاني؟ قال: أَنْ يُخْلِفَ اللهُ عليَّ دراهمي. قال: لك عِوضُها أربعةُ آلاف درهم، وأيشِ الثالث؟. قال: أَنْ يتوبَ اللهُ عليك. قال: تبتُ إلى الله تعالى، وأَيشِ الرَّابع؟ قال: أَنْ يغفَرَ اللهُ لك ولي وللمذكِّر وللقوم. قال:

---

(١) طبقات الصوفية ١٣٤.

(٢) طبقات الصوفية ١٣٥.

(٣) طبقات الصوفية ١٣٦.

(٤) (٥ـ٥) مابينهما ليس في (أ).

هذه الواحدةُ ليستْ إليَّ. فلمّا باتَ أتي في المنام، فرأى كأَنَّ قائلاً يقولُ: أَنتَ فعلتَ ماكان إليك. أَتُراني لاأَفعلُ ماهو إليَّ، قد غفرتُ لك، وللغلام، ولمنصورِ بن عمّار، وللقوم الحاضرين[1].

وقال سُلَيْم بن منصور: رأيتُ أبي في المنام، فقلتُ: مافعلَ بك ربُّكَ؟. فقال: إنَّ الرَّبَّ قرّبني وأَدْناني، وقال: ياشيخَ السَّوءِ، تدري لِمَ غفرتُ لك؟ قلت: لاياإلهي. قال: إنَّك جلستَ للناسِ يومًا مَجلسًا فبكَّيْتَهم، فبكى فيهم عَبْدٌ من عبادي لم يبكِ من خشيتي قطُّ. فغفرتُ له، ووهبتُ أهلَ المجلس كلَّهم له، ووهبتُكَ فيمن وهبتُ له[2].

وقال أبو الحسين السَّعدانيُّ: رأيتُ منصورَ بنَ عمّار في المنامِ، فقلتُ له: مافعلَ اللهُ بك؟ قال: وقفتُ بين يديه، فقال لي: أنت الذي كنتَ تُزهّدُ الناسَ في الدُّنيا، وتَرْغَبُ فيها؟ قلتُ: قد كانَ ذاك، ولكنْ مااتَّخذتُ مجلِسًا إلاَّ وبدَأْتُ بالثناءِ عليك، وثَنَّيتُ بالصلاةِ على نبيّكَ، وثلَّثْتُ بالنَّصيحةِ لعبادِكَ. فقال: صدقَ، ضعوا له كرسيًّا فيحمدني ويمجّدني في سمائي بين ملائكتي كما مَجَّدني في أرضي بين عبادي[3].

رحمة الله عليه ورضوانه آمين.

* * *

(١) روض الرياحين ٢٦٧ الحكاية (٢٠٦).

(٢) تاريخ بغداد ١٣/٧٩، مختصر تاريخ دمشق ٢٥/٢٦٦.

(٣) صفة الصفوة ٢/٣٠٨.

(٤٨٥) منصور بن المُعْتمر(*)

أبو عَتَّاب السُّلَميُّ.

من تابعي الكوفة، رأى عبدَ الله بن أَبي أوفى.

وروى عن: أنسِ بنِ مالك.

وروى عنه جماعةٌ من التابعين: كالأعمشِ، وسليمانِ التَّيميِّ، وأيوب السَّخْتيانيِّ.

قال زائدة بنُ قُدامة: صامَ مَنصور بنُ المُعتمر أربعين سنةً.

وفي روايةٍ: ستينَ سنةً قامَ ليلَها، وصامَ نهارها، وكانَ اللَّيلَ يبكي، فتقول له أُمُّهُ: يابُني، قتلتَ قتيلاً؟. فيقول: أنا أعلمُ بما صنعتُ بنفسي. فإذا أصبحَ كَحَّلَ عينيه، ودهنَ رأسَه، وبَرَّقَ شفتيه، وخرجَ إلى الناس. فأخذَهُ يوسفُ بنُ عمر عاملُ الكوفة يُريده على القَضاء، فامتنعَ. قال: فدخلتُ عليه، وقد جِيءَ بالقيد ليُقَيِّده. فجاءَهُ خَصمان، فقعدوا بين يديه. فلم يسألْهما، ولم يكلِّمْهما. وقيل ليوسف بن عمر: إنَّك لو نثرتَ لحمَهُ لم يلِ لك قضاءً. فخلّى عنه[٢].

(*) ترجمته في: طبقات ابن سعد ٦/٣٣٧، طبقات خليفة ١٦٤، تاريخ خليفة ٤٠٤، التاريخ الكبير ٧/٣٤٦، التاريخ الصغير ٢/٢٨، الجرح والتعديل ٨/١٧٧، ثقات ابن حبان ٧/٤٧٣، حلية الأولياء ٥/٤٠، صفة الصفوة ٣/١١٢، تهذيب الأسماء واللغات ٢/١١٤، تهذيب الكمال ٢٨/٥٤٦، سير أعلام النبلاء ٥/٤٠٢، تذكرة الحفاظ ١/١٤٢، العبر ١/٢٥٩، تاريخ الإسلام ٥/٣٠٥، طبقات ابن عبد الهادي ترجمة ١٢٦، طبقات القراء ٢/٣١٤، تهذيب التهذيب ١٠/٣١٢، طبقات الشعراني ١/٤٤، الكواكب الدرية ١/٤٥٩، شذرات الذهب ١/١٨٩.

(٢) حلية الأولياء ٥/٤١، تهذيب الكمال ٢٨/٥٥٤.

وقال أبو عَوانة: إنَّه لما أُجلس منصور بن المعتمر، وحُبس على القضاء، وكانَ ابنُ هُبيرة هو الذي ولاّه. فكان يأتيه الرَّجلُ فيقصُّ عليه، فيقول: قد فهمتُ ماقلتَ، ولاأدري ماالجوابَ فيه. وكان يفعل ذلك، فذُكِرَ لابنِ هُبيرة، فقال: هذا أمرٌ لايصلح إلاّ أن يُعين عليه صاحبه بشهوة، فتركه[1].

وقال أبو بكر بن عيّاش: ربَّما كنتُ مع منصور في منزلِهِ جالسًا، فتصيح به أُمُّه، وكانتْ فظَّةً غليظةً، فتقول: يامنصور، يُريدك ابنُ هُبيرة على القضاء فتأبى عليه؟! وهو واضعٌ لحيتَه على صدره، مايرفع طرفَه إليها[1].

وقال الحسنُ بنُ صَالح: كان منصورٌ في الدِّيوان، فقال له إنسانٌ: ناولني [الطينَ] أختم به. قال: أرني كتابَكَ حتى أنظرَ أيَّ شيءٍ فيه[2].

وقال زائدةُ: كان منصورُ إذا رأيتَهُ قلتَ: رجلٌ قد أُصِيبَ بمُصيبةٍ، مُنَكَّسُ الرأسِ، منخفِضُ الصوتِ، رَطْبُ العَيْنَيْنِ، إنْ حرَّكْتَهُ جاءَتْ عيناهُ بأربع[3].

وقال الحُميدي: قلتُ لسُفيان عن منصور، فقال: إنَّما كانَ اللَّيلُ عنده مَطيّةً من المطايا، متى شئتَ أصبتَهُ قدِ ارتحلَه[4].

وقال سُفيان الثَّوريُّ: لو رأيتَ مَنصورًا يُصلِّي لقلتَ: يموتُ السَّاعةَ[5].

وقال تميمُ بنُ مالكٍ: كانَ منصورٌ إذا صلَّى الغداةَ أظهرَ النَّشاطَ

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٤٢، صفة الصفوة ٣/ ١١٢.
(٢) حلية الأولياء ٥/ ٤٢، صفة الصفوة ٣/ ١١٣. ومابين معقوفين مستدرك منهما.
(٣) صفة الصفوة ٣/ ١١٤.
(٤) صفة الصفوة ٣/ ١١٤ وفيه: عن سفيان قال: كانوا يقولون في ذلك الزمان: إن أطولَ أهلِ الكوفة تهجّدًا طلحة، وزبيد، وعبد الجبار بن وائل، قال الحميدي: فمنصور؟ قال: نعم، كان الليل. . . .
(٥) حلية الأولياء ٥/ ٤٠.

لأصحابِهِ فيحدِّثهم، ويكشرُ إليهم، ولعلَّه إنَّما باتَ قائمًا على أطرافه، كلُّ ذلك ليُخفي عليهم العمل[1].

وقال جريرٌ: صامَ منصورٌ، وقامَ، وكانَ يأكلُ فيُرى الطَّعامُ في مجراه[2].

وقال عطاءُ بنُ جَبَلة: سألوا أُمَّ منصورٍ عن عملِهِ، فقالتْ: كانَ ثُلُثَ اللَّيلِ يقرأُ، وثُلثَهُ يبكي، وثلثَه يدعو[3].

وقال أبو الأحوص: إنَّ مَنصورًا كانَ إذا جاء اللَّيلُ اتَّزَرَ، وارتدى إنْ كان صَيفًا، وإن كان شتاء الْتَحَفَ فوق ثيابه، ثم قام إلى محرابِهِ، كأنَّه خشبةٌ منصوبةٌ حتى يُصبح[4].

وقال أبو بِشر: كانت جارةٌ لمنصورٍ، وكان لها ابنتان لاتصعدانِ السَّطحَ إلا بعد ما ينامُ النَّاسُ، فقالت إحداهما ذات ليلةٍ: ياأُمَّتاه، مافعلتِ القائمةُ التي كنتُ أراها في سطح فلان؟. فقالتْ: يابُنية، لم تكنْ تلك قائمةً، إنَّما كان مَنصورٌ يحيي اللَّيلَ كلَّه في ركعةٍ لايسجدُ فيها ولايراكع[5].

وقال العلاءُ بنُ سالم: كانَ مَنصورٌ يُصلِّي في سطحه، فلمّا ماتَ قالَ غلامٌ لأمِّه: ياأماه، الجِذعُ الذي كان في آلِ فلان ليس أراه. قالت: يابُني، ليس ذلك جِذعًا، ذلك منصور قد مات[6].

وقال جرير: كانتْ أمُّ منصورٍ تقول له: يابُني، إنَّ لعينيك عليك حقًّا، ولجسمِك عليك حقًّا. فكانَ يقولُ لها: دَعي عنكِ منصورًا، فإنَّ بين النَّفختَيْنِ نومًا طويلاً[7].

---

(١) صفة الصفوة ٣/ ١١٤.
(٢) حلية الأولياء ٥/ ٤٠، صفة الصفوة ٣/ ١١٥.
(٣) صفة الصفوة ٣/ ١١٤، ١١٥.
(٤) صفة الصفوة ٣/ ١١٣، ١١٤.
(٥) صفة الصفوة ٣/ ١١٣.
(٦) حلية الأولياء ٥/ ٤٠، صفة الصفوة ٣/ ١١٣.
(٧) حلية الأولياء ٥/ ٤١، وفي (أ): يومًا طويلاً.

وقال سُفيان بن عُيينة: رأيتُ منصورَ بنَ المُعْتمر ـ يعني في المنامِ ـ فقلتُ: مافعلَ اللهُ بك؟. قال: كدتُ أَلقى اللهَ بعمل نبيٍّ[1].

قال سُفيان: إنَّ منصورًا صامَ ستين سنةً، يقومُ ليلَها، ويصومُ نهارَها.

وتوفي سنة اثنتين وثلاثين ومئة.

رحمة الله عليه ورضوانه.

(٤٨٦) مُوَرِّقُ بن المُشَمْرِج(*)

أبو المُعتَمِر العِجليُّ. من تابعي البصرة.

أسندَ عن: أبي ذرٍّ، وسَلمان، وغيرهما.

قال هشام: قال مُوَرِّق: ما تكلَّمتُ بشيءٍ في الغضبِ، فندمتُ عليه في الرِّضا[2].

وقال: إنِّي لقليلُ الغضبِ، ولقلَّما غضبتُ، فأقولُ في غضبي شيئًا ندمتُ عليه إذا رضيتُ. فقال له رجل: إنِّي أشكو إليك قَسوةَ قلبي؛ لاأستطيعُ أصومُ ولا أُصلِّي. فقال له مُورِّق: إنْ ضعفتَ عن الخير فاضعفْ عن الشرِّ، فإنِّي أفرحُ بالنَّومةِ تنامها[3]

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٤١.

(*) ترجمته في: طبقات ابن سعد ٧/ ٢١٣، الزهد للإمام أحمد ٤٢٨، طبقات خليفة ٢٠٩، تاريخ خليفة ٣٣٥، التاريخ الكبير ٨/ ٥١، المعارف ٤٧٠، الجرح والتعديل ٨/ ٤٠٣، ثقات ابن حبان ٥/ ٤٤٦، حلية الأولياء ٢/ ٢٣٤، الأنساب ٨/ ٤٠٠، صفة الصفوة ٣/ ٢٥٠، تهذيب الكمال ٢٩/ ١٦، سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٥٣، العبر ١/ ١٢٢، تاريخ الإسلام ٤/ ٢٠٦، تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٣١، الكواكب الدرية ١/ ٤٦٠، شذرات الذهب ١/ ١٢٢.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٢١٤، حلية الأولياء ٢/ ٢٣٥.

(٣) حلية الأولياء ٢/ ٢٣٥، وانظر طبقات ابن سعد ٧/ ٢١٤، وفيهما: بالنومة أنامها.

وقال: لقد سألتُ الله تعالى حاجةَ كذا وكذا مُنذُ عشرين سنة، فما أُعطيتها[1] ولا يَئستُ منها. فسألَهُ بعضُ أهلِهِ: ماهي؟ قال: هي أن لاأقولَ مالا يعنيني[2].

وقال: تعلَّمتُ الصمتَ في عشر سنين[3].

وقال: ماأدرك عندي مالُ زكاةٍ قطُّ[4].

وكان مُورِّقٌ يتَّجرُ ليُصيبَ المال. فلا تأتي عليه جمعةٌ وعنده منه شيءٌ. يلقى الأخَ فيُعطيه أربعَ مئة، وخمسَ مئة، وثلاثَ مئة، فيقول: ضعها عندك حتى نَحتاجَ إليها. ثم يلقاه بعد ذلك، فيقولُ: ماشأنُك[5]؟ فيقولُ الأخُ: لاحاجةَ لي فيها. فيقول: إنَّا والله، مانحن بآخذيها أبدًا، فشأنُكَ بها. وكرهَ أن يُعطيهم على وجه الصَّدقةِ.

وقال: مامن أمرٍ يبلغني أحبُّ إليَّ من مَوتِ أحبِّ أهلي إليَّ[6].

وقال: ما وجدتُ للمؤمن[7] في الدُّنيا مثلاً إلاَّ مثل رجلٍ في البحرِ على خشبةٍ، فهو يدعو: ياربِّ، ياربِّ، لعلَّ الله عزَّ وجلَّ أن يُنجيه[8].

ومات في ولاية عمر بن هُبيرة على العراق.

رحمة الله عليه ورضوانه.

---

(١) في (ب): أعطاني.

(٢) حلية الأولياء ٢/ ٢٣٥. وفي هامش (ب) مانصه: «وفي لفظٍ: أمرٌ أنا في طلبه منذ عشر سنين، لم أقدر عليه، ولست بتاركٍ طلبَه أبدًا. قالوا: وماهو؟ قال: الصمت عمّا لايعنيني. كذا في مختصر شعب الإيمان، وفي الباب ٣٤».

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٢١٣.

(٤) حلية الأولياء ٢/ ٢٣٦.

(٥) في طبقات ابن سعد ٧/ ٢١٥، ٢١٦، وحلية الأولياء ٢/ ٢٣٦: شأنك بها.

(٦) حلية الأولياء ٢/ ٢٣٤.

(٧) في (ب): للموت.

(٨) طبقات ابن سعد ٧/ ٢١٥، حلية الأولياء ٢/ ٢٣٥.

(٤٨٧) موسى بن جعفر الكاظِم(*)

هو أبو الحسن مُوسى بنُ جعفر بن محمد بن عليٍّ بن الحُسين بن علي بن أبي طالب الهاشميُّ رضي الله عنهم.

وُلدَ بالمدينةِ سنة ثمانٍ وعشرين ومئة، وقيل سنة تسعٍ وعشرين، وأقدمَهُ المهديُّ بغدادَ، ثم ردَّه إلى المدينة، فأقام بها إلى أيامِ الرَّشيد، فقدِمَ هارونُ مُنصرفًا من عُمرة شهرِ رمضان سنةَ تسعٍ وسبعين، فحمَلَ موسى معه إلى بغداد، وحبَسَهُ بها إلى أن توفِّي في مَحْبسه[(١)].

وكان يُدعى العبد الصَّالح لعبادته واجتهاده وقيامِهِ في الليل[(١)].

وكان كريمًا حليماً، إذا بلغَهُ عن رجلٍ أنَّه يُؤذيه بعثَ إليه بصُرَّةٍ فيها مالٌ: ألف دينار، وثلاثُ مئة، وأربعُ مئة، ومئتان. وكان يصرُّ الصُّررَ فيها نحوٌ من ذلك، ثم يقسِمُها بالمدينة، وكان مثلُ صُرر موسى بن جعفر: إذا جاءتِ الإنسانَ الصُّرَّةُ، فقد استغنى[(٢)].

رُوي أنه دخل مسجدَ رسولِ الله ﷺ، فسجدَ سجدةً في أولِ الليل، وسُمع وهو يقول في سُجوده: عظُمَ الذَّنبُ عندي، فليُحْسِنِ العفوَ من عندك. ياأهلَ التَّقوى، وياأهلَ المغفرة. فجعل يردِّدُها حتى أصبحَ[(١)].

(*) ترجمته في: الجرح والتعديل ٨/ ١٣٩، تاريخ بغداد ١٣/ ٢٧، صفة الصفوة ٢/ ١٨٤، وفيات الأعيان ٥/ ٣٠٨، تهذيب الكمال ٢٩/ ٤٣، سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٧٠، ميزان الاعتدال ٤/ ٢٠١، العبر ١/ ٢٨٧، تاريخ ابن خلدون ٤/ ١١٥، تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٣٩، طبقات الشعراني ١/ ٣٨، الكواكب الدرية ١/ ١٧٢، شذرات الذهب ١/ ٣٠٤.

(١) تاريخ بغداد ١٣/ ٢٧.

(٢) تاريخ بغداد ١٣/ ٢٧، ٢٨.

ورُوي أنَّ رجلاً من ولد عمرَ بن الخطَّابِ كان بالمدينة يُؤذيه، ويشتِمُ عليًا. وكان قد قالَ له بعضُ حاشيته: دعنا نقتله. فنهاهم عن ذلك أشدَّ النَّهي، وزجرهم أشدَّ الزَّجر، وسأل عن العُمري، فذُكر له أنه يَزْدَرِعُ بناحيةٍ من نواحي المدينة. فركب إليه إلى مزرعته[1] فوجدَهُ فيها. فدخلَ المزرعة[2] بحماره، فصاح به العُمريُّ: لاتطأْ زرعنا. فتوطَّأهُ بالحمار حتى وصل إليه، فنزلَ، فجلس عنده وضاحكَهُ، وقال له: وكم غرمتَ في زرعكَ هذا؟ قال: مئة دينار. قال: فكم ترجو أن تُصيب؟ قال: أنا لاأعلمُ الغيبَ. قال: إنَّما قلتُ لك: كم ترجو أن يجيئك فيه؟ قال: أرجو أن يجيئني مئتا دينار. فأعطاه ثلاثَ مئة دينار، وقال: هذا زرعُكَ على حاله. فقام العُمريُّ، فقبَّل رأسَه، وانصرفَ، وراحَ إلى المسجد، فوجد العُمريَّ جالسًا فلمّا نظر إليه قال: ﴿اللهُ أعلمُ حيثُ يَجعَلُ رسالتَه﴾ [الإنعام: ١٢٤]. فوثب أصحابُه، فقالوا له: ماقصَّتُكَ، قد كنتَ تقولُ خلافَ هذا؟ فخاصمهمْ وشاتمهُم، وجعل يدعو لموسى كلَّما دخلَ وخرجَ. فقال موسى لخاصَّتِهِ الذين أرادُوا قتلَ العُمريَّ: أيُّما كان خيرًا؟ ماأردتم، أو ما أردتُ أن أصلحَ أمره بهذا المقدار[3]؟

وقال محمد بن عبد الله البَكريُّ: قدمتُ المدينةَ أطلب بها دينًا، فأعياني، فقلتُ: لو ذهبتُ إلى أبي الحسنِ موسى بن جعفر فشكوتُ ذلك إليه، فأتيتُه في ضَيعتِهِ، فخرج إليَّ ومعه غلام له، [معه] منسف فيه قدِيدٌ مُجزَّع ليس معه غيرُه، فأكلَ وأكلتُ معه، ثم سألني عن حاجتي، فذكرتُ له قصَّتي، فدخل فلم يقم إلاَّ يسيرًا حتى خرج إليَّ، فقال لغُلامه: اذهب. ثم مَدَّ يدَهُ، فدفعَ إليَّ صُرَّةً فيها ثلاث مئة دينار، ثم قام فولَّى، فقمتُ

---

(١) في (ب): مزدرعه.

(٢) في (ب): المزدرع.

(٣) تاريخ بغداد ١٣/٢٨، تهذيب الكمال ٢٩/٤٥، ٤٦.

فركبتُ دابتي وانصرفتُ(١).

وقال عيسى بن محمد القرظي: زرعتُ بطيخًا، وقِثَّاء، وقرعًا في موضعٍ بالجوَّانيَّة(٢) على بئرٍ يُقال لها: أُمُّ عِظام، فلمّا قرب الخيرُ، واستوى الزَّرعُ بيَّتني الجرادُ، فأتى على الزَّرعِ كُلِّه، وكنتُ غرمتُ على الزَّرعِ، وفَّى ثمنَ جملين مئةً وعشرين دينارًا، فبينا أنا جالسٌ طلعَ موسى بنُ جعفر فسلَّم، ثم قال: أيشٍ حالُك؟ فقلت: أصبحتُ كالصَّريم، ثم بيَّتني الجرادُ فأكلَ زرعي. قال: وكم غرمتَ فيه؟ فقلتُ: مئةً وعشرين دينارًا مع ثمن الجملين. فقال: ياعرفة، زِن لأبي الغيث(٣) مئةً وخمسين دينارًا، نُربحك ثلاثين دينارًا والجملين. فقال: يامُبارك، ادخل، وادع لي فيها(٤). فدخل ودعا، وحدَّثني عن رسول الله ﷺ أنه قال: «تمسَّكوا ببقايا المصائب»(٥) ثم عَلَّقتُ عليه الجملين، وسقيتُه، فجعلَ اللهُ فيه البركة وزَكَتْ. فبعتُ منها بعشرةِ آلاف(٦).

وقال الفضل بن الربيع عن أبيه: لمّا حبس المهديُّ موسى بن جعفر رأى المهديُّ في النَّومِ عليَّ بن أبي طالب، وهو يقول: يامحمد ﴿فهل عسيتُمْ إنْ تولَّيْتُم أن تُفسِدُوا في الأرض وتُقَطِّعوا أرحامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢] قال الربيعُ: فأرسل إليَّ ليلاً فراعني ذلك، فجئتُهُ، فإذا هو يقرأُ هذه الآية،

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/٢٨، تهذيب الكمال ٢٩/٤٥، وما بين معقوفين مستدرك منهما.

(٢) الجوَّانيَّة: بفتح الجيم وتشديد الواو وكسر النون، موضع أو قرية قرب المدينة. مراصد الاطلاع ١/٣٥٤.

(٣) في تاريخ بغداد ١٣/٢٩: لأبي المغيث، وفي تهذيب الكمال ٢٩/٤٧: لابن المغيث.

(٤) في الأصل ادع، وادع لي. والمثبت من تاريخ بغداد وتهذيب الكمال.

(٥) حديث ضعيف لإرساله، وجهالة رواته، وقد ذكره صاحب «كنز العمال» ٣/٣٠٢ (٦٦٥٩) ونسبه لابن صَصْرَى في أماليه عن موسى بن جعفر مرسلاً.

(٦) تاريخ بغداد ١٣/٢٩، تهذيب الكمال ٢٩/٤٦، ٤٧.

وكان أحسنَ الناسِ صوتًا، فقال: عليَّ بموسى بن جعفر. فجئتُه به، فعانقهُ وأجلسه إلى جانبه، وقال: ياأبا الحسن، رأيتُ أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالب في النوم يقرأ عليَّ كذا، فتؤمِّني أن تخرُجَ عليَّ أو على أحدٍ من ولدي؟ فقال: والله، لافعلتُ ذاك، ولا هو من شأني. قال: صدقت ياربيع، أعطه ثلاثةَ آلاف دينار، ورُدَّهُ إلى أهله إلى المدينة. قال الرَّبيعُ: فأحكمتُ أمره ليلاً، فما أصبح إلا وهو في الطريق خوف العوائق[1].

وقال عبد الرحمٰن بن صالح: حجَّ هارونُ الرشيد، فأتى قبرَ النَّبيِّ ﷺ زائرًا له، وحوله قريش وأفياء القبائل، ومعه موسى بن جعفر. فلمّا انتهى إلى القبرِ، قال: السلامُ عليك يارسول الله، يا بن عمٍّ ـ افتخارًا على من حوله ـ فدنا موسى بن جعفر، فقال: السَّلام عليك ياأبة. فتغيَّرَ وجهُ هارون، وقال: هذا الفخرُ ياأبا الحسن جدًّا[2].

وقال محمد بن موسى: خرجتُ مع أبي إلى ضياعه، فأصبحنا في غداةٍ باردةٍ وقد دنونا منها، وأصبحنا عند عينٍ من العيون، فخرج علينا من تلك الضِّياع عبدٌ زنجيٌّ مُستذفِرٌ[3] بخرقةٍ، على رأسهِ قِدرُ فخار يفورُ، فوقف على الغلمان، فقال: أين سيِّدُكم؟ قالوا: هو ذاك. قال: أبو من يُكنى؟ قالوا له: أبو الحسن. فوقف عليه، فقال: ياسيِّدي، ياأبا الحسن، هذه عَصيدةٌ أهديتُها لك. قال: ضعها عند الغلمان. فأكلوا منها، ثم ذهب، فلم نَقُل بلغَ حتى خرج على رأسِهِ حزمةُ حطبٍ. فقال: ياسيدي، هذا حطبٌ أهديتُهُ لك. قال: ضعه عند الغِلمان، وهبَّ لنا نارًا. فذهب فجاءَ بنارٍ.

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٠، ٣١، تهذيب الكمال ٢٩/ ٤٩.

(٢) تاريخ بغداد ١٣/ ٣١، تهذيب الكمال ٢٩/ ٤٩، ٥٠، وفيهما: هذا الفخر يا أبا الحسن حقًّا.

(٣) أي شدَّ مذفريه بخرقة. والذِّفْرَى: عظمٌ في أعلى العُنق من الإنسان عن يمين النقرة وشمالها. اللسان (ذفر).

قال: فكتب أبو الحسن اسمه واسمَ مولاه فدفعه إليَّ، وقال: يابُني، احتفظ بهذه الرُّقعة حتى أسألَكَ عنها. قال: فوردنا إلى ضياعه، وأقامَ بها ماطابَ له ثم قال: امضوا بنا إلى زيارةِ البيت. فخرجنا حتى وردنا مكةَ. فلمّا قضى أبو الحسن عُمرتَه دعا صاعدًا، فقال: اذهب فاطلبْ لي هذا الرجل، فإذا علمتَ بموضعهِ فأعلمني حتى أمشي إليه؛ فإنِّي أكرهُ أن أدعوهُ والحاجة لي. قال صاعد: فذهبتُ حتى وقفتُ على الرَّجلِ، فلمّا رآني عرفني، فسلَّم علي، وقال لي: أبو الحسن قدِمَ؟ قلت: لا. قال: فأيُّ شيءٍ أقدمَك؟ قلتُ: حوائج، وكان قد علم بشأنه[1]، فتبعني، وجعلتُ أتقصّى منه، ويلحقني بنفسه، فلمّا رأيتُ أني لاأتفلَّتُ منه مضيتُ إلى مولاي، ومضى معي حتى أتيته، فقال: ألم أقل لك لا تُعْلِمْه؟ فقلت: جُعلتُ فداك، لم أُعلِمه. فسلَّم عليه، فقال له أبو الحسن: غُلامُكَ فلان تبيعُهُ؟ قال له: جُعلتُ فداك، الغُلامُ لك والضَّيعة، والجميعُ مالُك[2]. قال: أما الضَّيعةُ فلا أحبُّ أن أسْلُبَكَها، وقد حدَّثني أبي عن جدي: «أن بائع الضيعةِ ممحوقٌ، ومُشتريها مرزُوق». فجعل الرجل يعرضها عليه مُدِلاً بها، فاشترى أبو الحسن الضَّيعةَ والرَّقيقَ منه بألفِ دينار، وأعتقَ العبدَ، ووهب له الضَّيعة[3].

وقال شقيقُ بن إبراهيم البَلخي: خرجتُ حاجًّا في سنةِ تسعٍ وأربعين ومئة، فنزلتُ القادسيَّةَ، فبينا أنا أنظرُ إلى الناسِ في زينتهم وكثرتهم، فنظرتُ إلى فتىً حسنَ الوجهِ شديدَ السُّمرة، يعلو فوقَ ثيابهِ ثوبٌ من صوف، مشتملٌ بشملةٍ، في رجليه نعلان وقد جلس مُنفردًا، فقلتُ في

(١) في تاريخ بغداد، وتهذيب الكمال: وكان قد علم بمكانه بساية. وساية: اسم وادٍ بحدود الحجاز، وبه عدة قرى، وعدة عيون.

(٢) في تاريخ بغداد، وتهذيب الكمال: وجميع ماأملك.

(٣) تاريخ بغداد ١٣/٢٩، ٣٠، تهذيب الكمال ٢٩/٤٧، ٤٨.

نفسي: هذا الفتى من الصُّوفية، يُريد أن يكون كلاً على الناسِ في طريقهم، واللهِ لأمضينَّ إليه ولأُوبِّخنَّه، فدنوتُ منه، فلمّا رآني مُقبلاً قال: يا شقيق، ﴿اجتنِبُوا كثيرًا من الظَّنِّ إنَّ بعضَ الظنِّ إثمٌ﴾ [الحجرات: ١٢] ثم تركني ومضى. فقلتُ في نفسي: إن هذا الأمر عظيمٌ، قد تكلَّم على مافي نفسي، ونطق باسمي، ما هذا إلا عبدٌ لله صالحٌ (☆لألحقنَّه، ولأسألنَّه أن يحاللني. فأسرعتُ في إثرِهِ، فلم ألحقْهُ، وغاب عن عيني فلما نزلنا واقِصة[1]، فإذا☆)[2] به يُصلِّي، وأعضاؤه تضطربُ، ودموعُه تجري، فقلتُ: هذا صاحبي، أمضي إليه واستحلُّه. فصبرتُ حتى جلسَ، وأقبلتُ نحوه، فلمّا رآني مُقبلاً، قال: ياشقيق، اتلُ: ﴿وإنِّي لغفَّارٌ لِمَنْ تابَ وآمنَ وعمِلَ صالحًا ثم اهتدى﴾ [طه: ٨٢] ثم تركني ومضى. فقلت: إن هذا الفتى لمن الأبدال، قد تكلَّم على سرِّي مرتين. فلما نزلنا زُبالة[3] إذا بالفتى قائمٌ على البئر، وبيده ركوةٌ يُريد أن يستقي ماءً، فسقطتِ الرَّكوةُ من يده في البئر، فرأيتُه قد رمقَ السَّماء، وسمعتُه يقولُ:

أنتَ ربّي[4] إذا ظمئتُ من الما ... ءِ وقُوتي إذا أردتُ الطعاما

اللَّهُمَّ سيدي مالي سواها فلا تَعدمنيها. قال شقيقٌ: فوالله، لقد رأيتُ البئرَ وقد ارتفع ماؤها، فمدَّ يده فأخذ الرَّكوةَ وملأها ماءً، وتوضَّأَ، وصلَّى أربعَ ركعات، ثم مالَ إلى كثيبِ رملٍ، فجعل يقبض بيده، ويطرحُهُ في الرَّكوةِ ويحرِّكُهُ ويشربه. فأقبلتُ إليه، وسلَّمتُ عليه. فردَّ عليَّ السَّلامَ، وقلت: أطعمني من فضلِ ماأنعمَ الله به عليك. فقال: يا شقيق، لم تزل نعمةُ الله علينا ظاهرةً وباطنةً، فأحسنْ ظنَّكَ بربِّكَ. ثم ناولني الرَّكوةَ،

---

(١) واقصة، ماء لبني كليب، وهي من عمل المدينة. معجم مااستعجم ٤/ ١٣٦٥.
(٢) (☆-☆) مابينهما ليس في (أ).
(٣) زبالة: منزل بطريق مكة من الكوفة، وهي قرية عامرة بها أسواق بين واقصة والثعلبية. معجم البلدان.
(٤) في الأصل وصفة الصفوة: ربي. وأثبت الملائم للمعنى.

فشربتُ منها، فإذا سَوِيقٌ وسكَّرٌ، فواللهِ ما شربتُ قطُّ ألذَّ منه، ولا أطيب ريحًا، فشبعتُ ورويتُ. وأقمتُ أيامًا لاأشتهي طعامًا ولا شرابًا، ثم لم أرهُ حتى دخلنا مكةَ، فرأيتُهُ ليلةً إلى جنب قبّة الشّراب يُصلّي في نصفِ الليل بخشوعٍ وأنينٍ وبكاءٍ فلم يزلْ كذلك حتى ذهب الليل. فلمّا رأى الفجر جلسَ في مُصلّاه يُسبّح الله، ثم قام فصلّى الغداةَ، وطافَ بالبيت أسبوعًا، وخرجَ فتبعتُهُ، وإذا حاشيةٌ ومَوالٍ وهو على خلافِ مارأيتُهُ في الطَّريق، ودارَ به النّاسُ من حوله يسلّمون عليه، فقلتُ لبعض من رأيتُه يقربُ منه: من هذا الفتى؟ فقال: موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم. فقلتُ: قد عجبتُ أن تكونَ هذه العجائبُ إلا لمثلِ هذا السيّد(١).

وقال الحسنُ بن محمد العلوي: حُبس أبو الحسن موسى بن جعفر عند السِّنديِّ [بن شاهك] فسألته أختهُ أن تتولى حبْسه، ففعلَ، فحُكي لنا أنها قالت: كان إذا صلّى العتمةَ حَمِدَ الله ومجّدهُ، ودعاه فلمْ يزلْ كذلك حتى يزولَ الليلُ، فإذا زالَ الليلُ، قام فصلّى حتى يُصلّي الصُّبح، ثم يذكر قليلاً حتى تطلع الشمسُ، ثم يقعدُ إلى ارتفاع الضُّحى، ثم يتهيّأ ويستاكُ ويأكلُ، ثم يرقدُ إلى قبلِ الزّوال، ثم يتوضّأُ ويصلي حتى يصلّي العصر، ثم يذكرُ في القبلة حتى يُصلّي المغربَ، ثم يُصلّي مابين المغربِ والعشاء، وكان هذا دأبَهُ. وكانت أُختُ السِّنديِّ إذا نظرتْ إليه قالتْ: خابَ قومٌ تعرّضوا لهذا الرجل(٢).

وقال أحمدُ بن إسماعيل: بعثَ موسى بن جعفر إلى أمير المؤمنين الرّشيد من الحبس برسالةٍ فكانت: إنّه لن ينقضيَ عني يومٌ من البلاءِ إلا

---

(١) صفة الصفوة ٢/ ١٨٥، ١٨٦.

(٢) تاريخ بغداد ١٣/ ٣١، تهذيب الكمال ٢٩/ ٥٠، ومابين معقوفين مستدرك منه.

انقضى عنك معه يومٌ من الرَّخاءِ حتى نُفضِيَ جميعًا إلى يومٍ ليس له انقضاء. يخسرُ فيه المُبطِلون[1].

وتوفي موسى بن جعفر في بغداد في رجبٍ سنة ثلاثٍ وثمانين ومئة[2].

رحمة الله عليه ورضوانه آمين يارب العالمين.

(٤٨٨) ميمون بن مِهْران(*)

أبو أيوب، مولى الأزدِ في عِداد الرَّقيين، تابعيٌّ.

روى عن: ابن عمر، وابنِ عبَّاس، وغيرهما.

وِلدَ سنةَ أربعين، وهو إمامُ أهلِ الجزيرةِ، جمعَ بين العلمِ والزهدِ والعبادة.

روى عنه: الأعمشُ، وحُمَيدُ الطَّويل، والحكم بنُ عُتيبة، والأوزاعيُّ، وخلقٌ سواهم كثير.

قال ميمون: لقد أدركتُ من لم يتكلَّم إلا بحقٍّ أو يسكت، وأدركتُ

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٢. تهذيب الكمال ٢٩/ ٥٠.

(٢) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٢.

(*) ترجمته في: طبقات ابن سعد ٧/ ٤٧٧، طبقات خليفة ٣١٩، تاريخ خليفة ٣٤٧، التاريخ الكبير ٧/ ٣٣٨، التاريخ الصغير ١/ ٣١٩،٣٢١ الجرح والتعديل ٨/ ٢٣٣، ثقات ابن حبان ٥/ ٤١٧، حلية الأولياء ٤/ ٨٢، طبقات الشيرازي ٧٧، صفة الصفوة ٤/ ١٩٣، مختصر تاريخ دمشق ٢٦/ ٦٠، تهذيب الكمال ٢٩/ ٢١٠، سير أعلام النبلاء ٥/ ٧١، تذكرة الحفاظ ١/ ٩٨، العبر ١/ ١٤٧، تاريخ الإسلام ٥/ ٨، طبقات ابن عبد الهادي ترجمة ٨٩، البداية والنهاية ٩/ ٣١٤، تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٩٠، طبقات الحفاظ ٣٩، طبقات الشعراني ١/ ٤٠، الكواكب الدرية ١/ ٤٦٣، شذرات الذهب ١/ ١٥٤.

من لم يكن يملأ عينيه من السَّماء فَرَقًا من ربِّه، وقد أدركتُ من كنتُ أستحيي أن أتكلَّمَ عنده[1].

وقال جعفر وفُراتُ: كان عمرُ بن عبد العزيز إذا نظرَ إلى ميمون قال: إذا ذهبَ هذا، وضربُهُ صارَ النَّاسُ من بعدهم رَجَاجًا[2].

وقال فراتُ بن سُليمان: كنتُ في مسجدِ مَلطيةَ[3] فتذاكرنا هذه الأهواء، فانصرفتُ إلى منزلي، فألقيتُ نفسي، فنمتُ، فسمعتُ هاتفًا يهتفُ: الطَّريقُ مع ميمون بن مِهران[4].

وقال عبد الملك بن [أبي] النُّعمان: خاصمَ رجلٌ ميمونَ بن مِهران في الإرجاءِ، فبينما هما على ذلك إذْ سمعا امرأةً تُغني، فقال ميمونُ: أين إيمانُ هذه من إيمان مريمَ بنت عمران[5]؟ فلمّا قالها انصرفَ الرَّجلُ، فلم يردَّ عليه شيئًا[6].

وقال جعفرُ بن بُرقان: لم يكنْ لميمون بن مِهران مَجلسٌ في المسجدِ يُعرفُ[7].

وقال ميمون: لايكونُ الرَّجلُ تقيًا حتى يكونَ لنفسِه أشدَّ مُحاسبةً من الشَّريكِ لشريكه[8].

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٢٦/ ٦١، تهذيب الكمال ٢٩/ ٢١٥.
(٢) حلية الأولياء ٤/ ٨٣، مختصر تاريخ دمشق ٢٦/ ٦١، والرَّجاجُ: رعاع الناس وجُهَّالُهم. اللسان (رجج).
(٣) ملطية: بلدة من بلاد الروم، تتاخم الشام. معجم البلدان.
(٤) مختصر تاريخ دمشق ٢٦/ ٦٢، تهذيب الكمال ٢٩/ ٢١٧.
(٥) يريد بهذا أن الإيمان تتفاوت نسبته بين مؤمن وآخر، وأنه يَزيدُ وينقص، وهو مَذهب الجمهور.
(٦) تهذيب الكمال ٢٩/ ٢١٧، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٧٣، ومابين معقوفين مستدرك منهما.
(٧) تهذيب الكمال ٢٩/ ٢١٧.
(٨) حلية الأولياء ٤/ ٨٩، مختصر تاريخ دمشق ٢٦/ ٦٤.

وقال: ثلاثٌ يُؤدَّون إلى البَرِّ والفاجر: الأمانةُ تُؤدِّيها إلى البَرِّ والفاجِرِ، وقرأ: ﴿إنَّ اللهَ يأمرُكم أنْ تؤدُّوا الأماناتِ إلى أهلِها﴾ [النساء: ٥٨] والعهدُ تفي به للبرِّ والفاجر، وقرأ: ﴿وأوفُوا بالعَهْدِ إنَّ العَهْدَ كانَ مسؤولا﴾ [الإسراء: ٣٤] والرَّحمُ تصلُها برَّةً كانتْ أو فاجرةً، وقرأ: ﴿وآتِ ذا القُرْبَى حقَّه﴾[1] [الإسراء: ٢٦].

وقال أبو المليح الرَّقي: جاءَ رجلٌ إلى ميمون بن مِهران يخطبُ إليه ابنتَه، فقال: لاأرضاها لك. قال: ولِمَ؟ قال: لأنَّها تُحبُّ الحُليَّ والحُلل. قال: فعندي من هذا ماتُريد. قال: فالآن الذي لا أرضاك لها[2].

وقال: من رضيَ من صلةِ الإخوان بلا شيءٍ فليُؤاخِ أهلَ القبور[3].

وقال عيسى بن كثير الرَّقيُّ: مشيتُ مع ميمون بن مِهران حتى أتى بابَ داره، ومعه ابنُه عمرو، فلمّا أردتُ أنْ أنصرفَ قال له عمرو: ياأبه، ألا تعرض عليه العشاء؟ قال: ليسَ ذاكَ من نيَّتي[4].

وقال ميمون: من أساءَ سِرًّا فليتُبْ سِرًّا، ومن أساءَ علانيةً فليتُب علانيةً، فإنَّ النَّاس يُعيِّرون ولا يَغفِرون، واللهُ يعفو ولا يُعيِّر[5].

وقال: إذا أتى رجلٌ باب سُلطانٍ فاحتجبَ عنه، فليأتِ بيوتَ الرَّحمٰن فإنَّها مُفتَّحةٌ، فليُصلِّ ركعتين، وليسألْ حاجتَه[6].

وقال أبو المليح: سمعتُ ميمونَ بن مِهران وأتاه رجلٌ فقال: إن رُقيَّةَ

---

(١) الخبر بنحوه في حلية الأولياء ٤/ ٨٧، وتهذيب الكمال ٢٩/ ٢٢٠.
(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢٦/ ٦٦.
(٣) مختصر تاريخ دمشق ٢٦/ ٦٦، تهذيب الكمال ٢٩/ ٢٢١.
(٤) مختصر تاريخ دمشق ٢٦/ ٦٧.
(٥) حلية الأولياء ٤/ ٩٢، مختصر تاريخ دمشق ٢٦/ ٦٧.
(٦) مختصر تاريخ دمشق ٢٦/ ٦٨، تهذيب الكمال ٢٩/ ٢٢٣.

امرأةَ هشام ماتتْ، وأعتقتْ كلَّ مملوكٍ لها. فقال: يعصون الله مرَّتين، يبخلونَ به، وقد أُمروا أن يُنفقُوه، فإذا صارَ لغيرهم أسرفوا فيه[1].

وقال جعفر: قال لي ميمون: يا جعفر، قُلْ لي في وجهي ماأكرهُ؛ فإن الرَّجلَ لاينصحُ أخاه حتى يقولَ له في وجههِ مايكرَهُ[2].

وقال: لايُضرب المملوكُ في كلِّ ذنبٍ، ولكنِ احفظْ ذلك له، فإذا عصى الله عزَّ وجلَّ فعاقبهُ على معصيةِ اللهِ، وذكِّره الذَّنبَ التي أذنبَ بينك وبينه[3].

وقال أبو المليح: مارأيتُ أحدًا أفضلَ من ميمون بن مِهران؛ قال له رجلٌ يومًا: ياأبا أيوب، أتشتكي، أراكَ مُصفرًا؟ قال: نعم؛ لِمَا يبلغُني في أقطارِ الأرض[4].

وقال ابنُه عمرو: ما كان أبي يُكثرُ الصِّيامَ ولا الصَّلاةَ، ولكنَّه كان يكره أن يُعصى الله عزَّ وجلَّ[5].

وقال: لايكون الرَّجلُ من المتَّقين حتى يعلمَ من أين مَطعمُه، ومن أين مَلبسُه، ومن أين مَشربُهُ أمن حلٍّ ذاك أم حرام[6]؟

وقال: الصَّبرُ صَبران، والذِّكرُ ذِكران: فذكرُ الله عزَّ وجلَّ باللِّسان حسنٌ، وأفضلُ منه أن تذكرَ الله عندما تشرفُ عليه من معاصيه. والصَّبرُ عند المُصيبةِ حسنٌ، وأفضلُ منه أن تصبِّرَ نفسك على ماتكره من طاعةِ الله تعالى، وإنْ ثقُل عليك[7].

---

(١) تهذيب الكمال ٢٩/٢٢٣.
(٢) صفة الصفوة ٤/١٩٣، تهذيب الكمال ٢٩/٢٢٣.
(٣) حلية الأولياء ٤/٨٨.
(٤) مختصر تاريخ دمشق ٢٦/٦١، تهذيب الكمال ٢٩/٢١٦.
(٥) حلية الأولياء ٤/٨٢، مختصر تاريخ دمشق ٢٦/٦١.
(٦) حلية الأولياء ٤/٨٩، مختصر تاريخ دمشق ٢٦/٦٤.
(٧) صفة الصفوة ٤/١٩٤.

وقال: لاتُمارينَّ عالمًا ولا جاهلاً؛ فإنَّكَ إن ماريتَ عالمًا خَزَنَ عنك علمَهُ، وإن ماريتَ جاهلاً خشَّنَ بصدرك[١].

وقيل له: ياأبا أيوب، مالك لايُفارقُكَ أخٌ لك على قلىً؟ قال: إنّي لاأُماريه ولا أُشاريه[٢].

وقال: من كان يُريدُ أن يعلمَ مامنزلتُهُ عند الله فلينظر إلى عملِهِ، فإنَّه قادمٌ على عمله كائنًا ماكان[٣].

وقال: لايسلمُ للرَّجلِ الحلالُ حتى يُدخلَ بينه وبين الحرامِ حاجزًا من الحلال[١].

وقال: ثلاثٌ لاتَبلُونَّ نفسك بهنَّ: لاتدخُلْ على سُلطانٍ وإنْ قلتَ: آمرهُ بطاعةِ الله، ولا تدخلْ على امرأةٍ وإن قلتَ: أُعلِّمُها كتابَ الله، ولا تصغينَّ بسمعكَ لذي هوىً فإنَّك لاتدري ما يعلقُ بقلبك منه[٤].

وقال: لاتعرفِ الأميرَ، ولا تعرفْ من يعرفه[٤].

وقال: مابلغني عن أخٍ لي مكروهٌ إلا كان أسقاطُ المكروهِ عنه أحبَّ إليَّ من تحقيقه عليه، فإنْ قال: لم أقلْ. كان قولُه: لم أقلْ أحبَّ إليَّ من ثمانيةٍ تشهد لي عليه. وإنْ قال: قلتُ. ولم يعتذر أبغضتُهُ من حيثُ أحببتُهُ[٥].

وقال: وسمعتُ ابنَ عبَّاسٍ[٦] يقول: مابلغني عن أخٍ لي مكروهٌ قطُّ إلا أنزلتُهُ أحد ثلاثة منازلٍ: إن كان فوقي عرفتُ له قدرَهُ، وإن كان نظيري

---

(١) حلية الأولياء ٤/ ٨٢، مختصر تاريخ دمشق ٢٦/ ٦٧.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢٦/ ٦٦، تهذيب الكمال ٢٩/ ٢٢١.

(٣) حلية الأولياء ٤/ ٨٤.

(٤) حلية الأولياء ٤/ ٨٥.

(٥) حلية الأولياء ٤/ ٨٥، مختصر تاريخ دمشق ٢٦/ ٦٦.

(٦) في الأصل: عن ابن عباس. وميمون ممن روى عن ابن عباس.

تفضَّلتُ عليه، وإن كان دوني لم أحفلْ به. هذه سيرتي في نفسي، فمن رغِبَ عنها، فإنَّ أرضَ الله واسعةٌ[1].

وقال حبيب بن أبي مرزوق: قال ميمونُ: وَدِدتُ لو أنَّ إحدى عينيَّ ذهبتْ، وبقيتِ الأُخرى أتمتَّعُ بها وإنِّي لم ألِ عملاً قطُّ. قلت: ولا لعُمر بن عبد العزيز؟ قال: ولا لعُمر بن عبد العزيز، لاخيرَ في العملِ لعمرَ ولا لغيره[2].

وقال: ماأحبُّ أن لي مابين باب الرُّها إلى حَرَّان بخمسةِ دراهم[3].

وقال: لأن أتصدَّقَ بدرهمٍ في حالِ حياتي أحبُّ إليَّ من أن يُتصدَّق عني بعد موتي بمئةِ درهم[3].

وقال: أهونُ الصَّومِ تركُ الطعامِ والشَّراب.

وقال: في المالِ ثلاثُ خصالٍ، إن نجا رجلٌ من خصلةٍ كان قَمِنًا أن لاينجو من اثنتين، وإن نجا من اثنتين كان قَمِنًا أنْ لاينجوَ من الثالثة: ينبغي للمالِ أن يكونَ أصله من طيِّبٍ، فأيُّكم الذي يَسلمُ له كسبُه فلم يدخله إلا طيِّبًا؟ فإنْ سلمَ من هذه فينبغي له أن يُؤدِّي الحقوقَ التي في ماله، فإنْ سلم من هذه فينبغي له أنْ يكونَ في نفسه ليس بمُسرفٍ ولا مُقترٍ[4].

وقال له رجلٌ: لايزالُ الناسُ بخيرٍ ماكنتَ فيهم. فقال: لايزالُ الناسُ بخيرٍ ما اتَّقوا الله عز وجلَّ[5].

وقال: إنَّ أعمالَكم قليلةٌ فأخلصوا هذا القليل.

---

(١) حلية الأولياء ٤/ ٨٥.

(٢) حلية الأولياء ٤/ ٨٦، مختصر تاريخ دمشق ٢٦/ ٦٣، قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ٥/ ٧٣: كان ولي خراج الجزيرة وقضاءَها، وكان من العابدين.

(٣) حلية الأولياء ٤/ ٨٧.

(٤) في حلية الأولياء ٤/ ٨٩، ٩٠ في نفقته بدل: في نفسه.

(٥) حلية الأولياء ٤/ ٩٠، مختصر تاريخ دمشق ٢٦/ ٦٦.

وقال إبراهيمُ بن محمد: صلَّى ميمونُ بنُ مِهران في سبعةَ عشر يومًا سبعةَ عشرَ ألفَ ركعةٍ، فلمّا كان يوم الثامن عشر انقطعَ في جوفِهِ شيءٌ فماتَ[1]. وذلك سنة سبعَ عشرةَ ومئة، وقيل سنة ستَ عشرةَ.

رحمة الله عليه ورضوانه.

(٤٨٩) أبو محمد البِسطاميُّ(*)

قال محمدُ بن محمد بن ثوابة المعبِّر: كنت مُصعدًا إلى الجبلِ في باب حُلوان في أيّامِ الشِّتاء وعليَّ دِثارٌ وسراويلان[2]: أحدُهما مبطَّنٌ، والبردُ على غايةٍ مايكون من الشدَّةِ. فلقيني رجلٌ عليه خِرقتان، لا يتوارى بغيرهما، فعارضتُهُ مرارًا، ويَروغُ عني. فقلت له: لأيِّ شيءٍ تفرُّ منِّي؟ أنا سَبُعٌ؟ فقال: لو لقيني سبعون سَبُعًا كان أهونَ عليَّ من لقائك. فقلت: أنا أمُرُّ كذا، وأنت تمضي[3] كذا، قلْ لي شيئًا، ومُرَّ في ودائع اللهِ. فقال لي: تسمع؟ فقلت: نعم. فأنشأ يقول:

إذا مـــاعـــدتِ النفـــسُ ... عـــن الحـــقِّ زَجَـرنـاهـا
وإن مـالَـتْ إلـى الـدُّنيا ... عـــن الأُخـرى منَعْنـاهـا
تُخـــادِعُنـــا ونَخـــدَعُهـــا ... وبـــالصَّبـــر غَلَبنـــاهـــا
لهـــا خـــوفٌ مـــن الفقـــرِ ... وفـــي الفقـــرِ أنَخْنَـــاهـــا

قال: فجئتُ إبراهيم بن شَيبان بعد أربعة أيامٍ أو خمسةٍ، وقد فرَّقتُ

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٢٦/٦٨، تهذيب الكمال ٢٩/٢٢٦.
(*) ترجمته في: صفة الصفوة ٤/١١٤.
(٢) في (ب): سروالان.
(٣) في (ب): تمرُّ.

جميعَ ماعليَّ من الدِّثارِ، فلمّا دخلتُ عليه، قال: من لقيتَ؟ فوصفتُ له، فقال أبو محمد البِسطاميُّ، في ذلك اليوم خرجَ من عندنا، فقال: أيُّ شيءٍ جرى بينك وبينه؟ فحدَّثتُهُ، فأمرَ ابنه إسحاق فكتبها.

رحمة الله عليه ورضوانه.

ترجمة الكنى والأبناء

أبو محمد الجَرِيري = أحمد بن محمد

أبو محمد الرباطي = عبد الله بن أحمد

أبو محمد الراسبي = عبد الله بن محمد

أبو محمد الحرار = عبد الله بن محمد

أبو محمد السعراني = عبد الله بن محمد

أبو محمد المرتعش = عبد الله بن محمد

أبو مسلم الخولاني = عبد الله بن ثوب

أبو معاوية = الأسود اليماني[(١)]

ابن[(٢)] محمويه = إبراهيم بن محمد

ابن مسروق = أحمد بن محمد

ابن منازل = عبد الله بن محمد

ابن الموفق = علي بن عبد الرحمٰن

ابن مهدي = عبد الرحمٰن

* * *

---

(١) في (ب): أبو محمد = اليمان.

(٢) في (ب) أبو.

حرف النون

(٤٩٠) النُّعمانُ بن ثابت(*)

أبو حنيفة الكوفيُّ.

هو الإمامُ المشهورُ، مولى تيم الله بن ثعلبة، ومن رَهطِ حمزةَ الزَّيات. وكان جدُّه من أهلِ كابُل، وقيل من أهلِ بابل، وقيل من الأنبار.

وقال ابنُه إسماعيلُ: أنا إسماعيلُ بن حمادِ بن النُّعمان بن ثابت بن النُّعمان بن المَرزُبان من أبناءِ فارس، من الأحرار، واللهِ ماوقعَ علينا رقٌّ قطُّ، ولِدَ جدِّي سنةَ ثمانين، وذهبَ به ثابتٌ إلى عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو صغيرٌ، فدعا له بالبركة فيه وفي ذرِّيته، ونحن نرجو أن يكونَ اللهُ قد استجابَ ذلك لعليٍّ فينا(١).

وأبو حنيفة تابعيٌّ بلا خِلاف، كان في زمنِهِ من الصَّحابةِ: أنسُ بن مالك بالبصرة، وعبدُ الله بن أبي أوفى بالكوفة، وسهلُ بن سعد السَّاعديُّ

(*) ترجمته في: طبقات ابن سعد ٦/٣٦٨، ٧/٣٢٢، طبقات خليفة ١٦٧، ٣٢٧، التاريخ الكبير ٨/٨١، التاريخ الصغير ٢/٤١، ٩٣، ضعفاء العقيلي ٤/٢٦٨، الجرح والتعديل ٨/٤٤٩، المجروحين لابن حبان ٣/٦١، الكامل لابن عدي ٧/٥، تاريخ بغداد ١٣/٣٢٣، جامع الأصول ١٥/٤٣٢، وفيات الأعيان ٥/٤١٥، تهذيب الكمال ٢٩/٤١٧، سير أعلام النبلاء ٦/٣٩٠، تاريخ الإسلام ٦/١٣٥، تذكرة الحفاظ ١/١٦٨، ميزان الاعتدال ٤/٢٦٥، طبقات ابن عبد الهادي ترجمة ١٥٣، مرآة الجنان ١/٣٠٩، البداية والنهاية ١٠/١٠٧، تهذيب التهذيب ١٠/٤٤٩، النجوم الزاهرة ٢/١٢، طبقات الشعراني ١/٥٢، الكواكب الدرية ١/٤٦٩، شذرات الذهب ١/٢٢٧.

(١) تاريخ بغداد ١٣/٣٢٦.

بالمدينة، وأبو الطُّفيل عامرُ بن واثِلة بمكَّة.

وأهلُ الحديثِ والنَّقل يقولون: إنَّه لم يلقَ منهم أحدًا، ولا روى عن أحدٍ منهم. وأصحابُهُ يقولون: إنه لقي جماعةً من الصَّحابة، وروى عنهم.

وأخذَ الفِقه والعلمَ والحديثَ عن جماعةٍ من أكابرِ التَّابعين مثل: عطاء بن أبي رباح، وأبي إسحاق السَّبيعي، ومُحارب بن دِثار[1]، وحماد بن أبي سُليمان، ومُحمد بن المُنكدر، ونافعٍ، وهشام بن عُروة، وسِماك بن حَرب، وغيرهم.

روى عنه: عبد الله بن المُبارك، ووكيع، ويزيدُ بن هارون، وعليُّ بن عاصم، وأصحابُه: أبو يوسف، ومحمد، وزُفر، وخلقٌ سواهم كثيرٌ.

جمعَ بين العلم، والزُّهد، والعِبادة، والورع، والتُّقى. وكان آيةً في علومه.

قال الشَّافعيُّ: قيل لمالك: هل رأيتَ أبا حنيفة؟ قال: نعم رأيت رجلاً لو كلَّمك في هذه السَّاريةِ أن يجعلها ذهبًا لقامَ بحجَّته[2].

وقال الشَّافعيُّ: من أراد أن يتبحَّرَ في الفقه، فهو عِيالٌ على أبي حنيفة[3].

وقال: من أراد الحديثَ فعليه بمالك، ومن أراد الجدَل فعليه بأبي حنيفة[4].

وقال عُبيد الله الرَّقيُّ: كلَّم ابنُ هُبيرة أبا حنيفة أن يلي القضاءَ بالكوفة، فأبى عليه، فضربَهُ مئةَ سوط وعشرةَ أسواط، في كلِّ [يومٍ] عشرةَ أسواط،

---

(١) في الأصل: محمد بن دثار، والتصحيح من مصادر ترجمته.
(٢) تاريخ بغداد ١٣/٣٣٧، ٣٣٨.
(٣) تاريخ بغداد ١٣/٣٤٦.
(٤) طبقات الفقهاء للشيرازي ٨٦.

وهو على الامتناع، فلمّا رأى ذلك خلّى سبيله، وكان ابنُ هُبيرة عاملَ مروان بن محمد الأموي[١].

وقال إسماعيلُ بن سالم: ضُربَ أبو حنيفة ☆على الدُّخولِ في القضاء، فلم يقبلِ القضاءَ. وكان أحمدُ بن حنبل إذا ذُكرَ ذلك بكى، وترحَّم على أبي حنيفة☆[٢] وذلك بعد أن ضُرِبَ أحمد[٣].

وقال بِشر بن الوليد: أشخصَ المنصورُ أبا حنيفةَ إلى بغداد، فأرادهُ أن يُوليه القضاءَ، فأبى، فحلفَ عليه ليفعلنَّ، فحلفَ أبو حنيفةَ أن لايفعل، فحلف المنصمورُ ليفعلنَّ، فحلف أبو حنيفة أن لايفعل. فقالَ الرَّبيعُ: ألا ترى إلى أمير المؤمنين يحلفُ؟ فقال أبو حنيفة: أميرُ المؤمنين على كفَّارةِ أيمانهِ أقدرُ منِّي على كفَّارةِ أيماني. فأبى أن يلي، فأمر به إلى الحبس في الوقتِ، وقيل إنَّه تولَّى عددَ اللَّبن أيامًا، ليُكفِّرَ بذلك عن يمينه.

☆وزاد في روايةٍ أُخرى فقال: إنَّ المنصورَ قال له: أترغبُ عمّا نحنُ فيه؟ قال: أصلحَ اللهُ أمير المؤمنين☆[٢]، لاأصلحُ للقضاء. فقال له: كذبتَ، عرض عليه الثَّانية، فقال: قد حكمَ عليَّ أميرُ المؤمنين أني لا أصلحُ للقضاءِ؛ لأنَّه نسبني إلى الكذِبِ، فإنْ كنتُ كاذبًا فلا أصلحُ، وإن كنتُ صادقًا، فقد أخبرتُ أمير المؤمنين أني لاأصلح[٤].

وقال أبو نُعيم: كانَ أبو حنيفةَ حسنَ الوجهِ، حسنَ الثِّياب، طيِّبَ الرِّيح، حسنَ المجلسِ، شديد الكرمِ، حسنَ المواساة لإخوانه[٥].

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/٣٢٦. وما بين معقوفين مستدرك منه.
(٢) (☆-☆) مابينهما ليس في (أ).
(٣) تاريخ بغداد ١٣/٣٢٧.
(٤) تاريخ بغداد ١٣/٣٢٨، وفيات الأعيان ٥/٤٠٦.
(٥) تاريخ بغداد ١٣/٣٣٠.

وقال أبو حنيفة: لقيتُ عطاءَ بمكَّة، فسألتُهُ عن شيءٍ. فقال: من أينَ أنت؟ قلت: من أهلِ الكُوفةِ. قال: أنت من أهلِ القريةِ الذين فرَّقوا دينهم، وكانوا شِيعًا؟ قلتُ: نعم. قال: ومِنْ أيِّ الأصنافِ أنت؟ قلت: ممَّن لايسبُ السَّلفَ، ويُؤمنُ بالقدرِ، ولا يُكفِّرُ أحدًا بذنبٍ. فقال لي: عرفتَ فالزمْ[1].

وقال: قدمتُ البصرة، فظننتُ أنِّي لاأُسأل عن شيءٍ إلا أُجبتُ فيه. فسألوني عن أشياءَ لم يكن عندي فيها جوابٌ، فجعلتُ على نفسي أن لا أُفارقَ حمَّادًا حتى يموتَ، وما صلَّيتُ صلاةً مُذْ ماتَ حمَّادٌ إلا استغفرتُ له مع والدي، وإنِّي لأستغفرُ لمن تعلَّمت منه عِلمًا، أو علَّمتُهُ عِلمًا[2].

وقال الرَّبيعُ بنُ يُونس: دخلَ أبو حنيفة على المنصور، وعنده عيسى بن موسى، فقالَ للمنصور: هذا عالمُ الدُّنيا اليوم. فقال له: يانُعمان، عمَّن أخذتَ العِلمَ؟ قال: عن أصحابِ عمرَ، عن عمرَ، وعن أصحابِ عليٍّ عن عليٍّ، وعن أصحابِ عبدِ الله عن عبدِ الله. وماكانَ في وقتِ ابنِ عبَّاس على وجه الأرضِ أعلمُ منه. قال: لقد استوثقتَ لنفسِك[3].

وقال هشامُ بن مِهران: رأى أبو حنيفة في النَّوم كأنَّه يُنبشُ قبرَ النَّبيِّ ﷺ، فبعث من يسألُ له محمد بن سيرين. فقال محمدُ بن سيرين: من صاحبُ هذه الرُّؤيا؟ ولم يجبه عنها. ثم سألهُ عنها الثانية، فقال مثلَ ذلك، ثم سألهُ الثَّالثة، فقال: صاحبُ هذه الرؤيا يُثوِّرُ علمًا لم يسبقْه إليه أحدٌ قبلَه. قال هشام: فنظرَ أبو حنيفةَ، وتكلَّمَ حِينئذ[4].

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٣١.
(٢) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٣٣، ٣٣٤.
(٣) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٣٤.
(٤) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٣٥.

وقال خلفُ بن أيوب: صارَ العلمُ من اللهِ تعالى إلى محمدٍ ﷺ، ثم صارَ إلى الصَّحابةِ، ثم صار إلى التَّابعين، ثم صار إلى أبي حنيفةَ وأصحابِه، فمن شاءَ فليرضَ، ومن شاء فليسخطْ[1].

وقال سُفيان بن عُيينة: ما مَقلتْ عيني مثلَ أبي حنيفة[1].

وقال ابنُ المُبارك: كان أبو حنيفة آيةً. فقال له قائلٌ: في الشَّرِّ أو في الخيرِ؟ فقال: اسكتْ يا هذا، فإنَّه يُقال: غايةٌ في الشَّرِّ، آيةٌ في الخير، ثم تلا هذه الآية ﴿وجعَلْنا ابنَ مَرْيَم آيةً﴾[1] [المؤمنون: ٥٠].

وقال ابن المبارك: ما كان أوقر مجلس أبي حنيفة[2]! كان حسنَ السَّمتِ، حسنَ الوجه، حسنَ الثَّوب. ولقد كُنَّا يومًا في مسجد الجامع، فوقعتْ حيَّةٌ، فسقطتْ في حجرِ أبي حنيفة، فهربَ الناسُ غيره، مارأيتُه زاد على أن نفضَ الحيَّةَ، وجلسَ مكانه[1].

وقال أبو يحيى الحمَّانيُّ: مارأيتُ رجلًا قطُّ خيرًا من أبي حنيفة[3].

وقال أبو بكر بن عيَّاش: أبو حنيفة أفضلُ أهل زمانِه[3].

وقال سهلُ بن أبي مُزاحم: بُذلتِ الدُّنيا لأبي حنيفةَ، وضُربَ عليها بالسِّياط، فلم يقبلها[4].

وقال رَوح بن عبادة: كنتُ عند ابن جُريج سنةَ خمسين ومئة، وأتى موتُ أبي حنيفةَ، فاسترجعَ وتوجَّعَ، وقال: أيُّ علمٍ ذهب؟ وفيها ماتَ ابنُ جريج[5].

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٣٦.
(٢) في (ب): ماكان أوقر مجلس من مجلس أبي حنيفة.
(٣) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٣٧.
(٤) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٣٧، وفي (أ): فلم يأخذها.
(٥) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٣٨.

وقال إبراهيمُ بن الزبر قال: كنتُ يومًا عند مِسعر، فمرَّ بنا أبو حنيفة، فسلَّم ووقفَ عليه، ثم مضى. فقال القومُ لِمسعر: ماأكثر خصوم أبي حنيفة! فاستوى مِسعَرٌ مُنتصبًا، ثم قال: إليكَ، ؛ فما رأيتُهُ خاصمَ أحدًا قطُّ إلا فلجَ[1] عليه. وكان مِسْعرٌ يقول: من جعلَ أبا حنيفةَ بينه وبينَ اللهِ رجوتُ أن لايخاف، ولا يكون فرّطَ في الاحتياطِ لنفسه[2].

وقال عبد الرزّاق: كنتُ عند مَعْمَرٍ، فأتاهُ ابنُ المُبارك، فسمعنا مَعْمَرًا يقولُ: ماأعرفُ رجلاً يُحسنُ يتكلَّمُ في الفقهِ، أو يسعُهُ أن يقيسَ ويشرحَ لمخلوقٍ النَّجاةَ في الفقه أحسن معرفةً من أبي حنيفة، ولا أشفقَ على نفسِه من أن يدخلَ في دِينِ اللهِ شيئًا من الشَّكِّ من أبي حنيفة[2].

وقال أبو جعفر الرَّازيُّ: مارأيتُ أحدًا أفقَهَ من أبي حنيفةَ، وما رأيتُ أحدًا أورَعَ من أبي حنيفة[2].

وقال الفُضيلُ بنُ عِياض: كان أبو حنيفة رجلاً فقيهًا معروفًا بالفِقه، مشهورًا بالورَعِ، واسع المالِ، معروفًا بالإفضالِ على كلِّ من يضيفُ به، صبورًا على تعليم العِلم باللَّيلِ والنَّهار، كثير الصَّمتِ، قليلَ الكلام حتى ترِدَ مسألةٌ في حرامٍ أو حلالٍ، (*وكان يُحسنُ أن يدلَّ على الحقِّ*)[3]، هاربًا من مالِ السُّلطان، وكان إذا وردتْ عليه مسألةٌ فيها حديثٌ صحيحٌ اتَّبعهُ، وإنْ كان عن الصَّحابةِ والتابعين، وإلاّ قاسَ، فأحسنَ القِياس[4].

وقال أبو يوسف: ماخالفتُ أبا حنيفة في شيءٍ قطُّ فتدبَّرتُهُ إلاّ رأيتُ

---

(١) الفلج: الظفر والفوز. القاموس.

(٢) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٣٩.

(٣) (☆-☆) ما بينهما ليس في (أ)، وقد كتبت في (ب) بخط مغاير بلفظ: وكان بحراً يدل على الحق، والمثبت من تاريخ بغداد ١٣/ ٣٤٠.

(٤) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٤٠.

الذي ذهبَ إليه أنجى في الآخرةِ، وكنتُ ربَّما ملتُ إلى الحديثِ، وكان هو أبصرَ بالحديثِ الصَّحيح منِّي[1].

وقال حمّادُ بن زيد: أردتُ الحجَّ، فأتيتُ أيوبَ أودِّعُهُ، فقال: بلغني أن الرَّجل الصَّالح فقيه أهل الكوفة ـ يعني أبا حنيفة ـ يحجُّ العام، فإنْ لقيتَهُ فأقرِئهُ مني السَّلام[2].

وقال الحَكمُ بن عبد الله: مارأيتُ صاحبَ حديثٍ أفقهَ من سُفيان الثَّوري، وكان أبو حنيفة أفقه منه[3].

وقال الحسنُ بن عليٍّ: سألَ إنسانٌ يزيدَ بن هارون، فقال: من أفقهُ من رأيتَ؟ قال: أبو حنيفة. قال [الحسن]: ولقد قلت لأبي عاصم النَّبيل: أبو حنيفة أفقهُ، أو سُفيان؟ فقال: عبدُ أبي حنيفةَ أفقهُ من سُفيان[4].

وقال أبو مُسلم المُستمليُّ ليزيدَ بن هارون: ماتقولُ في أبي حنيفة والنَّظر في كُتبِهِ؟ فقال: انظروا فيها إنْ كنتم تُريدون أن تفقَّهوا، فإني مارأيتُ أحدًا من العُلماء يكرهُ النَّظر في قوله، ولقد احتال الثَّوريُّ في كتاب «الرهن» حتى نسخه[5].

وقال ابنُ المبارك: إن كان الأثرُ قد عُرف، واحتيج إلى الرَّأي فرأيُ مالكٍ، وسُفيان، وأبي حنيفة. وأبو حنيفة أحسنُهم وأدقُّهم فِطنةً، وأغوصهُمُ على الفقه، وهو أفقهُ الثلاثة[6].

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٤٠.
(٢) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٤١.
(٣) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٤١، ٣٤٢.
(٤) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٤٢، وما بين معقوفين مستدرك منه.
(٥) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٤٢.
(٦) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٤٣.

وقال مرةً: إنْ كان أحدٌ ينبغي له أنْ يقولَ برأيه، فأبو حنيفةَ ينبغي له أنْ يقولَ برأيه[1].

وقال محمدُ بن بِشر: كنتُ اختلفُ إلى أبي حنيفةَ، وإلى سُفيان، فآتي أبا حنيفة فيقولُ لي: من أين جِئت؟ فأقولُ: من عِند سُفيان. فيقول: لقد جِئتَ من عِند رجلٍ لو أنَّ عَلقمة، والأسود حضرا لاحتاجا إلى مِثله. فآتي سُفيان فيقولُ: من أين جئت؟ فأقول: من عند أبي حنيفة. فيقول: لقد جِئتَ من عند أفقهِ أهلِ الأرض[2].

وقال عبد الله بن داود الخُرَيبي: يجبُ على أهلِ الإسلامِ أن يدعوا الله لأبي حنيفةَ في صلاتِهم، وذَكرَ حفظَهُ عليهم السُّنَنَ والفقه[2].

وقال مكي بن إبراهيم ـ وذكر أبا حنيفة ـ: كانَ أعلمَ أهلِ زَمانِهِ[3].

وقال النَّضرُ بن شُمَيل: كانَ النَّاسُ نِيامًا عن الفقه حتى أيقظهم أبو حنيفة، بما فتقَهُ وبيَّنَهُ، ولخَّصهُ[3].

وقال يحيى القطان: لانكذبُ اللهَ، ماسمعنا أحسنَ من رأيِ أبي حنيفةَ، وقد أخذنا بأكثرِ أقواله[3].

وقال جعفر بن ربيع: أقمتُ على أبي حنيفة خمسَ سنين فما رأيتُ أطولَ صَمتًا منه، فإذا سُئِل عن شيءٍ من الفقهِ تفتَّحَ، وسالَ كالوادي. وسمعتَ له دويًا، وجهارةً بالكلام[4].

وقال يحيى القطَّان: جالسنا ـ واللهِ ـ أبا حنيفة، وسمعنا منه، وكنتُ ـ واللهِ ـ إذا نظرتُ إليه عرفتُ في وجهه أنَّه يتَّقي اللهَ عزَّ وجلَّ[5].

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٤٣.
(٢) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٤٤.
(٣) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٤٥.
(٤) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٤٧.
(٥) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٥٢.

وقال الحسن بن محمد اللَّيثيُّ: قدِمْتُ الكوفةَ، فسألتُ عن أَعْبَدِ أهلِها، فدُفِعْتُ إلى أبي حنفية. ثم قَدِمْتُها وأنا شيخٌ، فسألتُ عن أَفْقَهِ أهلِها، فدُفِعْتُ إلى أبي حنيفة[1].

وقال سُفيان بنُ عُيَيْنَةَ: ماقَدِمَ مكَّةَ رجلٌ في وقتنا أكثرَ صلاةً من أبي حنيفة[1].

وقال أبو مطيع: كنتُ بمكَّةَ فمادخلتُ الطَّوافَ في ساعةٍ من ساعاتِ اللَّيلِ إلاَّ رأيتُ أبا حنيفة، وسُفيانَ في الطَّوافِ[1].

وقال يحيى بن أَيوب الزَّاهد: كان أَبو حنيفةَ لايَنامُ اللَّيلَ[1].

وقال أبو عاصم النَّبيل: كان أَبو حنيفةَ يُسمَّى الوَتِدَ، لكثرةِ صلاته[2].

وقال حفصُ بنُ عبد الرحمن: كان أبو حنيفة يُحيي اللَّيلَ بقراءةِ القرآنِ في ركعةٍ ثلاثين سنة[2].

وقال أَسدُ بنُ عمرو: صلَّى أبو حنيفة فيما حُفِظَ عليه صلاةَ الفجرِ بوضوءِ صلاةِ العِشاء أربعين سنة، وكان عامَّةَ اللَّيلِ يَقرأُ جميعَ القُرآن في ركعةٍ واحدةٍ. وكان يُسَمعُ بكاؤه باللَّيلِ حتَّى يَرحمَهُ جيرانُهُ. وحُفِظَ عليه أنَّه ختمَ القُرآنَ في الموضع الذي توفِّي فيه سبعة آلاف مرة[2].

وقال حماد بن أبي حنيفة: لمَّا ماتَ أبي سألنا الحسنَ بن عمارة أن يتولَّى غسلَه، ففعلَ، فلمَّا غسَّله، قال: رحمَكَ اللهُ، وغفرَ لك، لم تُفطِرْ منذ ثلاثين سنة، ولم تَتَوسَّدْ يمينَكَ بالليل مُنذ أربعين سنة، وقد اتعبتَ من بعدَكَ، وفَضَحْتَ القُرَّاء[2].

وقال المنصور بن هاشم: كُنَّا مع عبدِ الله بن المُبارك بالقَادسيَّةِ إذْ جاءَهُ

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٥٣.
(٢) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٥٤.

رجلٌ من أهلِ الكوفة، فوقعَ في أبي حنيفةَ. فقال له عبدُ الله: ويحك، أَتَقَعُ في رجلٍ صلَّى خمسًا وأربعين سنة خمسَ صلواتٍ على وضوءٍ[1] واحد؟ وكان يجمَعُ القُرآنَ في ركعتين في ليلةٍ[2].

وقال أبو يوسف: بينا أنا أمشي مع أبي حنيفةَ إذْ سَمِعَ رجلاً يقولُ لرجلٍ: هذا أبو حنيفة لايَنامُ اللَّيلَ. فقال أبو حنيفة: واللهِ، لا يتحدَّثُ عنِّي بما لاأَفْعَلُ. فكان يُحيي اللَّيلَ صلاةً، ودعاءً، وتضرُّعًا[2].

وقال في روايةٍ: أراني عند الناس خلاف ماأنا عند الله، لاتوسَّدْتُ فراشًا حتى أَلقى الله[2].

وقال مسعر بن كدام: أتيتُ أبا حنيفةَ في مسجده، فرأيتُهُ يُصلِّي الغداة ثم يَجلسُ للنَّاسِ في العلم إلى أن يُصلِّي الظُّهرَ، ثم يجلسُ إلى العصرِ فإذا صلَّى العصرَ جلسَ إلى المَغربِ، فإذا صلَّى المغربَ جلسَ إلى أَنْ يُصلِّي العِشاء. فقلتُ في نفسي: هذا الرَّجلُ في هذا الشُّغل متَّى يتفرَّغُ للعبادة؟ لأتَعَاهدَنَّهُ الليلةَ، فلمَّا هدأَ الناسُ خرجَ إلى المسجد، فانتصب للصلاةِ إلى أن طلعَ الفَجرُ، ودخل منزله، فلبسَ ثيابَه، وخرجَ إلى المسجدِ، وصلَّى الغَداة، وجلسَ للنَّاسِ إلى الظُّهرِ، ثم إلى العصرِ، ثم إلى المغربِ، ثم إلى العِشاء. فقلتُ في نفسي: إنَّ الرجلَ قد تنشَّطَ الليلةَ، لأتعاهدَنَّهُ الليلة، فتعاهدْتُهُ، فلمَّا هَدَأَ الناسُ خرجَ فانتصبَ للصلاة، وفعلَ كفعلِهِ في ليلته الأولى[3]، فلما أصبح خرجَ إلى الصلاةِ، وفعل كفعله في يومه، حتى إذا صلَّى العِشاء، قلتُ في نفسي: إنَّ الرجلَ لينشَطُ الليلةَ والليلةَ، لأتعاهدنَّهُ الليلة. ففعل كفعلتِهِ في ليلته. فلمّا أصبحَ جلسَ كذلك. فقلتُ في نفسي: لألْزَمَنَّهُ إلى أنْ يموتَ أو أموتَ. فلازمتُهُ في مسجده. قال ابن أبي مُعاذ: فبلغني أنَّ مِسْعَرًا ماتَ في مسجدِ أبي حنيفةَ في سجوده[4].

---

(١) في (ب): بوضوء.

(٢) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٥٥.

(٣) في (ب): وفعل كفعلته الأولى.

(٤) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٥٦.

وقال أبو الجُوَيْرِية: سمعتُ حمادَ بن أبي سُليمان، ومُحاربَ بنَ دِثار، وعَون بن عبدالله، وصحبتُ أبا حنيفة فما كان في القوم رجلٌ أحسنَ ليلاً من أبي حنيفة. لقد صحبتُهُ أشهرًا فما منها ليلةٌ وضعَ فيها جَنْبَهُ.

وقال زائدةُ: صلَّيْتُ مع أبي حنيفةَ في مَسجدِه عشاءَ الآخرة، وخرجَ الناسُ، ولم يعلمْ أنّي في المسجد، وأردْتُ أن أسألَهُ عن مسألةٍ من حيثُ لايراني أحدٌ، فقامَ، فقرأ وقد افتتَحَ الصلاةَ حتى بلغَ إلى هذه الآية﴿فمَنَّ اللهُ علينا ووقانا عذابَ السَّمُوم﴾[الطور: ٢٧]، فأقمتُ في المسجدِ أنتظرُ فراغَهُ، فلم يزلْ يردِّدُها حتى أذَّنَ المؤذِّنُ لصلاةِ الفجر[١].

وقال يزيدُ بنُ الكميت ـ وكان من خيار الناس ـ: كانَ أبو حنيفةَ شديدَ الخوفِ من الله. فقرأ بنا عليُّ بن الحسين المؤذِّنُ ليلةً في عشاءِ الآخرة ﴿إذا زُلزلت﴾ وأبو حنيفة خلفَهُ، فلمّا قَضى الصلاةَ، وخرجَ الناسُ، نظرتُ إلى أبي حنيفةَ، وهو جالسٌ يتفكَّر، ويتنفَّسُ، فقلتُ: أقومُ لايشتغلُ قلبُه بي، فلما خرجتُ تركتُ القنديلَ، ولم يكنْ فيه إلاّ زيتٌ قليلٌ. فجئتُ وقد طلعَ الفجر، وهو قائمٌ قد أخذَ بلحيتِه، وهو يقول: يامن يجزي بمثقالِ ذرَّةٍ خيرٍ خيرًا، ويامَنْ يَجزي بمثقالِ ذرَّةٍ شرٍّ شرًّا، أجِرْ عبدَكَ النُّعمانَ من النار، ومايُقَرِّبُ إليها من السُّوء، وأدْخلْهُ في سعةِ رحمتِك. قال: فأذَّنْتُ، فإذا القِنْدِيل يُزهرُ، وهو قائمٌ، فلمّا دخلتُ قال لي: تُريدُ أنْ تأخذَ القنديل؟ قلتُ: قد أذَّنْتُ لصلاةِ الغداة. قال: اكتمْ عليَّ مارأيتَ. وركعَ ركعتي الفجر، وجلسَ حتى أقمتُ الصلاةَ، وصلَّى معنا الغداةَ على وضوءِ أوَّلِ الليل[٢].

وقال القاسمُ بن مَعن: إنَّ أبا حنيفةَ قامَ ليلةً بهذه الآية: ﴿بلِ الساعةُ مَوْعِدُهمْ والساعةُ أدْهَى وأمَرُّ﴾[القمر: ٤٦]، يردِّدُها، ويبكي، ويتضرَّع[١].

وقال عليُّ بنُ حفصِ البزَّار: كانَ حفصُ بنُ عبدِ الرحمن شريكَ أبي

---

(١) تاريخ بغداد ٣٥٧/١٣.

حنيفة، وكان أبو حَنيفة يجهزُ عليه، فبعثَ إليه في رِفقةٍ بمتاعٍ، وأعلمَهُ أنَّ في ثوبٍ كذا وكذا عَيْبًا، فإذا بعتَهُ فبيِّنْ. فباعَ حفصٌ المَتاعَ، ولم يبيِّنْ، ولم يَعْلَمْ ممَّنْ باعَهُ. فلمّا علمَ أبو حنيفة، تصدَّقَ بثمنِ المتاعِ كلِّه[1].

وقال وكيع: كانَ أبو حنيفةَ قد جعلَ على نفسِهِ أنْ لايحلِفَ باللهِ في عرضِ كلامِهِ إلاَّ تصدَّقَ بدرهمٍ. فحلفَ، فتصدَّقَ به. ثم جعلَ على نفسه إنْ حلفَ أنْ يتصدَّقَ بدينارٍ. فكانَ إذا حلفَ صادقًا في عرضِ الكلام تصدَّقَ بدينارٍ، وكان إذا أنْفَقَ على عِيالِه نفقةً تصدَّقَ بمثلِها. وكان إذا اكتسى ثوبًا جديدًا كسَى بقدْرِ ثمنِه الشيوخَ العلماء، وكان إذا وُضِعَ بين يديه الطَّعامُ أخذَ منه بقدْرِ ضعفِ ماكانَ يأكلُ، فيضعُهُ على الخبز، ثم يُعطيه لإنسانٍ فقيرٍ، فإذا كان في الدَّارِ من عِيالِه إنسانٌ يحتاجُ إليه، دفعَهُ إليه، وإلاَّ أعطاهُ مِسكِينًا[1].

وقال أبو عبد الرحمن المسعودي: مارأيتُ أحسنَ أمانةً من أبي حنيفة، ماتَ يومَ ماتَ وعنده ودائعُ بخمسين ألفًا، ماضاعَ منها ولادِرْهمٌ واحد[2].

وقال يوسف السَّمْتيُّ: إنَّ المنصورَ أجازَ أبا حنيفةَ بثلاثين ألف درهم في دفعاتٍ. فقال: ياأميرَ المؤمنين، إنِّي ببغداد غريبٌ، وليس عندي موضعٌ، فاجعلْها في بيتِ المال. فأجابَهُ المنصورُ إلى ذلك، فلمَّا ماتَ أبو حنيفةَ أُخرِجَتْ ودائعُ الناس من بيته، فقال المنصور: خَدَعنا أبو حنيفة[2].

وقال خارجةُ بنُ مُصعب: أجازَ المنصورُ أبا حنيفةَ بعشرةِ آلافِ درهم، فدُعيَ ليقبِضَها، فشاورني وقال: هذا رجلٌ إنْ رددْتُها عليه غضِبَ، وإنْ قبلتُها دخَلَ عليَّ في ديني ماأكرهه. فقلتُ: إنَّ هذه المالَ عظيمٌ في عينه، فإذا دُعيتَ لتقبضَها، فقل: لم يكنْ هذا أمَلي من أمير المؤمنين. فدُعي ليقبضَها فقالَ له ذلك، فرُفِعَ إليهِ خبرُهُ، فحبسَ الجائزة. قال: فكانَ أبو حنيفة لايكادُ يُشاورُ في أمره غيري[3].

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/٣٥٨.
(٢) تاريخ بغداد ١٣/٣٥٩.
(٣) تاريخ بغداد ١٣/٣٥٩، ٣٦٠.

وقال قيس بنُ الرَّبيع: كانَ أبو حنيفة يَبعثُ بالبضائعِ إلى بغداد، فيشتري بها الأمتعة، ويحمِلُها إلى الكوفة، ويَجْمعُ الأرباحَ عندَه من سنةٍ إلى سنةٍ، فيشتري بها حوائجَ الأشياخِ المحدِّثين وأقواتهم، وكسوتَهم، ثم يدفعُ باقي الدَّنانير من الأرباح إليهم، فيقول: أنفِقوا في حوائجكم، ولاتحمَدوا إلاَّ الله، فإنِّي ماأعطيتُكم من مالي شيئًا، ولكنْ من فضلِ اللهِ عليَّ فيكم، وهذه أرباحُ بضائعِكم، فإنَّه ـ واللهِ ـ ممَّا يُجريهِ اللهُ لكم على يدي، فما في رزقِ اللهِ حولٌ لغيرِه[1].

وقال حفصُ بن حمزة: كان أبو حنيفةَ ربَّما مرَّ به الرجلُ فيجلسُ إليه لغيرِ قصدٍ ولا مُجالسةٍ، فإذا قامَ سألَ عنه، فإنْ كانتْ به فاقةٌ وصَلَهُ، وإنْ مَرِضَ عادَه. وكان أكرمَ[2] الناسِ مُجالسةً[3].

وقال أبو يوسف: كانَ أبو حنيفة لايَكادُ يُسألُ حاجةً إلاَّ قَضاها. فجاءَهُ رجلٌ فقالَ له: إنَّ لفلانٍ عليَّ خمسَ مئةِ درهم، وأنا مضيق، فسلْهُ يصبِرِ عليَّ، ويؤخِّرني بها. فكلَّمَ أبو حنيفةَ صاحبَ المال، فقالَ صاحبُ المال: هي له، قد أبْرَأتُهُ منها. فقال الذي عليه الحقُّ: لاحاجةَ لي فيها. فقال أبو حنيفة: ليسَ الحاجةُ لك، وإنَّما الحاجةُ لي قُضيتْ[4].

وقال جعفرُ بن عون: أتتِ امرأةٌ أبا حنيفة، تطلبُ منه ثوبَ خزٍّ، فأخرجَ لها ثوبًا، فقالتْ له: إنِّي امرأةٌ ضعيفةٌ، وإنَّها أمانةٌ، فبعْني هذا الثوبَ بما يقومُ عليك. فقال: خُذيه بأربعةِ دراهم. ☆فقالت: لاتَسْخَرْ بي، وأنا عجوزٌ كبيرةٌ. فقال: إنِّي اشتريتُ ثوبين، فبعتُ أحدَهما برأسِ المال إلاَّ أربعةَ دراهم☆[5] فبقي هذا الثوبُ يقومُ عليَّ بأربعةِ دراهم[4].

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٦٠.

(٢) في (أ): «أكثر».

(٣) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٦٠، ٣٦١.

(٤) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٦١.

(٥) (☆-☆) مابينهما ليس في (أ).

وقال أبو سعيد الكِنْدِي: كان أبو حنيفةَ يبيعُ الخَزَّ، فجاءَه رجلٌ، فقال: ياأباحنيفة، قد احتجتُ إلى ثوبِ خزٍّ. فقال: مالَوْنُه؟ قال: كذا وكذا. فقال له: اصبِرْ حتى يقعَ وآخذهُ لك إنْ شاءَ الله. قال: فما دارتِ الجمعةُ حتى وقعَ، فمرَّ به الرجل، فقال أبو حنيفة: قد وقعَتْ حاجتُكَ. فأخرجَ إليه الثوبَ، فأعجبَهُ، فقال: كم أزِنُ؟ قال: درهمًا. قال: ياأبا حنيفة، ماكنتُ أظنُّكَ تهزَأُ. قال: ماهزأتُ، إنّي اشتريتُ ثوبين بعشرين دينارًا ودِرهم، وإنّي بعتُ أحدَهما بعشرينَ دينارًا، وبقي هذا بدرهم، وماكنتُ لأَرْبَحَ على صديق[1].

وقال ابنُ المبارك: قلتُ لسفيانَ الثوريِّ: ياأبا عبدِ الله، ماأبعدَ أبا حنيفةَ من الغِيبة، ماسمعتُهُ يغتابُ عدوًّا له قطُّ. قال: هو واللهِ أعقلُ من أَنْ يُسلِّطَ على حسناتِهِ مايَذهبُ بها[2].

وقال خارجةُ بنُ مُصعب: لَقِيتُ ألفًا من العلماء فوجدتُ العاقلَ فيهم ثلاثةً أو أربعةً، فذَكرَ أبا حنيفة فيهم[3].

وقال يزيدُ بنُ هارون: أدركتُ الناسَ، فما رأيتُ أحدًا أعقلَ ولاأفضلَ ولاأورَعَ من أبي حنيفة[3].

وقال أبو يوسف: دعا المنصورُ أبا حنيفة، فقال الربيعُ ـ وكان يُعادِي أبا حنيفة ـ: ياأميرَ المؤمنين، هذا يُخالِفُ جدَّكَ، كانَ عبدُ اللهِ بنُ عباس يقول: إذا حلفَ على اليمين ثم استثنى بعدَ ذلك بيومٍ أو يومين جازَ الاستثناءُ. وقال أبو حنيفة: لايجوزُ الاستثناءُ إلاَّ متَّصِلاً باليمين. فقال أبو حنيفة: ياأمير المؤمنين، إنَّ الرَّبيعَ يَزْعُمُ أنَّه ليس لكَ في رِقابِ جُندِكَ بيعةٌ. قال: وكيف؟ قال: يحلِفونَ لكم، ثم يرجِعون إلى منازِلهم فيستثنون،

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٦٢.
(٢) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٦٣.
(٣) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٦٤.

فتبطُلُ أيمانُهم. فضحِكَ المنصورُ وقال: ياربيعُ، لاتعرَّضْ لأبي حنيفة. فلمَّا خرجَ قال له الربيع: أردتَ أنْ تَشيطَ دمي[1]؟ قال: لا، ولكنَّكَ أردتَ أنْ تَشيطَ بدمي فخلَّصْتُك، وخلَّصْتُ نفسي.

وقال عبد الواحد بن غياث: كان أبو العباس الطُّوسي سيِّئَ الرَّأيِ في أبي حنيفة، وكان أبو حنيفةَ يَعرِفُ ذلك، فدخلَ أبو حنيفةَ على أبي جعفر أميرِ المؤمنين، وكثُرَ الناسُ. فقال الطُّوسيّ: اليومَ أقتلُ أبا حنيفة. فأقبلَ عليه، فقال: ياأبا حنيفة، إنَّ أميرَ المؤمنين يَدعو الرجلَ منَّا، فيأمرُه بضَرْبِ عُنقِ الرَّجل، لايدري ماهو، أيسَعُهُ أن يضرِبَ عُنقَه؟ فقال: ياأبا العباس، أمير المؤمنين يأمُرُ بالحقِّ أو بالباطل؟ قال: بالحقِّ. قال: أنفِذِ الحقَّ حيثُ كان، ولاتسألْ عنه. ثم قال أبو حنيفة(٣لما قَرُبَ منه٣)[2]: إنَّ هذا أرادَ أنْ يُوثقَني فربطتُه[3].

وقال محمد بنُ فُضيل الزاهد: سمعتُ أبا مُطيع يقول: ماتَ رجلٌ وأوصى إلى أبي حنيفةَ وهو غائب، فقدِمَ أبو حنيفةَ فارتفعَ إلى ابنِ شُبْرُمَة، وادَّعى الوصيَّةَ، وأقامَ البيِّنَةَ أنَّ فلانًا ماتَ وأوصى إليه، فقال له ابنُ شُبْرُمة: ياأبا حنيفة، احلفْ أنَّ شهودَكَ شهِدوا بحقّ. قال: ليس عليَّ يمينٌ، كنتُ غائبًا. قال: ضلَّتْ مقاليدُكَ ياأبا حنيفة. قال: ضلَّتْ مقاليدي؟! ماتقولُ في أعمًى شُجَّ، فشهِدَ له شاهدانِ أنَّ فلانًا شجَّه، أعلى الأعمى يمينٌ أنَّ شهوده شهدوا بالحقِّ ولايرى[4]؟

وقال النضر بن محمد: دخلَ قَتادةُ الكوفةَ، ونزلَ في دارِ أبي بُرْدة، فخرجَ يومًا، وقد اجتمعَ إليه خَلْقٌ كثيرٌ، فقال قتادة: واللهِ الذي لاإلهَ إلاَّ هو

---

(١) أشاطَ دمَهُ وبدَمِهِ: أذهبَهُ، أو عمِلَ في هلاكِه، أو عرَّضَه للقتلِ. القاموس.

(٢) (٣ـ٣) مابينهما ليس في (ب)، وفي تاريخ بغداد: لمن قرب.

(٣) تاريخ بغداد ١٣/٣٦٦.

(٤) تاريخ بغداد ١٣/٣٤٨.

مايَسألُني اليومَ أحدٌ عن الحلالِ والحرامِ إلاَّ أجبتُه. فقام إليه أبو حنيفة، فقال: ياأبا الخطَّاب، ماتقولُ في رجلٍ غابَ عن أهلِهِ أعوامًا، فظنَّتِ امرأتُه أنَّ زوجَها مات، فتزوَّجتْ. ثم رجعَ زوجُها الأول؛ ماتقولُ في صدَاقِها؟ وقال لأصحابِه الذين اجتمعوا إليه: لئنْ حدَّثَ بحديثٍ ليَكذِبَنَّ، ولئنْ قالَ برأيِ نفسِهِ ليُخطِئنَّ. فقال قتادة: ويحَك، أوقعَتْ هذه المسألةُ؟ قال: لا، قال: فلِمَ تسألُني عمَّا لم يقَعْ؟ قال أبو حنيفة: إنَّا نستعدُّ للبلاء قبلَ نُزولِه، فإذا وقعَ عرفْنا الدُّخولَ فيه، والخروجَ منه. قال قتادة: واللهِ لاأحدِّثُكم بشيءٍ من الحلالِ والحرام، سَلوني عن التفسير. فقام إليه أبو حنيفةَ، فقال له: ياأبا الخطَّاب، ماتقولُ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿قال الذي عنده علمٌ من الكتاب أنا آتيكَ به قبلَ أنْ يَرْتَدَّ إليكَ طَرْفُك﴾[النمل: ٤٠]؟ قال: نعم، هذا آصَفُ بنُ بَرخيا كاتبُ سُليمانَ بنِ داودَ عليهما السلام، وكان يعرِفُ الاسمَ الأعظم[١]. فقال أبو حنيفة: وهل كان يَعْرِفُ الاسم سليمان؟ قال: لا. قال: فيجوزُ أنْ يكونَ في زمانِ نبيٍّ مَنْ هو أعلمُ من النبيِّ؟ فقال قتادة: واللهِ لاحدَّثْتُكمْ بشيءٍ من التفسير. سلوني عمَّا اختلفَ فيه العلماء. فقامَ إليه أبو حنيفة فقال له: ياأبا الخطَّاب، أمؤمنٌ أنت؟ قال: أرجو. قال: ولمَ؟ قال: لقولِ إبراهيمَ عليه السلام: ﴿والذي أطمَعُ أنْ يَغْفِرَ لي خَطِيئتي يومَ الدِّين﴾[الشعراء: ٨٢] فقال أبو حنيفة: فهلاَّ قلتَ كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿قال أوَلَمْ تُؤمِنْ قالَ بَلَى﴾[البقرة: ٢٦٠]. فقامَ قتادةُ مُغضَبًا، ودخلَ الدَّارَ، وحلَفَ أنْ لايُحدِّثَهم[٢].

وقال الفضلُ بنُ غانم: كان أبو يوسف مَرِيضًا شديدَ المرض، فعادَهُ أبو حنيفةَ مرارًا، فصار إليه آخرَ مرَّة: فرآهُ ثقيلاً، فاسترجَعَ، ثم قال: لقد كنتُ أؤمِلُكَ بعدي للمُسلمين، ولئن أُصيبَ الناسُ بك ليموتَنَّ معك علمٌ كثير.

---

(١) في (ب): «اسم اللهِ الأعظم».
(٢) تاريخ بغداد ١٣/٣٤٨، ٣٤٩.

ثم رُزِقَ العافيةَ، وخرجَ من العِلَّةِ، فأُخبِرَ أبو يوسف بقولِ أبي حنيفة، فارتفعتْ نفسُه، وانصرفَتْ وجوهُ الناسِ إليه، فعقدَ لنفسِه مجلسًا في الفِقه وقصرَهم[1] عن لزومِ مجلسِ أبي حنيفة. فسألَ عنه، فأُخبِرَ أنَّه قد عقدَ لنفسِه مجلسًا، وأنَّهُ بلغَهُ كلامُك فيه. فدعا رجلاً كان له عنده قَدْرٌ فقال: صِرْ إلى مجلسِ يعقوبَ، فقلْ له: ماتقولُ في رجلٍ دفعَ إلى قصَّارٍ ثوبًا ليقصرَهُ بدرهمٍ، فصارَ إليه بعدَ أيامٍ في طلبِ الثَّوبِ فقال له القصَّار: مالكَ عندي شيءٌ. وأنكرَهُ، ثم إنَّ ربَّ الثَّوبِ رجعَ إليه، فدفعَ إليه ثوبًا مَقْصورًا، أَلَهُ الأُجرة؟ فإنْ قال: له أُجرة فقلْ: أخطأْتَ؛ وإنْ قالَ: لاأُجرةَ له، فقلْ أخطأْتَ، فصارَ إليه فسألَه، فقال أبو يوسف: له أُجرة. فقال: أخطأْتَ. فنظرَ ساعةً ثم قال: لاأُجرةَ له. فقال: أخطأْتَ. فقام أبو يوسف من ساعتِهِ، وأتى أبا حَنيفة. فقال: ماجاءَ بكَ إلاَّ مسألَةُ القصَّار. قال: أجَلْ. قال: سبحانَ الله، من قَعَدَ يُفتي الناسَ، وعقَدَ مجلسًا يتكلَّمُ في دينِ الله، وهذا قدرُهُ، لايُحسنُ أنْ يُجيبَ في مسألةٍ من الإجارات. فقال: ياأبا حنيفة، علِّمْني. فقال: إنْ كان قَصَرَهُ بعدَما غَصَبَهُ فلا أُجرةَ له؛ لأنَّه قصرَهُ لنفسه، وإنْ كان قصَرَهُ قبلَ أنْ يغصَبَهُ فله الأُجرة، لأنَّهُ قصرَهُ لصاحبِه. ثم قال: من ظَنَّ أنَّه يستغني عن التعلُّمِ فلْيَبْكِ على نفسِه.

وقال الحسنُ بنُ زياد اللؤلُئِيّ: كانتْ هاهنا امرأةٌ مجنونةٌ يُقالُ لها أُمُّ عِمْران، وكانتْ جالسةً في الكُناسةِ، فمرَّ بها رجلٌ، وكلَّمَها بشيءٍ. فقالت له: ياابنَ الزانيَيْنِ. وابنُ أبي ليلى حاضرٌ يَسمعُ ذلك. فقال للرَّجلِ: أدْخِلْها عليَّ المسجدَ. فأقامَ عليها حدَّيْنِ حدًّا لأبيه وحدًّا لأمِّه. فبلغَ ذلك أبا حنيفة، فقال: أخطأَ فيها في ستَّةِ مواضع: أقامَ الحدَّ في المسجد، ولاتُقامُ الحدود في المسجد. وضرَبَها قائمةً، والنساءُ يُضرَبْنَ قُعودًا، وضرَبَ لأبيه حدًّا ولأمِّهِ حدًّا، ولو أنَّ رجلاً قذَفَ جماعةً كان عليه حدٌّ واحد؛ وجمعَ

---

(١) في تاريخ بغداد: «وقصر».

بين حدَّيْن، ولايُجمَعُ بين حدَّيْن حتى يخفَّ أحدُهما. والمجنونةُ ليس عليها حدٌّ. وحدَّ لأبويه وهما غائبانِ لم يحضُرا فيُدعَيان. فبلغَ ذلك ابنَ أبي ليلى، فدخلَ على الأمير، فشكا إليه، فحجرَ على أبي حنيفة، وقال: لاتُفْتِ. فلم يُفْتِ أيّامًا حتى قدِمَ رسولٌ من وليِّ العهد، فأمرَ أن يعرضَ على أبي حنيفة مسائلَ حتى يُفتِيَ فيها، فأبى وقال: أنا مَحْجُورٌ عليَّ. فذهبَ الرسولُ إلى الأميرِ، فقال: قد أذِنْتُ له، فقعدَ وأفتى[1].

قلتُ: مَناقبُ أبي حنيفةَ كثيرةٌ، وفضلُهُ لايُنكرهُ إلاَّ مُعانِدٌ أو حاسدٌ. وقدِ اقتصرْنا منها على هذا القدر.

وماتَ ببغدادَ سنةَ خمسينَ ومئة، ودُفِنَ في مقابِرِ الخَيْزُران، وقبرُهُ مشهورٌ هناك.

رحمة اللهِ عليه ورضوانه[2].

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/٣٥١.

(٢) جاء في هامش (ب) بخطٍّ مُغايرٍ مانصُّه: خبرٌ: وفي «مجموع النّوازل» أنَّ أبا حنيفةَ رضي الله عنه لمَّا حجَّ الحِجَّةَ الآخرة، قال في نفسِه: لاأقدِرُ على أنْ أحُجَّ مرَّةً أُخرى. فسألَ سَدَنَةَ البيت ـ أي خزنته ـ أن يفتحوا له بابَ الكعبة، ويأذنوا له بالدُّخولِ ليلاً ليقرأَ فيه. فقالوا: إنَّ هذا أمرٌ لم يكن لأحدٍ، ولكنْ نفعلُ حُرمةً لسبقِكَ وتقدُّمِكَ في العلم، واقتداءِ الناسِ بك. ففتحوا له، فدخلَ، فقامَ بين العمودَيْنِ على رجلِهِ اليُمنى، ووضعَ قدمَهُ اليُسرى على ظهرِ رجلِهِ اليُمنى حتى قرَأَ من القرآنِ النِّصْفَ، وركعَ وسجدَ، ثم قامَ على رِجلِهِ اليُسرى، ووضعَ قدمَهُ اليمنى على ظهرِ رجلِهِ اليُسرى حتى قرأَ القرآنَ. فلما سلَّمَ بكى، وناجَى ربَّهُ وقال: إلٰهي، ماعبدَكَ هذا العبدُ الضعيفُ حقَّ عبادتِك، لكنْ عرفتُكَ حقَّ معرفتِكَ، فهبْ نقصانَ خدمتِهِ بكمالِ معرفتِه. فهتَفَ به هاتفٌ من جانب البيت: ياأبا حنيفة، أخلصتَ المعرفةَ، وخدمْتَ فأحسنْتَ الخِدمة، فقد غفرْنا لك ولمن تبعَكَ، ولمن كان على مذهبِكَ إلى يوم القيامة.

وفي «مجمع الأخبار»: ومن لطائفِ الإمام الأعظمِ أبي حنيفةَ رضي الله عنه، أنَّهُ حضرَ عند الإمامِ مالكٍ بطَيِّبَةَ من قَبْلِ أنْ يعرفَهُ، فأرْمَى مالكٌ سؤالاً عَجَزَ عنه الحاضرون، فأجابَهُ أبو حنيفة. ثم ثانيًا، وثالثًا. فقال مالكٌ رحمه الله: من أينَ الرجلُ؟ قال: من العراق. قال: من بلادِ الكُفرِ والنِّفاق. فقال أبو حنيفة: أتأذَنُ =

(٤٩١) نُمَيْرُ المجنون(*)

قال محمد بن عبد اللهِ بن نُمير: كان لي ابنُ أُختٍ سمَّتْهُ أُختي باسمِ أبي نُمير، وكان من نُسَّاكِ أهلِ الكوفة، قد سمعَ سماعًا حسنًا. وكان حسنَ الطُّهور، حسنَ الصلاةِ، يُراعي الشمسَ للزَّوالِ، فعرضَ له، فذهَبَ عقلُه، فكان لايُؤويهِ سقفُ بيتٍ، إذا كان النهارُ فهو في الجَبَّانَة، وإذا كان الليلُ ففي السَّطْحِ قائمًا على رجليهِ في البَرْدِ والمطرِ والرِّيح، فنزَلَ يومًا بُكرَةً يُريدُ المقابِرَ، فقلتُ: يانُمير، تنامُ؟ قال: لا. قلتُ: ماالعلَّةُ التي تمنعُكَ من النَّوم؟ قال: هذا البَلاءُ الذي تراهُ. فقلت: يانمير، أمَا تخافُ اللهَ عزَّ وجلَّ [تقولُ البلاء]؟ قال: بلى. وقال: أليسَ يُقال: «أشدُّ الناسِ بلاءً الأنبياءُ ثم الأمثلُ فالأمثلُ»[1]. فقلت له: أنتَ أعلمُ منِّي؟ قالَ: كلَّا، ومضى[2].

قال: وصعِدْتُ إليه مرَّةً في ليلةٍ باردةٍ، وهو قائمٌ في السَّطْح، وأُمُّهُ قائمةٌ تبكي، فقلتُ: يانمير، بقِي منك شيءٌ لم تُنكِرْهُ؟ قال: نعم. قلتُ ماهو؟ قال: حبُّ اللهِ عزَّ وجلَّ، وحبُّ رسولِهِ ﷺ.

= لي أنْ أقرأ شيئًا من القرآن؟ قال: نعم. فقرأ: وممَّنْ حولَكم من الأعراب منافقون ومن أهلِ العراق. فقال الإمام مالكٌ: ﴿ومن أهلِ المدينة﴾ [التوبة: ١٠١]. فقال: كيفَ تقولُ عن أهلِ العراقِ؟ ثم قام من مجلِسِه، فسألَ عنه، فقيلَ هذا أبو حنيفة. فلَحِقَهُ، وأكرَمَه رضي الله عنهما.

(*) ترجمته في: عقلاء المجانين ٩٩، صفة الصفوة ٣/ ١٨٦.

(١) حديثٌ صحيح رواه أحمد ١/ ١٨٥ والحاكم ١/ ٤١، وابن ماجه في الفتن(٤٠٢٣)، والترمذي في الزهد (٢٣٩٨)؛ والدارمي في الرقاق ٢/ ٣٢٠، والبزار (١١٥٤)؛ وأبو يعلى (٨٣٠)؛ وابن حبان (٢٩٠١) عن سعد بن أبي وقَّاص بلفظ: قلتُ: يارسولَ الله، أيُّ الناسِ أشدُّ بلاءً؟ قال: «الأنبياءُ ثم الأمثلُ فالأمثل...

(٢) عقلاء المجانين ١٠٠ ومابين معقوفين مستدركٌ منه، وصفة الصفوة ٣/ ١٨٦.

قال: وصعِدْتُ إليه ليلةً في رمضان، فقلتُ له: يانمير، لم أفطر. قال: ولِمَ؟ قلتُ: أحبُّ أنْ تراكَ أُختي تأكلُ معي. قال: أفعلُ. فأُصعِدَ إلينا طعامٌ، فجعلَ يأكلُ معي حتى فرغتُ وفرَغَ، فلمّا أردتُ أن أقومَ رحمتُه من أن يراني مُولّيًا، وهو في الظُّلْمةِ والرِّيحِ، فبكيتُ، فقالَ: مايُبكيكَ رحمك الله؟ فقلتُ له: أنزلُ إلى الكِنِّ والضَّوءِ وأدعُكَ في الظُّلمةِ والبَرْدِ؟ فغضبَ وقال: إنَّ لي ربًّا هو أرحمُ بي منك، وأعلمُ بما يُصلِحُني، فدعْهُ يُصرِّفْني كيف شاء، فإنّي لاأتَّهِمُهُ في قضائه. فقلتُ له: لئن كنتَ في ظُلمةِ الليلِ إنَّ جدَّكَ في ظُلمةِ اللَّحْد، أُريد أنْ أعزِّيَهُ، وأُطيِّبُ نفسَه. فقال لي: ماجُعلَ روحُ رجلٍ صالحٍ مثل روحِ رجلٍ متلوِّث. ثم قال لي: أتاني البارحةَ أبي وأبوك عبدُ اللهِ بنُ نُمير، فوقفَ ثم أشارَ إلى موضعٍ كان أبي يُصلِّي فيه، فقال لي: يانُمير، أما إنَّكَ ستأتينا يومَ الجمعةِ شهيدًا. قال: فدعوتُ أُمَّه، فصعِدَتْ إليَّ، فأخبرْتُها بما قال، فقالت: واللهِ ماجرَّبتُ عليه كذبًا، وماهذا ممَّا كانَ يتكلَّمُ به، ولا قالَ إلاَّ حقًّا. وقالَ هذه المقالةَ عشيَّةَ الأربعاء، فجعلنا نتعجَّبُ ونقول: غدًا الخميس، وبعدَ غدٍ الجمعة، فهبْهُ مَرِضَ غدًا، وماتَ بعدَ غدٍ فأينَ الشهادةُ؟ فلمّا كانتْ ليلةُ الجمعةِ في وسطِ الليل سمعنا هدَّةً، فإذا هو قد هاجَ به ماكانَ يَهيجُ، فبادرَ الدَّرجةَ، فزلَّتْ به قدَمُه، فسقطَ منها، فاندقَّتْ عنقُهُ، فحفرتُ له إلى جانبِ أبي ودفنتُه، وانكببتُ على قبرِ أبي، فقلت: ياأبة، قد أتاكَ نُمَير، وجاورَك. فواللهِ ماقلتُ هذه المقالةَ إلاَّ لِمَا كان في قلبي من الغَمِّ. ثم انصرفتُ. فلما كانَ الليل رأيتُ أبي في النَّوم كأنَّهُ قد دخلَ عليَّ من باب البيتِ، فقال لي: يابُنيّ، جزاكَ اللهُ خيرًا، لقد آنستَني بنُمير، اعلَمْ أنَّه منذُ أتيتمونا به إلى أن جئتُك يُزَوَّجُ بالحور.

ترجمةُ الكنى والأبناء

النَّهرجُوري = أبو إسحاق بن محمد

* * *

حرف الواو

لم يرِدْ فيه من الصحابةِ إلا اسمٌ واحدٌ هو:

(٤٩٢) وهبُ بنُ قابوس المُزَني(*)

قال محمد بن سعد(١): أقبلَ وهبُ بنُ قابوس ومعه ابنُ أخيه الحارثُ بنُ عُقْبة بغَنَمٍ لهما من جبلِ مُزَينة، فوجدا المدينةَ خاليةً، فسألا: أينَ الناسُ؟ فقالوا: بأُحُدٍ، خرجَ رسولُ اللهِ ﷺ يُقاتِلُ المُشركين. فقالا: لانسألُ أثرًا بعدَ عين، فأسلما، ثم خرَجَا، فأتيا النبيَّ ﷺ بأُحُدٍ، وإذا الدَّوْلَةُ للمسلمين، فأغارا مع المُسلمين في النَّهْب، وقاتلا أشدَّ القتال، وكانتْ قد انفرقتْ فِرْقةٌ من المشركين، فقال النبيُّ ﷺ: «من لهذهِ الفِرْقة»؟ فقالَ وَهْبٌ: أنا. فرماهمْ بالنَّبْلِ حتى انصرفوا، ثم رجعَ، فانفرَقَتْ أُخرى، فقال النبيُّ ﷺ: «من لهذه»؟ فقال ☆المُزَني: أنا. فقامَ، فذَبَّها بالسَّيفِ حتى وَلَّوا، ورجعَ المُزَني، ثم طلعتْ كتيبةٌ أُخرى. فقال☆(٢): «من يقومُ لهؤلاء»؟ فقال المُزَني: أنا. فقال: «قُمْ، وأبْشِرْ بالجنَّة». فقام المُزَنيُّ مسرورًا يقول: واللهِ لاأَقيلُ ولاأستقيلُ. فجعلَ يدخلُ فيهم، فيضرِبُ بالسَّيفِ حتى يخرجَ من أقصاهم، حتى قَتلوه، ومثَّلوا به، ثم قامَ ابنُ أخيه(٣) الحارثُ فقاتلَ كنحوِ قِتالِه حتى قُتِلَ، فوقفَ عليهما رسولُ اللهِ ﷺ

(*) ترجمته في: المغازي ١/ ٢٧٤، ٢٧٥، ٣٠١، طبقات ابن سعد ٤/ ٢٤٧، الاستيعاب ٤/ ١٥٦٢، صفة الصفوة ١/ ٦٠٧، أسد الغابة ٥/ ٩٧، تجريد أسماء الصحابة ٢/ ١٣١، الإصابة ٦/ ٣٢٧ (٩١٧٢).

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ٢٤٧.

(٢) (☆-☆) مابينهما ليس في (أ).

(٣) في الأصل: «أخته».

وهما مقتولانِ فقال: «رضي الله عنك، فإنّي عنكَ راضٍ» يعني وَهْبًا، ثم قامَ على قدمَيه، وقد ناله مانَاله من الجراح، وإنَّ القيامَ لَيشقُّ عليه، فلم يزلْ قائمًا حتى وُضِعَ المُزَنيُّ في لَحْدِهِ، فكانَ عُمَرُ، وسعدُ بنُ مالك يقولانِ: ماحالٌ نموتُ عليها أحبُّ إلينا من أن نلقى اللهَ على حالِ المُزَني[1] رضي الله عنه.

[التابعون]

(٤٩٣) وَهْبُ بنُ مُنَبِّه(*)

أبو عبد الله اليَمَانيُّ، تابعيٌّ.

لقِيَ: عبدَ اللهِ بنَ عباس، وعبدَ اللهِ بنَ عمر، وجابرًا، وأبا هريرة، وأنسًا، وغيرَهم من الصحابة، وروى عن جماعةٍ منهم.

روى عنه: عَمرو بنُ دينار، والمُغيرةُ بن حكيم، وطَاووس، وموسى بن عقبة، وغيرهم.

---

(١) المغازي ١/ ٢٧٤.

(*) ترجمته في: طبقات ابن سعد ٥/ ٥٤٣، تاريخ خليفة ٣٤٠، طبقات خليفة ٢٨٧، الزهد لأحمد ٣٧١، التاريخ الكبير ٨/ ١٦٤، المعارف ٤٥٩، الجرح والتعديل ٩/ ٢٤، ثقات ابن حبان ٥/ ٤٨٧، حلية الأولياء ٤/ ٢٣، طبقات الشيرازي ٧٤، الأنساب ١/ ١٢٢، صفة الصفوة ٢/ ٢٩١، جامع الأصول ١٥/ ٤٧٩، معجم الأدباء ١٩/ ٢٥٩، تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ١٤٩، وفيات الأعيان ٦/ ٣٥، مختصر تاريخ دمشق ٢٦/ ٣٨٥، تهذيب الكمال ٣١/ ١٤٠، سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٤٤، تذكرة الحفاظ ١/ ١٠٠، تاريخ الإسلام ٥/ ١٤، ميزان الاعتدال ٤/ ٣٥٢، طبقات ابن عبد الهادي ترجمة ٩١، البداية والنهاية ٩/ ٢٧٦، تهذيب التهذيب ١١/ ١٦٦، طبقات الحفاظ ٤١، طبقات الشعراني ١/ ٤٠، الكواكب الدرية ١/ ٤٧٧، شذرات الذهب ١/ ١٥٠.

قال كثيرُ بن عُبيد: إنَّهُ سارَ مع وَهْبٍ حتى باتوا في دارٍ بصَعْدَةَ[١] عند رجلٍ من أهلِها، فأنزلوا مَصابيحَهم، وخرجتْ ابنةُ الرجلِ، فرأتْ عنده مِصْباحًا، فاطَّلعَ عليه صاحبُ المنزل، فنظرَ إليه صافًّا قدميه في ضياءٍ كأنَّهُ بياضُ الشَّمس، فقال الرجلُ: رأيتُكَ الليلةَ في هيئةٍ مارأيتُ فيها أحدًا. قال: وماالذي رأيتَ؟ قال: رأيتُكَ في ضياءٍ أشدَّ من الشمس. قال: اكتُمْ مارأيتَ[٢].

وقال المُثنَّى بنُ الصباح: رأيتُ وَهْبَ بنَ مُنَبِّه أربعين سنةً لم يَسُبَّ شيئًا فيه الرُّوح، ولبثَ عشرين سنةً لم يجعلْ بينَ العِشاء والصُّبح وضوءًا[٣].

وقال مسلم بنُ خالد: لبثَ وَهْبٌ أربعينَ سنةً لايرقُدُ على فراش. ولبِثَ عشرينَ سنةً لم يجعلْ بين العَتَمَةِ والصُّبح وضوءًا[٤].

وقال إدريس: كانَ وَهْبُ بنُ مُنَبِّه يحفظُ كلامَهُ كلَّ يومٍ، فإنْ سَلِمَ أفطرَ وإلاَّ طَوَى[٥].

وقال الجَعْدُ بنُ دِرْهم: ماكلَّمْتُ عالمًا إلاَّ غَضِبَ وحلَّ حبوتَهُ غيرَ وَهْب بنِ مُنَبِّه[٥].

وقال أبو سِنان: سمعتُ وَهْبَ بنَ مُنَبِّه يقول: كنتُ أقولُ بالقَدَرِ حتى قرأتُ بضعًا وسبعين كتابًا من كُتبِ الأنبياء، وفي كلِّها: مَنْ جعلَ شيئًا من المشيئةِ إلى نفسِهِ فقد كفَرَ، فتركتُ قولي[٦].

وقال وَهْبٌ لِعطاءٍ الخُراساني: كانَ العلماءُ قبلَنا قد استغْنَوْا بعلْمِهم عن

---

(١) صعدة: مخلافٌ باليمن، بينه وبين صنعاءَ ستونَ فرسخًا. معجم البلدان.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢٦/ ٣٨٦، ٣٨٧، تهذيب الكمال ٣١/ ١٤٥.

(٣) طبقات ابن سعد ٥/ ٥٤٣.

(٤) تهذيب الكمال ٣١/ ١٤٥.

(٥) مختصر تاريخ دمشق ٢٦/ ٣٨٧، تهذيب الكمال ٣١/ ١٤٦.

(٦) مختصر تاريخ دمشق ٢٦/ ٣٩٢، ٣٩٣، تهذيب الكمال ٣١/ ١٤٧.

دنيا غيرِهم، فكانوا لايلتفتُونَ إلى دُنياهم، وكانَ أهلُ الدُّنيا يبذلونَ دُنياهم في علمِهم، فأصبحَ أهلُ العلمِ مِنَّا اليومَ يَبْذُلونَ لأهلِ الدُّنيا علمَهم رغبةً في دُنياهم، وأصبحَ أهلُ الدُّنيا قد زَهِدوا في علمِهم لِما رَأَوْا من سُوءِ موضعِهِ عندهم[1].

وقال: دَعِ المِراءَ والجَدَلَ من أمرِك؛ فإنَّهُ لن يعجزَ أحدُ رجلين: رجلٌ هو أعلمُ منك، فكيف تُعادي وتُجادِلُ من هو أعلمُ منك؟ ورجلٌ أنتَ أعلمُ منه، فكيفَ تُعادي وتُجادِلُ من أنتَ أعلمُ منه ولايُطيعُك؟ فاطوِ ذلك عنه[2].

وقال: الإيمانُ عُريان، ولباسُهُ التَّقوى وزينتُهُ الحياءُ، ومالُهُ الفقه[3].

وقال: ثلاثٌ من كُنَّ فيه أصابَ البِرَّ: سَخَاوةُ النَّفس، والصَّبرُ على الأذى، وطِيبُ الكلام[3].

وقال أبو عياش[4]: كنتُ جالسًا مع وَهْبٍ، فأتاهُ رجلٌ، فقال: إنِّي مررتُ بفلان، وهو يَشْتُمك. فغضِبَ وقال: أما وجَدَ الشيطانُ رَسولاً غيرَك؟ فما بَرِحْنا من عنده حتى جاءَ ذلك الرجلُ الشاتمُ، فسلَّمَ على وَهْبٍ، فردَّ عليه السلام، وصافحَهُ، وأخذَ بيدِه، وضَحِكَ في وجهه، وأجلَسَهُ إلى جَنبِه[5].

وقال وَهْب: لايكونُ الرَّجلُ فقيهًا كاملَ الفقه حتى يَعدَّ البلاءَ نعمةً، ويعدَّ الرَّخاءَ مُصيبةً، وذلك أنَّ صاحبَ البلاءِ ينتظرُ الرَّخاءَ، وصاحبُ الرَّخاءِ ينتظرُ البلاء[5].

---

(١) تهذيب الكمال ٣١/١٤٨، سير أعلام النبلاء ٤/٥٤٩.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢٦/٣٩٣، تهذيب الكمال ٣١/١٤٨.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ٢٦/٣٩٤، تهذيب الكمال ٣١/١٤٩.

(٤) كذا في الأصل وهو في حلية الأولياء ٤/٧١: عنبر مولى الفضل بن أبي عياش، وفي صفة الصفوة ٢/٢٩٥: منير مولى الفضل بن أبي عياش، وفي تهذيب الكمال ٣١/١٤٩: ابن عياش.

(٥) مختصر تاريخ دمشق ٢٦/٣٩٤.

وقال: إنَّ من أعوانِ الأخلاقِ على الدِّين الزَّهادةَ في الدنيا، وأوشكها ردًى اتِّباعُ الهوى، ومن اتّباعِ الهوى الرَّغبةُ في الدنيا، ومن الرَّغبةِ في الدنيا حبُّ المالِ والشرف، ومن حبِّ المالِ والشرفِ استحلالُ الحرام، ومن استحلالِ الحرامِ يغضَبُ الله، وغَضَبُ اللهِ الدَّاءُ الذي لادواءَ له إلاَّ رضوان الله، ورضوانُ اللهِ الدواءُ الذي لايَضرُّ معه داءٌ. فمن يُرِدْ أنْ يُرضي ربَّهُ يُسخِطْ نفسَه، ومن لم يُسخِطْ نفسَه لايُرضي ربَّه، إنْ كان كلَّما ثَقُلَ على الإنسانِ شيءٌ من أمرِ دِينِه ترَكه أوشكَ أنْ لايبقى معه شيءٌ[1].

وقيل له: بِمَ زهدتَ في الدُّنيا؟ قال: بحرفَيْنِ وجدتُهما في التَّوْراة: يامَنْ لايستتمُّ سرورَ يومٍ، ولايأمَنُ على نفسِه طرفَةَ عَينِ الحذَرَ الحذَرَ[2].

وقال: الأحمَقُ إذا تكلَّمَ فضَحَهُ حُمْقُه، وإذا سكتَ فضحَهُ عِيُّه، وإذا عملَ أفسدَ، وإذاتركَ أضاع. لاعِلمُه يُغنيه[3]، ولاعلمُ غيرِه ينفعُه. تودُّ أُمُّهُ أنَّها ثكِلَتْهُ، وتودُّ امرأتُهُ أنَّها عَدِمَتْه، ويتمنَّى جارُه منه الوَحدة، وتأخذُ جليسُه منه الوَحْشة.

وقال: يابن آدم، إنَّه لاأقوى من خالقٍ، ولاأضعفَ من مخلوقٍ، ولاأقدَرَ ممَّن طَلِبَتُه في يده، ولا أضعفَ ممَّنْ هو في يدِ طالبه. يابنَ آدم، إنَّه قد ذهبَ منك ما لا يرجعُ إليك، وأقامَ معكَ ماسيذهبُ، فما الجزَعُ ممَّا لابدَّ منه، ومالطمَعُ فيما لايُرجى، ومالحيلةُ في بقاءِ ماسيذهبُ. أقصِرْ عن تناوُلِ ما لا يُنال، وعن طَلَبِ مالايُدرك، وعن ابتغاءِ مالايُوجد، واقطَعِ الرجاءَ منك عمَّا فقدتَ من الأشياء، واعلمْ أنَّه رُبَّ مَطلوبٍ هو شرٌّ لطالبِه. يابنَ آدم، إنَّما الصَّبْرُ عند المُصيبة، وأعظمُ من المُصيبةِ سوءُ الخُلُق منها.

---

(١) حلية الأولياء ٤/ ٤١، مختصر تاريخ دمشق ٢٦/ ٣٩٥.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢٦/ ٣٩٥.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ٢٦/ ٣٩٩، وتهذيب الكمال ٣١/ ١٥٠: يعينه.

ياابنَ آدم، قد مضَتْ لنا أُصولٌ نحنُ فروعُها، فما بقاءُ الفَرعِ بعد أصله. ياابنَ آدم، إنَّما أهلُ هذه الدارِ سَفْرٌ لايحلُّونَ عُقَدَ الرِّحالِ إلاَّ في غيرِها، وإنَّما يتبلَّغُونَ بالعواري. فما أحسنَ الشُّكرَ للمُنعِم، والتَّسليمَ للمُعير. أيُّها الناس، إنَّما البقاءُ بعدَ الفناء، ولقد خُلقنا ولم نَكُنْ، وسَنَبلى ثم نعود، ألا وإنما العواري اليوم والهِباتُ غدًا، ألا وإنَّه قد تقارَبَ مِنَّا سلَبٌ فاحشٌ أو عطاءٌ جزيل، فاستصلِحوا ماتَقْدَمُون عليه بما تَظْعَنونَ عنه. أيها الناس، إنَّما أنتم في هذه الدَّارِ غَرَضٌ[1] فيكم المنايا تَنتَضِلُ، وإنَّ الذي أنتم فيه من دُنياكم نهبٌ للمصائب، لاتتَناولونَ فيها نعمةً إلاَّ بفراقِ أُخرى، ولايَستقبلُ مُعمَّرٌ منكم يومًا من عمرِهِ إلاَّ بهدْمِ آخر، ولايحيا له أثرٌ إلاَّ ماتَ له أثر[2].

وقال لعطاءٍ الخُراساني: ويحكَ ياعطاء، ألَمْ أُخبَرْ أنَّكَ تحملُ علمَكَ إلى أبوابِ الملوك، وأبناءِ الدُّنيا؟ ويحكَ ياعطاء، تأتي مَنْ يُغلِقُ عنكَ بابَه، ويُظهِرُ لك فقرَهُ، ويُواري عنكَ غِناه، وتَدَعُ مَنْ يفتحُ لك بابَه، ويُظهرُ لك غِناه، ويقول: ﴿ادْعوني أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]؟ ويحكَ ياعطاء، ارضَ بالدُّونِ من الدُّنيا مع الحكمةِ، ولاترضَ بالدُّونِ من الحكمةِ مع الدُّنيا. ويحكَ ياعطاء، إنْ كان يُغنيكَ مايكفيك فإنَّ أدنى مافي الدُّنيا يَكفيك، وإنْ كان لايُغنيك مايكفيك فليسَ في الدُّنيا شيءٌ يَكفيك. ويحكَ ياعطاء، إنَّما بطنُكَ بحرٌ من البُحور، ووادٍ من الأودية، وليس يملؤهُ إلاَّ التراب[3].

وقال: الإيمانُ قائدٌ، والعَمَلُ سائقٌ، والنَّفسُ بينهما حَرونٌ، فإذا قادَ القائدُ ولم يسقِ السائق[4] لم يُغنِ ذلك شيئًا، وإذا قادَ القائدُ، وساقَ السائقُ اتَّبعتْهُ النفسُ طَوعًا وكَرْهًا، وطابَ العمَل[5].

---

(١) الغَرَض: الهدفُ يُرمى فيه. القاموس.
(٢) حلية الأولياء ٤/ ٢٤ بداية الخبر، صفة الصفوة ٢/ ٢٩١، ٢٩٢.
(٣) حلية الأولياء ٤/ ٤٣، صفة الصفوة ٢/ ٢٩٤، ٢٩٥.
(٤) في (أ): ولم يسبق السابق.
(٥) صفة الصفوة ٢/ ٢٩٥، والخبر بنحوِه في حلية الأولياء ٤/ ٣١.

وقال لعطاء: إيَّاكَ وأبوابَ السلاطين؛ فإنَّ عند أبوابِهم فِتَنًا كمَبارِك الإبل. لاتَصِبْ من دُنياهم شيئًا.

وكتبَ إلى مَكْحُول: إنَّكَ قد أصبتَ بما ظَهرَ من علمِ الإسلام عند اللهِ محبَّةً وشرفًا، فاطلُبْ بما بطن من علم الإسلام عند الله محبَّةً وزُلْفَى. واعلمْ أنَّ إحدى المحبَّتَيْنِ سوف تمنعُكَ الأخرى[1].

وقال: الأجرُ مَعْرُوضٌ ولكنْ لايَستوجبُهُ مَنْ لايَعمَلُ، ولايَجدهُ من لايَبتغيه، ولايُبصِرُه من لاينظرُ إليه، وطاعةُ اللهِ قريبةٌ ممَّنْ يَرغبُ فيها، بعيدةٌ ممَّنْ زهدَ فيها، ولاتسبقُ مَنْ سَعى إليها، ولايُدرِكُها من أبطأَ عنها[2].

وقال: البلاءُ للمؤمن كالشِّكالِ[3] للدَّابَّة، ومَنْ أُصيبَ بشيءٍ من البلاءِ فقد سُلِكَ به طريقُ الأنبياء عليهم السلام[4].

وقال: تركُ المُكافأةِ من التَّطْفِيف[5].

وقال: احفظوا منِّي ثلاثًا: إيَّاكم وهوًى مُتَّبَعًا، وقَرِينَ سَوْءٍ، وإعجابَ المرءِ بنفسِه[6].

وقال: ليس من بني آدم أحبُّ إلى الشَّيطانِ من النَّؤوم الأكول[7].

وقال: ليس من الآدميِّين أحدٌ إلاَّ ومعه شيطانٌ مُوكَّلٌ به. أمَّا الكافرُ فيأكلُ من طعامِه، ويشربُ من شرابِه، وينامُ معه على فِراشه. وأمَّا المؤمن فهو مُحاربٌ له ينتظرُ حتى[8] يصيبَ منه غَفْلَةً أو غِرَّةً وثبَ عليه. وأحبُّ

---

(١) حلية الأولياء ٤/ ٥٤.

(٢) حلية الأولياء ٤/ ٥٤، و٦٢.

(٣) الشِّكالُ في الخيل: أن تكونَ ثلاثُ قوئمَ مُحجَّلةً والواحدةُ مطلقة، وعكسُه أيضًا. القاموس.

(٤) حلية الأولياء ٤/ ٥٦.

(٥) حلية الأولياء ٤/ ٥٨.

(٦) حلية الأولياء ٤/ ٥٨، مختصر تاريخ دمشق ٢٦/ ٣٩٣.

(٧) حلية الأولياء ٤/ ٥٨، وفيها: ليس من بني آدم أحدٌ أحب...

(٨) في (ب): ينتظر متى.

الآدميِّين إلى الشيطانِ الأكول النَّؤوم[1].

وقال: مامن شيءٍ إلاَّ يَبدو صغيرًا ثم يَكبرُ إلاَّ المُصيبةَ فإنَّها تبدو كبيرةً ثم تَصغُرُ[2].

وقال: أزهدُ الناسِ في الدُّنيا ـ وإنْ كانَ مُكبًّا عليها حَريصًا ـ مَنْ لم يَرْضَ منها إلاَّ بالكسبِ الحلالِ الطَّيِّب، وأرغبُ الناسِ فيها ـ وإنْ كان عنها مُعرِضًا ـ مَنْ لم يُبالِ ماكان مَكْسبُه فيها حَلالاً أو حرامًا، وأجودُ الناسِ في الدُّنيا من جادَ بحقوقِ اللهِ تعالى، وإنْ رآهُ الناسُ بَخيلاً بما سوى ذلك. وأبخَلُ الناسِ في الدُّنيا من بَخِلَ بحقوقِ اللهِ تعالى، وإنْ رآهُ الناسُ جَوادًا بما سوى ذلك[3].

وقال: ما عُبِدَ اللهُ عزَّ وجلَّ بشيءٍ أفضلَ من العقل، وما تمَّ عقلُ امرئٍ حتى يكونَ فيه عشرُ خِصال: حتى يكونَ الكِبْرُ منه مأمونًا، والرُّشْدُ فيه مأمولاً، يَرْضى من الدُّنيا بالقوت، وماكانَ من فضلٍ فمَبْذُول، التواضُعُ فيها أحبُّ إليهِ من الشَّرَف، والذُّلُّ فيها أحبُّ إليه من العِزّ، لايسأمُ من طلَبِ العلمِ دهرَه، ولايتبرَّمُ من طلَبِ الخير، يَستكثرُ قليلَ المعروف من غيره، ويستقِلُّ كثيرَ المعروفِ من نفسِه، والعاشرةُ هي مَلاكُ أمرِه بها يَنالُ مَجْدَهُ، وبها يَعلو ذكرُه، وبها علاءٌ في الدَّرجاتِ. قيل: وماهي؟ قال: أنْ يَرى أنَّ كلَّ الناسِ [بين] خيرٍ منه وأفضل، وآخر شرٌّ منه وأرذل، فإذا رأى الذي هو خيرٌ منه وأفضلُ كسَرَهُ ذلك، وتمنَّى أنْ يلحقَ به، وإذا رأى الذي هو شرٌّ منه وأرذلُ، قال: لعلَّ هذا ينجو وأَهْلَكُ، ولعلَّ لهذا باطِنًا لم يَظهرْ لي، وذلك خيرٌ له، فهناك كَمُلَ عقلُه، وسادَ أهلَ زمانه، وكانَ من السُّبَّاقِ إلى رحمةِ اللهِ وجنَّتِه[4].

---

(١) حلية الأولياء ٤/٥٨.
(٢) حلية الأولياء ٤/٦٣.
(٣) حلية الأولياء ٤/٤٩.
(٤) حلية الأولياء ٤/٤٠، ٤١، ومابين معقوفين مستدركٌ منه.

وقال: إنَّ لكلِّ شيءٍ طرفين ووسطًا، فإذا أمسكتَ بأحدِ الطرفين مالَ الآخرُ، وإذا أمسكتَ بالوسط اعتدلَ الطَّرَفان[1].

وقيل له: أليسَ مفتاحُ الجنَّةِ لاإلٰه إلاَّ الله؟ قال: بلى، ولكنْ ليسَ مفتاحٌ إلاَّ وله أسنانٌ، من أتى البابَ بأسنانِهِ فُتِحَ له، ومن لم يأتِ البابَ بأسنانه لم يُفتحْ له[2].

وقال: طُوبى لمن نظرَ في عيبِهِ عن عيبِ غيرِه، طوبى لمن تواضعَ للهِ من غيرِ مَسكنةٍ، ورَحِمَ أهلَ الذُّلِّ والمَسْكنة، وتصدَّقَ من مالٍ جمعَهُ من غيرِ مَعصيةٍ، وجالسَ أهلَ العلمِ والحِلْمِ وأهلَ الحكمة، ووسعتْهُ السُّنَّة، ولم يتعدَّها إلى البِدْعَة[3].

وقال: رؤوسُ النِّعَم ثلاثةٌ: فأوَّلُها نعمةُ الإسلام التي لاتتمُّ نعمةٌ إلاَّ بها، والثانيةُ نعمةُ العافية التي لاتطيبُ الحياةُ إلاَّ بها، والثالثة نعمةُ الغِنَى التي لايتمُّ العيشُ إلاَّ بها[4].

وقال: المؤمن مُفكِّرٌ، مُذكِّرٌ مُزدجِر، مفكِّرٌ فعلَتْهُ السَّكينة، سَكَنَ فتواضعَ، قَنِعَ فلم يهتمَّ، رفضَ الشَّهواتِ فصار حُرًّا، ألقى الحسدَ فظهرتْ له المحبَّةُ، زَهِدَ في كلِّ فانٍ فاستكملَ العَقْلَ، رَغِبَ في كلِّ باقٍ فعقلَ المعرفة، فقلبُه متعلِّقٌ بهمِّه، وهمُّهُ موكَّلٌ بمعادِهِ، لايفرحُ إذا فَرِحَ أهلُ الدُّنيا[5].

وقال: اتَّخذوا اليدَ عند المَساكين؛ فإنَّ لهم يومَ القيامةِ دَولةً[6].

وماتَ وهبُ بن منبه بصَنعاءَ سنةَ عشرٍ ومئة، وقيل: سنةَ ثلاثَ عشرةَ، وقيل: سنة أربع عشرة.

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

---

(١) حلية الأولياء ٤/ ٤٥.
(٢) حلية الأولياء ٤/ ٦٦.
(٣) حلية الأولياء ٤/ ٦٧، مختصر تاريخ دمشق ٢٦/ ٣٩٩.
(٤) حلية الأولياء ٤/ ٦٨.
(٥) حلية الأولياء ٤/ ٦٨، مختصر تاريخ دمشق ٢٦/ ٣٩٨.
(٦) حلية الأولياء ٤/ ٧١.

(٤٩٤) ورّاد العِجْليّ(*)

من عُبّادِ الكوفة.

قال حفصُ بن غِياث: كُنّا ذاتَ يومٍ عند ابنِ ذرٍّ، وهو يتكلَّمُ، فذكرَ رواجفَ القيامةِ وزلزالَها[1]، فوثبَ رجلٌ من بني عِجلٍ يُقال له ورّاد، فجعلَ يَبكي ويصرخُ ويضطَرِبُ، فحُملَ من بين القوم صَريعًا، فقال ابنُ ذَرٍّ: ماالذي قصَّرَ بنا، وكَلَم قلبَه حتى أبكاه؟ واللهِ إنْ هذا ياأخا بَني عِجلٍ إلاَّ من صفاءِ قلبِك، وتراكم الذُّنوب على قلوبِنا[2].

قال: وكنتُ أرَى ورّادًا العِجْليَّ يأتي المسجدَ مقنَّعَ الرأس، فيعتزلُ ناحيةً، ولايزالُ مُصلّيًا وداعيًا وباكيًا ماشاءَ اللهُ من النَّهارِ، ثم يخرجُ، فيعودُ فيصلّي الظُّهرَ، فهو كذلك بين صلاةٍ وبكاءٍ حتى يُصلّي العشاء، ثم يخرجُ لايكلِّمُ أحدًا، ولايجلسُ إلى أحدٍ، فسألتُ عنه رجلاً من حَيِّه ووصفتُه له، فقال: بَخٍ ياأبا عمر، وتدري عمَّنْ تَسألُ؟ ذاكَ ورّادُ العِجلِي، ذاكَ الذي عاهَدَ اللهَ أن لايضحكَ حتى ينظرَ إلى وجهِ ربِّ العالمين. فكنتُ إذا رأيتُهُ بعدُ هِبْتُه[2].

وقال عمرُ بنُ حفص: حدَّثني سُكَيْنُ بنُ مسكين من بني عِجْلٍ قال: كانتْ بيننا وبين ورّاد قَرابةٌ، فسألتُ أُختًا له كانتْ أصغرَ منه، فقلتُ: كيف كان ليلُهُ؟ قالت: يَبكي عامة الليل ويصرخ. قلت: فما كان طُعْمُهُ؟ قالت: قُرْصًا من أولِ الليل، وقُرصًا في آخره عند السَّحَر. قلتُ: فتحفظينَ من دُعائه شيئًا؟ قالت: نعم، كان إذا كانَ السَّحَرُ أو قريبًا من طُلوعِ الفجر سجدَ، ثم بكى، ثم قال: مولاي، عبدُكَ يحبُّ الاتصالَ بطاعتِك، فأعِنْهُ

(*) ترجمته في: صفة الصفوة ٣/ ١٦١، روض الرياحين ٤٧٦ (الحكاية ٤٤١).

(١) في (ب): زلازلها.

(٢) صفة الصفوة ٣/ ١٦١.

عليها بتوفيقِكَ أيُّها المنَّان. مولاي، عبدُك يحبُّ اجتنابَ سخطك، فأعِنْهُ على ذلك بمنِّكَ عليه أيُّها المنَّان. مولاي، عَبدُك عظيمُ الرَّجاء لخيرِكَ فلا تَقْطَعْ رجاءَه يومَ يفرحُ بخيرِكَ الفائزون. قالتْ: فلايزالُ على هذا ونحوه حتى يُصبحَ، وكان قد كَلَّ من الاجتهاد جدًّا، وتغيَّرَ لونُه[1].

وقال سُكَين: لما مات ورَّاد، حُمِلَ إلى حُفرتِه، نزلوا ليدلُّوهُ في حُفرته، فإذا اللَّحْدُ مفروشٌ بالرَّيحان، فأخذَ بعضُ القومِ الذين نزلوا القبرَ من ذلك الرَّيحانِ شيئًا، فمكثَ سَبعينَ يومًا طريًّا لايتغيَّرُ، يَغدو الناسُ ويروحون، ويَنظرون إليه، قال: فكثرَ الناسُ في ذلك حتى خافَ الأميرُ أن يَفتتنَ الناسُ، فأرسَلَ إلى الرَّجلِ، فأخذَ ذلك الرَّيحان، وفرَّقَ الناسَ، قال: وفقدَهُ الأميرُ من منزِله، لايدري كيفَ ذهب[2]؟

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

(٤٩٥) وكيع بن الجَرَّاح(*)

أبو سفيانَ الرُّؤاسيُّ، من أعيانِ الكوفيِّين وعلمائهم وحفَّاظِهم.

روى عن الأئمةِ الأعلامِ، كالأعمش، وهشام بنِ عروة، وإسماعيل بن

---

(١) صفة الصفوة ٣/ ١٦١، ١٦٢.

(٢) صفة الصفوة ٣/ ١٦٢، روض الرياحين الحكاية ٤٤١.

(*) ترجمته في: طبقات ابن سعد ٦/ ٣٩٤، تاريخ خليفة ٤٦٧، طبقات خليفة ١٧٠، التاريخ الكبير ٨/ ١٧٩، التاريخ الصغير ٢/ ٢٥٦، المعارف ٥٠٧، الجرح والتعديل ٩/ ٣٧، ثقات ابن حبان ٧/ ٥٦٢، حلية الأولياء ٨/ ٣٦٨، تاريخ بغداد ١٣/ ٤٩٦، الأنساب ٦/ ١٧٤، المنتظم ٥/ ١٩، ٤١، صفة الصفوة ٣/ ١٧٠، جامع الأصول ١٥/ ٤٧٤، تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ١٤٤، مختصر تاريخ دمشق ٢٦/ ٢٩٢، تهذيب الكمال ٣٠/ ٤٦٢، سير أعلام النبلاء ٩/ ١٤٠، تذكرة الحفاظ ١/ ٣٠٦، العبر ١/ ٣٢٤، ميزان الاعتدال ٤/ ٣٣٥، دول الإسلام ١/ ١٢٤، طبقات ابن عبد الهادي ترجمة ٢٦٥، تهذيب التهذيب ١١/ ١٢٣، النجوم الزاهرة ٢/ ١٥٣، طبقات الشعراني ١/ ١٦٣، الكواكب الدرية ١/ ٤٧٦، شذرات الذهب ١/ ٣٤٩.

أبي خالد، وعبد اللهِ بن عون، والثَّوْرِيِّ، والأوزاعي.

وروى عنه: ابنُ المبارك، وابنُ مَهدي، وابنُ مَعِين، وابنُ حَنْبَل، ومَنْ في طبقتهم من الأئمة.

قال ابنُ عمَّار: ماكانَ بالكوفةِ أفقَهُ ولا أعلمُ بالحديثِ من وكيع في زمانِه[1].

وقال عبَّاس الدُّوريُّ: قال لي أحمدُ بنُ حنبل: لو رأيتَ وكيعًا لعلمتَ أنَّك مارأيتَ مثلَه[2].

وذكر أحمدُ يومًا وكيعًا، فقال: مارأتْ عينايَ مثلَهُ قطُّ، يحفظُ الحديثَ جيِّدًا، ويُذاكرُ بالفقهِ، ويُحسِنُ، مع ورَعٍ واجتهادٍ وخشوع، ولايتكلَّمُ في أحد[3].

وقال يحيى بن أكثم: صحبتُ وَكيعًا في السَّفَرِ والحضَر، وكانَ يَصومُ الدَّهرَ، ويختمُ القرآنَ كلَّ ليلة[4].

وقال يحيى بن مَعِين: مارأيتُ أفضلَ من وكيع، كانَ يَستقبلُ القِبلَةَ ويحفظُ حديثَه، ويقومُ الليلَ، ويَسرُدُ الصَّوم[5].

وقال يحيى بن أيوب: كان وكيعٌ لاينامُ حتى يقرأَ ثُلُثَ القرآن، ثم يقومُ في آخرِ الليلِ فيقرأُ المُفَصَّلَ[6]، ثم يجلِسُ فيأخذُ في الاستغفارِ حتى يطلُعَ[7] الفجر، فيصلِّي ركعتين[8].

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/ ٥٠٥.

(٢) تاريخ بغداد ١٣/ ٥٠٠.

(٣) تاريخ بغداد ١٣/ ٥٠٤، ٥٠٥، تهذيب الكمال ٣٠/ ٤٧٣.

(٤) تاريخ بغداد ١٣/ ٥٠٠، تهذيب الكمال ٣٠/ ٤٨١.

(٥) تاريخ بغداد ١٣/ ٥٠١.

(٦) المفصل من القرآن من الحجراتِ إلى آخره في الأصحّ. القاموس.

(٧) في (ب): «يصلي».

(٨) تاريخ بغداد ١٣/ ٥٠١، تهذيب الكمال ٣٠/ ٣٨١. والخبر فيهما عن يحيى بن أيوب حدثني بعضُ أصحابِ وكيع الذين كانوا يلزمونه..

وقال إبراهيمُ بنُ وكيع: كان أبي يُصَلّي الليلَ فلايَبقى في دارِنا أحدٌ إلاَّ صلَّى، حتى إنَّ جاريةً لنا سوداء لتُصَلّي[1].

وقال أحمد بن محمد: أغلظَ رجلٌ لوكيعٍ، فدخلَ وكيعٌ بيتًا فعفَّرَ وجهَهُ في التُّراب، ثم خرجَ إلى الرجلِ، فقال: زِدْ وَكيعًا بذنبه، فلولاهُ ماسُلِّطْتَ عليه[2].

وقال سَلْمُ بن جُنادة: جالستُ وكيعَ بنَ الجرّاح سبعَ سنين، فما رأيتُهُ بَزَقَ، ولارأيتُهُ مسَّ حصاةً بيدِه، ومارأيتُه جلسَ مجلسَه فتحرَّكَ، ومارأيتُهُ إلا مُستقبِلَ القِبْلةِ، ومارأيتُه يَحْلِفُ بالله[3].

وقال الحسين بن أبي زيد: صاحبْتُ وكيعَ بنَ الجرّاحِ إلى مكَّة، فما رأيتُهُ مُتَّكِئًا، ولارأيتُه نائمًا في مَحْمِلِه[4].

وقال أحمد بن أبي الحواريّ: قال مروان: مارأيتُ فيمن لقِيتُ أخشعَ من وكيعٍ، ما وصفَ لي أحدٌ قطُّ إلاَّ رأيتُه دونَ الصِّفةِ إلاَّ وكيع، فإنّي رأيتُهُ فوقَ ما وُصِفَ لي[5].

وقال أسدُ بنُ عُفَير: جاءَ رجلٌ إلى وكيعٍ، فقال له: إنّي أَمُتُّ إليكَ بحُرْمَةٍ. قال: وما حُرْمَتُك؟ قال: كنتَ تكتُبُ من محبرتي في مجلس الأعمش. فوثبَ وكيعٌ، فدخلَ منزلَهُ، فأخرجَ له صُرَّةً فيها دنانير، وقال: اعذُرْني، فإنّي ماأملِكُ غيرَها[6].

وقال يحيى بنُ جعفر: كان وكيعٌ لايغضَبُ بواحدةٍ، فإذا غَضِبَ سَكَنَ غضبُهُ بالتؤَدَةِ والوَقار.

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/ ٥٠١.
(٢) تاريخ بغداد ١٣/ ٥٠٣.
(٣) حلية الأولياء ٨/ ٣٦٩، تهذيب الكمال ٣٠/ ٤٨٠.
(٤) حلية الأولياء ٨/ ٣٦٩.
(٥) تهذيب الكمال ٣٠/ ٤٨٢، وهو في حلية الأولياء ٨/ ٣٧٠ مجتزَأً.
(٦) تاريخ بغداد ١٣/ ٥٠٠.

وقال يحيى بنُ يمان: سمعتُ سفيان الثوريَّ ونظرَ إلى وكيعِ بنِ الجرّاح، فقال: إنَّ هذه الرُّؤاسيَّ لايموتُ حتى يكونَ له شأن. قال يحيى: ذهبَ سفيان وقعدَ وكيعٌ مكانَه[1].

وقال القَعْنَبيُّ: كنّا عند حمّادِ بنِ زيدٍ وعنده وكيع، فلمّا قامَ قالوا: هذا راويةُ سفيان. فقال: هذا إنْ شئتَ أرجحُ من سفيان[2].

وقال يحيى بن مَعِين: واللهِ مارأيتُ أحدًا يحدِّثُ للهِ غيرَ وكيع. ومارأيتُ رجلاً قطُّ أحفظَ من وكيع. ووكيعٌ في زمانِهِ كالأوزاعيِّ في زمانِه[3].

وقال جريرُ الرَّازيُّ: قَدِمَ ابنُ المبارك، فقلتُ له: ياأبا عبد الرحمن، مَنْ خلّفتَ بالعراق؟ قال: وكيع. قلتُ: ثمَّ مَنْ؟ قال: ثم وكيع[4].

وماتَ وكيعٌ سنةَ ثمانٍ وتسعين ومئة، وله ستٌّ وستُّون[5] سنة[6].

رحمة الله عليه ورضوانه.

(٤٩٦) وُهَيْب بنُ الوَرْد(*)

أبو أُميَّةَ المكِّيُّ، من عُبَّادِ المكِّيِّين وأعيانِهم. وكان اسمُهُ عبد الوَهَّاب

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/ ٤٩٩، تهذيب الكمال ٣٠/ ٤٧٨.
(٢) حلية الأولياء ٨/ ٣٦٩، تاريخ بغداد ١٣/ ٤٩٩.
(٣) حلية الأولياء ٨/ ٣٧١، تاريخ بغداد ١٣/ ٥٠٤.
(٤) حلية الأولياء ٨/ ٣٧١، تهذيب الكمال ٣٠/ ٤٨١.
(٥) جاء في حاشية (ب): وفي نسخةٍ: وتسعون.
(٦) تاريخ بغداد ١٣/ ٥١٢.
(*) ترجمته في: طبقات ابن سعد ٥/ ٤٨٨، التاريخ الكبير ٨/ ١٧٧، الجرح والتعديل ٩/ ٣٤، مشاهير علماء الأمصار ١٤٨، ثقات ابن حبان ٧/ ٥٥٩، حلية الأولياء ٨/ ١٤٠، صفة الصفوة ٢/ ٢١٨، تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ١٤٩، تهذيب الكمال ٣١/ ١٦٩، سير أعلام النبلاء ٩/ ١٩٨، العبر ١/ ٢٢٢، تاريخ الإسلام ٦/ ٣١٥، العقد الثمين ٧/ ٤١٧، تهذيب التهذيب ١١/ ١٧٠، الكواكب الدرية ١/ ٤٨١، شذارات الذهب ١/ ٢٣٦.

فصُغِّرَ فقيل: وُهَيب[1].

أدركَ جماعةً من التابعين كعطاءِ بن أبي رباح، ومَنصور بن زاذان، وأبان بن أبي عيَّاش.

واشتغلَ بالعبادَةِ عن الرِّواية، فلم يُرْوَ عنه إلاَّ القليل.

قال سفيانُ بنُ عُيَيْنَة: قال وُهَيب: بينا أنا واقفٌ في بَطن الوادي إذا أنا برجلٍ قد أخذَ بمنكبي فقال: ياوُهيب، خَفِ اللهَ لقُدرتِه عليك، واستحيِ منه لقُرْبِهِ منك. قال: فالتفتُّ فلم أرَ أحدًا[2].

وقال بِشرُ بن الحارث: أربعةٌ رفعَهم اللهُ بطِيبِ المَطْعَم: وُهَيب بن الورد، وإبراهيم بن أدهم، ويوسف بن أسباط، وسالمُ الخوَّاص[3].

وقال محمد بنُ يزيد: سمعتُ سُفيانَ الثَّوريَّ إذا حدَّثَ الناسَ في المسجدِ الحرام، وفرَغَ من الحديث، قال: قوموا إلى الطَّبيب. يعني وُهَيبًا[4].

وقال زُهير بن عباد: كان فُضيلُ بنُ عِياض، ووُهيب بنُ الورد، وعبد اللهِ بنُ المباركِ جلوسًا فذكروا الرُّطَبَ فقال وُهيب: وقد جاء الرُّطب؟ فقال عبد اللهِ بن المبارك: يرحمُكَ الله، هذا آخرُه، أوَلم تأكلْه؟ قال: لا. قال: ولمَ؟ قال وُهيب: بلغني أنَّ عامَّةَ أجنَّةِ مكَّة من الصَّوافي والقَطائع، فكرهتُها. فقال ابنُ المبارك: يرحمُكَ الله، أوليسَ قد رُخِّصَ في الشِّراءِ من السُّوقِ إذا لم يُعرفِ الصَّوافي والقَطائع منه وإلاَّ ضاقَ على الناسِ خُبزُهم[5]؟ أوَلَيسَ عامَّةُ مايأتي من قمحِ مِصرَ إنما هو من الصوافي والقطائع؟ ولاأحسِبُكَ تستغني عن القمح، فسهِّلْ عليك. قال: فصعقَ

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٤٨٨.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ١٤٠، تهذيب الكمال ٣١/ ١٧١، ١٧٢.

(٣) طبقات الصوفية ٤٤، حلية الأولياء ٨/ ١٤٠، وفي (ب): سلم الخواص.

(٤) حلية الأولياء ٨/ ١٤٠، تهذيب الكمال ٣١/ ١٧١.

(٥) في (ب): خيرهم.

وُهَيب، فقال فُضيل لعبد الله: ماصنعتَ بالرَّجل؟ فقال ابنُ المبارك: ماعلمتُ أنَّ كلَّ هذا الخَوفِ قد أُعطيَه. فلمَّا أفاقَ وُهيبٌ قال: ياابنَ المبارك، دعني من ترخيصِك، لاجرَمَ لاآكلُ من القمح إلاَّ كما يأكلُ المُضطرُّ من المَيتة. فزعموا أنَّه نحَلَ جسمُه حتى مات هزلاً[1].

وقال قادمُ الدَّيلمي: قيل لِوُهَيبِ بنِ الورد: ألا تشرَبُ من زمزَم؟ قال: بأيِّ دَلو[2]؟

وقال شُعيب بنُ حَرب: ماَاحتملوا لأحدٍ مااحتملوا لِوُهَيب، كان يشرَبُ بدلوِه[2].

وقال ابنُ المبارك: ماجلستُ إلى أحدٍ كان أنفعَ لي مُجالسةً[3] من وُهيب، وكان لايأكلُ من الفواكه، وكان إذا انقضتِ السَّنةُ ذهبتِ الفواكه، يكشفُ عن بطنِهِ وينظرُ إليه، ويقول: ياوُهيب، ماأرى بك بأسًا. ماأرى تركَكَ الفواكهَ ضرَّكَ شيئًا.

وقال وُهيب: كان يُقال: الحِكمةُ عشرةُ أجزاءٍ، فتسعةٌ منها في الصَّمْتِ، والعاشرةُ عزلةُ الناس. فعالجتُ نفسي على الصَّمْتِ فلم أجدْني أضبطُ كما أريدُ منه، فرأيتُ أنَّ هذه الأجزاءَ العشرةَ عزلةُ الناس[4].

وقال ابنُ أبي روَّاد: انتهيْتُ إلى رجلٍ ساجدٍ خلفَ المقام في ليلةٍ باردةٍ مَطِيرة، يدعو ويبكي، فطفتُ أُسبوعًا ثم عدْتُ فوجدتُهُ على حالِهِ، فقعدتُ قريبًا منه الليلَ كلَّه، فلمَّا كان جوفُ الليل، سمعتُ هاتفًا يقول: ياوُهَيبُ بنُ الورد، ارفعْ فقد غُفِرَ لك. فلم أرَ شيئًا. فلمّا بَرَقَ الصُّبحُ رفعَ رأسَه ومضى، فاتبعتُه، فقلتُ: أوَما سمعتَ الصَّوت؟ فقال: وأيُّ صوت؟ فأخبرتُه، فقال: لاتُخبرْ أحدًا. فما حدَّثتُ به أحدًا حتى ماتَ وُهَيب[5].

---

(١) حلية الأولياء ٨/١٤٣، صفة الصفوة ٢/٢١٨.
(٢) صفة الصفوة ٢/٢١٩.
(٣) في (ا): مجالسته.
(٤) صفة الصفوة ٢/٢٢١، والخبر بنحوِهِ في حلية الأولياء ٨/١٤٢.
(٥) صفة الصفوة ٢/٢٢١.

وقال محمد بنُ يزيد: كانوا يَرَونَ الرُّؤيا لِوُهَيبٍ أنَّه من أهلِ الجنَّةِ، فإذا أُخبِرَ بها اشتدَّ بكاؤه، وقال: قد خَشِيتُ أنْ يكونَ هذا من الشيطان[1].

وقال: عَجَبًا للعالِمِ كيفَ تُجيبُه دواعي قلبِهِ إلى ارتياحِ الضَّحِك، وقد عَلِمَ أنَّ له في القيامةِ رَوعاتٍ ووقَفاتٍ وفزَعاتٍ. ثم غُشِيَ عليه[2].

وقال: لو أنَّ علماءَنا ـ عفا اللهُ عنَّا وعنهم ـ نَصحوا اللهَ في عِبادِهِ، فقالوا: ياعِبادَ الله، اسمعوا ما نُخبِرُكم عن نبيِّكم ﷺ وصالحِ سلَفِكم من الزُّهدِ في الدنيا فاعملوا به، ولاتنظُروا إلى أعمالِنا هذه الفَسْلَةِ[3] كانوا قد نَصحوا للهِ في عِبادِه، ولكنَّهم يأبَونَ إلاَّ أن يَجُرُّوا عبادَ اللهِ إلى فِتنتِهم وماهم فيه[4].

وقيل له: أيَجِدُ طَعْمَ العِبادةِ من يَعْصي الله؟ قال: لا، ولامن يَهُمُّ بالمعصيةِ[4].

وقال عليُّ بنُ أبي بكر: اشتهى وُهَيب لبنًا، فجاءَتْهُ خالتُهُ به من شاةٍ لآلِ عِيسى بن موسى[5]، فسألَها عنه، فأخبرَتْهُ، فأبى أن يأكلَهُ، فقالتْ: كُلْ. فأبى، فعاوَدَتْهُ، وقالتْ له: إنِّي أرجو إنْ أكلتَهُ أنْ يغفرَ اللهُ لك ـ أي باتِّباعِ شهوتي ـ فقال: ماأُحِبُّ أنِّي أكلتُهُ، وإنَّ اللهَ غفرَ لي. فقالت: لِمَ؟ فقال: إنِّي أكرَهُ أنْ أنالَ مغفرتَهُ بمعصيتِهِ[6].

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ١٤١، تهذيب الكمال ٣١/ ١٧٣.
(٢) حلية الأولياء ٨/ ١٤١، تهذيب الكمال ٣١/ ١٧١.
(٣) الفَسْلُ: الرديءُ الرَّذْلُ من كلِّ شيء. اللسان.
(٤) حلية الأولياء ٨/ ١٤٤، تهذيب الكمال ٣١/ ١٧٢.
(٥) عيسى بن موسى بن محمد العباسي، أميرٌ من الولاةِ القادة، وهو ابنُ أخي السفَّاح، كان من فحولِ أهلِه، وذوي النجدةِ والرأيِ منهم، وله شعرٌ جيِّد، ولاَّهُ عمُّه الكوفةَ، وجعلَهُ وليَّ العهد، خلعَ من بعده، وتوفِّي سنة ١٦٧هـ.
(٦) حلية الأولياء ٨/ ١٥١.

وقال: لو قُمتَ قيامَ هذه الساريةِ، ماانفعَكَ حتى تنظرَ مايَدخُلُ بطنَكَ حلالٌ أو حرام(١).

وقال: اتَّقِ أنْ تَسُبَّ إبليسَ في العلانية، وأنتَ صديقُه في السِّرِّ(٢).

وقال بشرُ بنُ الحارث: كان وُهَيبُ بن الوَرْد تَبِينُ خضرةُ البَقْلِ في بطنِهِ من الهُزَال(٣).

قال: وبلغني أنَّ وُهَيبًا كان إذا أُتي بقرصيه بكى حتى يبلَّهما(٣).

وقال: من عَدَّ كلامَهُ من عملِهِ قلَّ كلامُهُ(٤).

وقال: اتَّقِ أنْ يكونَ اللهُ أهونَ الناظرينَ إليك(٥).

وقال: نظرنا في هذا الحديثِ فلم نجدْ شيئًا أرقَّ لهذه القلوب، ولاأشدَّ استجلابًا للحقِّ من قراءةِ القرآنِ لمن تدبَّرَه(٥).

وقال لابنِ المُبارك: غلامُك يتَّجِرُ ببغداد؟ قال: لانبايعهم. قال: أليس هو ثَم؟ فقال له ابنُ المبارك: فكيف تصنعُ بمصر[وهم أخوان] قال: فواللهِ لاأذوقُ من طعامِ مصرَ أبدًا. فلم يَذُقْ منه حتى مات، وكان يتعلَّلُ بتمرٍ ونحوِهِ(٦).

وقال سفيان: رأى وُهَيبٌ قومًا يَضحكونَ يومَ الفِطْر، فقال: إنْ كان هؤلاءِ يُقْبَلُ منهم صيامُهم فما هذا فِعْلُ الشاكرين؛ وإنْ كان هؤلاءِ لم يُتقبَّلْ منهم صيامُهم فما هذا فعلُ الخائفين(٧).

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ١٥٤، ١٥٨.
(٢) حلية الأولياء ٨/ ١٥٤.
(٣) صفة الصفوة ٢/ ٢٢٧.
(٤) صفة الصفوة ٢/ ٢٢٢.
(٥) حلية الأولياء ٨/ ١٤٢.
(٦) حلية الأولياء ٨/ ١٤٣، ومابين معقوفين مستدركٌ منه.
(٧) تهذيب الكمال ٣١/ ١٧٤، والخبر بنحوه في حلية الأولياء ٨/ ١٤٩.

وقال: ما."اجتمعَ قومٌ في مجلسٍ أو ملأٍ إلاَّ كان أولاهم باللهِ الذي يَفتتحُ بذكرِ اللهِ حتى يفيضوا في ذكرِهِ، وماءاجتمعَ قومٌ في مجلسٍ أو ملأٍ إلاَّ كان أبعَدَهم من اللهِ الذي يَفتتحُ بالشَّرِّ حتى يَخوضوا فيه[1].

وقال: لو أنَّ المؤمنَ لايُبغضُ الدُّنيا إلاَّ أنَّ اللهَ يُعصى فيها لكانَ حقًّا عليه أنْ يُبغضَها[2].

وقال سعيد الكِنْدِي: أتينا سعيدَ بنَ عُطارِدٍ، ومعنا رجلٌ، فسألَهُ، فقال: بمكَّةَ رجلٌ يَشتهي الشيءَ فيجدُهُ في بيتهِ في إناءٍ قد كُفِئَ عليه، وإنَّ فأرةً أتَتْ جرابًا له فيه سَويق فخرَقتْهُ، فقال: اللهمَّ اخزِها، قد أفسدَتْ علينا. فخرجتْ واضطرَبَتْ بين يديه حتى ماتت. فقال: ذاكَ وُهَيبٌ المَكِّيُّ[2].

وقال: لايزالُ الرجلُ يأتيني فيقولُ: ماترى فيمن يَطوفُ بهذا البيت سَبعًا؟ ماذا فيه من الأجر؟ فأقول: اللهمَّ غَفرًا، قد سألَني عن هذا غيرُك، فقلتُ: بل سَلوني عمَّنْ طَافَ بهذا البيت سَبعًا ماذا قد أوجَبَ اللهُ عليه فيه من الشُّكرِ، حيثُ رزقَه اللهُ طَوافَ ذلك السبع؟ ثم يقول: لاتكونوا كالعامِلِ يُقالُ له: تعملُ كذا وكذا؟ فيقول: نعم، إنْ أحسنتُم لي من الأجر[3].

وقال: إنَّ اللهَ إذا أرادَ كرامةَ عبدٍ أصابه بضيقٍ في مَعاشِه، وسَقَمٍ في جَسدِه، وخَوفٍ في دُنياه، حتى ينزلَ به الموتُ، وقد بقيتْ عليه ذنوبٌ شَدَّدَ عليه بها الموتَ؛ حتى يلقاه وماعليه شيءٌ. وإذا هانَ عليه عبدٌ يُصحِّحُ في جسدِه، ويُوسع عليه في مَعاشِه، ويؤمن في دنياه، حتى ينزلَ به الموت، وله حسناتٌ يُخفِّفُ عنه بها الموتَ حتى يلقاهُ ومالَهُ عندَه شيءٌ[4].

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ١٥٣، ١٥٤.
(٢) حلية الأولياء ٨/ ١٥٤.
(٣) حلية الأولياء ٨/ ١٥٥.
(٤) حلية الأولياء ٨/ ١٥٦.

وقال محمد بنُ يزيد: حلَفَ وُهَيبُ بنُ الورد أنْ لايَراهُ اللهُ ضاحكًا ولاأحدٌ من خَلْقِهِ حتى يَعلَمَ ماتأتي به رُسُلُ اللهِ. قال: فسمعوهُ عند الموتِ يقول: وفَيتَ لي، ولم أفِ لك[1].

وماتَ سنةَ ثلاث[2] وخمسين ومئة.

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *



(١) حلية الأولياء ٨/١٤١، ١٥٢، تهذيب الكمال ٣١/١٧٣.
(٢) في (ب): «ثمان».

حرف الهاء

لم يَرِدْ فيه من الصحابةِ أحدٌ إلاَّ أنَّا لمَّا رأينا اختلافَ الناسِ في اسمِ أبي هريرةَ على وجوهٍ شتَّى، وكانَ مشهوراً بكنيته أثبتناه هاهنا لذلك:

(٤٩٧) أبو هريرة(*)

اختلف الرُّواةُ في اسمِه على ثمانيةَ عشرَ قولاً، أشهرُها: أنَّه كان اسمُه عبد شمس، فسُمِّيَ في الإسلامِ عبد الله؛ وقيل: عبد الرحمن، وهو من دَوْس، وكانتْ له هرَّةٌ صغيرةٌ فكُنِّي بها.

وقدِمَ إلى المدينةِ في سنةِ سبعٍ، ورسولُ الله ﷺ بخَيبَر، فسارَ إلى خيبرَ ثم قدِمَ معه المدينة[1].

وهو أشهرُ من سكَنَ الصُّفَّةَ واستوطَنَها طولَ عُمرِ النبيِّ ﷺ، ولم يَنتقِلْ

(*) ترجمته في: الزهد لأحمد بن حنبل ٢٢٤، ٢٥٩، طبقات ابن سعد ٢/٣٦٢، ٣٢٥/٤، طبقات خليفة ١١٤، تاريخ خليفة ٢٢٥، ٢٢٧، المعارف ٢٧٧، ٢٨٥، أخبار القضاة ١/١١١، الاستبصار ٢٩١، الاستيعاب ١٧٦٨/٤، حلية الأولياء ١/٣٧٦، صفة الصفوة ١/٦٨٥، جامع الأصول ١٤/٥٠٠، أسد الغابة ٣١٨/٦، مختصر تاريخ دمشق ٢٠٧/٢٩، تهذيب الكمال ٣٦٦/٣٤، سير أعلام النبلاء ٥٧٨/٢، تاريخ الإسلام ٣٣٣/٢، العبر ٦٣/١، معرفة القراء ٤٠، الوافي بالوفيات ١٥٣/١٨، البداية والنهاية ١٠٣/٨، طبقات القراء ٣٧١/١، تهذيب التهذيب ٢٦٢/١٢، الإصابة ١٩٩/٧، ترجمة ١١٧٩، الطبقات الكبرى للشعراني ٢٥/١، الكواكب الدرية ١٢١/١، شذرات الذهب ٦٣/١.

(١) طبقات ابن سعد ٣٢٧/٤.

عنها، وكانَ عريفَ من سكنَ الصُّفَّةَ من القاطنين، ومن أُنزلها من الطَّارقين، وكان أحدَ أعلامِ القرَّاءِ والمساكين[1].

قال سليم بن حَيَّان: سمعتُ أبي يقول: سمعتُ أبا هريرةَ يقول: نشأتُ يتيمًا وهاجرتُ مِسكينًا، وكنتُ أجيرًا لبُسَيْرَةَ[2] بنتِ غزوان بطعامِ بطني، وعُقْبَةِ رجلي[3]، فكنتُ أخدُمُ إذا نزلوا، وأحدو إذا ركِبوا، فزوَّجنيها الله، فالحمدُ للهِ الذي جعلَ الدِّينَ قِوامًا، وجعلَ أبا هريرةَ إمامًا[4].

وقال أبو كثير: حدَّثني أبو هريرةَ قال: ماخَلَقَ اللهُ مؤمنًا يسمعُ بي، ولايراني إلاَّ أحبَّني. قلتُ: وماعِلْمُك بذلك؟ قال: إنَّ أُمِّي كانتْ مُشْرِكةً، وإنِّي كنتُ أدعوها إلى الإسلام، وكانتْ تأبى عليَّ فدعوتُها يومًا، فأسمعَتْني في رسولِ اللهِ ﷺ ماأكرَهُ، فأتيتُ رسولَ اللهِ ﷺ وأنا أبكي، فقلت: يارسولَ الله، إنِّي كنتُ أدعو أُمِّي إلى الإسلام، فكانتْ تأبى عليَّ، وإنِّي دعوتُها اليومَ، فأسمعتْني فيكَ ماأكره، فادْعُ اللهَ أنْ يَهديَ أمَّ أبي هريرة. فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «اللهمَّ اهْدِ أمَّ أبي هريرة». فخرجتُ أعدو لأُبَشِّرَها بدعاءِ رسولِ الله ﷺ، فلمَّا أتيتُ البابَ إذا هو مُجَافٌ، وسمعتُ خَضْخَضَةَ الماء، وسمعتُ خَشْخَشَةَ رجلٍ، فقالتْ: ياأبا هريرة، كما أنت. ثم فتحتِ البابَ، وقد لبستْ دِرعَها[5]، وعَجِلَتْ عن خِمارها، فقالت: إنِّي أشهدُ أن لا إله إلاّ الله، وأنَّ مُحمدًا عبدُه ورسولُه، فرجعتُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ أَبكي من الفرح، كما بكيتُ من الحزن، فقلت: يارسولَ الله، أَبشِرْ، فقد استجابَ اللهُ

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٣٧٦.

(٢) وردَ اسمُها في الحلية ١/ ٣٨٠: «بَرَّة». وفي طبقات ابن سعد ٤/ ٣٢٦، ومختصر تاريخ دمشق ٢٩/ ٢٠٠، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٦١٢ «بُسْرَة».

(٣) عقبة رجلي: أي نوبة ركوبي.

(٤) مختصر تاريخ دمشق ٢٩/ ٢٠٠.

(٥) في (ب): فإذا بها وقد لبست.

دعاءَك، وقد هَدى أمَّ أبي هريرة. وقلت: يارسولَ الله، ادع الله أَن يُحبِّبَني وأُمّي إلى عِبادِهِ المؤمنين، ويحبِّبَهم إلينا. فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ، حبِّبْ عُبَيْدَكَ هذا وأُمَّه إلى عِبادك المؤمنين». فما خلقَ اللهُ من مُؤمنٍ يسمعُ بي ولايراني أو يرى أُمّي إلاّ وهو يُحبُّني[1].

وقال أبو هريرة: إنَّكم تقولون: مابَالُ المُهاجرين لا يُحدِّثون عن رسولِ الله ﷺ بهذه الأحاديث، ومابَالُ الأنصار لايحدِّثون بهذه الأحاديث! وإنَّ أصحابي من المُهاجرين كانتْ تَشغلُهُم صفقاتُهم في الأسواق، وإنَّ أصحابي من الأنصار كانَتْ تَشغلُهُمْ أَرضوهم، والقيامُ عليها، وإنّي كنتُ امرأً مُعتكفًا، وكنت أُكْثِرُ مُجالسةَ رسولِ الله ﷺ، أَحضرُ إذا غابوا، وأَحفظُ إذا نَسوا. وإنَّ النَّبيَّ ﷺ حدَّثنا يومًا، فقال: «مَنْ يَبسُطَ ثوبَه حتى أَفْرَغَ من حَديثي، ثم يقبضه إليه، فإنَّه ليس يَنْسى شيئًا سمعَهُ منّي أبدًا» فبسطتُ ثوبي، أو قال نَمِرَتي. ثم حدَّثنا فقبضْتُهُ إليَّ. واللهِ، مانَسيتُ شيئًا سمعتُهُ منه. وايمُ اللهِ لولا آيةٌ في كتاب اللهِ عزَّ وجلَّ ماحدَّثتُكم بشيءٍ أبدًا ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى ....﴾[2] الآية [البقرة: ١٥٩].

وقال مُجاهد: كان أبو هريرة يقول: واللهِ، إنْ كنتُ لأعتمدُ بكبدي على الأرضِ من الجُوع، وإنْ كنتُ لأشدُّ الحجر على بطني من الجُوع، ولقد قَعدتُ يَومًا على طريقهم الذي يَخرجونَ منه، فمرَّ أبو بكر فسألْتُهُ عن آيةٍ من كتابِ اللهِ، ماسألتُه إلاّ ليستتبعني فلم يفعل [فمرَّ عمرُ، فسألتُهُ عن آيةٍ من كتاب الله، ماسألته إلاّ ليستتبعني[3]، فلم يفعل.] فمرّ أَبو القاسم ﷺ

---

(١) أخرجه أحمد ٢/٢١٩،٢٢٠، ومسلم (٢٤٩١) في فضائل الصحابة. وابن سعد في طبقاته ٤/٣٢٨، وهو في مختصر تاريخ دمشق ٢٩/١٨٥.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٢/٢٧٤، ومسلم (٢٤٩٢) في الفضائل، باب من فضائل أبي هريرة، وابن سعد ٤/٣٣٠.

(٣) في صحيح البخاري ١١/٢٨١، وجامع الترمذي ٤/٦٤٨: ليشبعَني.

فعَرفَ مافي وجهي، ومافي نفسي، فقال: «أباهِرّ». فقلتُ: لبيكَ يارسولَ الله. فقال: «الحَقْ» فتبعتُهُ، ودخلَ، واستأذنتُ، فأذِنَ لي، فوجدَ لبنًا في قدَحٍ، فقال: «من أينَ لكم هذا اللَّبن؟». فقالوا: أهداهُ إلينا فلانٌ، أو آلُ فلان. قال: «أباهِرّ». قلت: لبَّيْكَ يارسولَ الله. قال: «انطلِقْ إلى أهلِ الصُّفَّةِ فادْعُهم»[1]. قال: وأهلُ الصُّفَّةِ أضيافُ الإسلام، لم يأووا إلى أهلٍ ولامالٍ، إذا جاءَتْ رسولَ اللهِ ﷺ هديَّةٌ أصابَ منها، وبعثَ إليهم منها. وإذا جاءَتْه الصدقةُ أرسلَ بها إليهم، ولم يُصِبْ منها، فأحزنَني ذلك، وكنتُ أرجو أن أُصيبَ من اللَّبنِ شربةً أتقوَّى بها بقيَّةَ يومي وليلتي، وقلتُ: أنا الرَّسولُ، فإذا جاءَ القومُ كنتُ أنا الذي أُعطيهم، فما يبقي لي من هذا اللبن؟ ولم يكنْ بدٌّ من طاعةِ اللهِ، وطاعةِ رسولِه، فانطلقتُ فدعَوتُهم، فأقبلوا، فاستأذَنوا، فأَذِنَ لهم، فأخذوا مجالسَهم من البيت، فقال: «أباهِرّ». فقلت: لبَّيكَ يارسولَ الله. قال: «خُذْ، وأعطِهم». فأخذتُ القدَحَ، فجعلتُ أُعطيه الرَّجلَ، فيشربُ حتى يَروى، ثم يردُّ عليَّ القدَحَ، فأُعطيهِ الآخرَ فيشرب حتى يَروَى، ثم يردُّ عليَّ القدحَ، حتى أتيتُ على آخرِهم، فانتهيتُ إلى النبيِّ ﷺ، فأخذَ القدَحَ، فوضعَهُ على يدِه، وقد بقيَ فيه فَضلةٌ، فنظرَ إليَّ وتبسَّمَ، فقال: «أباهِرّ». قلتُ: لبَّيْكَ يارسولَ الله. قال: «بَقِيتُ أنا وأنت». قلت: صَدَقتَ يارسولَ الله. قال: «اقعُدْ فاشرَبْ». فقعدتُ فشربتُ، فقال: «اشرَبْ». فشربتُ، فما زالَ يقول: «اشرَبْ» وأشرَبُ حتى قُلتُ: لاوالذي بعثَكَ بالحقِّ، لاأجدُ له مَسْلَكًا. قال: «فأرِني» فأعطيتُه القدَحَ، فحَمِدَ اللهَ وسمَّى، وشرِبَ الفَضْلَةَ[2].

---

(١) جاءَ في (ب): وفي نسخة: فأعلمهم.

(٢) أخرجه البخاري ١١/٢٨١ (٦٤٥٢) في الرقاق: باب كيف كان عيش النبيِّ ﷺ وأصحابه، وتخليهم عن الدنيا؛ وأحمد ٢/٥١٥، والترمذي ٤/٦٤٨ (٢٤٧٧) في صفة القيامة: باب (٣٦). وفي مختصر تاريخ دمشق ٢٩/١٨٢. ومابين معقوفين مستدركٌ من مسند الإمام أحمد.

وقال عِكْرِمة: إنَّ أبا هريرةَ كان يُسبِّحُ كلَّ يومٍ اثنتي عشرةَ ألف تَسبيحة، ويقول: أُسَبِّحُ بقدرِ ديتي[1].

وقال ابنُ سعد بإسنادِه[2] قال: رأى أبو هُريرةَ زَنجيَّةً كأنَّها شيطانٌ، فقال: ياأباسليمان، اشترِ لي هذه الزَّنجيّة. فانطلقتُ فاشتريتُها، وهو على حمارٍ، فقال لابنه: أرْدِفْها خلفي. فكره ذلك ابنُه، فجعلَ يُرَجيه ليخرجَهُ من السُّوق. فقال: أردِفْها خلفي ويحك، واللهِ لشُعْلَةٌ من نارٍ أجدُ مسَّها خلفي أحبُّ إليَّ من أن أرغبَ عن هذه أن لاأحملَها، إنّي لو انتسَبْتُ وانتسبتْ لم نُجاوِزْ إلاّ قليلاً حتى نجتمعَ، أردفها خلفي. فأردَفَها خلفَه[3].

وقال أبو المُتوكِّل: كان لأبي هُريرة زَنجيَّةٌ [قد غمَّهم بعملها]، فرفعَ عليها السَّوطَ يومًا، فقال: لولا القِصاصُ لأغشيتُكِ به، ولكنْ سأبيعُكِ ممَّنْ يُوفيني ثمنَك، [اذهبي فأنتِ للهِ][4].

وقال أبو عثمان النَّهْدي: تضيَّفْتُ أبا هريرة سَبعًا، فكان هو وامرأتُهُ وخادِمُه يَعْتَقِبُونَ الليلَ أثلاثًا، يُصلِّي هذا، ثم يُوقِظُ هذا، ويُصلِّي هذا ثم يُوقِظُ هذا[5].

وقال أبو هريرة: ماوَجَعٌ أحبُّ إليَّ من الحُمَّى؛ لأنَّها تُعطي كلَّ مَفْصِلٍ قِسْطَه من الوجَع، وإنَّ اللهَ تعالى يُعطي كلَّ مفصلٍ قِسْطَهُ من الأجر[6].

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٣٨٣، وتحرّفت فيه «ديتي» إلى «ديني»! وفي صفة الصفوة ١/ ٦٩١: «ذنبي». وجاء في حاشيته: مختصر الصفوة(١٠٥) ديتي: يعني أنَّ الديةَ اثنا عشر ألف درهم، فهو يسبِّحُ بعددها، لتكونَ فكاكَه من النار.

(٢) كذا في الأصل، وفي صفة الصفوة ١/ ٦٩٢: وعن سليمان بن أبي سليمان عن أبيه قال. . .

(٣) صفة الصفوة ١/ ٦٩٢.

(٤) حلية الأولياء ١/ ٣٨٤، ومابين معقوفين مستدركٌ منه.

(٥) صفة الصفوة ١/ ٦٩٢، مختصر تاريخ دمشق ٢٩/ ١٩٩.

(٦) طبقات ابن سعد ٤/ ٣٣٦.

وقال أبو هريرة: أتيتُ رسولَ اللهِ ﷺ بتمراتٍ، فدعا فيهنَّ بالبَركة، وقال: «اجعَلْهنَّ في مِزوَدِكَ، وإذا أردتَ أنْ تأخُذَ منه شيئًا فخُذْهُ ولا تَنثُرْهُ». فجعلتُه في مِزْوَدي، فوجَّهتُ منه رواحلَ في سبيلِ الله، وكنتُ آكلُ منه، وأُطعمُ، وكان في حَقْوِي[1]، حتى كانَ يومَ قُتِلَ عثمان، فوقعَ، فذهب[2].

وقال ثعلبةُ بن أبي مالك القُرَظيُّ: إنَّ أباهريرةَ أقبَلَ في السُّوق يَحْمِلُ حُزْمةَ حَطَبٍ، وهو يومئذٍ خَليفةٌ لمروان، فقال: أَوْسِعِ الطريقَ للأمير، ياابنَ أبي مالك. فقلتُ: أصلحَكَ الله، تُكْفَى هذا. فقال: أوسِعِ الطريقَ للأمير، والحُزمةُ عليه[3].

وقال محمد بن سِيرِين: كُنَّا مع أبي هريرة، وعليه ثوبانِ مُمَشَّقان[4]، فتمخَّطَ فيهما، فقال: بَخٍ بَخٍ، أبو هريرةَ يتمخَّطُ في الكَتَّان، لقد رأيتُني بين مِنبرِ رسولِ الله ﷺ وحُجْرَةِ عائشةَ أخِرُّ مَغشيًا عليَّ، فيجيءُ الجائي، فيقعدُ على صَدري، فأقول: إنَّه ليس بي ذلك، إنَّما هو الجُوع[5].

وقال مَعْمَر: بلَغَني عن أبي هريرةَ أنَّهُ كان إذا مرَّ بجنازةٍ قال: رُوحي فإنَّا غادون، أو اغدي فإنَّا رائحون، موعظةٌ بليغةٌ، وغفلةٌ سريعة، يذهبُ الأولُ ويبقى الآخرُ لاعقلَ له[6].

---

(١) الحَقْوُ: مَعْقِدُ الإزار. القاموس.

(٢) انظر المسند ٢/٣٥٢، وجامع الترمذي ٥/ ٦٨٥ (٣٨٣٩) في المناقب، باب مناقب أبي هريرة.

(٣) حلية الأولياء ١/ ٣٨٤، ٣٨٥، مختصر تاريخ دمشق ٢٩/ ٢٠٣.

(٤) مُمَشَّقان: أي مصبوغانِ بالمِشْق، وهو الطين الأحمر. فتح الباري ١٣/ ٣٠٧.

(٥) أخرجه البخاري ١٣/ ٣٠٣ (٧٣٢٤) في الاعتصام: باب ماذكر النبي ﷺ وحضَّ على اتفاق أهل العلم؛ والترمذي ٤/ ٥٨٣ (٢٣٦٧) في الزهد: باب ماجاء في معيشةِ أصحابِ النبيِّ ﷺ؛ وأبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٣٧٩، وابن سعدٍ في الطبقات ٤/ ٣٢٦.

(٦) حلية الأولياء ١/ ٣٨٣، مختصر تاريخ دمشق ٢٩/ ٢٠٥.

وقال: إذا رأيتُمْ ستًا فإنْ كانتْ نفسُ أحدِكم في يدِه فليُرْسِلْها، فلذلك أتمَنّى الموتَ، أخافُ أن يُدركني إذا أُمِّرَتِ السُفَهاء، وبيعَ الحُكم، وتُهوّن بالدَّم، وقُطعتِ الأرحام، وكثرتِ الجَلاوِزة[1]، ونشأ نَشْءٌ يتَّخذونَ القرآنَ مزامير[2].

وقال أبو الأسود: بنى رجلٌ دارًا بالمدينةِ، فلمّا فَرَغَ منها مرَّ أبو هُريرةَ عليها وهو واقفٌ على بابِ دارِه، فقال: قِفْ ياأبا هريرة، ماأكتبُ على بابِ داري؟ قال: اكتبْ على بابها: ابنِ للخرابِ، ولِدْ للثُكْلِ، واجمَعْ للوُرّاث[3].

وقال سَلْمُ بنُ بَشير: إنَّ أبا هريرة بكى في مَرَضِه، فقيل له: مايُبكيك؟ فقال: أما إنّه ماأبكي على دُنياكم هذه، ولكنْ أبكي على بُعْدِ سَفري، وقِلَّةِ زادي، وإنّي أصبحتُ في صُعودٍ مُهبطٍ على جنّةٍ أو نارٍ، لاأدري أيّهما يؤخذُ بي[4]؟

وقال ابنُ شَوْذَب: لمّا حضرتْ أبا هريرةَ الوفاةُ بكى، فقيل له: ياأبا هريرة، مايُبكيك؟ قال: بُعْدُ المسافة، وقِلّةُ الزّاد، وعَقَبةٌ كؤود، المَهْبِطُ منها إلى الجَنَّةِ أو إلى النار[5].

وماتَ بالمدينة، وقيل: بالعقَبَة، وقيل: بالعَقِيق سنةَ سبعٍ وخمسين. وقيل: ثمان، وقيل تسعٍ، وله ثمانٌ وسبعونَ سنة[6].

رحمة الله عليه ورضوانه.

---

(١) الجلاوزة: جمع جِلْوَاز، وهو الشرطي. انظر القاموس.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢٩/ ٢٠٥.

(٣) حلية الأولياء ١/ ٣٨٥، مختصر تاريخ دمشق ٢٩/ ٢٠٤.

(٤) طبقات ابن سعد ٤/ ٣٣٩، حلية الأولياء ١/ ٣٨٣.

(٥) صفة الصفوة ١/ ٦٩٤.

(٦) طبقات ابن سعد ٤/ ٣٤٠.

(٤٩٨) هرِمُ بنُ حَيَّان العَبْدِيُّ(*)

من عُبَّاد البصرة، وأعلامِها.

روى عن: عمر بن الخطاب.

روى عنه: الحسن البصري.

وهو أحدُ الزُّهَّاد الثمانية[1].

وتولَّى بعضَ حروب العجم ببلادِ فارس في خلافةِ عمر وعثمان.

قال مالك بن دينار: استُعمِلَ هَرِمُ بن حيَّان فظَنَّ أنَّ قومَه سيأتونه، فأمرَ بنارٍ فأُوقدتْ بينه وبين من يأتيه من القوم، فجاء قومُه يُسلِّمونَ عليه من بَعيد، فقال: مرحبًا بقومي، ادنوا. قالوا: واللهِ، ما نستطيع أن ندنُوَ منك، لقد حالتِ النارُ بيننا وبينك. قال: فأنتم تُريدون أن تُلقوني في نارٍ أعظمَ منها، في نارِ جهنَّم. قال: فرجعوا[2].

وقال الحسن: خرجَ هَرِمُ بنُ حيَّان، وعبد الله بن عامر يؤمَّانِ الحجازَ،

(*) ترجمته في: الزهد لأحمد ٣٣١، طبقات ابن سعد ٧/ ١٣١، طبقات خليفة ١٩٨، تاريخ خليفة ١٤١، ١٥٩، التاريخ الكبير ٨/ ٢٤٣، المعارف ٤٣٥، الجرح والتعديل ٩/ ١١٠، ثقات ابن حبان ٥/ ٥١٣، حلية الأولياء ٢/ ١١٩، الاستيعاب ٤/ ١٥٣٧، صفة الصفوة ٣/ ٢١٣، أسد الغابة ٥/ ٥٧، مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٧٥، سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٨، تاريخ الإسلام ٣/ ٢١١، الإصابة ترجمة ٨٩٤٧، النجوم الزاهرة ١/ ١٣٢، طبقات الشعراني ١/ ٢٩، الكواكب الدرية ١/ ٤٧٤.

(١) قال علقمةُ بن مرثد: انتهى الزهدُ إلى ثمانيةٍ: عامر بن عبد الله بن عبد قيس، وأُويس القَرَني، وهَرِمِ بن حيان، والربيع بن خُثَيم، ومسروق بن الأجدع، والأسود بن يزيد، وأبو مسلم الخَولاني، والحسن بن أبي الحسن. الحلية ٢/ ٨٧.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ١٣٣، حلية الأولياء ٢/ ١٢٠.

فجعلتْ أعناقُ رواحلِهما تخالجانِ الشجر، فقال هرِمٌ لابن عامر: أتُحبُّ أنَّكَ شجرةٌ من هذه الشجر؟ فقال ابن عامر: لا والله، لما أرجو من ربِّي. فقال هَرِم: لكنِّي واللهِ لودِدْتُ أنِّي شجرةٌ من هذه الشجر، أكلتْني هذه الراحلةُ، ثم قَذَفتْني بَعْرًا ولم أُكابِدِ الحساب؛ ياابن عامر، إنِّي أخافُ الداهيةَ الكبرى، إمَّا إلى الجنَّةِ، وإمَّا إلى النار. قال الحسن: وكان هَرِمٌ أفقهَ الرجلَيْنِ وأعلمَهما بالله[١].

وقال أبو نضرة: إنَّ عمر بعثَ هَرِمَ بنَ حَيَّانَ على الخيل، فغضِبَ على رجلٍ، فأمرَ به، فوجِئتْ عنقُهُ، ثم أقبَلَ على أصحابِه، فقال: لاجزاكم اللهُ خيرًا، مانَصحتموني حين قلتُ، ولاكفَفْتُموني عن غضَبي، واللهِ لاآلِي لكم عملاً. ثم كتبَ إلى عمر: ياأمير المؤمنين، لاطاقةَ لي بالرَّعيَّة، فابعثْ إلى عملك[٢].

وقال قتادة: قال هَرِمٌ: مارأيتُ كالنَّارِ نامَ هاربُها، ولاكالجنَّةِ نام طالبُها[٣].

وقال: ما آثرَ الدُّنيا على الآخرةِ حكيم، ولاعَصَى اللهَ كريم[٤].

وقال: صاحبُ الكلامِ على إحدى منزلتَيْن: إنْ قصَّرَ فيه حُصِرَ، وإنْ أَغرقَ أَثِم[٤].

وقال: لوقيل لي: إنَّكَ من أهلِ النار، لم أتركِ العمل؛ لئلا تلومني نفسي، تقولُ لي: ألا صنعتَ، ألا فعلتَ؟[٥].

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ١٢٠.
(٢) حلية الأولياء ٢/ ١٢٠، ١٢١، مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٧٧.
(٣) حلية الأولياء ٢/ ١١٩.
(٤) صفة الصفوة ٣/ ٢١٤.
(٥) حلية الأولياء ٢/ ١٢٢.

وقال عَوْن بن أبي شدَّادِ: لما نزلَ بهَرِمِ الموتُ، قالوا له: ياهرم، أوصِ. قال: أُوصيكم أن تقضوا عنِّي ديني. قالوا: وبما توصي ياهرِم؟ قال: أوصيكم بآخرِ سورةِ النحل، ثم قرأ عليهم: ﴿ادْعُ إلى سَبيلِ ربِّكَ بالحكمةِ والمَوْعِظَةِ الحسَنَةِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إنَّ اللهَ مع الذين اتَّقَوْا والذين هم مُحْسِنون﴾[النحل: ١٢٥ ـ ١٢٨][1].

وقال الحسن: ماتَ هَرِمُ بنُ حَيَّانَ في يومٍ صائفٍ شديدِ الحرِّ، فلما نفضوا أيديَهم عن قبرِه، جاءتْ سَحابةٌ تسيرُ حتى قامتْ على قبرِه، فلم تكنْ أطولَ منه، ولاأقصرَ، ورشَّتْهُ حتى روَّتْه، ثم انصرفتْ[2].

وقال قتادة: أُمطرَ قبرُ هَرِمِ بن حيان من يومه، وأُنبتَ العُشبُ من يومه[2].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.



* * *

(١) حلية الأولياء ٢/١٢١.

(٢) حلية الأولياء ٢/١٢٢.

(٤٩٩) هشام بن أبي عبد الله الدَّسْتُوائيُّ

من علماء البصرة، وعُبَّادِها، ومحدِّثيها.

سمع: قتادة، ويحيى بن أبي كثير، وطبقتهما من البصريِّين، وحمَّاد بن أبي سليمان وطبقتَه من الكوفيِّين، وأبا الزُّبير وطبقته من المكِّيِّين.

قال شعبة: ماأقولُ إنَّ أحدًا طلَبَ الحديث[1] يُريد به وجه اللهِ إلا هشامًا الدَّسْتُوائي، وإنْ كان يقول: ليتَنا نَنجو من هذا الحديثِ كَفَافًا، لا لنا ولا علينا[2].

وقال أبو قَطَن: مارأيتُ أحدًا أكثرَ ذِكرًا للموتِ من هشام الدَّسْتُوائيّ[3].

وقال مسلم بنُ إبراهيم: كان هشام الدَّسْتُوائيُّ لايُطفِئُ السِّراجَ إلى الصُّبح، ويقول: إذا رأيتُ الظُّلمةَ ذكرتُ ظُلمةَ القبر[3].

(*) ترجمته في: طبقات ابن سعد ٧/ ٢٧٩، تاريخ خليفة ٤٢٦، طبقات خليفة ٢٢١، التاريخ الكبير ٨/ ١٩٨، التاريخ الصغير ٢/ ١٠٨، ١١٠، المعارف ٥١٢، الجرح والتعديل ٩/ ٥٩، ثقات ابن حبان ٧/ ٥٦٩، مشاهير علماء الأمصار ١٥٨، حلية الأولياء ٦/ ٢٧٨، الأنساب ٥/ ٣١٠، صفة الصفوة ٣/ ٣٤٨، معجم البلدان ٢/ ٤٥٥، تهذيب الكمال ٣٠/ ٢١٥، سير أعلام النبلاء ٧/ ١٤٩، تذكرة الحفاظ ١/ ١٦٤، تاريخ الإسلام ٦/ ٣١١، ميزان الاعتدال ٤/ ٣٠٠، العبر ١/ ٢٢١، طبقات ابن عبد الهادي ترجمة ١٥٠، تهذيب التهذيب ١١/ ٤٣، طبقات الحفاظ ٨٤، شذرات الذهب ١/ ٢٣٥. واسمُ أبيه أبي عبد الله: سَنْبر، والدستوائي: نسبةً إلى دَسْتوا، كُورة من كور الأهواز، كان يبيعُ الثيابَ التي تجلبُ منها فنُسِبَ إليها.

(١) في (ب): «طلب العلم والحديث».

(٢) الجرح والتعديل ٩/ ٥٩، حلية الأولياء ٦/ ٢٧٨.

(٣) حلية الأولياء ٦/ ٢٧٨.

وقال عبدُ الرحمن بن مَهديّ: سمعتُ هشامًا غيرَ مَرَّةٍ يقولُ إذا حدَّثَ: كم من رجلٍ قد حدَّثَ هذا الحديثَ قد أكلَ التُّرابُ لسانَه[1].

وقال سعيد بنُ عامر: كانَ هشامٌ قد أظلمَ بصرُه من طُولِ البُكاء، فكنتَ تراهُ ينظُرُ إليك فلا يَعرفُكَ إلاَّ أنْ تُكلِّمَه[2].

وقال ابنُ المبارك: سمعتُ هشامًا يقول: عجبتُ للعالِمِ كيفَ يَضْحَكُ[3]؟

وقال أبو نُعيم: قَدِمْتُ البَصرةَ، فلم أرَ بها أفضلَ من رجلين: هشام الدَّسْتُوائي، وحمَّاد بن سلَمة[3].

وماتَ هشامٌ سنةَ ثلاثٍ وخمسين ومئة.

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

(٥٠٠) أبو هاشم الزَّاهد البغداديّ(*)

وهو من أقرانِ أبي عبد الله البَرَاثيّ[4].

قال أحمد بن مَسروق بإسناده: قال أبو هاشم الزَّاهد: إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ وسَمَ الدُّنيا بالوحشة؛ ليكونَ أُنسُ المريدين به دُونها، وليُقْبِلَ المُطيعون إليه بالإعراضِ عنها، فأهلُ المعرفةِ باللهِ فيها مُستوحِشون، وإلى الآخرةِ مُشتاقون[5].

---

(١) حلية الأولياء ٦/ ٢٧٨.

(٢) صفة الصفوة ٣/ ٣٤٨.

(٣) حلية الأولياء ٦/ ٢٧٩.

(*) ترجمته في: حلية الأولياء ١٠/ ٢٢٥، تاريخ بغداد ١٤/ ٣٩٧، صفة الصفوة ٢/ ٣٠٦، الكواكب الدرية ١/ ٥٥٢.

(٤) البَرَاثيّ: نسبةً إلى بَرَاثا موضع ببغداد متصل بالكرخ. الأنساب ٢/ ١١٧.

(٥) حلية الأولياء ١٠/ ٢٢٥، تاريخ بغداد ١٤/ ٣٩٧.

وقال حكيم بن جعفر: نَظَرَ أبو هاشمٍ إلى شَرِيكٍ ـ يعني القاضي ـ يَخرجُ من دارِ يَحيى بن خالدٍ، فبكى، وقال: أعوذُ باللهِ من علمٍ لاينفع[1].

وقال سعيدُ المؤدِّب: قال أبو هاشم: لقَلْعُ الجبالِ بالإبَرِ أيْسَرُ من إخراجِ الكِبْرِ من القلوب[2].

وقال: لو أنَّ الدُّنيا قصورٌ وبساتين، والآخرةُ أكواخٌ لكانتِ الآخرةُ أهْلاً أن تُؤثَرَ على الدُّنيا؛ لبقاءِ تلك، ونَفَادِ هذه[3].

وقال بعضُهم: بلغني أنَّ سُفيانَ الثَّوريَّ جلسَ إلى أبي هاشم الزَّاهد، فقال: مازِلتُ أُرائي، وأنا لا أشعرُ إلى أنْ جالَسْتُ أبا هاشم، فأخذتُ منه تَرْكَ الرِّياء[4].

وقال أبو هاشم: للهِ عبادٌ يُنفقونَ على قدرِ بَضائِعِهم، وله عبادٌ يُنفقونَ على قدرِ حُسْنِ الظَّنِّ به[5]، فأولئك أولئك.

وقال: نظرنا في هذا الأمر، فإذا الذي بَلغوا منه الغاياتِ المتفرِّدُون.

رحمة الله عليه ورضوانه.

* * *

---

(١) حلية الأولياء ١٠/٢٢٥، تاريخ بغداد ١٤/٣٩٨.

(٢) حلية الأولياء ١٠/٢٢٥، وفيها: لقلع الجبال.

(٣) حلية الأولياء ١٠/٢٢٥.

(٤) تاريخ بغداد ١٤/٣٩٧.

(٥) في (أ): على حسن الظن به.

حرف الياء

لم يردْ فيه من الصَّحابةِ أحدٌ. وممَّنْ جاء فيه من غيرِ الصحابة:

(٥٠١) يحيى بن سعيد(*)

أبو سعيد القَطَّان، من أعيانِ البصرةِ وعلمائها ومُحدِّثيها وعُبَّادِها.

سمع: هشام بنَ عُروة، ويحيى الأنصاري والأعمش، وابنَ جُريج، والثَّوريَّ، وشُعبة، ومالكًا ومن في طبقتهم.

روى عنه: ابنُ مَهْدي، وابنُ المَديني، وابنُ حنبل، وابن مَعِين، وابن المثنى، وخَلْقٌ سواهم كثير.

قال ابنُ مَهْدي: اختلفوا يومًا عند شُعبة، فقالوا: اجعلْ بيننا وبينك حَكَمًا. فقال: قد رضيتُ بالأحول ـ يعني يحيى بن سعيد القطَّان ـ فما برِحْنا حتى جاءَ يحيى، فتحاكموا إليه، فقضى على شُعبة. فقال شُعبة: ومَنْ يُطيقُ نقدَكَ ياأحول(١)؟!

(*) ترجمته في: طبقات ابن سعد ٧/ ٢٩٣، تاريخ خليفة ٤٦٨، طبقات خليفة ٢٢٥، التاريخ الكبير ٨/ ٢٧٦، المعارف ٥١٤، تاريخ أبي زرعة (انظر الفهرس)، الجرح والتعديل ٩/ ١٥٠، مشاهير علماء الأمصار ترجمة ١٢٧٨، ثقات ابن حبان ٧/ ٦١١، حلية الأولياء ٨/ ٣٨٠، تاريخ بغداد ١٤/ ١٣٥، الأنساب ١٠/ ١٨٤، صفة الصفوة ٣/ ٣٦٥، تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ١٥٤، تهذيب الكمال ٣١/ ٣٢٩، سير أعلام النبلاء ٩/ ١٧٥، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٩٨، العبر ١/ ٣٢٧، ميزان الاعتدال ٤/ ٣٨٠، طبقات ابن عبد الهادي ترجمة ٢٦١، تهذيب التهذيب ١١/ ٢١٦، الكواكب الدرية ١/ ٤٨٦، و٤/ ٦٢٨، شذرات الذهب ١/ ٣٥٥.

(١) الجرح والتعديل ٩/ ١٥٠، تاريخ بغداد ١٤/ ١٣٦.

وقال أحمد بن حنبل: حدَّثني يحيى القطَّان ومارأتْ عيناي مثلَه[1].

وقال عبدُ الرحمن بن مهدي ـ وذكر يحيى القطان ـ: لم تر عيناكَ مثلَه[2].

وقال محمد بن بشار: يحيى بن سعيد القطَّان إمامُ أهلِ زمانِه[1].

وقال أبو زُرعة[3]: قلتُ ليَحيى بنِ مَعِين: يحيى بن سعيد فوق ابنِ مهدي؟ قال: نعم.

وقال أحمد بن محمد بن يحيى: لم يكنْ أبو سعيد ـ يعني جدَّه يحيى بن سعيد ـ يَمزَحُ ولايَضحَكُ إلاَّ تبسُّمًا، ماأعلمُ أنِّي رأيتُه قهقَهَ قطُّ، ولادخلَ حمَّامًا ولا اكتحلَ ولاادَّهَن[4].

وقال يعقوب بن سفيان: كان يحيى يَختِمُ القرآنَ في كلِّ يومٍ وليلةٍ بين المغرِبِ والعِشاء[5].

وقال يحيى بن معين: أقامَ يحيى بنُ سعيد عشرينَ سنةً يَختِمُ القرآنَ في كلِّ ليلةٍ، ولم يفتْهُ الزَّوَالُ في المسجد أربعين سنة، ومارُئي يَطلب جماعةً قطُّ[5].

وقال بُنْدَار: اختلفتُ إلى يحيى بن سعيد القطَّان أكثرَ من عشرين سنة، فما أظنُّ أنَّه عصَى اللهَ قطُّ[6].

وقال عفَّان: رأى رجلٌ ليحيى بن سعيد قبل موتِهِ بعشرين سنة: بَشِّرْ يحيى بن سعيد بأمانٍ من اللهِ يوم القيامة[6].

---

(1) تاريخ بغداد ١٤/١٣٩.
(2) تاريخ بغداد ١٤/١٣٩، تهذيب الكمال ٣١/٣٣٧.
(3) تاريخ أبي زُرعة ٤٦٢.
(4) تاريخ بغداد ١٤/١٤١، تهذيب الكمال ٣١/٣٤٠.
(5) تاريخ بغداد ١٤/١٤١.
(6) تاريخ بغداد ١٤/١٤٢، تهذيب الكمال ٣١/٣٤١، ٣٤٢.

وقال عبد الله بن سوار: إنَّه رأى في المنام، أو أخبره رجلٌ أنَّه رأى في المنامِ كأنَّ كتابًا مُعلَّقًا من السماء، قال: فقرأتُهُ فإذا فيه: بسم اللهِ الرحمن الرحيم: هذا كتابُ براءةٍ من اللهِ ليحيى بن سعيد الأحول القطَّان[1].

وقال عليُّ بن عبد الله: كُنَّا عند يحيى بن سعيد، فقال لرجلٍ اقرأْ: فقرأ: حَم الدُّخَان، فلمّا أخذ في القراءةِ نظرتُ إلى يحيى يتغيَّرُ، فلما بلغ: ﴿إنَّ يوم الفصلِ ميقاتُهم أجمعين﴾[الدخان: ٤٠] صَعِقَ يحيى، وغُشِيَ عليه، وارتفعَ صدرُهُ من الأرض، وتقوَّسَ، وانقلبَ فأصابَ البابُ فَقَارَ ظهرِه، وسالَ الدَّمُ، فصرخَ النِّساءُ، وخرجنا، فوقفنا بالباب حتى أفاقَ بعدَ كذا وكذا، ثم دخلنا عليه، فإذا هو نائمٌ على فراشه، وهو يقول: ﴿إنَّ يوم الفصلِ ميقاتهم أجمعين﴾[الدخان: ٤٠]، قال: فمازالتْ به تلك[2] القَرْحَةُ حتى مات[3].

وقال عمرو بن علي: قلتُ ليحيى في مرَضِه الذي ماتَ فيه: يُعافيكَ الله. فقال: أحبُّهُ إليَّ أحبُّهُ إلى الله[4].

وماتَ سنةَ ثمانٍ وتسعين ومئة بالبصرة، وله ثمانٌ وسبعون سنة.

وقال عليُّ بنُ المَدِيني: مَكثتُ أشتهي أرى يحيى بنَ سعيد القطَّان في النَّوم مُدَّةً، فصلَّيتُ ليلةَ العَتَمَة، ثم أَوترتُ، فاتَّكأْتُ على سريري، فسَنَحَ لي خالد بن الحارث، فقمتُ إليه وعانقتُه، ثم قلتُ له: مافعلَ بك ربُّك؟ قال: غفَرَ لي، على أنَّ الأمرَ شديدٌ. قلتُ: أينَ معاذ؟ فقد كان رسيلَكَ في الحديث؟ فقال لي: محبوسٌ. قلت: فما فعلَ يحيى بن سعيد القطَّان؟ قال: نراهُ كما تَرونَ الكوكبَ الدُّرِّيَّ في أُفُقِ السماء.

---

(١) تاريخ بغداد ١٤/ ١٤٢.
(٢) في (ب): فمازالت به بعد تلك.
(٣) حلية الأولياء ٨/ ٣٨٢.
(٤) حلية الأولياء ٨/ ٣٨١.

وقال محمد بن يحيى بن سعيد القطّان: رأيتُ أبي في المنام، فرأيتُ أمرًا عَظيمًا جليلاً، فجعلتُ أهابُهُ أنْ أدنُوَ. فقلتُ: ماهذا؟ قال: أُثبِّتُ الناسَ في حديثِ رسولِ اللهِ ﷺ منذُ ثلاثين سنة.

رحمة اللهِ عليه ورضوانه. آمين.

(٥٠٢) يحيى بن أبي كثير(*)

أبو نصر. كان من أهلِ البصرة، فتحوَّلَ إلى اليمامة، تابعيّ.

روى عن: أنس، وابن أبي أوفى، وغيرِهما من الصحابة.

قال أيوب: مابقيَ على وجهِ الأرض مثلُ يحيى بن أبي كثير[١].

وقال عبد الله بن يحيى بن أبي كثير: سمعتُ أبي يقول: لايأتي العلمُ براحةِ الجسم[٢].

وسمعتُه يقول: مِيراثُ العلمِ خيرٌ من الذهب، واليَقِينُ الصالحُ خيرٌ من اللؤلؤ[٣].

وقال الأوزاعي: قال يحيى بن أبي كثير: العالِمُ مَنْ يخشى اللهَ عزَّ وجلَّ[٣].

(*) ترجمته في: طبقات ابن سعد ٥/ ٥٥٥، طبقات خليفة ٢١٥، التاريخ الكبير ٨/ ٣٠١، التاريخ الصغير ٢/ ٢٨، ضعفاء العُقَيلي ٤/ ٤٢٤، الجرح والتعديل ٩/ ١٨٢، ثقات ابن حبان ٧/ ٥٩١، حلية الأولياء ٣/ ٦٦، صفة الصفوة ٤/ ٧٥، جامع الأصول ١٥/ ٥٥٨، تهذيب الكمال ٣١/ ٥٠٤، سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٧، تذكرة الحفاظ ١/ ١٢٨، ميزان الاعتدال ٤/ ٤٠٢، العبر ١/ ٢٣٧، تاريخ الإسلام ٥/ ١٧٩، تهذيب التهذيب ١١/ ٢٦٨، الكواكب الدريّة ١/ ٤٨٤، شذرات الذهب ١/ ١٧٦.

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٥٥٥.

(٢) حلية الأولياء ٣/ ٦٦.

(٣) حلية الأولياء ٣/ ٦٧.

وقال: يقولُ الناسُ: فلانٌ النّاسِك، وإنّما الناسِكُ الوَرِعُ[1].

وقال: ماصلَحَ منطِقُ رجلٍ إلاّ عَرفتُ ذلك في سائرِ عملِه، ولافَسَدَ منطِقُهُ إلاّ عرفتُ ذلك في سائرِ عملِه[1].

وقال: إنَّ ذِكرَكَ حسناتِكَ ونِسيانَكَ سيّئاتِكَ غِرّةٌ[1].

وقال: سِتٌّ مَنْ كُنَّ فيه فقدِ استكملَ الإيمان: قتالُ أعداءِ اللهِ بالسّيف، والصيامُ في الصيفِ، وإسباغُ الوضوء في اليوم الشاتي، والتّبكير للصلاةِ في اليوم الغيم[2]، وتركُ الجِدالَ والمِراء، وأنت تعلمُ أنّكَ صادِقٌ، والصَّبرُ على المصيبة[1].

وقال: أفضلُ الأعمالِ الوَرَعُ، وأفضلُ العبادةِ التواضُعُ[1].

وقال: يصومُ الرَّجلُ عن الحلالِ والطّيب، ويُفطِرُ على الحرامِ الخبيث لحمِ أخيه ـ يعني اغتيابَه[3].

وقال: لايُعجبْكَ حلمُ امرئٍ حتى يَغضبَ، ولاأَمانَتُهُ حتى يطمعَ، فإنّكَ لاتدري على أيِّ شِقيه يَقع[3]؟

وقال: ثلاثٌ لايكنَّ في بيتٍ إلاّ نُزِعَتْ منه البَرَكةُ: السَّرَف، والزِّنا، والخِيانة[3].

وقال: تَعلّموا النّيّةَ، فإنّها أبلغُ من العمل[4].

وقال عامرُ بنُ يسَاف: كان يحيى بن أبي كثير حَسَنَ اللِّباس، حسَنَ الهيئةِ، وماتَ ولم يتركْ إلاّ ثلاثين درهمًا، كفّنوه بها[5].

---

(١) حلية الأولياء ٣/٦٨.
(٢) في الحلية ٣/٦٨: «في يوم الغيم».
(٣) حلية الأولياء ٣/٦٩.
(٤) حلية الأولياء ٣/٧٠.
(٥) حلية الأولياء ٣/٦٧.

وماتَ سنةَ تسعٍ وعشرين ومئة[1]، وقيل سنة اثنتين وثلاثين.

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

(٥٠٣) يحيى بن معاذ بن جعفر(*)

أبو زكريا الرَّازيُّ.

كانَ نزيلَ الرَّيِّ، ثم انتقلَ إلى نيسابور، وماتَ بها، وقيل بغيرها.

كان أوحدَ وقتِهِ في فنِّه، له لسانٌ في الرَّجاء خصوصًا، وكلامٌ حسَنٌ في المعرفة.

سمعَ: إسحاق بن سليمان الرازي، ومَكِّيَّ بن إبراهيم البلخي، وعليَّ بن محمد الطَّنافسي.

روى عنه خلقٌ من أهلِ الرَّيِّ، وهَمَذَان، وخراسان.

جمعَ بينَ العلم والعبادة والوَعظِ، فمن كلامِه:

قال الحسن بن علويه: سمعتُ يحيى بن معاذ الرازي يقول: من لم يكنْ ظاهرُهُ مع العَوام فضَّةً، ومع المُريدين ذهبًا، ومع العارفين المقرَّبين دُرًّا وياقوتًا، فليس من حكماء اللهِ المُريدين[2].

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/٥٥٥.

(*) ترجمته في: طبقات الصوفية ١٠٧، حلية الأولياء ١٠/٥١، تاريخ بغداد ١٤/٢٠٨، الرسالة القشيرية ١/١٠١، مناقب الأبرار ٧٤/ب، المنتظم ٥/١٦، صفة الصفوة ٤/٩٠، وفيات الأعيان ٦/١٦٥، سير أعلام النبلاء ١٣/١٥، البداية والنهاية ١١/٣١، طبقات الأولياء ٣٢١، طبقات الشعراني ١/٨١، الكواكب الدرية ١/٧٢٦.

(٢) حلية الأولياء ١٠/٦٩، تاريخ بغداد ١٤/٢٠٩.

وقال: مَنِ استفتحَ بابَ المعاشِ بغيرِ مفاتيحِ الأقدار وُكِلَ إلى المخلوقين.

وقال: العبادةُ حِرْفةٌ، وحوانيتُها الخَلْوةُ، ورأسُ مالِها الاجتهادُ بالنِّيَّة، ورِبْحُها الجنَّة، والصَّبْرُ على الخَلوةِ من علاماتِ الإخلاص[1].

وقال: الدُّنيا دارُ أشغال، والآخرةُ دارُ أهوال، ولايزالُ العبدُ بين الأشغالِ والأهوالِ حتى يَستقرَّ به القرارُ إمَّا إلى جنَّةٍ وإمَّا إلى نار[2].

وقال: جوعُ التَّوَّابين تجربةٌ، وجوعُ الزَّاهدين سياسةٌ، وجوع الصِّدِّيقين تكْرِمةٌ[3].

وقال: الفَوْتُ أشَدُّ من الموت؛ لأنَّ الفوتَ انقطاعٌ عن الحقِّ، والموتُ انقطاعٌ عن الخَلْق، فليسَ من تاهَ فيه كمن تاهَ بعجائب ماورَدَ عليه منه[4].

وقال: الوحدَةُ مُنيةُ الصِّدِّيقين، والأُنس بالناس[5] وحشتُهم، والزَّاهِدُ صافي الظاهر مُخَلَّطُ الباطن، والعارفُ مخلَّطُ الظاهر صافي الباطن، فأهلُ المعرفةِ وَحْشُ اللهِ في الأرض، لايأنَسُونَ إلى أحدٍ، والزَّاهدونَ غُرباءُ في الدنيا، والعارفون غُرَباءُ في الآخرة[6].

وقال: مالكَ تأسفُ على مفقودٍ لايردُّهُ عليك الفَوْتُ؟ ومالكَ تفرَحُ بموجودٍ لايتركُه في يديك الموت؟[7].

---

(١) طبقات الصوفية ١٠٩، وفيها: «الاجتهادُ بالسنَّة».
(٢) طبقات الصوفية ١١٠.
(٣) طبقات الصوفية ١١١.
(٤) الخبر حتى عن الخلق في طبقات الصوفية ١١٢.
(٥) في (أ): «والإنس من الناس».
(٦) طبقات الصوفية ١١٢، وانظر حلية الأولياء ١٠/ ٦٠.
(٧) طبقات الصوفية ١١٢، حلية الأولياء ١٠/ ٦٠.

وقال له رجلٌ: أخبرني عن اللهِ تعالى ماهو؟ فقال: إلٰهٌ واحدٌ. فقال: كيف هو؟ قال: مَلِكٌ قادِرٌ. قال: أين هو؟ قال: بالمِرْصاد. فقال: ليس عن هذا أسألُكَ. قال: فذاكَ صِفَةُ المخلوقِ، فأمَّا صفةُ الخالِقِ فما أخبرتُكَ به[1].

وقال: الزُّهْدُ ثلاثةُ أشياء: القِلَّةُ، والخَلْوَة، والجُوع، وعند نُزولِ البلاء تَظهرُ حقائقُ الصَّبرِ، وعند مُكاشفةِ المَقدورِ تظهرُ حقائقُ الرِّضا، ومحبوبُ اليوم يُعقِبُ المكروهَ غدًا، ومَكروهُ اليوم يُعقِبُ المحبوبَ غدًا[2].

وقال: اجتنبْ صُحبةَ ثلاثةِ أصنافٍ من الناس: العلماء الغافلين، والقُرَّاءِ المُداهنين، والمُتصوِّفةِ الجاهلين[2].

وقال: لستُ أبكي على نفسي إنْ ماتَتْ، إنَّما أبكي على حاجتي إنْ فاتَتْ، إلٰهي، إنْ لم ترحمْني رحمةَ الكرامةِ عليك، فارحمْني رحمةَ الانقطاعِ إليك[3].

وقال: يابن آدم، لايزالُ دينُكَ مُتمزِّقًا مادامَ قلبُك بحبِّ الدُّنيا متعلِّقًا، اترُكِ الدُّنيا قبلَ أن تتركَكَ، واسترضِ ربَّكَ قبلَ مُلاقاتِه، واعمرْ بيتَكَ الذي تسكنُهُ قبلَ انتقالِكَ إليه[4].

وقال: مَفاوِزُ الدُّنيا تُقطَعُ بالأقدام، ومَفاوِزُ الآخرةِ تُقْطَعُ بالقلوب[5].

وقال: إنْ وضعَ عليهم عدلَه لم تبقَ لهم حسنةٌ، وإنْ أنالَهُمْ فضلَه لم يُبْقِ عليهم سيِّئة[5].

وقال: الدُّنيا أميرُ مَنْ طلبَها، وخادِمُ مَنْ تركَها، الدُّنيا طالبةٌ ومَطْلوبةٌ،

---

(١) طبقات الصوفية ١١٢، حلية الأولياء ١٠/٦٠.
(٢) طبقات الصوفية ١١٣.
(٣) حلية الأولياء ١٠/٥١، ٥٢.
(٤) حلية الأولياء ١٠/٥٢، ٥٣.
(٥) حلية الأولياء ١٠/٥٢.

فمَنْ طلبَها رفضتْه، ومن رَفَضَها طلَبَتْه؛ الدُّنيا قنطرةُ الآخرة، فاعبُروها ولاتَعْمُروها، فليس من العقلِ بنيانُ القصورِ على الجُسور؛ مَنْ طلَّقَ الدنيا فالآخرةُ زوجتُه، فهي مُطَلَّقةُ الأكياس، فخلِّها ولاتذكرْها، واذكرِ الآخرةَ ولاتَنْسَها، وخُذْ من الدنيا مايُبلِّغُكَ الآخرة، ولاتأخذْ منها مايمنعُكَ من الآخرة[1].

وقال: الناسُ ثلاثةٌ: رجلٌ شغَلَهُ معادُهُ عن معاشِه فتلك درَجَةُ الفائزين؛ ورجلٌ شغَلَهُ معاشُهُ لمعادِهِ فتلك درجةُ الصالحين؛ ورجلٌ شغلَهُ معاشُهُ عن مَعادِه، فتلك درجةُ الهالكين. فلاتجعلِ الزُّهدَ حرفتَكَ لتكسبَ به الدُّنيا ولكنِ اجعَلْهُ عبادَتَك لتنالَ بها الآخرة[2].

وقيل له: كيفَ يَعْبُدُ الرجلُ من غيرِ بضاعةٍ تُعينُهُ على العبادة؟ فقال: أولئك قومٌ بِضاعتُهُم مولاهم، وزادُهُم تَقْواهم، وشُغلُهم ذكراهم، ومن اهتمَّ بعشائه لم يَتهنَّأ بغذائه[3]، ومن أرادَ تسكينَ قلبِه بشيءٍ دونَ مَولاه لم يزدْهُ استكثارُهُ من ذلك إلاَّ اضطرابًا[4].

وقال: طوبَى لمن أصبحتِ العبادةُ حرفتَه، والفقرُ مُنيَتَهُ، والعزلةُ شهوتَهُ، والآخرةُ همَّتَه، والقناعةُ بُلْغَتَه، والموتُ فكرتَه، والزُّهْدُ نيَّتَه، وأماتَ بالذُّلِّ عزَّتَه، وجعلَ إلى الرَّبِّ حاجتَه[5].

وقال: الدِّرهم عَقربٌ، فإنْ لم تُحسنْ رقيتَها فلاتأخُذْها بيدِك.

وقال: عَفْوُهُ يستغرِقُ الذُّنوبَ فكيف رِضوانُه؟ ورِضوانُهُ يستغرِقُ الآمالَ فكيف حبُّه؟ وحبُّه يُدهشُ العقولَ فكيف وُدُّه؟ ووُدُّهُ يُنسي مادونه فكيف لُطفُه؟.

---

(١) حلية الأولياء ١٠/٥٣، ٥٤.

(٢) حلية الأولياء ١٠/٥٦، ٥٧، صفة الصفوة ٤/٩٣.

(٣) في (ب): «بمعاشه لم يتهنأ بغذائه».

(٤) حلية الأولياء ١٠/٥٧.

(٥) حلية الأولياء ١٠/٥٨.

وقال: لاتكنْ ممَّنْ يَفضَحُهُ يومَ موتِه ميراثُه، ويومَ حشرِهِ ميزانُه[1].

وقال: زلَّةٌ واحدةٌ بعد التَّوبةِ أقبَحُ من سبعين قبلَها.

وقال: الورَعُ الوقوفُ على حدِّ العلم من غيرِ تأويلٍ، وهو على وجهَين: ورَعٌ في الظاهر وهو أنْ لايتحرَّكَ إلاَّ للهِ، وورَعٌ في الباطن، وهو أن لايدخلَ قلبَكَ سواه، ومن لم ينظرْ في الدَّقيقِ من الورَعِ لم يَصلْ إلى الجليل من العَطاء.

وقال: الزُّهدُ يُورِثُ السَّخاءَ بالملك، والحبُّ يُورث السَّخاء بالروح، ولايبلغ أحدٌ حقيقةَ الزُّهدِ حتى تكونَ فيه ثلاث خِصال: عَمَلٌ بلا علاقة، وقولٌ بلا طَمَع، وعزٌّ بلا رِئاسة.

وقال: مِسكين ابنُ آدم، لو خافَ من النارِ كما يَخافُ من الفقرِ لدخلَ الجنَّة[2].

وقال: الجوعُ نُورٌ، والشِّبَعُ نارٌ، والشَّهوَةُ مثلُ الحطبِ يتولَّدُ منه الإحراقُ، ولايَنطفئُ نارُهُ حتى يُحرِقَ صاحبَه.

وقال: صبرُ المُحِبِّين أشدُّ من صَبرِ الزَّاهِدِين، واعجَبًا! كيف يَصبِرون؟! ثم أنشد:

الصَّبْرُ يَجْمُلُ في المواطِنِ كلِّها ... إلاَّ عليكَ فإنَّهُ لايَجْمُلُ[3]

وقال: من استحيا من اللهِ مُطيعًا استحيا اللهُ منه وهو مُذنبٌ.

وقال في صِفةِ الأولياء: هم عِبادٌ تَسَرْبَلوا بالأُنسِ بعد المُكابَدةِ، واعتنقوا الرُّوحَ بعد المُجاهدة.

---

(١) حلية الأولياء ١٠/٦٣.

(٢) تاريخ بغداد ١٤/٢١٢.

(٣) طبقات الأولياء ٣٢٦.

وقال: حقيقةُ المَحَبّةِ مالا ينقصُ بالجفاءِ ولايَزيدُ بالبر[1]. وليس صادقٌ مَنِ ادَّعى محبّةَ اللهِ ولم يحفظْ حدودَه. ومِثقالُ خَرْدَلةٍ من الحُبِّ أَحَبُّ إليّ من عبادةِ سبعين سنةً بلا حبٍّ، ومن نَشَرَ المحبّةَ عند غيرِ أهلِها فهو في دَعْواهُ دَعِيٌّ.

وقال: عَلامةُ الشَّوقِ فِطامُ الجوارِحِ عن الشَّهَوات.

وقال: كلُّ موجودٍ من الدُّنيا لم يكنْ لك عَونًا على تركها فهو عليكَ لا لك، ومن فرَّ إلى اللهِ بذنبِهِ وهو يتَّهِمُهُ في رِزْقِهِ فإنما يفرُّ منه لا إليه.

وقال: من تَشاغَلَ بأسبابِ المعاشِ عن عبادةِ ربِّه فقد سَكَنَ فُوْقُ[2] الشيطانِ من قلبِه، ومن تشاغلَ باللهِ عن المعاشِ دخلتْ أسبابُ المعاشِ في درج عِبادتِه.

وقال: أيُّها المُريدون، إنِ اضطُرِرْتُم إلى طلبِ الدُّنيا فاطلبوها ولاتدَّخِروها[3]، أَشغِلوا بها أبدانَكم، وعلِّقوا بغيرِها قلوبَكم؛ فإنّها دارُ مَمَرٍّ وليستْ بدارِ مَقَرٍّ، الزَّادُ منها، والمَقِيلُ في غيرِها.

وقال: إنَّ من أعظَمِ الاغترارِ عندي التَّمادي في الذُّنوب، على رجاءِ العَفْوِ من غيرِ نَدَامة، وتوقُّعَ القربِ من اللهِ بغيرِ طاعةٍ، وانتظارَ زَرْعِ الجنَّةِ ببذارِ النار، وطلبَ دار المُطيعين بالمعاصي، وانتظارَ الجَزَاءِ بغيرِ عمل، والتَّمَنِّي على اللهِ مع الإفراط.

وقال: ثمرةُ البُكاءِ الضَّحِكُ في الجِنان، ومجالسُ الذِّكرِ معادِنُ الثواب، ومُجالسةُ الفقراء علامةُ الإرادة، وإظهارُ التَّوَكُّلِ بغيرِ صدقٍ عَناء،

---

(١) صفة الصفوة ٤/ ٩٣.

(٢) كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب «فقد مكَّنَ فُوقَ..»، والفُوق من السَّهْم: موضِعُ الوتر. اللسان (فوق).

(٣) في صفة الصفوة ٤/ ٩٥: «ولاتحبُّوها».

وطلبُ الزُّهد فِرارًا من العمل بَطالةٌ، ولُبسُ الصوفِ من قَبْلِ إماتةِ شهوةِ النَّفس جهالة، وتركُ المكاسِبِ مع الحاجةِ إليها كَسَلٌ، والكَسْبُ مع وجودِ الاستغناءِ عنه كُلْفة، والصَّبرُ على العزلةِ علامةُ وجودِ الطريق، والتَّعَبُّدُ مع تضييعِ العِيالِ جَهْلٌ.

وقال: أشتهي القيامةَ لثلاثةِ أشياء: لدولةِ الحقِّ، ورحمةِ الخَلْق، وقُرَّةِ عينِ المؤمن.

وقال: إنْ كنتَ تُذنِبُ ولاتُبالي فإنَّ لك ربًّا يعفو ولايُبالي.

وقال: لاتَتَّخِذْ من القُرناءِ إلاَّ من فيه ثلاثُ خِصال: من حذَّرَكَ غَوائلَ الذُّنوب، وعرَّفَكَ مَدانسَ العيوب، وسارَ بكَ إلى علاَّمِ الغيوب.

وقال: إلٰهي، طاعتي - وإنْ قلَّتْ - فإنَّ فيها رِضاك، ومعصيتي - وإنْ عظُمَتْ - فإنَّها لاتَضرُّكَ، فاقبَلْ منِّي مايُرضيكَ عنِّي وإنْ قَلَّ، واغفِرْ لي مالايَضرُّكَ وإنْ جَلَّ؛ إلٰهي، دَليلي عليكَ نعمُكَ، ووسيلتي إليك كرمُك، فأنِلْني غدًا من كرمِكَ حسبَ ماأولَيْتَني اليومَ من نعمِك. اللهمَّ، لا أقوَى على شروطِ التَّوبةِ فاغفِرْ لي بلاتوبة، اللهمَّ، حُجَّتي حاجتي، ووسيلتي فاقَتي؛ إلٰهي، أدعوكَ اضطِرارًا، وأنتَ تُجيبُني[1] اختيارًا؛ إلٰهي، أحلى العطايا في قلبي رَجاؤكَ، وأعذَبُ الكلامِ على لساني ثناؤك، وأحبُّ الساعاتِ إليَّ ساعة يكونُ فيها لِقاؤك.

وقال: مُحاربةُ الصِّدِّيقين مع الخطرات، ومُحاربةُ الأبدالِ مع الفكرات، ومُحاربةُ الزُّهَّادِ مع الشهوات، ومحاربةُ التَّائبينَ مع الزلأت.

وقال: من كان غِناهُ بربِّه لم يَزَلْ غَنيًّا، ومن كان غِناهُ بكسبه لم يزَلْ فقيرًا.

وقال: أطِعْ مولاكَ تَنجُ من كلِّ آفةٍ، وتباعَدْ من قَرين السَّوء تَنجُ من الملامة، ولاتحلِفْ باللهِ تَنجُ من الكفَّارة، واحفظْ لسانَك تنجُ من المَعْذِرة.

---

(١) في (ب): «تجتبيني».

وقال: اختلافُ الناسِ كلِّهم يَرْجِعُ إلى ثلاثةِ أُصول، ولكلٍّ واحدٍ منها ضِدٌّ، فمن سقطَ عنه وقعَ في ضِدِّه: التَّوحيدُ وضدُّه الشِّرْك، والسُّنَّةُ وضدُّها البِدْعة، والطاعةُ وضدُّها المعصية.

وقال: الخَوفُ شجرةٌ في القلب، وثمرتُهُ الدُّعاءُ والتضرُّع، فإذا خافَ القلبُ أجابتِ الجوارحُ إلى الطَّاعات، وتناهَتْ عن المعاصي.

وقيل له: من آمَنُ الخلقِ غدًا؟ قال: أشدُّهم خَوفًا اليوم.

وقال: ليس من لزِمَ بابَ المَلِك لحاجتِهِ إليه كمن ألزَمَهُ المَلِكُ مجلِسَهُ بكرامتِهِ عليه. فقيل: من هؤلاء وهؤلاء؟ فقال: العاملون والذاكرون.

وقال: كم بينَ مَنْ يُريدُ حضورَ الوَليمة للوليمة، وبين من يُريدُ حضورَ الوليمةِ ليلقَى الحبيبَ في الوليمة!

وقال: من استمعتْ أُذُنُه لربِّه صُمَّتْ عن خَلْقِه.

وسُئلَ عن الدُّنيا فقال: رُوِيَ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «الدُّنيا مَلعونةٌ، مَلْعونٌ مافيها إلاَّ ما كان للهِ تعالى»[1]. ثم قال: مايحبُّ الملعونُ إلاَّ مَنْ هو ألْعَنُ منه، ثم أنشَد:

دَعِ الدُّنيا لناكحِها ... سيُصبِحُ من ذَبائحِها

أرى الدُّنيا وإنْ صلَحَتْ ... تَدُلُّ على فضائحِها

مُصدِّقةً لعائِبها ... مُكذِّبةً لمادِحِها

وقال: الكلامُ الحسَنُ حسنٌ، وأحسَنُ من الكلامِ مَعناه، وأحسَنُ من

---

(1) رواه الدارمي في سننه ١/ ٩٤، باب في فضل العلم والعالم، عن كعب، وابن ماجه ٢/ ١٣٧٧، في الزهد، باب مثل الدنيا، والترمذي ٤/ ٥٦١ (٢٣٢٢) في الزهد، باب (١٤)، كلاهما عن أبي هريرة، وأبو نعيم في الحلية ٣/ ١٥٧، و٧/ ٩٠ عن جابر. قال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ غريب.

معناه استعمالُهُ، وأحسنُ من استعماله ثوابُه، وأحسنُ من ثوابه رضا مَنْ يُعمَلُ له[1].

وقال: اللهمَّ لاتجعَلْنا ممَّنْ يدعو إليك بالأبدان، ويَهْرُبُ منك بالقلوب، ياأكرَمَ الأشياء علينا، لاتجعَلْنا أهونَ الأشياءِ عليك[2].

وقال: عملٌ كالسَّراب، وقلبٌ من التقوى خَراب، وذُنوبٌ بعددِ الرَّمْلِ والتُّراب، ثم تطمعُ في الكواعِب الأتراب؟ هيهات، أنتَ سكرانُ بغيرِ شراب؛ ماأكمَلَكَ لو بادرتَ أمَلَك! وماأجَلَّكَ لو بادَرْتَ أجَلَك! ماأقواكَ لو خالفتَ هَواك[3]!

وقال: كيف أمتنعُ بالذنب من الدُّعاء؟ ولاأراكَ تمتنعُ بذنبي من العطاء[4]؟

وقال: ذَنْبٌ أفتقرُ به إليه أحبُّ إليَّ من طاعةٍ أُدِلُّ بها عليه[5].

وقال: إلٰهي، كيف أفرَحُ وقد عصَيتُك؟ وكيف لاأفرَحُ وقد عرَفْتُك؟ إلٰهي، كيف أدْعُوكَ وأنا خاطئ؟ وكيف لاأدعوكَ وأنت كريم[6]؟

وقال: ليكنْ بيتَكَ الخلوةُ، وطعامَكَ الجوع، وحديثَكَ المناجاة، فإمَّا أنْ تموتَ بدائك، أو تصلَ إلى دوائك[6].

وقال: مُصيبتان للعبد في مالِهِ عند موتِه، لم يسمعِ الأوَّلونَ والآخرون بمثلهما. قيل له: ماهما؟ قال: يُؤخَذُ منه كلُّهُ، ويُسألُ عنه كلِّه[7].

---

(١) تاريخ بغداد ١٤/ ٢٠٩.
(٢) صفة الصفوة ٤/ ٩٠.
(٣) تاريخ بغداد ١٤/ ٢١٠، صفة الصفوة ٤/ ٩٠.
(٤) حلية الأولياء ١٠/ ٩١، تاريخ بغداد ١٤/ ٢١١.
(٥) صفة الصفوة ٤/ ٩٦.
(٦) صفة الصفوة ٤/ ٩١.
(٧) صفة الصفوة ٤/ ٩١، ٩٢.

وقال: يابنَ آدم، طلبتَ الدُّنيا طلبَ مَنْ لابُدَّ له منها، وطلبتَ الآخرةَ طلَبَ من لاحاجةَ له إليها، والدُّنيا فقد كُفيتَها وإنْ لم تطلبْها، والآخرةُ بالطَّلبِ منك تَنالها[1].

وقال: لا تستبطئْ الإجابةَ إذا دعوتَ، فقد سَدَدْتَ طُرقاتِها بالذُّنوب[2].

وقال: الليلُ طويلٌ فلا تُقَصِّرْهُ بمنامِك، والنهارُ نقِيٌّ فلا تدَنِّسْهُ بآثامِك[3].

وقال: ألا إنَّ العاقلَ المُصيبَ مَنْ عمِلَ ثلاثًا: تركَ الدُّنيا قبلَ أن تتركَهُ، وبَنَى قبرَهُ قبلَ أن يَدْخُلَهُ، وأرضى ربَّهُ قبلَ أنْ يلقاه[3].

وقال: الدُّنيا خراب، وأخْربُ منها قلبُ من يَعْمُرُها، والآخرةُ دارُ عِمران، وأعمَرُ منها قلبُ مَنْ يَطلبُها[4].

وقال: على قَدْرِ خوفِكَ من اللهِ يَهابُك الخَلْق، وعلى قَدْرِ حُبِّكَ للهِ يُحبُّك الخَلْق، وعلى قدرِ شُغلِكَ بأمرِ اللهِ يَشتغِلُ الخَلْقُ بأمرِك[5].

وقال: إنْ قالَ لي يومَ القيامة: عبدي، ماغَرَّكَ بي؟ قلتُ: إلٰهي، بِرُّكَ بي[4].

وقال: رضي اللهُ عن قومٍ فغفرَ لهم السَّيِّئاتِ، وغضِبَ على قومٍ فلم يَقبَلْ منهمُ الحسنات[4].

وقال: يامن ألْزَمني طاعةً لاحاجةَ به إليها[6]، لاتَمنعْني مغفرةً لاغِنَى

---

(١) صفة الصفوة ٤/ ٩٣.
(٢) حلية الأولياء ١٠/ ٥٣.
(٣) صفة الصفوة ٤/ ٩٤.
(٤) صفة الصفوة ٤/ ٩٥.
(٥) طبقات الصوفية ١١١.
(٦) في (ب): «له بها».

بي[1] عنها. إلٰهي، إنْ غفرْتَ فخيرُ راحم، وإنْ عَذَّبْتَ فغيرُ ظالم؛ إلٰهي، ارحمْني لِقُدرتِكَ عليَّ ولحاجَتي إليك؛ يامنْ أعطانا خيرَ مافي خزائنِه: الإيمانَ به قبل السُّؤال، لاتمنعْنا عفوَكَ مع السؤال؛ يامنْ يَغضَبُ على من لايَسألُه، لا تمنعْ مَنْ قد سألَكَ[2].

وقال: لا تَرتفعُ للمؤمن سيِّئةٌ إلا وهو يَخافُ أن يُؤخذَ بها، والخوفُ حسنَةٌ. ويَرْجو أن يُعفى عنها، والرجاءُ حسَنَة[3].

وقال: هذا سروري بكَ خائفًا، فكيف سُروري بك آمِنًا؟ هذا سروري بك في المحابِس، فكيف سُروري بك في المجالِس[4]. هذا سروري بكَ في قَرَاطِقِ[5] الخدمة، فكيف سُروري بك في غَلائلِ النِّعمة؟ هذا سُروري بك في دارِ الفنَاء، فكيف سروري بك في دار البقاء؟.

وقال: خرجَ الزَّاهدون من الدُّنيا بداءٍ لايَشفيهم إلاَّ دخولُ الجنَّة، وخرجَ العارفونَ من الدُّنيا بداءٍ لايَشفيهم إلاَّ رُؤْيتُه.

وقال: لاتَسْكنْ إلى نفسِك، وإنْ دَعَتْكَ إلى طاعة.

وقال: سبحانَ مَنْ طيَّبَ الدنيا للعارفين بمعرفته، وسُبحانَ من طيَّبَ لهم الآخرةَ بمغفرتِه.

وقال: حين خاطروا بالنُّفوسِ وجدوه، وحين هَتكوا الحُجُبَ احتجبوا.

وقال: القلوبُ كالقُدورِ في الصُّدور، تَغْلي بما فيها، ومَغارِفُها ألسنتُها[6].

---

(١) في (ب): «الاغنى لي».
(٢) بعض الخبر في صفة الصفوة ٤/٩٦، و٩٧.
(٣) صفة الصفوة ٤/٩٧.
(٤) في (أ): «في تلك المجالس».
(٥) قراطق: جمع قُرْطَق، وهو لُبْسٌ معروف، معرب كُرْتَهْ.
(٦) حلية الأولياء ١٠/٦٣.

وقال: إنّما صارَ الفقراءُ أسعدَ على الذِّكرِ من الأغنياء، لأنّهم في حَبْسِ اللهِ، ولو أُطْلِقوا من حِصارِ الفقرِ لوجدتَ مَنْ يثبتُ منهم على الذِّكْرِ قليلاً[1].

وقال: ألْقِ حسنَ الظَّنِّ على الخلْق، وسوءَ الظَّنِّ على نفسِك؛ لتكونَ من الأوّلِ في سلامةٍ، ومن الآخرِ على زيادة[1].

وقال: أبناءُ الدُّنيا يَجدونَ لَذَّةَ الكلام، وأبناءُ الآخرةِ يجدونَ لذَّةَ المعاني[2].

قلتُ: كلامُ يحيى بنِ مُعاذِ الرّازيِّ ومواعظُهُ كثيرةٌ، وقدِ اقتصرْنا على هذا القَدْرِ من كلامِه.

وماتَ سنةَ ثمانٍ وخمسين ومئتين.

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

(٥٠٤) يحيى بن يحيى(*)

أبو زكريّا النَّيْسابوريُّ.

روى عن: مالكِ بنِ أنس، واللَّيْثِ بنِ سعد، وابنِ المبارك، وغيرِهم.

قال أبو بكر المَروزيُّ: ذَكَر أحمدُ بنُ حنبل يومًا ابنَ المُبارك فقال:

---

(١) حلية الأولياء ١٠/ ٦٣.

(٢) حلية الأولياء ١٠/ ٦٣، ٦٤.

(*) ترجمتُه في: التاريخ الكبير ٨/ ٣١٠، التاريخ الصغير ٢/ ٣٢٥، الجرح والتعديل ٩/ ١٩٧، الثقات لابن حبان ٩/ ٢٦١، صفة الصفوة ٤/ ١١٥، تهذيب الكمال ٣٢/ ٣١، سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥١٢، تذكرة الحفاظ ٢/ ٤١٥، العبر ١/ ٣٩٧، طبقات ابن عبد الهادي الترجمة ٣٩٦، مرآة الجنان ٢/ ٩١، تهذيب التهذيب ١١/ ٢٩٦، النجوم الزاهرة ٢/ ٣٤٨، شذرات الذهب ٢/ ٥٩.

مارفعَه اللهُ إلا بخَبيئةٍ كانتْ له، ماأخرجتْ خُراسانُ مثلَ ابن المبارك، ولابَعْد ابنِ المبارك مثلَ يحيى بن يحيى[1].

وقال المروزي: شرِبَ يحيى بنُ يحيى شَرْبَةَ داوءٍ، فقالتْ له امرأتُه: لو قمتَ فتردَّدْتَ في الدار. فقال يحيى: ماأدري ماهذه المشيَةُ، إنّي أُحاسبُ نفسي منذُ أربعين سنة[2].

وقال الحسنُ بنُ عليٍّ بن بُنْدار: كانَ يحيى بنُ يحيى يحضرُ مجلسَ مالكٍ، فانكسرَ قلمُهُ، فناولَهُ المأمونُ قلمًا من ذهبٍ أو مِقلَمةَ ذهب، فامتنعَ من قبولِها، فقال له المأمون: ماإسمُك؟ قال: يحيى بنُ يحيى النَّيسابوري. فقال: تعرِفُني؟ قال: نعم، أنتَ المأمونُ ابنُ أمير المؤمنين. قال: فكتبَ المأمونُ على ظهر جُزْئِه: ناولتُ يحيى بن يحيى النَّيسابوريَّ قلمًا في مجلِسِ مالكٍ فلم يقبلْه. فلمّا أفضتِ الخلافةُ إليه بعثَ إلى عامِلِه بنيسابور، وأمرَهُ أنْ يولِّيَ يحيى بن يحيى القضاءَ، فبعثَ إليه يستدعيه، فقال بعضُ الناس: إنَّه يمتنعُ من الحُضور، وليَتَهُ أَذِنَ للرسولِ، فأُنفِذَ إليه كتابُ المأمون، فقُرِئَ عليه، فامتنعَ من القضاء، فردَّ إليه ثانيًا، وقال: إنَّ أميرَ المؤمنينَ يأمرُكَ بشيءٍ وأنتَ من رعيَّتِه، وتأبى عليه؟ فقال: قلْ لأميرِ المؤمنين: ناولْتَني قلمًا وأنا شابٌّ فلم أقبلْه، أفتُجْبِرُني الآنَ على القضاءِ وأنا شيخ؟ فرُفِع الخبَرُ إلى المأمونِ، فقال: قد علمتُ امتناعَهُ، ولكنْ ولِّ القضاءَ رجلاً يَختارُه. فبعثَ إليه العاملُ في ذلك، فاختارَ رجلاً، فوُلِّيَ القضاء، ودخلَ على يحيى وعليه سَوَاد، فضمَّ يحيى فِراشًا كان جالسًا عليه كراهيةَ أنْ يجمعَه وإيَّاه. فقال: أيُّها الشيخ، ألم تخترْني؟ قال: إنَّما قلتُ أختاره، وماقلتُ لك: تقلَّدِ القضاء[3].

---

(١) صفة الصفوة ٤/١١٥.

(٢) صفة الصفوة ٤/١١٥، وفيه: «إني أحارب نفسي».

(٣) صفة الصفوة ٤/١١٥، ١١٦.

وتوُفِّي يحيى سنةَ ستٍّ وعشرين ومئتين.

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

(٥٠٥) يزيد بن أبان الرَّقَاشي(*)

تابعيّ. روى: عن أنس بن مالك، وعن الحسَن، وغيره.

وهو من عُبَّادِ البَصرة وأعيانِها.

قال أشعثُ بنُ سوَّار[١]: دخلتُ على يزيدَ الرَّقَاشِيِّ فقال: ياأشعثُ، تعالَ نبكي على الماءِ البارِدِ في يوم الظمأ. وجعلَ يقول: سَبَقَني العابدون، وقُطِعَ بي، والَهْفَاه. وقد صامَ اثنتين وأربعين سنة[٢].

وقال ثابتٌ البُنَانِيّ: مارأيتُ أحدًا أصبرَ على طولِ القيامِ والسَّهَرِ من يزيد بن أبَان[٣].

وقال عبدُ الخالقِ بن موسى: جَوَّعَ يزيدُ نفسَه للهِ عزَّ وجلَّ ستين عامًا حتى ذَبُلَ جسمُه، ونهكَ بدنُه، وتغيَّرَ لَونُه، وكان يقول: غَلَبني بطني، فما أقدِرُ له على حِيلة[٤]!.

(*) ترجمته في: طبقات ابنِ سعد ٧/ ٢٤٥، طبقات خليفة ٢١٤، التاريخ الكبير ٨/ ٣٢٠، التاريخ الصغير ١/ ٣٤٣، الضعفاء للعقيلي ٤/ ٣٧٣، الجرح والتعديل ٩/ ٢٥١، المجروحين لابن حبان ٣/ ٩٨، الكامل في الضعفاء لابن عدي ٧/ ٢٥٦، حلية الأولياء ٣/ ٥٠، صفة الصفوة ٣/ ٢٨٩، مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٣١٠، تهذيب الكمال ٣٢/ ٦٤، ميزان الاعتدال ٤/ ٤١٨، تاريخ الإسلام ٥/ ١٨٣، تهذيب التهذيب ١١/ ٣٠٩، الكواكب الدريّة ١/ ٤٨٧.

(١) في (ب): يسار، وهو تصحيف.

(٢) حلية الأولياء ٣/ ٥٠، صفة الصفوة ٣/ ٢٨٩.

(٣) صفة الصفوة ٣/ ٢٨٩.

(٤) حلية الأولياء ٣/ ٥٠، تهذيب الكمال ٣٢/ ٧٠.

وقال زُهير: كان يزيدُ الرَّقاشيُّ قد بكى حتى تناثرَتْ أشفارُه، وأحرقتِ الدُّمُوعُ مجاريها من وجهِه[1].

وقال سلمةُ بن سعيد: قالوا ليزيد الرَّقاشيّ: أمَا تسأَمُ من كثرةِ البُكاء؟ فبكى وقال: واللهِ لودِدْتُ أنّي أبكي بعد الدُّموعِ الدِّماء، وبعدَ الدماءِ الصَّدِيد.

وكان يقول: ابكِ يايزيدُ على نفسِك قبلَ حينِ البُكاء. يايزيدُ، من يُصلِّي لك بعدَكَ؟ أو من يصومُ؟ يايزيد، مَنْ يَضرَعُ لك إلى ربِّكَ بعدَك؟ ومَنْ يدعو[2]؟

وكان يقول: ياإخوتاه، ابكوا، فإنْ لم تجدوا بُكاءً فارحموا كلَّ بكَّاءٍ[3].

وقال: إنَّ المُتجوِّعينَ للهِ تعالى في الرَّعيلِ الأولِ يومَ القيامة[4].

وقال: خُذوا الكلمةَ ممَّن قالها ولم يعملْ بها؛ فإنَّ اللهَ تعالى يقول: ﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾[الزمر: ١٨][4].

وقال أبو القاسم المُذَكِّر: دخلَ يزيدُ الرَّقاشيُّ على عمر بن عبد العزيز، فقال له: عِظْني. فقال له: أنتَ أوَّلُ خليفةٍ يموتُ ياأمير المؤمنين. قال: زدْني. قال: لم يبقَ أحدٌ من آبائكَ من لَدُن آدمَ إلى أن بَلَغَتِ النَّوبةُ إليك إلاَّ قد ذاقَ الموت. قال: زِدْني. قال: ليسَ بين الجنَّةِ والنار مَنزل، واللهُ يقول: ﴿إنَّ الأبرار لفي نعيم، وإنَّ الفُجَّارَ لفي جحيم﴾[الانفطار: ١٣، ١٤]، وأنتَ أبصرُ بِبِرِّكَ وفُجورِك. فبكى عمرُ حتى سقطَ عن سريرِه[5].

---

(١) صفة الصفوة ٣/ ٢٩٠.
(٢) صفة الصفوة ٣/ ٢٩٠، وهو بنحوِه في حلية الأولياء ٣/ ٥١.
(٣) صفة الصفوة ٣/ ٢٩٠.
(٤) حلية الأولياء ٣/ ٥١.
(٥) تهذيب الكمال ٣٢/ ٧٦.

وقال: أيُّها المُتَفَرِّدُ في حُفْرَتِه، المُتَخَلِّي في القبر بوحدتِه، المُستأنِسُ في بطنِ الأرض بأعمالِه، ليتَ شعري؛ بأيِّ أعمالِكَ استبشرتَ؟! وبأيِّ إخوانِك اغتبطتَ؟! ثم يبكي حتى تَبتلَّ عِمامتُهُ ويقول: استبشَرَ واللهِ بأعمالِه الصالحة، واغتبطَ واللهِ بإخوانِه المُتعاونين على طاعةِ الله[1].

وقال دُهَيْم العِجْلي: لقِيتُ يزيدَ الرَّقَاشيَّ فقلتُ: كيف أصبحتَ رحمكَ الله؟ قال: كيفَ يُصبحُ من تُعدُّ عليه أنفاسه، ويُحصى لانقضاء أجله؟ لايدري على خيرٍ يَقدَمُ أم على شرٍّ؟ ثم ذَرَفَتْ عيناه[2].

وقال: انظروا إلى هذه القُبور سُطوراً بأفناءِ الدُّور، تَدَانوا في خِطَطِهم، وقربوا في مَزارِهم، وبعدوا في لقائهم، سَكنوا فأوحشوا، وعمروا فأخربوا، فمنْ سامعٌ بساكنٍ موحشٍ، وعامرٍ مُخَرَّبٍ غير أهل القبور؟[3].

وقال: خمس يَقْبحنَ[4] من خمسٍ: الحرصُ من القُرَّاء، والعَجَلَةُ من الأمراء، والفُحشُ من ذوي الشَّرف، والبُخلُ من ذوي المال، والفُتوَّةُ من ذوي الأسنان[5].

وقال حَوشَبُ بنُ عَقيلٍ: سمعتُ يزيدَ الرَّقَاشيَّ يقولُ لما حضرَهُ الموت: ﴿كُلُّ نفسٍ ذائقةُ المَوْت وإنَّما تُوَفَّوْنَ أُجورَكُمْ يومَ القيامة﴾[آل عمران: ١٨٥]، ألاَ إنَّ الأعمالَ مُحضرةٌ، والأُجورَ مُكْملةٌ، ولكلٍّ ساعٍ ماسعى، وغايةُ الدُّنيا وأهلِها إلى الموت. ثم بكى وقال: يامَنِ القبرُ مَسكَنُه، وبين يدي اللهِ موقِفُه، والنارُ غدًا موردُه، ماذا قدَّمْتَ لنفسِك؟ ماذا

---

(١) تهذيب الكمال ٣٢/ ٧٣.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٣١٤.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٣١٤، تهذيب الكمال ٣٢/ ٧٤، ٧٥.

(٤) في تهذيب الكمال: «يُفْتَخَرْ».

(٥) في (أ): «الأنساب» والخبر في مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٣١٤، تهذيب الكمال ٣٢/ ٧٥.

أعددْتَ لمصرعِك؟ ماذا أعددْتَ لوقوفِك بين يدي ربِّك؟[1].

ولما احتُضِرَ يزيدُ الرَّقَاشيُّ بكى، فقيل له: مايُبكيكَ يرحمُكَ الله؟ فقال: أبكي واللهِ على مايَفوتُني من قيام الليلِ وصيامِ النهار[2].

رحمةُ اللهِ عليه ورضوانه.

(٥٠٦) يزيد بن الأسود(*)

أبو الأسود، الجُرَشيُّ. من عُبَّادِ دمشقَ وأعيانِها وتابعيها، أدركَ الجاهليَّةَ، وأسلمَ ولم يلقَ النبيَّ ﷺ[3]، وكان يسكنُ بقريةِ زِبْدِين[4] من دمشق.

روى عنه: يونُس بن مَيْسَرة، وأبو اليمان.

وقال الحافظ أبو القاسم[5]: بلَغَني أنَّه كان يصلِّي العشاءَ الآخرة بمسجدِ دمشق، ويخرجُ إلى زِبْدِين، فيُضيءُ إبهامُهُ اليمنى، فلا يزالُ يَمْشي في ضوئها إلى أن يَبلُغَ زبدين.

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٣١٤، تهذيب الكمال ٣٢/ ٧٦.

(٢) تهذيب الكمال ٣٢/ ٧٦.

(*) ترجمته في: طبقات ابن سعد ٧/ ٤٤٤، التاريخ الكبير ٨/ ٣١٨، الجرح والتعديل ٩/ ٢٥٠، الثقات لابن حبان ٥/ ٥٣٢، الاستيعاب ٤/ ١٥٧٠، الأنساب ٣/ ٢٢٨، صفة الصفوة ٤/ ٢٠٢، أسد الغابة ٥/ ١٠٣، تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ١٦١، مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٣١٧، تاريخ الإسلام ٣/ ٢١٣، سير أعلام النبلاء ٤/ ١٣٦، البداية والنهاية ٨/ ٣٢٤، الإصابة ترجمة ٩٣٩٣.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٣١٧.

(٤) زبدين: قريةٌ من قرى غوطةِ دمشق الشرقية، تبعدُ عن دمشق ١٢ كم. انظر الريف السوري ٢/ ١٣و١٢٠.

(٥) انظر مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٣١٨.

وقال عبدُ اللهِ بنُ يزيد القُرشي: إنَّ يزيدَ بنَ الأسود الجُرَشيَّ كانَ يسيرُ هو ورجلٌ من أهلِ حمصَ يُقالُ له عمرو في أرضِ الرُّوم، فبيناهما يَسيرانِ إذْ سمعا مُناديًا يُنادي: يايزيد بن الأسود، إنَّكَ لمن المُقرَّبين، وإنَّ صاحبَكَ لمن العابِدين، ومانحنُ بكاذبين، وإنَّا على ذلكم من الشاهدين. قال: فكانَ هذا يقولُ لهذا: أنتَ نُوديت، وهذا يقولُ لهذا: أنتَ نُوديت. قال: فكان الأوزاعيُّ يقولُ إذا ذَكَرَ هذا الحديث: إلى هذا انتهى الفَضْل[1].

وقال أبو اليمان: إنَّ يزيدَ بنَ الأسود قال لقومِه: اكتبوني في الغزو. قالوا: قد كبِرْتَ وضعُفتَ، وليس بك غَزْوٌ. قال: سبحانَ الله! اكتبوني في الغزو، فأينَ سَوادي في المسلمين؟! قالوا: أمَّا إذْ فعلتَ فأفْطِرْ وتقوَّ على العدوِّ. قال: ماكنتُ أُراني أبقى حتى أُعاتَبَ في نفسي، واللهِ لاأُشبعُها من طعامٍ، ولاأُوطئُها من منامٍ حتى تلحَقَ بالذي خلقَها.

وقال أبو مَسْعَدَةَ الجُرَشيُّ: كان يزيدُ بنُ الأسود ـ وكانوا يَرَون أنَّهُ من الأبْدال ـ قد حَلَفَ ـ واللهِ فَبَرَّ ـ ألاَّ يضحكَ أبدًا، ولايَنامَ مُضطجعًا، ولايأكلَ سمينًا أبدًا. فما رُئِيَ ضاحكًا ولامُضطجعًا، ولاآكلَ سمينًا حتى ماتَ رحمه الله[2].

وقال سُليم بنُ عامر: إنَّ السماءَ قُحطتْ، فخرجَ معاويةُ بن أبي سفيان وأهلُ دمشق يَستسقون، فلمّا قعَدَ معاويةُ على المِنْبَر قال: أينَ يزيدُ بنُ الأسود الجُرَشيّ؟ فناداهُ الناسُ، فأقبَلَ يتخطَّى، فأمَرَهُ معاويةُ فصَعِدَ المنبرَ، فقعَدَ عند رجليه، فقال معاوية: اللهمَّ إنَّا نستشفعُ إليك اليومَ بخيرِنا وأفضَلِنا، اللهمَّ إنَّا نستشفعُ إليك اليومَ بيزيدَ بنِ الأسود الجُرَشي، يايزيد، ارفَعْ يديكَ إلى الله. فرفَعَ يزيدُ يديه ورفَعَ الناسُ أيديَهم، فما كان

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٣١٨/٢٧.
(٢) مختصر تاريخ دمشق ٣١٩/٢٧.

أوشكَ أنْ ثارتْ سحابةٌ في الغرب كأنَّها تُرسٌ، وهبَّتْ لها ريحٌ، وسُقينا حتى كادَ الناسُ أن لايبلغوا منازلَهم[1]

وقال عليُّ بن أبي حملة: أصابَ الناسَ قَحْطٌ بدمشق، وعلى الناسِ الضحَّاكُ الفِهري[2]، فخرجَ بالنَّاسِ يَستسقي، فقال: أينَ يزيدُ بنُ الأسود الجُرَشيّ؟ فلم يُجبْهُ أحدٌ، ثم قال: أينَ يزيدُ بنُ الأسود الجُرَشيّ؟ فلم يُجِبْهُ أحدٌ، ثم قال: أين يَزيدُ بنُ الأسود الجُرَشيّ؟ عزَمْتُ عليه إنْ كان يسمعُ كلامي إلاَّ قام، فقامَ وعليه بُرْنُسٌ[3] واستقبلَ الناسَ بوجهه ورفعَ جانبَيْ بُرْنُسِهِ على عاتقيه، ثم رفعَ يدَيْه، ثم قال: اللهمَّ يارب[4]، إنَّ عِبادكَ قد تَقرَّبوا بي إليكَ فاسقِهم. قال: فانصرفَ الناسُ وهم يخوضونَ الماءَ، فقال: اللهمَّ، إنَّهُ قدْ شَهَرَني فأرِحْني منه. قال: فما أتَتْ عليه جُمعةٌ حتى قُتِلَ الضحَّاك[5].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.



* * *

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٤٤، المعرفة والتاريخ ٢/ ٣٨٠.

(٢) الضحاك بن قيس الفهري: سيدُ بني فِهر، وأحدُ الولاةِ الشجعان، شهدَ فتح دمشق، وشهد صفّين مع معاوية، وولاَّهُ الكوفةَ سنةَ ٥٣ هـ، وتولّى الصلاةَ على معاوية يوم وفاتِه، دعا إلى بيعةِ ابن الزُّبير بدمشق، ولما انعقدَتِ البيعةُ لمروانَ بنِ الحكم امتنع على مروان، فقُتل في مَرجِ راهط سنةَ ٦٥ هـ. الأعلام.

(٣) البُرْنُس: كلُّ ثوبٍ رأسُه منه. القاموس.

(٤) في المعرفة والتاريخ، ومختصر تاريخ دمشق: «أي رب».

(٥) المعرفة والتاريخ ٢/ ٣٨١، مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٣١٩.

(٥٠٧) يزيد بن زُرَيع (*)

أبو معاوية العَيْشيُّ، من عُبَّادِ البصريِّين.

سمعَ: أيوبَ، وابنَ أبي عَرُوبة، وغيرَهما.

روى عنه ابنُ المُبارك.

قال أحمدُ بنُ حنبل: يزيدُ بنُ زُرَيْع كانَ يعملُ الخُوصَ[١] ، وكان أبوه زُرَيع واليَ البصرة، فلم يكنْ يأكلُ من مالِهِ شيئًا، وماأتقَنَهُ وأحفظَه! صدوقٌ مُتْقِنٌ[٢].

وقال أبو سُليمان الأشقر: تنزَّهَ يزيدُ بنُ زُرَيع عن خمس مئةِ ألفٍ من مِيراثِ أبيه فلم يأخُذْه[٢].

وقال المَروزيُّ: سمعتُ أُمَيَّةَ بنَ بِسطام ابنَ عمِّ يزيدَ بنِ زُرَيع يقول: كان يَزيدُ يَعملُ الخُوص، وكان يكونُ في هذا البيت، وأشارَ إلى بيت لطيف في المسجد[٢].

وتوفِّي بالبَصرةِ سنةَ اثنتين وثمانين ومئة[٣].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه آمين.

(*) ترجمته في: طبقات ابن سعد ٧/ ٢٨٩، طبقات خليفة ٢٢٤، تاريخ خليفة ٣٢٩، ٤٥٦، التاريخ الكبير ٨/ ٣٣٥، التاريخ الصغير ٢٠٨، ٢١٠، الجرح والتعديل ٩/ ٢٦٣، مشاهير علماء الأمصار ١٦٢، الثقات لابن حبّان ٧/ ٦٣٢، الأنساب ٨/ ٣١٠، صفة الصفوة ٣/ ٣٦٤، جامع الأصول ١٥/ ٥٦٤، تهذيب الكمال ٣٢/ ١٢٤، سير أعلام النبلاء ٨/ ٢٦٣ (٧٨)، العبر ١/ ٢٨٤، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٥٦، طبقات ابن عبد الهادي ترجمة ٢٢٥، تهذيب التهذيب ١١/ ٣٢٥، نزهة الألباب (ريحانة البصرة) ١/ ٣٣١، شذرات الذهب ١/ ٢٩٨.

(١) الخُوص: جمع خُوصَة، وهي ورق النخل، والخوّاص: بائعُه. القاموس(خوص).

(٢) صفة الصفوة ٣/ ٣٦٥.

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٨٩.

(٥٠٨) يزيدُ بنُ مَرْثَد(*)

أبو عُثمانَ الهَمْدَانيُّ. من تابعي دمشق.

أدركَ عُبادةَ بنَ الصَّامت، وشدَّادَ بنَ أوس، وروَى عن عبدِ الرحمن بنِ عوف، ومُعاذِ بنِ جبل، وأبي الدَّرْداء، وأبي ذرّ.

قال عبدُ الرحمنِ بنُ يزيدَ بنِ جابر: كان يزيدُ بنُ مَرْثَد رجلاً كثيرَ البُكاء، فقال له رجلٌ: إنَّك لتُكثرُ البُكاء. فقال له: ومامسألتُكَ عن ذلك؟ قال: عسى اللهُ أن ينفعَني به. قال: ياأخي، إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قد توعَّدَني إنْ عصَيتُهُ أنْ يَحْبِسَني في النار، واللهِ لو لم يتواعدْني أنْ يَسجُنَني إلاَّ في الحمَّامِ لكنتُ حَرِيًّا أن لاتجفَّ لي عين. فقال له: فهكذا أنتَ في خَلْوتِك؟ قال: ومامَسألتُك عن ذلك؟ قال: عسى اللهُ عزَّ وجلَّ أنْ يَنفعَني به. فقال: واللهِ إنَّ ذلك ليعرض لي حين أسكنُ إلى أهلي، فيحُول بيني وبين ماأُريد، وإنَّه ليوضَعُ الطعامُ بين يدي فيحول بيني وبين أكلِهِ، حتى تبكي امرأتي وتبكي صِبيانُنا مايدرونَ ماأبكانا، ولربَّما أضجَرَ ذلك امرأتي، فتقول: ياوَيْحَها، ماخصَّتْ[1] به من طولِ الحُزْنِ معك في الحياةِ الدُّنيا، ماتقرُّ لي عينٌ معك، ياوَيْلَها، ماذا بُليت[2] به من بين نساءِ العالمين بك[3].

(*) ترجمته في: تاريخ البخاري ٨/ ٣٥٧، الجرح والتعديل ٩/ ٢٨٨، الثقات لابن حبان ٥/ ٥٤٦، حلية الأولياء ٥/ ١٦٤، مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١١، تهذيب الكمال ٣٢/ ٢٣٩، تاريخ الإسلام ٤/ ٢١٤، تهذيب التهذيب ١١/ ٣٥٨، شذرات الذهب ١/ ٢٠٨.

(١) في تاريخ دمشق: «لما خُصَّتْ».

(٢) في (ب): «ابتليت».

(٣) حلية الأولياء ٥/ ١٦٤، مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٢، ١٣.

وقال الوَضِينُ بنُ عَطاء: أرادَ الوَلِيدُ بنُ عبد الملك أنْ يولِّيَ يزيدَ بنَ مَرْثَد القضاءَ، فبلغَ ذلك يزيدَ، فلَبِسَ فَروةً، وقَلَبَها، فجعلَ الجِلْدَ على ظهرِهِ والصوفَ خارجًا، وأخذَ بيدِه رغيفًا وعَرْقًا[1]، وخرجَ بلا رِداءٍ ولا قَلَنسُوةٍ ولانَعْلٍ ولاخُفٍّ، وجعلَ يمشي في الأسواقِ، ويأكلُ، فقِيلَ للوليد: إنَّ يزيدَ قدِ اختلَطَ، وأُخبر بما فعَلَ، فتركَه[2].

رحمة اللهِ عليه ورِضوانه.

(٥٠٩) يزيد بن ميسرة(*)

أبو يوسف الجُبْلانيُّ، دمشقيٌّ سكَنَ حِمْصَ.

روى عن: أُمِّ الدَّرداء، وأبي إدريس الخَوْلانيّ.

قال الأوزاعيُّ: قَدِمَ عطاءُ الخُراسانيُّ على هشام، فنزلَ على مكحولٍ، فقال لمكحول: هٰهنا أحدٌ يُحرِّكُنا؟ قال: نعم، يزيدُ بنُ ميسرة. فأتَوْهُ، فقال عطاء: حَرِّكْنا رحمَكَ الله. قال: نعم، كانتِ العلماءُ إذا علموا عَمِلوا، فإذا عَمِلوا شُغلوا، فإذا شُغلو فُقدوا، فإذا فُقدوا طُلبوا، فإذا طُلبوا هَربوا. قال: أعِدْ عليَّ. فأعادَ عليه، فرجعَ عطاءٌ ولم يلقَ هشامًا[3].

وقال يزيدُ: لاتبذُلْ عِلمَكَ لمن لايَسألُه، ولاتَنثُرِ اللؤلؤَ عند من لايَلْتقطُه، ولاتَنشُرْ بضاعتَكَ عندَ من يكسدُها عليك[4].

---

(١) العَرْقُ: العظمُ أُكِلَ لحمُه.

(٢) حلية الأولياء ٥/ ١٦٥، مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٣.

(*) ترجمته في: التاريخ الكبير ٨/ ٣٥٥، التاريخ الصغير ١/ ٣١٥، تاريخ أبي زرعة ١/ ٦٢٨، ٦٢٩، الجرح والتعديل ٩/ ٢٨٨، ثقات ابن حبان ٧/ ٦٢٧، حلية الأولياء ٥/ ٢٣٤، طبقات الشعراني ١/ ٤٥، الطبقات الصغرى للمناوي ٦٣٠.

(٣) حلية الأولياء ٥/ ٢٣٤، ٢٣٥.

(٤) حلية الأولياء ٥/ ٢٣٥.

وقال: البُكاءُ من سبعةِ أشياء: من الفرحِ، والحُزْن، والفزَع، والوجَع، والرِّياء، والشُّكر، وبُكاءٌ من خشيةِ اللهِ؛ فذلك الذي تُطفِئ الدَّمعةُ منه أمثالَ الجبالِ من النار[1].

وقال: اتَّقِ نارَ المؤمنِ لاتحرقْكَ؛ فإنَّه لو عَثَرَ في اليوم سبعَ مرَّاتٍ كانتْ يدُهُ بيد الله يُنعِشُهُ إذا شاء[2].

وقال: لاتضرُّ نعمةٌ معها شكرٌ، ولابلاءٌ معه صبرٌ، ولبلاءٌ في طاعةِ اللهِ تعالى خيرٌ من نعمةٍ في معصيةِ اللهِ تعالى[2].

وقال: أحسِنوا صُحبةَ نِعَمِ اللهِ، فواللهِ ماأنفرَها[3] عن قومٍ فكادَتْ ترجعُ إليهم[4].

وقال: إنْ ظللتَ تدعو على رجلٍ ظلمَكَ، فإنَّ الله يقول: إنَّ آخرَ يدعو عليك، فإنْ شئتَ استجَبْنا لك، وأجَبْنا عليك، وإنْ شئتَ أخَّرْتُكما إلى يومِ القيامة، ووسعكما عفوُ الله تعالى[5].

وقال: إذا زكَّاكَ رجلٌ في وجهك فأنكِرْ عليه، واغضبْ ولاتغترَّ بذلك، وقل: اللهمَّ، لاتؤاخذنا بما يقولون، واغفِرْ لنا مالايَعلمون، اللهمَّ اجعلْ مخافتَكَ في قلوبنا، وأدِمْ على قلوبِنا ذِكرَ الموت[6].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٢٣٥.
(٢) حلية الأولياء ٥/ ٢٣٦.
(٣) في (أ): «ماأنفدها».
(٤) حلية الأولياء ٥/ ٢٣٨.
(٥) حلية الأولياء ٥/ ٢٣٩.
(٦) حلية الأولياء ٥/ ٢٤٠.

(٥١٠) يزيد بن هارون(*)

أبو خالد السُّلَميّ، من أهلِ واسط.

سمع: يحيى بنَ سعيد الأنصاريّ، وسُليمانَ التَّيميّ، وعاصمَ الأحول، وحُمَيْد الطويل، وخَلْقًا كثيرًا من الأعلام.

روى عنه: أحمدُ بنُ حنبل، وعليُّ بنُ المَدِيني، وأبو خيثمة، وعددٌ كثير.

قال عليُّ بنُ المَدِيني: مارأيتُ رجلاً قطُّ أحفظَ من يزيدَ بنِ هارون(1).

وقال أحمدُ بن سِنان: مارأيتُ عالمًا قطُّ أحسنَ صلاةً من يزيدَ بنِ هارون، يقومُ كأنَّهُ أُسْطُوانةٌ، كان يُصلِّي بين المغرِبِ والعِشاء، والظُّهرِ والعصر، ولم يكنْ يَفترُ من صلاةِ الليلِ والنهار(2).

وقال عاصمُ بنُ عليّ: كانَ يزيدُ بنُ هارون إذا صلَّى العَتَمَةَ لايزالُ قائمًا حتى يُصلِّي الغَداةَ بذلك الوضوءِ نيِّفًا وأربعين سنة(3).

(*) ترجمته في: طبقات ابن سعد ٧/ ٣١٤، تاريخ خليفة ٤٧٢، طبقات خليفة ٣٢٦، التاريخ الكبير ٨/ ٣٦٨، التاريخ الصغير ٢/ ٢٨١، المعارف ٥١٥، الجرح والتعديل ٩/ ٢٩٥، مشاهير علماء الأمصار ترجمة ١٤٠٦، ثقات ابن حبان ٧/ ٦٣٢، تاريخ بغداد ١٤/ ٣٣٧، صفة الصفوة ٣/ ١٧، جامع الأصول ١٥/ ٥٧٣، تهذيب الكمال ٣٢/ ٢٦١، سير أعلام النبلاء ٩/ ٣٥٨، تذكرة الحفاظ ١/ ٣١٧، العبر ١/ ٣٥٠، دول الإسلام ١/ ١٢٨، طبقات ابن عبد الهادي ترجمة ٢٧٩، تهذيب التهذيب ١١/ ٣٦٦، طبقات الحفاظ ١٣٢، طبقات الشعراني ١/ ٦٤، شذرات الذهب ٢/ ١٦.

(1) تاريخ بغداد ١٤/ ٣٣٩، تهذيب الكمال ٣٢/ ٢٦٧.

(2) تاريخ بغداد ١٤/ ٣٤٠، تهذيب الكمال ٣٢/ ٢٦٨.

(3) تاريخ بغداد ١٤/ ٣٤١.

وقال محمد بنُ إسماعيل الصائغ: قال رجلٌ ليزيدَ بنِ هارون: كم جُزؤكَ من الليل؟ فقال: وأنامُ من الليلِ شيئًا؟ إذًا لاأنامَ اللهُ عيني[١].

وقال الحسن بن عرفة: رأيتُ يزيدَ بنَ هارون بواسط وهو من أحسنِ الناس عينين، ثم رأيتُهُ بعينٍ واحدة، ثم رأيتُهُ وقد ذهبتْ عيناه، فقلت: ياأبا خالد، مافعلتِ العينانِ الجميلتان؟ قال: ذَهَبَ بهما بكاءُ الأسحار[٢].

وقال الحسن الزَّعْفرانيُّ: مارأيتُ أحدًا قطُّ خيرًا من يزيدَ بنِ هارون[١].

وقال ابنُ أكثم: قال لنا المأمونُ يومًا: لولا مَكانُ يزيدَ بنِ هارون لأظهرتُ القرآن مخلوق. فقال بعضُ جُلسائه: ياأميرَ المؤمنين، من يزيدُ حتى يُتَّقى؟ فقال: ويحك! إنِّي لأرتضيه لا أنَّ له سُلطانًا[٣] أو سلطنة؛ ولكنِّي أخافُ أنْ أُظهرَهُ فيردَّ عليَّ، فيختلِفَ الناسُ، وتكونُ فتنةٌ، وأنا أكرَهُ الفتنة. فقال له الرجل: فأنا أُخبرُ لك ذلك منه. فخرجَ إلى وَاسط، فجاءَ إلى يزيدَ، فدخلَ عليه المسجدَ وجلسَ إليه، فقال له: ياأبا خالد، إنَّ أميرَ المؤمنين يُقرِئكَ السلامَ، ويقولُ لك: إنِّي أُريدُ أنْ أُظهرَ القرآن مخلوق. فقال: كذبتَ على أميرِ المؤمنين، أميرُ المؤمنينَ لايَحمِلُ الناسَ على مالايعرِفونه. فقال: إنْ كنتَ صادقًا فاقعُدْ إلى المجلس، فإذا اجتمعَ الناسُ فقل، فلما كان من الغد واجتمعَ الناسُ، قامَ فقال: ياأبا خالد رضي اللهُ عنك، إنَّ أميرَ المؤمنين يُقرِئُكَ السلام، ويقولُ لك: إنِّي أردتُ أنْ أُظهرَ القرآن مخلوق، فما عندك في ذلك؟ قال: كذبتَ على أميرِ المؤمنين، أميرُ المؤمنينَ لايَحمِلُ الناسَ على مالايعرفونه، ومالم يقلْ به أحدٌ. قال: فقَدِمَ فقال: ياأميرَ المؤمنين، كنتَ أنتَ أعلمَ، كان من القصَّةِ كيتَ وكيت، فقال له: ويحكَ يلعب بك[٤].

---

(١) تاريخ بغداد ١٤/ ٣٤١.

(٢) تاريخ بغداد ١٤/ ٣٤١، ٣٤٢.

(٣) في تاريخ بغداد: «إنّي لاأتّقيه لأنَّ له سلطانًا...».

(٤) تاريخ بغداد ١٤/ ٣٤٢.

وقال إسماعيل بن أبي كريمة: سمعتُ يزيدَ بنَ هارون يقول: القرآنُ كلامُ اللهِ، لعنَ الله جَهْمًا[1] ومَنْ يقولُ بقوله، كان كافرًا جاحدًا[2].

وماتَ يزيدُ بنُ هارون سنةَ ستٍّ ومئتين، وولد سنةَ ثماني عشرة، أو سبع عشرة[3].

قال أبو نافع ابنُ بنتِ يزيدَ بنِ هارون: كنتُ عندَ أحمدَ بنِ حنبل وعندَهُ رجلانِ فقال أحدُهما: ياأبا عبد الله، رأيتُ يزيدَ بنَ هارون في المنام، فقلت له: ياأبا خالد، مافعلَ اللهُ بك؟ قال: غفَرَ لي وشفَّعني وعاتبني. فقلتُ: غفَرَ لكَ وشفَّعَكَ، قد عرفت، ففيمَ عاتبَك؟ قال: قال لي: يايزيد، أتحدِّثُ عن حَريز بن عثمان؟ قلت: ياربِّ، ماعلمتُ إلاَّ خيرًا. قال: يايزيدُ، إنَّه كان يُبغضُ أباحسن عليَّ بنَ أبي طالب رضي الله عنه. قال: وقال الآخر: وأنا رأيتُ يزيدَ بنَ هارون في المنام، فقلتُ له: هل أتاكَ مُنكرٌ ونكير؟ قال: إي واللهِ، وسألاني: مَنْ ربُّك؟ ومادِينُك؟ ومن نبيُّك؟ فقلت: ألمِثْلي يُقال هذا؟ وأنا كنتُ أعلمَ الناسِ في الدُّنيا! فقالا لي: صدقتَ، فَنَمْ نَومةَ العَروس لابؤسَ عليك[4].

وقال حوثرةُ بنُ محمد المِنْقَرِيُّ: رأيتُ يزيدَ بنَ هارون في المنام بعدَ موتِه بأربَعِ ليالٍ، فقلت: مافعلَ اللهُ بك؟ قال: تقبَّلَ مِنِّي الحسناتِ، وتجاوزَ عنِّي السيِّئات، ووهبَ لي التَّبِعات. قلتُ: وماكانَ بعدَ ذلك؟ قال:

---

(١) هو جَهْمُ بنُ صفوان السمرقندي، هلكَ في زمانِ صغار التابعين، قتله نصر بن سيَّار، وهو رأس الجهميةِ التي تقول: إنَّ الجنَّةَ والنار تفنيان، وإنَّ الإيمانَ هو المعرفةُ فقط دونَ سائر الطاعات، وإنَّه لافعلَ لأحدٍ على الحقيقةِ إلاَّ لله، والإنسانُ مجبرٌ على أفعاله.. انظر الأعلام ٢/ ١٤١.

(٢) تاريخ بغداد ١٤/ ٣٤٢، ٣٤٣.

(٣) تاريخ بغداد ١٤/ ٣٤٦، تهذيب الكمال ٣٢/ ٢٦٩.

(٤) تاريخ بغداد ١٤/ ٣٤٦، ٣٤٧.

وهل يكونُ من الكريم إلاَّ الكرم؟ غفَرَ لي ذُنوبي، وأدخلني الجنَّةَ، قلت: بمَ نلتَ ذلك؟ قال: بمجالسِ الذِّكر، وقولي الحقّ، وصدقي في الحديث، وطولِ قيامي في الصلاة، وصبري على الفقر. قلتُ: مُنكرٌ ونكير حقٌّ؟ قال: إيْ واللهِ الذي لاإلٰهَ إلا هو، لقد أقعدَاني وسألاني: مَنْ ربُّك؟ ومادِينُك؟ ومن نبيُّك؟ فجعلتُ أنفُضُ لحيتي البيضاءَ من التُّرابِ، فقلت: مِثلي يُسألُ؟ أنا يَزيدُ بنُ هارونَ الواسطي، وكنتُ في دارِ الدُّنيا ستين سنةً أُعَلِّمُ الناس. فقال أحدُهما: صدَقَ هو يزيدُ بنُ هارون الواسطي، وكان في دارِ الدنيا يفعلُ ذلك، نَمْ نوْمَةَ العَروس، فلاروعةَ عليكَ بعدَ اليوم. قال أحدُهما: أكتبتَ عن حَرِيزِ بن عثمان؟ قلت: نعم، وكان ثِقةً في الحديث. قال: ثِقة، ولكنَّهُ كان يُبغِضُ عليًا، أبغضَهُ اللهُ عزَّ وجلّ[1].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه، آمين.

(٥١١) اليمان، أبو معاوية، الأسود[*]

من عُبّادِ الثُّغورِ والعواصم، ونزلَ طَرَسوس.

قال أحمدُ بنُ فُضَيل العَكِّيُّ: غزا أبو معاويةَ الأسودُ فحصرَ المسلمون حصنًا فيه عِلجٌ لايَرمي بحجرٍ ولانُشّابٍ إلا أصابَ، فشكَوا إلى أبي معاوية فقرأ: ﴿وما رمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ ولكنَّ اللهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧]، ثم قال: استروني منه. فلمَّا وقفَ قال: أينَ تريدون بإذنِ الله؟ قالوا: المذَاكير. فقال: أيْ رَبِّ، سمعتَ ماسألوني، فأعطِني ماسألوني، بسم الله. ثم رمَى

---

(١) صفة الصفوة ١٩/٣، ٢٠.

(*) ترجمته في: حلية الأولياء ٢٧١/٨، صفة الصفوة ٢٧١/٤، مختصر تاريخ دمشق ١٦١/٢٩، سير أعلام النبلاء ٧٨/٩، طبقات الشعراني ٦٢/١، الكواكب الدريّة ٤٨٨/١

فمرَّ السَّهمُ حتى إذا قرُبَ من الحائط ارتفعَ حتى أخذَ العِلْجُ مذاكيرَه فوقَعَ، فقال: شأنكم به[1].

وقال بعضُهم: سمعتُ أبا معاويةَ الأسودَ وهو على سُورِ طَرَسُوس من جوفِ الليلِ يبكي ويقول: ألا من كانتِ الدُّنيا أكبرَ همِّه طالَ في القيامةِ غدًا همُّه، ومن خافَ مابين يديه ضاقَ من الدنيا ذَرْعُه[2]، ومن خافَ الوَعيدَ لَهِيَ من الدُّنيا عمَّا يريد، يامسكين، إنْ كنتَ تريدُ لنفسكَ الجَزيل فأقلِلْ نومَكَ بالليل إلاَّ القليل، وطِّنْ نفسَكَ للمقال إذا وقفتَ بين يدي ربِّ العِزَّةِ للسؤال[3].

وقال أبو حمزة ـ وكان خادمًا لأبي معاوية ـ: كانَ أبو معاويةَ قد ذهبَ بصَرُهُ، فكانَ إذا أرادَ أنْ يقرأَ فَتَشَ المصحفَ وفتحَهُ، فيردُّ اللهُ عليه بصرَهُ، وإذا أطبقَ المُصحفَ ذهبَ بصرُه[4].

وقال أبو الزَّاهريَّة: قَدِمتُ طرَسُوس، فدخلتُ على أبي معاويةَ الأسودَ وهو مَكفوفُ البصر، وفي منزِله مُصحفٌ مُعلَّقٌ، فقلت: رحمَكَ الله، مُصحفٌ وأنتَ لاتُبصِر؟ قال: تكتُمُ عليَّ ياأخي حتى أموت؟ قلتُ: نعم. قال: إنِّي إذا أردتُ أن أقرأَ القرآنَ فُتِحَ لي بصري[4].

وقال عبد الرحمن بن عبد الله: استطالَ رجلٌ على أبي معاويةَ الأسود، فقال له رجلٌ: مَهْ! فقال له أبو معاوية: دَعْهُ يَشتَفي. ثم قال: اللهمَّ اغفِرْ لي الذَّنبَ الذي سلَّطتَ عليَّ به هذا[5].

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٢٧١، صفة الصفوة ٤/ ٢٧١.

(٢) في (أ): «ضاقَ في من الدنيا»، وفي صفة الصفوة: «ضاق في الدنيا»، وفي مختصر تاريخ دمشق: «ضاق ذرعه بما في يديه».

(٣) حلية الأولياء ٨/ ٢٧٢، مختصر تاريخ دمشق ٢٩/ ١٦٣، صفة الصفوة ٤/ ٢٧١.

(٤) صفة الصفوة ٤/ ٢٧٢، مختصر تاريخ دمشق ٢٩/ ١٦٢.

(٥) صفة الصفوة ٤/ ٢٧٣، مختصر تاريخ دمشق ٢٩/ ١٦٢.

وقال يحيى بنُ مَعِين: رأيتُ أبا مُعاويةَ الأسود وهو يَلتقطُ الخِرَقَ من المزابل، فيَلْفِقُها ويغسِلها، فقيل له: ياأبا معاوية: إنَّك تُكسَى. فقال: ماضرَّهم ماأصابَهم في الدنيا، جبرَ اللهُ لهم بالجنَّةِ كلَّ مُصيبة[1].

وقال أحمد بن أبي الحَوَاريِّ: قلتُ لأبي معاوية: ماأعظمَ النِّعمةَ علينا في التوحيد! نسألُ اللهَ أن لايَسلُبَناه. قال: يحقُّ على المنعِمِ أنْ يتمَّ على من أنعمَ عليه[2].

وقال أحمد بنُ وديع: قال أبو معاوية الأسود: إخواني كلُّهم خيرٌ منِّي. قيل له: كيفَ ذاك؟ قال: كلُّهم يَرى لي على نفسِه الفضلَ، ومن فضَّلَني على نفسِه فهو خيرٌ منِّي[3].

وقال: الخلقُ كلُّهم برُّهم وفاجرُهم يَسعونَ في أقلَّ من جناحِ ذُباب. فقال له رجلٌ: ماأقلُّ من جناح ذباب؟ قال: الدُّنيا[4].

رحمة اللهِ عليه.

* * *

(١) صفة الصفوة ٤/ ٢٧٣، مختصر تاريخ دمشق ٢٩/ ١٦٢.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ٢٧٢، مختصر تاريخ دمشق ٢٩/ ١٦٢.

(٣) حلية الأولياء ٨/ ٢٧٢، صفة الصفوة ٤/ ٢٧١.

(٤) حلية الأولياء ٨/ ٢٧٣، والقول إشارةٌ إلى حديث رسولِ الله ﷺ عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدِلُ عند اللهِ جناحَ بعوضةٍ ماسقى كافرًا منها شربة». أخرجه الترمذي (٢٣٢١) في الزهد: باب ماجاء في هوانِ الدنيا على اللهِ عزَّ وجلَّ.

(٥١٢) يوسف بن أسباط(*)

من عُبَّادِ الثُّغور والعواصم.

أدركَ: حَبيبَ بنَ حسَّان، والسَّرِيَّ بنَ إسماعيل، والثوريَّ وأمثالَهم.

قال موسى بنُ طَرِيف: سمعتُ يوسفَ بنَ أسباط يقول: لي أربعون سنة ماحكَّ(١) في صدري شيءٌ إلاَّ تركتُه(٢).

وقال بشَّار: قال لي يوسف بن أسباط: تعلَّموا صحَّةَ العملِ من سَقَمِه؛ فإنِّي تعلَّمْتُه في اثنتين وعشرين سنة(٣).

وقال عبد اللهِ بن خبيق: قال يوسف: خرجتُ من شِيح(٤) راجلاً حتى أتيتُ المِصِّيصةَ وجرابي على عُنقي، فقام ذا من حانوتِه، فسلَّمَ عليَّ، وذا يُسلِّمُ(٥) عليَّ، فطرحتُ جرابي ودخلتُ المسجدَ أُصلِّي ركعتين، فأَحْدَقوا بي، واطَّلعَ رجلٌ في وجهي، فقلتُ في نفسي: كم بقاءُ قلبي على هذا؟

(*) ترجمته في: تاريخ ابن معين ٦٨٤، التاريخ الكبير ٨/ ٣٨٥، التاريخ الصغير ٢/ ٢٤٢، الضعفاء للعقيلي ٤/ ٤٥٤، الجرح والتعديل ٩/ ٢١٨، مشاهير علماء الأمصار ترجمة ١٤٩٠، الثقات لابن حبان ٧/ ٦٣٨، الكامل لابن عدي ٧/ ١٥٧، حلية الأولياء ٨/ ٢٣٧، صفة الصفوة ٤/ ٢٦١، سير أعلام النبلاء ٩/ ١٦٩، ميزان الاعتدال ٤/ ٤٦٢، تهذيب التهذيب ١١/ ٤٠٧، طبقات الشعراني ١/ ٦١، الكواكب الدرية ١/ ٤٨٩.

(١) في (ب): «حاك». وماحكَّ في صدري شيء: لم ينشرحْ له صدري. القاموس (حكك).

(٢) حلية الأولياء ٨/ ٢٤٤.

(٣) صفة الصفوة ٤/ ٢٦٢.

(٤) الشِّيح: موضعٌ بالجزيرة. معجم البلدان.

(٥) في (أ): «وذا يكلم».

فأخذتُ جِرابي، ورجعتُ بعَرقي وعَنائي إلى شِيح، فمارجعَ إليَّ قلبي إلى سنتين[1].

وقال ابنُ خبيق: قال لي يوسف: عجبتُ كيف تنامُ عينٌ مع المَخافة، أو يغفُلُ قلبٌ مع اليَقينِ بالمُحاسبة؟ مَنْ عرفَ وجوبَ حقِّ اللهِ على عِبادِه لم تستحل عيناه أبدًا إلاَّ بإعطاءِ المجهودِ من نفسِه، خلقَ اللهُ القلوبَ مساكنَ للذِّكر، فصارتْ مساكنَ للشهوات، الشَّهواتُ مَفسدةٌ للقلوب، وتلَفٌ للأموال، وإخلاقٌ للوجود، لايمحو الشَّهواتِ من القلوب إلاَّ خوفٌ مُزعِج، أو شوقٌ مُقْلِق[2].

وقال: إنِّي أخافُ أن يُعذِّبَ اللهُ الناسَ بذنوبِ العلماء[3].

وقال: كان يُقالُ: اعملْ عمَلَ رجلٍ لايُنجيه إلاَّ عملُه، وتوكَّلْ توكُّلَ رجلٍ لايُصيبه إلاَّ ماكُتب له[4].

وقال: لايَقبلُ اللهُ عزَّ وجلَّ عملاً فيه مِثقالُ حبّةٍ من رِياء[5].

وقال حُذيفةُ المَرْعَشيُّ: كتبَ إليَّ يوسفُ بنُ أسباط: أمَّا بعدُ، فإنِّي أُوصيكَ بتقوى الله، والعملِ بما علَّمَكَ اللهُ عزَّ وجلّ، والمراقبةِ حيث لايَراكَ أحدٌ إلاَّ الله، والاستعدادِ لما ليس لأحدٍ فيه حِيلة، ولاتنفعُ الندامةُ عند نُزولِه، فاحسِرْ عن رأسِك قناعَ الغافلين، وانتبهْ من رَقْدةِ الموتى، وشمِّرْ للسباقِ غَدًا؛ فإنَّ الدُّنيا ميدانُ السابقين، ولاتغترَّ بمَنْ أظهرَ النُّسُك، وتشاغلَ بالوَصْف، وتركَ العملَ بالموصوف، واعلمْ ياأخي، أنَّه لابدَّ لي

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٢٤٤، صفة الصفوة ٤/ ٢٦٢.
(٢) حلية الأولياء ٨/ ٢٣٨، صفة الصفوة ٤/ ٢٦١.
(٣) حلية الأولياء ٨/ ٢٣٨، صفة الصفوة ٤/ ٢٦٢.
(٤) حلية الأولياء ٨/ ٢٤٠، صفة الصفوة ٤/ ٢٦٢.
(٥) حلية الأولياء ٨/ ٢٤٠، صفة الصفوة ٤/ ٢٦٣.

ولكَ من المقامِ بين يدي اللهِ عزَّ وجلَّ يسألُنا فيه عن الدَّقيقِ الخَفِيّ، وعن الجليلِ الجليّ، ولستُ آمَنُ أن يسألَني وإيَّاكَ عن وساوسِ الصُّدور، ولحظاتِ العيون، وإصغاء الأسماع، وماعسى أن يَعجزَ مثلي عن صفتِه، واعلمْ أنّه لايُجزِئُ من العمل القولُ، ولا من البَذْلِ العِدَة، ولا في التَّوَقِّي التَّلاوم، وقد صِرْنا في زمانٍ هذه صفةُ أهلِه، فمن كان كذلك فقد تعرَّضَ للمقتِ، وصُدَّ عن سواءِ السبيل[1].

وقال المُسيَّبُ بنُ واضح: قدِمَ ابنُ المُبارك واستأذنَ على يوسفَ فلم يأذَنْ له، فقلتُ له: مالَكَ لم تأذَنْ له؟ قال: إنّي إنْ أذِنتُ له، أردتُ أنْ أقومَ بحقِّه، ولاأفِي به[2].

وقال أحمد بن أبي الحَواري: أُتي يوسفُ بنُ أسباط بباكورةِ ثمرةٍ فقبَّلَها ثم وضعَها بين يديه وقال: إنَّ الدُّنيا لم تُخلَقْ ليُنظرَ إليها، وإنَّما خُلقتْ ليُنظَرَ بها إلى الآخرة[2].

وقال: إذا رأيتَ الرجلَ قد أشِرَ وبَطِرَ، فلاتَعِظْهُ، فليس للعِظَةِ فيه مَوضِع[3].

وقال أبو جعفر الحذَّاء: سألتُ شُعيبَ بنَ حَربٍ عن يوسفَ بنِ أسباط، فقال: ماأُقَدِّمُ عليه أحدًا من هذه الأمّة؛ البِرُّ عشرةُ أجزاء، تسعةٌ منها في طَلَبِ الحلال، وسائرُ البِرِّ في جُزءٍ واحد، وقد أخذَ يوسفُ التسعةَ، وشَرِكَ الناسَ في العاشر[4].

وقال تميم بن سَلم: قلتُ ليوسفَ بنِ أسباط: ماغايةُ الزُّهد؟ قال: ألاّ

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٢٤١، صفة الصفوة ٤/ ٢٦٣، ٢٦٤.
(٢) حلية الأولياء ٨/ ٢٣٩، صفة الصفوة ٤/ ٢٦٤.
(٣) صفة الصفوة ٤/ ٢٦٤، سير أعلام النبلاء ٩/ ١٧٠.
(٤) حلية الأولياء ٨/ ٢٤٣، صفة الصفوة ٤/ ٢٦٥.

تفرَحَ بما أقْبَلَ، ولاتأسَفَ على ماأدبر. قلتُ: فما غايةُ التَّواضُعِ؟ قال: أنْ تَخرجَ من بيتك فلا تَلقى أحدًا إلاَّ رأيتَهُ خيرًا منك[١].

وقال ابنُ خبيق: قال لي يوسف: خرجتُ سَحَرًا لأؤذِّنَ، فإذا أسودُ مُقبلٌ، وفي يدِه حَجَرٌ يُريدُ أن يَضربَني، ووراءَهُ شيءٌ أبيضُ يُريدُ أنْ يصرفَهُ عنِّي، فصرفَهُ، فقلت: هذانِ شيطانانِ يُريدانِ أنْ يُرياني أنِّي رجلٌ صالح. فقلت: كِلاكما شيطانان. فطارا[٢].

وقال: الدُّنيا دارُ نَعيمِ الظالمين. قال عليُّ بنُ أبي طالبٍ كرَّمَ اللهُ وجهه: الدُّنيا جِيفةٌ، فمَنْ أرادَها فلْيصبِرْ على مُخالطةِ الكلاب[٣].

وقال: لو أنَّ رجلاً في تركِ الدنيا مثلُ أبي ذرٍّ، وسَلمانَ، وأبي الدَّرداءِ ماقُلنا له: زاهد؛ لأنَّ الزُّهدَ لايكونُ إلاَّ في الحلال المَحْض، والحلالُ المحضُ لا يُعرفُ اليوم[٣].

وقال لشُعيب بنِ حرب: إنَّ طلبَ الحلالِ فريضة، والصلاةُ في الجماعةِ سُنَّة[٣].

وقال: لي أربعونَ سنةً مامَلكتُ قميصَيْنِ[٤].

وقال: إنِّي لأهمُّ بقراءةِ السُّورة، ثم أعرِفُ ماجاءَ فيها، وأميلُ إلى التَّسْبيح. فقيل له: ياأبا محمد، وماجاءَ فيها؟ فقال: إنَّ الرجلَ ليبدأُ بأوَّلِ السُّورة، فإذا كان ليس يَعمَلُ بما فيها لم تزلِ السُّورةُ تلعنُهُ من أوَّلِها إلى آخرِها، وماأُحبُّ أن يلعنَني القرآن[٥].

---

(١) حلية الأولياء ٨/٢٣٨، صفة الصفوة ٤/٢٦٥.
(٢) صفة الصفوة ٤/٢٦٥.
(٣) حلية الأولياء ٨/٢٣٨.
(٤) صفة الصفوة ٤/٢٦٣.
(٥) حلية الأولياء ٨/٢٤٣.

وقال: يُجزئُ قليلُ الورَعِ عن كثيرِ العمل، ويُجزئُ قليلُ التَّوَاضُعِ عن كثيرِ الاجتهاد(١).

وكتبَ إلى حُذيفةَ المَرْعَشي: أمَّا بعد، فإنَّ مَنْ قرأَ القرآنَ ثم آثرَ الدُّنيا فهو ممَّنِ اتَّخذَ آياتِ اللهِ هُزُوًا، ومن كانَ طلَبُ الفضائلِ أهمَّ إليه من ترْكِ الذُّنوبِ فهو مَخدوع، وقد خَشيتُ أنْ تكونَ خيرُ أعمالِنا أضرَّ علينا من ذُنوبِنا(١).

وقالت زوجتُه: كان يقولُ: أشتهي من ربِّي ثلاثَ خِصال. قلتُ: وماهُنَّ؟ قال: أشتهي أنْ(٢) أموتَ وليس في مِلكي دِرهمٌ، ولايكونَ عليَّ دَينٌ، ولاعلى عَظمي لحم. قالت: فأُعطيَ ذلك كلَّه، ولقد قال لي في مَرضه: أبَقِيَ عندَكِ نفَقَةٌ؟ قلتُ: لا. قال: فماذا تَرَين؟ قالت: أخرج هذه الخابيةَ للبيع. فقال: يَعْلَمُ الناسُ بحالِنا، ويقولون: مابَاعوها إلاَّ وثَمَّ حاجةٌ شديدة. فأخرَجَ شيئًا كانَ أهداهُ إليه بعضُ إخوانِه، فباعَهُ بعشرةِ دراهم، فقال: اعزلي منها دِرهمًا لحَنُوطي، وأنفِقي باقيَها. فماتَ ومابقيَ غيرُ الدِّرهم(٣).

وقال عبدُ اللهِ بن خبيق: دخلَ الطَّبيبُ على يوسفَ بنِ أسباط وأنا عنده، فنظرَ إليه وهو مريضٌ، فقال: ليسَ عليك بأس. فقال: وَدِدْتُ أنَّ الذي يُخافُ كان الساعة(٤).

وقال موسى بنُ طَريف: كنتُ بمكَّةَ مع شُعيب بنِ حرب، فنُعِيَ إليه يوسفُ بن أسباط، فقال: ياموسى! قلْ لمنْ أرادَ أنْ يكذِبَ فليكذِبْ، مابقي أحَدٌ يُستحيا منه بعد يوسف(٥).

ومات قبل المئتين بسنة.

رحمة اللهِ عليه ورِضوانُه.

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٢٤٣.

(٢) في (ب): «حين».

(٣) صفة الصفوة ٤/ ٢٦٥، ٢٦٦.

(٤) حلية الأولياء ٨/ ٢٣٧.

(٥) حلية الأولياء ٨/ ٢٤٤.

(٥١٣) يوسف بن أيُّوب الهَمَذاني(*)

قَدِمَ بغدادَ بعدَ السِّتِّين والأربع مئة، وتفقَّهَ على الإمام أبي إسحاقَ الشِّيرازيِّ حتى بَرَعَ في الفقه والنظر، ثم اشتغلَ بالتعبُّد، فاجتمع في رِباطِه بمَرْوَ خلقٌ زائدٌ عن الحَد، من المنقطعينَ إلى اللهِ تعالى(١).

وكان يقول: دخلتُ جبلَ زر لزيارةِ عبدِ اللهِ الجُوَيني، فوجدتُ ذلك الجبَلَ كثيرَ المياهِ والشَّجر معمورًا بالأولياء، على رأسِ كلِّ عينٍ واحدٌ من الرِّجالِ مُشتغلٌ بالمُجاهدة، فطفتُ عليهم ولاأعلمُ في ذلك الجبلِ حَجَرًا لم تُصِبْه دمعتي.

ثم عادَ يوسفُ ودخلَ بغداد سنة ستٍّ وخمسٍ مئة(٢)، ووعظَ بها، ووقعَ له القَبولُ التَّام، فقامَ إليه رجلٌ مُتفقِّهٌ يُقالُ له ابنُ السَّقَّاء، فآذاهُ في مسألة، فقال له: اجلِسْ، فإنِّي أجدُ في كلامِك رائحةَ الكفر، ولعلَّكَ تموتُ على غيرِ دِينِ الإسلام. فاتَّفقَ بعدَ مُدَّةٍ أنَّ ابنَ السَّقَّاءِ خرجَ إلى بلادِ الرُّوم، وتنصَّر(٣).

(*) ترجمته في الأنساب ٢/ ٣٣٠ (البوزنجردي)، المنتظم ٩/ ١٧١و ١٠/ ٩٤، صفة الصفوة ٤/ ٧٩، الكامل في التاريخ ١١/ ٨٠، مرآة الزمان ٨/ ١٠٩، وفيات الأعيان ٧/ ٧٨، سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٦٦، العبر ٤/ ٩٧، مرآة الجَنان ٣/ ٢٦٤، طبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ٥٣١، البداية والنهاية ١٢/ ٢١٨، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٦٨، طبقات الشعراني ١/ ١٣٥، الكواكب الدُّرِّيَّة ٢/ ٣١٤، شذرات الذهب ٤/ ١١٠، هدية العارفين ٢/ ٥٥٢.

(١) المنتظم ٩/ ١٧١.

(٢) في (أ): سنة ست وخمسين وخمس مئة. وهو خطأ، فقد أجمعتِ المصادر أنَّ وفاتَه كانت سنة ٥٣٥هـ.

(٣) صفة الصفوة ٤/ ٧٩، ٨٠.

(٥١٤) يوسف بن الحُسين(*)

أبو يعقوب الرَّازي، صاحبُ ذي النُّونِ المِصريّ، زاهدٌ معروف.

سمعَ: أحمدَ بنَ حنبل، وأحمدَ بن أبي الحَوَاري، وأبا تُراب النَّخْشَبيّ، وطاهر المقدسي.

وروى عنه جماعةٌ كثيرة.

قال أبو عبد الرَّحمن السُّلَمي(١): يوسفُ بنُ الحُسين شيخُ الرَّيِّ والجبال في وقته، كان أوحدَ في طريقته في إسقاطِ الجاهِ، وتركِ التصنُّع، واستعمالِ الإخلاص.

قال: قلتُ لذي النُّون في وقتِ مُفارقتي له: من أُجالِس؟ فقال: عليكَ بمُجالسةِ منْ تُذَكِّرُكَ اللهَ رؤيتُه، وتقعُ هيبتُهُ على باطنِك، ويزيدُ في عملِكَ مَنطِقُه، ويزهِّدُكَ في الدُّنيا عملُه، ولاتعصي اللهَ مادُمتَ في قُربِه، يعِظُكَ بلسانِ فعلِه، ولايعِظُكَ بلسانِ قولِه(٢).

وقال: أعزُّ شيءٍ في الدُّنيا الإخلاصُ، وكم أجتهِدُ في إسقاطِ الرِّياءِ عن

(*) ترجمته في: طبقات الصوفية ١٨٥، حلية الأولياء ١٠/٢٣٨، تاريخ بغداد ١٤/٣١٤، الرسالة القشيرية ١/١٣٧، طبقات الحنابلة ١/٤١٨، مناقب الأبرار ١١٩/أ، المنتظم ٦/١٤١، صفة الصفوة ٤/١٠٢، مختصر تاريخ دمشق ٢٨/٧١، العبر ٢/١٢٨، سير أعلام النبلاء ١٤/٢٤٨، دول الإسلام ١/١٨٥، البداية والنهاية ١١/١٢٦، طبقات الأولياء ٣٧٩، النجوم الزاهرة ٣/١٩١، ٢٦٥، طبقات الشعراني ١/٩٠، الكواكب الدريّة ٢/١٦٤، شذرات الذهب ٢/٢٤٥.

(١) طبقات الصوفية ١٨٥.

(٢) حلية الأولياء ١٠/٢٤١، مختصر تاريخ دمشق ٢٨/٧٤.

قلبي؛ فكأنَّه[1] يكتبُ فيه على لونٍ آخر[2].

وقال: ماصَحِبَني متكبِّرٌ قطُّ إلاَّ اعتراني داؤه، لأنَّه يتكبَّرُ، فإذا تكبَّرَ غضبتُ، فإذا غضِبتُ أدَّاني الغضبُ إلى التكبُّرِ[3].

وكان يقول: لأنْ ألقى اللهَ بجميعِ المعاصي أَحبُّ إليَّ من أنْ ألقاهُ بذَرَّةٍ من التصنُّع.

وقال: في الدُّنيا طُغيانان: طُغيانُ العلم، وطُغيانُ المال، والذي يُنجيكَ من طُغيانِ العلمِ العِبادة، والذي يُنجيكَ من طُغيانِ المالِ الزُّهدُ فيه[4].

وقال: بالأدبِ تَفهمُ العلمَ، وبالعلمِ يَصِحُّ لك العملُ، وبالعملِ تَنالُ الحِكمة، وبالحكمة تفهمُ الزُّهدَ وتُوفَّقُ له، وبالزُّهدِ تتركُ الدُّنيا، وبتركِ الدُّنيا تَرغبُ في الآخرة، وبالرَّغبةِ في الآخرةِ تَنالُ رضى اللهِ عزَّ وجلَّ[5].

وكان كثيرًا مايقول: إلٰهي، توبةً أو مغفرة، فقد ضاقتْ بي أبوابُ المَعذرة. إلٰهي خطيئتي خطيئةٌ صمَّاء، وعافيتي عافيةٌ بهماء، فلا الخطيئةُ أُحسِنُ الخروج منها، ولاالعافيةُ أهتدي للرجوعِ إليها[6]، ومن شأنِ الكُرماء الرِّفقُ بالأسرى، فأنا أسيرُ تَدْبيرك، ثم يقول في آخرِ ذلك:

وأَذكرُكم في السِّرِّ والجَهْرِ دائمًا ... وإنْ كان قلبي في الوَثاقِ أسيرُ
لتعرفَ نفسي قُدرةَ الخالقِ الذي ... يُدبِّرُ أَمْرَ الخَلْقِ وهو شَكورُ[7]

---

(١) في (ب): «ولم أجتهد في إسقاطِ الرياء عن قلبي إلا وكأنه».

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٧٥، وفيه: «يلبثُ فيه على لون آخر».

(٣) مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٧٥.

(٤) طبقات الصوفية ١٩١، حلية الأولياء ١٠/ ٢٣٩.

(٥) طبقات الصوفية ١٨٩، مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٧٦.

(٦) في مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٧٦: «وعاقبتي عاقبةٌ وهماء، فلا الخطيئةُ أحسن الخروج منها، ولا العاقبة...».

(٧) مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٧٦. والبيتانِ في الحلية ١٠/ ٢٤١.

وقال: الأُنسُ مع اللهِ نورٌ ساطع، والأُنسُ مع الناسِ سمٌّ قاطع[1].

وسُئلَ عن الكرَمِ والجود، فقال: الجودُ أنْ تتفضَّلَ بمالايجبُ عليك، والكرَمُ أن تتفضَّلَ بتركِ مايجبُ لك[2].

وكان يقول: اللهمَّ إنَّكَ تعلمُ أنِّي نصحتُ الناسَ قولاً، وخُنتُ نفسي فعلاً، فهبْ خيانةَ نفسي بنصيحتي للنَّاس. وكان يتمثَّلُ كثيرًا بهذا البيت:

سأُعطيكَ الرِّضا وأموتُ غمًّا   وأسكتُ لاأغمُّكَ بالعِتابِ[3]

وقال: عِلِمَ القومُ أنَّ اللهَ يراهم، فاستحيوا من نظرِهِ أنْ يُراعوا شيئًا سواه[4].

وقال: يتولَّدُ الإعجابُ بالعملِ من نِسيانِ رُؤيةِ المِنَّةِ فيما يُجري اللهُ لك من الطاعات[5].

وكان يقول في دُعائه: اللهمَّ، إنَّا نَباتُ نِعَمِك، فلاتجعلْنا حَصائدَ نِقَمِك.

وقال: أرغبُ أهلِ الدُّنيا في الدُّنيا أكثرُهم لها ذَمًّا عند أبنائها؛ لأنَّ ذمَّه لها عندهم حِرْفة[6].

وقال: لولا أنِّي مُستعبَدٌ بتركِ الذُّنوبِ لأحببتُ أنْ ألقاهُ بذُنوبِ العباد أجمع. فإنْ هو عذَّبَني كان أعذَرَ له في عذابي، مع أنَّه لو عذَّبَ الخلقَ جميعًا كان عَدْلاً منه. وإنْ عفا عنِّي كانَ أَظهرَ لكرمِه عندهم في عُقوبتي[7]

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٢٨/٧٦، وفي هامش (أ) و(ب): وفي نسخة: «ناقع».
(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢٨/٧٦، وفيه: «والكرم أن تتفضل بمايجب لك».
(٣) مختصر تاريخ دمشق ٢٨/٧٧.
(٤) طبقات الصوفية ١٨٧، حلية الأولياء ١٠/٢٣٩.
(٥) طبقات الصوفية ١٨٨، حلية الأولياء ١٠/٢٤٠.
(٦) طبقات الصوفية ١٨٨.
(٧) في طبقات الصوفية ١٩٠: «عفوي».

مع أنَّه لولم يَعْفُ عن أحدٍ من خَلْقِهِ كانَ ذلك فَضْلاً منه، وكرَمًا، وكانتْ له الحُجَّةُ البالِغة[1].

وقال: أصلُ العقلِ الصَّمتُ، وباطنُ العقلِ كتمانُ السِّرّ، وظاهرُ العقلِ الاقتداءُ بالسُّنَّة[2].

وقال: أذلُّ الناسِ الفقيرُ الطَّموعُ المُحِبُّ لمحبوبه[3].

وقال: الخيرُ كلُّه في بيتٍ ومِفتاحُهُ التواضُع؛ والشَّرُّ كلُّهُ في بيتٍ ومفتاحُهُ التكبُّرُ[2].

وقال: مَنْ وقَعَ في بِحارِ التَّوحيد لايزدادُ على ممرِّ الأوقاتِ إلاَّ عطَشًا.

وقال: الصُّوفيَّةُ خيارُهم خيارُ الناس، وشِرارهم خِيارُ شرار الناس، فهم في الأخيارِ على كلِّ الأحوال.

وقال: رأيتُ آفةَ الصُّوفيَّةِ في صُحبةِ الأحداث، ومُعاشرةِ الأضداد، وأرفاق النسوان[4].

وقال: كلُّ ما رأيتموني أفعلُهُ فافعلوه، إلاَّ صُحبةَ الأحداث، فإنَّها أفتنُ الفِتَن[2].

وقال أبو الحسين الدَّراج: قصدتُ يوسفَ بن الحسين الرَّازيَّ في بغداد، فلمَّا وصلتُ الرَّيَّ سألتُ عن مَنزِله، وكلّ مَنْ أسألُ عنه يقولُ لي: أيشٍ تفعلُ بذلك الزِّنديق؟ فضيَّقوا صدري، حتى عزمتُ على الانصراف، فبتُّ تلك الليلةَ في مسجدٍ، ثم قلت: جئتُ هذا البلدَ فلا أقلَّ من أن أراه. فلم أزلْ أسألُ عنه حتى دُفعتُ إلى مسجده، وهو قاعدٌ في المِحراب، فلمَّا

---

(١) طبقات الصوفية ١٩٠، وللخبر فيه بقية.

(٢) طبقات الصوفية ١٨٩.

(٣) طبقات الصوفية ١٨٩، وفيه: «الطموع والمحب».

(٤) طبقات الصوفية ١٩٠، حلية الأولياء ١٠/ ٢٤٠.

وقعتْ عيني عليه امتلأتْ من رؤيته، وبين يديه رجلٌ ومعه مُصحفٌ بعروة، وإذا هو شيخٌ بَهيّ، حسَنُ الوجه واللِّحية، فدنوتُ وسلَّمتُ، فردَّ السلامَ وقال: من أين؟ قلتُ: من بغدادَ زائرًا إليك. فقال: لو أنَّ في بعضِ البلدانِ قال لك إنسانٌ: أقمْ عندي حتى أشترِيَ لك دارًا وجاريةً، أكانَ يَمنعُكَ عن زيارتي؟ فقلت: ياسيدي، ماامتحنني اللهُ بشيءٍ من ذلك، ولوكان لاأدري كيف كنتُ أكون؟ قال: أتُحسِنُ أنْ تقولَ شيئًا؟ قلتُ: نعم. قال: فقُلْ. فقلت:

رأيتُـكَ تبنـي دائبًـا فـي قَطيعَتـي ولوكنتَ ذا حَزْمٍ لَهَدَّمْتَ ماتَبْني[1]

قال: فأطبقَ المُصحَفَ، ولم يزلْ يبكي حتى بلَّ لحيتَهُ وثوبَه، حتى رَحِمْتُهُ من كثرةِ بُكائه، ثم قال: يابُنيّ، أتلومُ أهلَ الرَّيِّ على قولِهم: يوسف بن الحسين زنْدِيق؟ ومن وقت الصلاةِ هو ذا أقرأُ القرآن، لم تقطرْ من عيني قطرةٌ أو دمعةٌ، وقد قامتْ عليَّ القيامةُ بهذا البيت[2].

وقال عبدُ الرحمن بن عطاء: كان مرحومُ الرَّازيُّ يتكلَّمُ في يوسفَ بنِ الحسين، فأتيتُهُ ليلةً وهو يبكي، فقيل له: مالَكَ؟ قال: رأيتُ كِتابًا نزلَ من السَّماء، فلمَّا قَرُبَ من الخلق، إذا هو مَكتوبٌ بخطٍّ جليل: هذه بَراءةٌ ليوسفَ بنِ الحسين ممَّا قيلَ عنه، فجاءَ إليه واعتذَر[3].

ورُوِيَ أنّه اعتلَّ، فدخلَ عليه بعضُ إخوانِه، فقال له: مالكَ وماالذي تَجِد؟ ألا ندعو لك بعضَ هؤلاءِ الأطبَّاء؟ فأنشأ يقول:

بقلبـي سَقـامٌ لايُـداوى مَـرِيضُـهُ خَفِيٌّ عن العُوَّادِ باقٍ على الدَّهرِ[4]

---

(١) جاء في هامش (ب): وله بيتٌ يأتي، رأيته في «الإحياء»:
كأنّي بكم واللَّيتُ أفضلُ قولِكمْ ألا ليتنا كُنّا إذا اللَّيتُ لاتُغْنِي

(٢) حلية الأولياء ١٠/٢٤٠، تاريخ بغداد ١٤/٣١٧، ٣١٨، مختصر تاريخ دمشق ٢٨/٧٥.

(٣) تاريخ بغداد ١٤/٣١٨، مختصر تاريخ دمشق ٢٨/٧٧.

(٤) مختصر تاريخ دمشق ٢٨/٧٧.

وقال بعضُهم: كان آخرُ كلامِ يوسفَ بنِ الحُسين: إلٰهي، دَعَوتُ الخَلْقَ إليكَ بجُهدي، وقصَّرَتْ نفسي بالواجِبِ لكَ عليَّ معَ معرفتي بك، وعِلْمي فيك، فهبْني لمن شِئتَ من خَلْقِك. فماتَ فرُئِيَ في المنام، فقيل له: مافعلَ اللهُ بك؟ قال: أوقفَني بين يديه، وقال لي: ياعبدَ السَّوْء، فعلتَ وصَنعتَ. فقلتُ: سيِّدي، لم أُبَلَّغْ عنك هذا، بُلِّغْتُ أنَّكَ كريم، والكريمُ إذا قدَرَ عفا. فقال تعالى: تملَّقْتَ لي بقولِك هَبْني لمن شئتَ مِنْ خَلْقِك، اذهبْ فقد وهبْتُكَ لك(١).

وماتَ سنة أربعٍ وثلاثِ مئة.

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

(٥١٥) يونس بن عُبيد(*)

أبو عبد اللهِ البصريّ، من تابعي البصرة.

سمع أنسَ بنَ مالك.

وروى عن: الحسنِ، وابنِ سِيرِين، وعطاء، وعِكرمة، وغيرِهم.

قال مُؤمَّل بن إسماعيل: جاءَ رجلٌ من أهلِ الشامِ إلى سوقِ

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٢٨/٧٧.

(*) ترجمته في طبقات ابن سعد ٧/٢٦٠، طبقات خليفة ٢١٨، تاريخ خليفة ٢٦١، ٤١٨، التاريخ الكبير ٨/٤٠٢، التاريخ الصغير ٢/٤٧، الجرح والتعديل ٩/٢٤٢، ثقات ابن حبان ٧/٦٤٧، مشاهير علماء الأمصار ترجمة ١١٨٤، حلية الأولياء ٣/١٥، صفة الصفوة ٣/٣٠١، تهذيب الكمال ٣٢/٥١٧، سير أعلام النبلاء ٦/٢٨٨، تاريخ الإسلام ٥/٣١٨، تذكرة الحفاظ ١/١٤٥، طبقات ابن عبد الهادي ترجمة ١٣٠، تهذيب التهذيب ١١/٤٤٢، طبقات الشعراني ١/٦٤، شذرات الذهب ١/٢٠٧.

الخَزَّازين[1] فطلَبَ مِطْرَفًا بأربعِ مئة[2]. فقال يُونس بنُ عُبيد ـ وكان خزَّازًا ـ: عندَنا بمئتين. فنادى المُنادي بالصلاةِ، فانطلقَ يُونس إلى بني قُشَيْر ليُصَلِّيَ بهم، فجاءَ وقد باعَ ابنُ أخيه[3] المِطرَفَ من الشاميِّ بأربعِ مئة. فقال يُونس: ماهذه الدَّراهم؟ قال: ذاكَ المِطْرَفُ بِعناهُ من هذا الرجل. قال يُونس: ياعبدَ الله، هذا المِطْرَفُ الذي عرَضْتُ عليك بمئتي درهم، فإنْ شِئتَ فخُذْهُ وخُذْ مئتين، وإنْ شئتَ فدَعْه. قال: مَنْ أنت؟ قال: أنا رجلٌ من المسلمين. قال: بلْ أسألُكَ باللهِ من أنت؟ وماأسمُك؟ قال: يونسُ بنُ عُبيد. قال: فواللهِ إنَّا لَنكونُ في نَحْرِ العدو، فإذا اشتدَّ الأمرُ علينا قلنا: اللهمَّ ربَّ يونُسَ فرِّجْ عنَّا. أوشبيه هذا. فقال يُونس: سُبحانَ الله! سبحانَ الله[4]!

وقال بِشرُ بنُ المفَضَّل: جاءتِ امرأةٌ بمِطرَفِ خزٍّ إلى يُونسَ بنِ عُبيد، فألقتْهُ إليه تعرِضُهُ عليه في السُّوق، فنظرَ إليه، فقال: بكم؟ قالتْ: بستين دِرهمًا[5]. فألقاهُ إلى جارٍ له، فقال: كيف تراه؟ [قال]: بعشرين ومئة. قال: أرى ذلك ثمنَه. قال لها: اذهبي فاستأمري أهلَكِ في بيعِهِ بمئةٍ وخمسٍ وعشرين. قالتْ: قد أمروني أنْ أبيعَه بستين. قال: اذهبي فاستأمريهم[6].

وقال أمية بن بِسطام: جاءتْ يُونسَ بن عُبيد امرأةٌ بجُبَّةِ خَزٍّ، فقالتْ اشترِها. فقال: بكم تبيعينَها؟ قالت: بخمسِ مئة. قال: هي خيرٌ من ذلك.

---

(١) الخزُّ: ماينسج من الصوفِ والحرير.

(٢) المِطرف والمُطرَف: واحد المطارف، وهي أرديةٌ من خزٍّ مربَّعةٌ لها أعلام. اللسان (طرف).

(٣) في مصادر الخبر الآتية: «ابن أخته».

(٤) حلية الأولياء ٣/ ١٥، صفة الصفوة ٣/ ٣٠٢، تهذيب الكمال ٣٢/ ٥٢١، ٥٢٢.

(٥) في (ب): «بعشرين». وهو تصحيف، وانظر آخرَ الخبر.

(٦) حلية الأولياء ٣/ ١٦، تهذيب الكمال ٣٢/ ٥٢٣.

قالتْ: بستٍّ مئة. قال: هي خيرٌ من ذلك. فلم يزلْ يقولُ: هي خيرٌ من ذلك، حتى بلغَتْ ألفًا، وقد بذلَتْها له بخمسِ مئة[1].

وقال أُميَّةُ: كان يُونسُ بنُ عُبيد يَشتري الإبْرِيسَمَ[2] من البصرة فيبعثُ به إلى وكيلِه بالسُّوس[3]، وكان وكيلُهُ يبعثُ إليه بالخَزِّ، فإنْ كتبَ وكيلُهُ إليه أنَّ المتاعَ عندهم زائد، لم يشترِ منهم أبدًا حتى يُخبِرَهم أنَّ وكيلَه كتبَ إليه: أنَّ المتاعَ عندهم زائد[4].

وقال مُسلم بن أبي مُضَر: كانتْ ليونُسَ معنا بِضاعةٌ، فجلسْنا يومًا ننظرُ في حسابِنا، ويُونسُ جالسٌ، فلمَّا فرَغْنا [من حسابِنا] قال يونس: كلمةٌ تكلَّمَ بها فلان داخلةٌ في حِسابِنا؟ قُلنا: نعم. قال: لاحاجةَ لي في الرِّبحِ، ردُّوا عليَّ رأسَ مالي. فأخذَ رأسَ مالِه، وتَرَكَ ربحَ أربعةِ آلاف[5].

وقال النَّضْرُ بنُ شُمَيْل: غلا الخَزُّ في موضعٍ، كان إذا غَلا هناك غلا بالبصرة. وعلم يُونس بذلك، فاشترى من رجلٍ مَتَاعًا بثلاثين ألفًا، فلمَّا كان بعدَ ذلك، قال لصاحِبِه: هل كنتَ علمتَ أنَّ المتاعَ كان قد غَلا بأرضِ كذا وكذا؟ قال: لا، ولو عَلمتُ لم أبِعْ. قال: هلُمَّ فخُذْ مالَكَ. فردَّ عليه الثلاثينَ ألفًا[6].

وقال زُهير: كان يُونسُ بنُ عُبيد خزَّازًا، فجاءَ رجلٌ يَطلبُ ثوبًا، فقالَ لغُلامِه: انشُرِ الرِّزْمة. فنشرَ الغُلامُ الرِّزْمةَ وضربَ بيدِه عليها. فقال: صلَّى الله على محمد. فقال: ارفعْه، وأبَى أن يَبيعَه؛ مخافةَ أنْ يكونَ مِدْحة[7].

---

(١) حلية الأولياء ٣/١٦، تهذيب الكمال ٣٢/٥٢٢.
(٢) الإبريسم بفتح السين، وضمِّها: الحرير القاموس (برسم).
(٣) السُّوس: بلدةٌ بخوزِسْتان (عربستان). معجم البلدان.
(٤) حلية الأولياء ٣/١٥، تهذيب الكمال ٣٢/٥٢٢.
(٥) حلية الأولياء ٣/١٦، تهذيب الكمال ٣٢/٥٢٨، ومابين معقوفين منهما.
(٦) حلية الأولياء ٣/١٦، تهذيب الكمال ٣٢/٥٢٨، والعبارة فيها: هلُمَّ إليَّ مالي وخذْ مالَك.
(٧) حلية الأولياء ٣/١٦، تهذيب الكمال ٣٢/٥٢٨، ٥٢٩.

وقال: ليس شيءٌ أعزَّ من شيئين: دِرهمٍ طيِّبٍ، ورجلٍ يعملُ على السنَّةِ[1].

وقال: إنَّما هما دِرهمان: درهمٌ أمسكتَ عنه حتى طابَ لك فأخذتَه؛ ودِرهمٌ وَجَبَ للهِ عليك فيه حقٌّ فأدَّيتَه[2].

وقال جعفرُ بنُ برقان: بلغَني عن يونُسَ بنِ عُبيد فضلٌ وصلاح، فكتبتُ إليه: ياأخي، بلغني عنك فضلٌ وصلاحٌ، فأحببتُ أنْ أكتبَ إليك، فاكتبْ إليَّ بما أنتَ عليه. فكتبَ إليَّ: أتاني كتابُك تسألُني أنْ أكتبَ إليكَ بما أنا عليه، وأُخبِرُكَ أنِّي عَرضتُ على نفسي أنْ تُحِبَّ للنَّاسِ ماتُحبُّ لها، وأنْ تكرَهُ لهم ماتكرَهُ لها، فإذا هي من ذلك بَعيدة. ثم عرضتُ عليها مرَّةً أُخرى تَرْكَ ذِكرِهم إلاَّ من خير، فوجدتُ الصَّومَ في اليوم الحارِّ الشديد الحرِّ بالهواجر بالبَصرةِ أسهلَ عليها من تَرْكِ ذِكرِهم. هذا أمري يا أخي، والسلام[2].

وقال سَلاَّمُ بنُ أبي مُطيع: ماكانَ يُونس بأكثرِهم صلاةً ولاصومًا، ولكن ـ لاواللهِ ـ ماحَضَرَ حقٌّ من حُقوقِ اللهِ تعالى إلاَّ وهو مُتَهيِّئٌ له[3].

وقال غَسَّانُ بإسنادِه: جاءَ رجلٌ إلى يونُسَ بنِ عُبيد فشكا إليه ضِيقًا من حالِه، ومَعَاشِه، واغتمامًا منه بذلك، فقال له يونُس: أيَسرُّكَ ببصرِكَ هذا الذي تُبصِرُ به مئةَ ألف؟ قال: لا. قال: فسمعُكَ الذي تسمعُ به، يَسرُّكَ به مئةُ ألف؟ قال: لا. قال: ففؤادُك الذي تَعْقِلُ به مئةُ ألف؟ قال: لا. قال: فلِسانُكَ الذي تنطِقُ به مئة ألف؟ قال: لا. قال: فيداكَ يَسرُّكَ بهما مئةُ ألف؟ قال: لا. قال: فرِجلاكَ؟ قال: لا. قال: فذَكَّرَهُ نِعمةَ اللهِ عليه، ثم أقبلَ عليه، فقال: أرى لك مئينَ أُلوفًا، وأنتَ تَشكو الحاجةَ؟[4].

---

(١) حلية الأولياء ٣/ ١٧، تهذيب الكمال ٣٢/ ٥٣٢.
(٢) حلية الأولياء ٣/ ١٨، تهذيب الكمال ٣٢/ ٥٢٤.
(٣) حلية الأولياء ٣/ ١٩، تهذيب الكمال ٣٢/ ٥٢٥.
(٤) حلية الأولياء ٣/ ٢٢، تهذيب الكمال ٣٢/ ٥٢٦.

وقال حمَّادُ بن زيد: شكا رجلٌ إلى يُونُسَ وَجَعًا يَجدُهُ في بطنِه، فقال له يونُس: ياعبدَ اللهِ، إنَّ هذه دارٌ لاتُوافِقُكَ، فالتَمِسْ دارًا تُوافِقُكَ[1].

وقال عُبيد اللهِ الباهلي: سمعتُ يونسَ بنَ عُبيد يقول: لو أصبتُ دِرهمًا حلالاً من تجارةٍ لاشتريتُ به بُرًّا، ثم صيَّرتُهُ سَوِيقًا، ثم سقَيتُه المرضى[1].

وقال ابنُ شَوْذَب: اجتمعَ يونُسُ بنُ عبيد، وعبدُ اللهِ بن عَون فتذاكرا الحلال، فكلاهما يقول: ماأرى[2] في بيتي دِرهمًا حلالاً[3].

وقال سُليمانُ بن المُغيرة: سمعتُ يونُسَ بنَ عُبيد يقول: ماأعلمُ شيئًا أقلَّ من دِرهمٍ طَيِّبٍ يُنفِقُهُ صاحبُه في حقٍّ، أو أخٍ يُسكنُ إليه في الإسلام، ومايزدادانِ إلاَّ قِلَّةً[4].

وقال هِشامُ بنُ حسَّان: مارأيتُ أحدًا يَطلبُ بالعلمِ وجهَ اللهِ عزَّ وجلَّ إلاَّ يونسَ بنَ عُبيد[5].

وقال يونس: خَصلتانِ إذا صَلَحتا من العبدِ صَلَحَ ماسِواهما من أمره: صلاتُهُ، ولسانُه[6].

وقال: لايزالُ العبدُ بخيرٍ ماأبصرَ مايُفسِدُ عملَه.

وقال: مامن الناسِ أحدٌ[7] يكونُ لسانُه منه على بالٍ إلاَّ رأيتَ ذلك صلاحًا في سائرِ عملِه[8].

---

(١) صفة الصفوة ٣/٣٠٦.
(٢) في (ب): «مالدي».
(٣) حلية الأولياء ٣/١٨، صفة الصفوة ٣/٣٠٦.
(٤) حلية الأولياء ٣/١٧، تهذيب الكمال ٣٢/٥٢٩.
(٥) حلية الأولياء ٣/١٩، تهذيب الكمال ٣٢/٥٢٩.
(٦) حلية الأولياء ٣/٢٠، صفة الصفوة ٣/٣٠٦.
(٧) في (ب): «من أحد».
(٨) صفة الصفوة ٣/٣٠٧.

وقال حمَّادُ بنُ زيد: احفظوا عنِّي ثلاثًا مِتُّ أو عِشتُ: لايَدخُلَنَّ أحدُكم على سُلطانٍ يَعِظُه أو يُعلِّمُه، ولايَخلُ بامرأةٍ شابَّةٍ وإنْ أقرأها القرآن، ولايُمكِّنْ سمعَهُ من ذي هوًى[1].

وقال: عمَدنا إلى مايُصلحُ الناسَ فكتبناه، وعمَدْنا إلى مايُصلحُنا فتركناه. يَعني التسبيح والتَّهْليل وذِكرَ الخير[2].

وقال إسحاقُ بنُ إبراهيم: نظرَ يونسُ إلى قدمَيْه عند موتِهِ فبكى، فقِيلَ له: مايُبكيك أبا عبد الله؟ قال: قَدَمايَ لم تَغْبَرَّا في سبيل اللهِ عزَّ وجلّ[3].

وماتَ سنةَ تسعٍ وثلاثين ومئة. وقيل: سنةَ أربعٍ وثلاثين.

رحمةُ اللهِ عليه ورضوانُه.

(٥١٦) أبو يعقوب الأقطع البصري(*)

قال جعفر الخُلْدي: سمعتُ أبا يعقوب يقول: جعتُ مرَّةً في المسجدِ الحرام أيَّامًا، فوجدتُ ضَعفًا، فحدَّثْتُ نفسي، فقلتُ: لو خرجتُ إلى الوادي لعلِّي كنتُ أجدُ شيئًا يُسكِّنُ عنِّي بعضَ ماأجد. فخرجتُ إلى الوادي، فوجدتُ سَلْجَمَةً[4] مَطروحةً، فأخذتُها، وعدتُ إلى المسجد، وقلتُ: هذه تُسكِّنُ بعضَ ماأجِدُ. فوجدتُ من ذلك في قلبي وحشةً، وقلتُ: كان حظُّكَ من جوعِ عشرةِ أيامٍ سَلْجَمَةً مُنْتِنةً. فرمَيتُ بها، وجلستُ فإذا رجلٌ نُوتِيٌّ[5] من نُوتِيَّةِ البحر عَجَميٌّ قد دخلَ من الباب فالتفَتَ هكذا

---

(١) حلية الأولياء ٣/ ٢١، صفة الصفوة ٣/ ٣٠٧.
(٢) حلية الأولياء ٣/ ٢٣، تهذيب الكمال ٣٢/ ٥٢٧.
(٣) حلية الأولياء ٣/ ١٩، تهذيب الكمال ٣٢/ ٥٢٥.
(*) ترجمته في روض الرياحين ١٧٧ (الحكاية ٩٨)، العقد الثمين ٨/ ١١٣.
(٤) السَّلْجَم: نبت، وقيل: هو ضربٌ من البقول. اللسان (سلجم) وجاء في حاشيةِ (ب): السلجم: «بر اللفت المعروف».
(٥) النُّوتِيُّ: الملاَّحُ في البحر. القاموس (نوت).

وهكذا، ثم جاءَ وجلسَ بين يديَّ، وسلَّمَ عليَّ، وقال: خذْ هذه القِمَطْرَة[1]. هي لك. فقلتُ له: كيفَ صارتْ لي؟ فقال: كُنّا في البحر مُنذُ عشرةِ أيام، فاشْتدَّ علينا البحر، وأشرفْنا على الغَرَق، فسألْنا اللهَ تعالى السلامةَ وتضرَّعْنا إليه، فنذَرَ الناسُ النُّذورَ كلٌّ على قدره، فنذرْتُ إنِ اللهُ تعالى سلَّمَني، ورجعتُ إلى عيالي دَفعتُ هذه القِمَطْرَةَ إلى أوَّلِ من أراهُ في المسجدِ الحرام من المُجاورين. فقلتُ له: افتَحْها. ففتحَهَا، فإذا فيها كعكُ سَمِيذٍ مِصري، ولوزٌ مُقَشَّرٌ، وسُكَّر كعاب. قال: فأخذْتُ قبضةً من ذا، وقبضةً من ذا، وقبضةً من ذا، وقلتُ: رُدَّ هذا إلى مكانِه، فإنَّه هديةٌ إلى صِبيانِكَ. فأخذَها وقامَ مسروراً، فقلتُ في نفسي: هذا رزقي من عشرةِ أيّامٍ يَسيرُ إليَّ، وأنا أخرجُ إلى الوادي أطلبُ شيئًا آكلُه[2].

وقال: سمعتُ أبا يَعقوب الأقطَعَ يقول: احتجتُ بمكَّةَ مرَّةً حاجةً شديدةً[3]، فدخلتُ الحِجْرَ، وصلَّيتُ وأطلْتُ، وماسألتُ[4] اللهَ عزَّ وجلَّ، فلمَّا رفعتُ رأسي، وجلستُ للتشهُّدِ سقطَ في حَجْرِي مِسمارٌ من مساميرِ المِيزابِ من ذهب.

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

(٥١٧) أبو يعقوب الزيّات البغدادي(*)

قال الجُنيد بنُ محمد: دَقَقتُ على أبي يعقوب الزَّيات بابَهُ في جماعةٍ من أصحابنا، فقال: ماكان لكم شغلٌ في اللهِ يشغلُكم عن المَجيءِ إليَّ؟ قال

---

(١) القِمَطْرة: شبه سفطٍ يُسَفُّ من قصب. اللسان (قمطر).

(٢) روض الرياحين ١٧٧ (الحكاية ٩٨).

(٣) في (ب): «أصبحتُ بمكة مرة ذو حاجة».

(٤) في (ب): «وسألت».

(*) ترجمته في: حلية الأولياء ١٠/٢٢٣، و٣٤٢، تاريخ بغداد ١٤/٤٠٨، صفة الصفوة ٢/٤١٦، الطبقات الصغرى للمناوي ١٩٣.

الجُنيد: فقلتُ له: إذا كان مَجيئُنا إليك من شُغلِنا به لم ننقطِعْ عنه. ففتحَ الباب، فسألتُهُ مسألةَ في التوكُّل، فأخرجَ ماكانَ عندَه، ثم أجابني، فأعطى التوكُّلَ حقَّهُ، ثم قال: استحييتُ من اللهِ عزَّ وجلَّ أن أُجيبَكَ وعندي شيءٌ. فقلتُ له: ماقَوْلُكَ في رجلٍ له في كلِّ علمٍ من العلوم حظٌّ، ويُحسنُ القيامَ بصفاتِ الحقِّ[1]، تَرى له مُجالسةَ الناس؟ قال: إنْ كنتَ أنت، وإلاَّ فلا[2].

وقال يومًا لبعضِ المُريدين: تحفَظُ القرآن؟ قال: لا. قال: واغَوْثاه! يالله! مُريدٌ لايحفظُ القرآن كأُتْرُجَّةٍ[3] لاريحَ لها. فبما يتنغَّمُ؟ فبما يترنَّمُ؟ فبما يُناجي ربَّه عزَّ وجلَّ؟ أمَا تعلمُ أنَّ عيشَ العارفين سماعُ النَّغَمِ من أنفسِهم، وغيرِهم[4].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

(٥١٨) أبو يوسف الغَسُوليّ(*)

من عُبَّادِ الثُّغور والعواصم.

قال الجُنيد: سمعتُ سَرِيًّا يَذكر أنَّ أبا يوسف الغَسُوليَّ كان يلزَمُ الثَّغر، ويَغزو، وكان إذا غزا مع الناس، ودخلوا بلادَ الرُّوم أكَلَ أصحابُه من ذبائحِ الرُّوم، ومن فواكِهِهم، وكان أبو يوسف لايأكلُ. فيُقال له: ياأبا يوسف،

---

(١) في الحلية: «يحسن أن يصف صفات الحق وصفات الخلق للخلق».

(٢) حلية الأولياء ١٠/ ٣٤٢.

(٣) الأترجُّ: شجرٌ من الحمضيات، والفصيلةِ البرتقالية، وثمارُه كبيرةُ القدِّ، مستطيلةُ الشكل، ذهبيَّةُ اللون، ذكيَّةُ الرائحة، ويُعرفُ الأترجُّ بليمونِ القدس «سنسكريتي». المعجم المدرسي.

(٤) حلية الأولياء ١٠/ ٣٤٣، صفة الصفوة ٢/ ٤١٦.

(*) ترجمته في: صفة الصفوة ٤/ ٢٧٧. والغَسُولي نسبةٌ إلى غَسُولةَ منزلٍ للقوافل على يوم من حمص. وضبطها الفيروزبادي غِسْوَلَة. والأخبار مذكورةٌ في صفة الصفوة.

تَشُكُّ أنَّه حلال؟ فيقول: هو حَلالٌ. فيقال له: فكلْ من الحلال. فيقول: إنَّما الزُّهدُ في الحلال.

وقال أبو بكر المَرْوَزي سمعتُ حَرَميَّ بن يونس، يقول: سمعتُ أبا يوسف الغَسُوليَّ يقول: أنا أتفقَّهُ في مَطعمي من[1] ستين سنةٍ.

وقال المَرْوَزيُّ: سمعتُ بعضَ المَشْيَخةِ يقول: سمعتُ أبا يوسف الغَسُوليَّ، يقول: إنَّه ليكفيني في السَّنةِ اثنا عشرَ دِرْهمًا في كلِّ شهرٍ دِرهمٌ، ومايَحملُني على العملِ إلاَّ ألْسِنةُ هؤلاء القرَّاءِ، يقولون: أبو يوسف من أين يأكل؟.

قال المَرْوَزيُّ: وسمعتُ أبا عبد الله أحمدَ بنَ حنبل، يقول: أبو يوسف الغَسُوليُّ قد خَلَفَ ابنَ إدريس[2]. يعني في الورع.

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.



* * *

ترجمة الكنى والآبناء

أبو يزيد البِسْطامي = طيفور

* * *

---

(١) في (ب): «منذ».

(٢) هو الإمام محمد بن إدريس الشافعي.

الباب الثالث

من القسم الأول في النساء المعروفات الأسماء وفيه فصلان

الفصل الأول

في الصحابيات

ونلتزمُ فيه شرط التقفية

(٥١٩) أسماء بنتُ أبي بكرٍ الصِّدِّيق(*)

وهي ذات النِّطاقَيْن، أسلمتْ قديمًا بمكَّة، وبايعتْ، قيل: أسلمتْ بعدَ سبعةَ عشرَ إنسانًا، وإنَّما سُمِّيَتْ ذاتَ النِّطاقَين لأنَّها شقَّتْ نِطاقَها ليلةَ خرجَ النبيُّ ﷺ مُهاجرًا، فجعلتْ واحدًا شِدادًا لسُفرَتِه، والآخرَ عِصامًا لِقِرْبتِه[1]. وقيل: جَعلتِ النِّصفَ الآخرَ نِطاقًا لها[2].

وهي أُمُّ عبدِ اللهِ بن الزُّبير. وكانتِ امرأةً صالحة، كانتْ تمرضُ المَرْضَةَ

(*) ترجمتها في: مسند أحمد ٦/ ٣٤٤، طبقات ابن سعد ٨/ ٢٤٩، طبقات خليفة ٣٣٣، تاريخ خليفة ٢٦٩، المستدرك ٤/ ٦٤، حلية الأولياء ٢/ ٥٥، الاستيعاب ٤/ ١٧٨١، تاريخ دمشق لابن عساكر (النساء) ٣ـ٣٠، صفة الصفوة ٢/ ٥٨، جامع الأصول ٩/ ١٤٥، و١٣/ ١٠٧، أسد الغابة ٧/ ٩، مختصر تاريخ دمشق ٥/ ١٣٧، تهذيب الكمال ٣٥/ ١٢٣، سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٨٧، تاريخ الإسلام ٣/ ١٣٣، العبر ١/ ٨٢، مجمع الزوائد ٩/ ٢٦٠، العقد الثمين ٨/ ١٧٧، تهذيب التهذيب ١٢/ ٣٩٨، الإصابة ١٢/ ١١٤ شذرات الذهب ١/ ٤٤، ٨٠.

(١) العِصام: الرِّباط. اللسان (عصم).

(٢) جامع الأصول ١٣/ ١٠٧.

فتعتِقُ كلَّ مملوكٍ لها[1].

وقال عبدُ اللهِ بنُ الزُّبير: مارأيتُ امرأتَيْنِ قطُّ أجودَ من عائشةَ وأسماء، وجُودُهما مُختلفٌ: أمَّا عائشةُ رضي الله عنها، فكانتْ تجمعُ الشيءَ إلى الشَّيءِ حتى إذا اجتمعَ عندها قَسمَتْهُ. وأمَّا أسماءُ رضي الله عنها فكانتْ لاتُمْسِكُ شيئًا لغدٍ[2].

وقال عُروةُ بنُ الزُّبير: دخلتُ أنا وعبد اللهِ بن الزُّبيرِ على أسماءَ قبلَ قتلِ عبد الله بعشرِ ليالٍ، وأسماءُ وَجِعةٌ، فقالَ لها عبد الله: كيفَ تجِدِيْنَكِ؟ قالتْ: وَجِعة. قال: إنَّ في الموتِ لعافية. فقالت: لعلَّكَ تشتهي موتي فلذلك تتمنَّاهُ، لاتفعلْ، فواللهِ مااشتهي أنْ أموتَ حتى تأتِيَ على أحدِ طرَفَيك، إمَّا أنْ تُقتَلَ فأحتسِبُك، وإمَّا أنْ تظفَرَ فتقَرَّ عيني، وإيَّاكَ أن تُعرَضَ عليك خُطَّةٌ لاتوافِقُكَ فتقبَلَها كراهيةَ الموت. وإنَّما عنى ابنُ الزُّبير أن يُقتَلَ فيُحزِنُها ذلك. وكانت ابنةَ مئةِ سنة[3].

وقال عُروةُ: دخلتُ على أسماءَ، وهي تُصلِّي، فسمعتُها وهي تقرأُ هذه الآية: ﴿فمَنَّ اللهُ علينا ووقَانَا عذَابَ السَّمُوم﴾ [الطور: ٢٧]، فاستعاذَتْ، فقمتُ وهي تستغفِرُ، فلمَّا طالَ عليَّ، أتيتُ السُّوقَ، ثم رجعتُ وهي مَكانَها تستعيذُ[4].

وقالتْ أسماء: لمَّا خرجَ رسولُ اللهِ ﷺ وخرجَ أبو بكرٍ معه، احتملَ أبو بكرٍ مالَهُ كلَّه معه ـ خمسةَ آلاف، أوستَّةَ آلاف درهم ـ فانطلقَ بها معه، قالتْ: فدخلَ علينا جَدِّي أبو قُحَافة، وقد ذهبَ بصَرُه، فقال: واللهِ إنِّي

---

(١) طبقات ابن سعد ٨/٢٥٢، تاريخ دمشق ٢١.

(٢) تاريخ دمشق ١٩، ٢٠.

(٣) حلية الأولياء ٢/٥٦، تاريخ دمشق ٢٢.

(٤) حلية الأولياء ٢/٥٥.

لأراهُ قد فجعَكم بمالِهِ مع نفسِه. قالتْ: قلتُ: كلاَّ ياأبة، إنَّه قد تركَ لنا خيرًا كثيرًا. وأخذْتُ أحجارًا، فوضعتُها في كُوَّةٍ كان أبي يضعُ فيها مالَه، ثم وضعتُ عليها ثوبًا، ثم أخذتُ بيدِه فقلتُ: ضعْ يدَكَ على هذا المال. فوضعَ يدَهُ، فقال: لابأسَ، إنْ كانَ تركَ لكم هذا فقد أحْسَن، ففيه لكم بلاغٌ. قالتْ: واللهِ ماتركَ لنا شيئًا، ولكنِّي أردْتُ أنْ أُسكِّنَ الشيخَ بذلك[1].

وقالتْ: لمَّا خرجَ رسولُ اللهِ ﷺ، وأبو بكرٍ أتانا نفرٌ من قُريش، فيهم أبو جهل، فوقفوا على بابِ أبي بكر، فخرجتُ إليهم، فقالوا: أينَ أبوكِ ياابنةَ أبي بكر؟ قلتُ: لاأدري واللهِ أين أبي. قالتْ: فرفعَ أبو جَهْلٍ يده ـ وكانَ فاحشًا خبيثًا ـ فلطَمَ خدِّي لَطْمَةً خرَّ منها قُرْطي، ثم انصرفوا[2].

وقال الطبريّ[3] بإسنادِه عن المنذر بن جَهمٍ الأسدي قال: رأيتُ ابنَ الزُّبير يومَ قُتل، وقد تفرَّقَ عنه أصحابُه، وخذَلَهُ مَنْ معهُ خِذْلانًا شديدًا. قال مَخْرَمةُ بنُ سُليمان: فدخلَ ابنُ الزُّبيرِ على أُمِّه حين رأى من الناسِ مارأى من خِذْلانِهم، فقال: ياأُمَّه، خذَلَني الناسُ حتى ولدي وأهلي[4] فلم يبقَ معي إلاَّ اليسير، ومَنْ ليس عنده من الدَّفعِ أكثر من صبرِ ساعة، والقومُ يعطونَني ماأردتُ من الدُّنيا فما رأيُكِ؟ فقالتْ أمُّهُ: أنتَ واللهِ يابُنيَّ أعلمُ بنفسِك، إنْ كنتَ تعلَمُ أنَّكَ على حقٍّ، وإليه تدعو فامضِ إليه، فقد قُتِلَ عليه أصحابُك، ولاتُمكِّنْ من رقبتِكَ يتلعَّبُ بها غِلمانُ بني أُميَّة، وإنْ كنتَ إنَّما أردتَ الدُّنيا فبئسَ العبدُ أنت! أهلكتَ نفسَك، وأهلكْتَ من قُتل معك؛

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ١٣٣، ورواه أحمد في مسندِه ٦/ ٣٥٠، وأبو نُعيم في الحلية ٢/ ٥٦.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ١٣١، ١٣٢، حلية الأولياء ٢/ ٥٦.

(٣) تاريخ الطبري ٦/ ١٨٨.

(٤) وكان أصحابُهُ قد خرجوا إلى الحجَّاج، حتى خرج إليه نحوٌ من عشرةِ آلاف، وذكر أنه كان ممَّنْ فارقه وخرجَ إلى الحجاج ابناهُ حمزةُ وخُبيب. تاريخ الطبري ٦/ ١٨٨.

وإنْ قلتَ: كنتُ على حقٍّ فلمّا وَهَنَ أصحابي ضعُفْتُ. فهذا ليس فعلُ الأحرار، ولاأهلِ الدِّين. وكم خُلودُكَ في الدنيا؟ القتلُ أحْسَنُ. فدنا ابنُ الزُّبير، فقَبَّلَ رأسَها، فقال: هذا واللهِ رأيي، والذي قمتُ به داعيًا إلى يومي هذا ماركَنْتُ إلى الدنيا، ولاأحببتُ الحياةَ فيها، ومادَعاني إلى الخُروجِ إلاَّ الغَضَبُ للهِ، وأنْ تُستَحَلَّ حُرَمُه، ولكنَّني أحببتُ أن أعلمَ رأيك، فقد زِدْتِني بَصيرةً مع بصيرتي، فانظري ياأُمَّه؛ فإنِّي مَقتولٌ من يومي هذا فلايَشتدُّ حُزنُك، وسَلِّمي لأمْرِ اللهِ، فإنَّ ابنَكِ لم يتعمَّدْ إيثارَ مُنكرٍ، وعملاً بفاحشة، ولم يَجُرْ في حُكم اللهِ، ولم يَغدُرْ في أمان، ولم يتعمَّدْ ظُلمَ مسلم، ولامُعاهد، ولم يَبلُغني ظُلمٌ عن عُمَّالي فرَضِيتُ به بل أنكرتُه، ولم يكنْ عندي آثَرُ من رِضا ربِّي. اللهمَّ إنِّي لاأقولُ هذا تزكيةً منِّي لنفسي، أنتَ أعلمُ بي، ولكنْ أقولُ تعزِيةً لأمِّي لتسلوَ عنِّي. فقالتْ أُمُّه: إنِّي لأرجو من اللهِ أن يكونَ عزائي فيك حَسَنًا إنْ تقدَّمْتَني، وإنْ تقدَّمتُكَ ففي نفسي اخرجْ حتى أنظرَ إلى مايَصيرُ أمرُكَ. فقال: جَزاكِ اللهُ ياأمَّه خيرًا، فلاتَدَعي الدُّعاءَ لي قبلُ وبعدُ. قالتْ: لاأدعُهُ أبدًا، فمَنْ قُتل على باطلٍ، فقد قُتِلتَ على حقٍّ. ثم قالتْ: اللهمَّ، ارحمْ طولَ ذلك القِيام في الليلِ الطَّويل، وذلك النَّحيب والظمأ في هواجرِ المدينةِ ومكَّة، وبِرَّه بأبيه وبي. اللهمَّ قد سلَّمْتُه لأمرِكَ فيه، ورَضيتُ بما قَضيتَ، فأثبْني في عبدِ اللهِ ثوابَ الشاكرين الصابرين.

وفي رواية(١): دخلَ عبدُ اللهِ على أُمِّه، وعليهِ الدِّرعُ والمِغفَر، فوقفَ فسلَّمَ، ثم دَنا، فتناولَ يدَها فقبَّلَها، فقالتْ: هذا وداعٌ فلا تَبْعَد. قال: جئتُ مودِّعًا، إنِّي لأرَى هذا آخرَ يومٍ من الدُّنيا يَمرُّ بي، وأعلمُ ياأُمَّه أنِّي إنْ قُتلتُ فإنَّما أنا لحمٌ لايضرُّني ماصُنِعَ بي. قالتْ: صدقتَ يابُنيّ، أتممْ على بصيرتِك، ولاتُمَكِّنْ ابنَ أبي عقيلٍ [منك]، وادنُ منِّي أودِّعْك. فدنا منها، فقبَّلَها وعانقَها، فمسَّتِ الدِّرعَ فقالت: ماهذا صنيعُ من يُريدُ ماتُريد. قال:

---

(١) تاريخ الطبري ٦/ ١٨٩.

مالَبِستُها إلاّ لأشدَّ منك. قالتْ: فإنَّهُ لايشدُّ منّي. فنزَعَها ثم درجَ كُمَّيْه، وشدَّ أسفلَ قميصِه وهي تقول: البَسْ ثيابَكَ مشمَّرَةً. فانصرَفَ وهو يقول:

إنّي إذا أعْرِفُ يومي أصبِرْ إذْ بعضُهـم يَعـرفُ ثـمَّ يُنْكِـرْ

فسمعتْ قولَه، فقالتْ: تَصْبِرُ واللهِ إنْ شاءَ الله، أبوكَ أبو بكر والزُّبير، وأُمُّكَ صفيَّةُ بنتُ عبدِ المطلب، فخرجَ فقاتلَ يومئذٍ حتى قُتلَ فلم تلبَثْ بعدَهُ إلاّ عشرَ ليالٍ، وقيل خمس ليال.

وقال أبو نوفل: رأيتُ عبدَ اللهِ بنَ الزُّبير على عَقبةِ المدينة[1] ـ يعني مصلوبًا ـ وأرسلَ الحجّاجُ إلى أُمِّهِ أسماءَ، فأبتْ أن تأتيَهُ، فأعادَ عليها الرسولَ: لتأتينّي أو لأبعثنَّ إليكِ من يسحبُكِ بقرونِك. فأبَتْ وقالتْ: واللهِ لاآتيكَ حتى تبعثَ إليَّ من يَسحبُني بقُروني. فأخذَ نعليه، ثم انطلقَ يتوذَّفُ[2] حتى دخلَ عليها، قال: كيفَ رأيتِني صنعتُ بعدوِّ الله؟ قالتْ: رأيتُكَ أفسدتَ عليهِ دنياه، وأفسَدَ عليكَ آخرتَكَ، بلَغني أنَّكَ تقولُ: ياابنَ ذاتِ النِّطاقَين، أنا واللهِ ذاتُ النِّطاقين، أمَّا أحدُهما فكنتُ أرفعُ به طعامَ رسولِ اللهِ ﷺ، وطعامَ أبي من الدواب، وأما الآخرُ فنطاقُ المرأةِ التي لاتستغني عنه، أمَا إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ حدَّثنا أنَّ في ثَقيف كَذَّابًا ومُبيرًا[3]، فأمَّا الكذَّابُ فرأيناه[4]، وأما المُبير فلا إخالُكَ إلاّ إيّاه. فقامَ عنها ولم يُراجِعْها[5].

وقال القاسمُ بنُ محمد: كانتْ أسماءُ مع جوارٍ لها وقد ذهبَ بصرُها، فقالت: أينَ الحجّاج؟ قلنا: ليس هاهنا. قالت: مُروهُ فليأمُرْ لنا بهذه العِظامِ،

---

(١) كان الحجّاجُ قد بعثَ برأسِ عبدِ اللهِ ورأسِ عبدالله بن صفوان، ورأسِ عمارةَ بن عمرو إلى المدينة فنصبتْ بها. تاريخ الطبري ٦/ ١٩٢.

(٢) جاء في هامش (ب) مانصُّه: «قوله يتوذف: أي يتبختر، مأخوذٌ من التوذيف وهو التبختر» اهـ. وفي القاموس: يتوذَّف: يقاربُ الخَطْو، ويحرِّكُ منكبيه متبخترًا.

(٣) المُبير: المُهلِك، يُسرِفُ في إهلاكِ الناس. النهاية (بور).

(٤) تعني المختارَ بنَ أبي عُبيد. انظر تاريخ دمشق ٢٤.

(٥) رواهُ ابنُ عساكر في تاريخ دمشق ٢٤، ٢٥.

فإنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ ينهى عن المُثْلَة[1]. قلنا: إذا جاءَ قلنا له. قالتْ: فأخبروه بأنِّي سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «إنَّ في ثقيفَ كذَّابًا ومُبيرًا»[2].

وقال عبد الله بن أبي مُلَيكة: أتيتُ أسماءَ بعدَ قتلِ ابنِها، فقالتْ بلَغَني أنَّهم صَلبوا عبدَ اللهِ مُنكَّسًا، فلودِدتُ أنِّي لاأموتُ حتى يُدفعَ إليَّ فأغسِّلَه وأُحنِّطَه وأُكفِّنَه. فلم يلبثوا أنْ جاءَ كتابُ عبدِ الملكِ أنْ يُدفعَ إلى أهلِه، فأُتيَ به أسماءَ فغسَّلَتْهُ وطيَّبَتْهُ وحنَّطَتْه ثم دفنَتْه[3].

وقال أيُّوب: فحسَبتُ فعاشتْ بعدَ ذلك ثلاثةَ أيام، وذلك سنة ثلاث وسبعين بمكة.

رحمةُ اللهِ عليها ورضوانه آمين.

(٥٢٠) أسماءُ بنتُ عُمَيْس(*)

أسلمتْ قديمًا بمكَّة، وبايعتْ، وهاجرتْ إلى الحبشة مع زوجِها جعفر بن أبي طالب، فولدتْ له محمدًا وعبد اللهِ وعَونًا، ثم هاجرتْ معه إلى المدينة[4] فلمَّا قُتل جعفر تزوَّجها أبو بكر الصدِّيق فولدَتْ له محمدًا،

---

(١) يقال مَثَلْتَ بالقتيل: إذا جدعْتَ أنفَه، أو أُذُنَه، أو مذاكيرَه، أو شيئًا من أطرافِه. والاسمُ المُثْلَة. النهاية (مثل).

(٢) رواهُ ابنُ سعد في طبقاتِه ٨/ ٢٥٤، وأبو نعيم في الحلية ٢/ ٥٧.

(٣) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٥٦، ٥٧، وانظر السير ٢/ ٢٩٥.

(*) ترجمتها في: مسند الإمام أحمد ٦/ ٣٦٩، طبقات ابن سعد ٨/ ٢٨٠، الثقات ٣/ ٢٤، حلية الأولياء ٢/ ٧٤، الاستيعاب ٤/ ١٧٨٤، صفة الصفوة ٢/ ٦١، جامع الأصول ١٣/ ١٠٨، أسد الغابة ٧/ ١٤، تهذيب الكمال ٣٥/ ١٢٦، سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٨٢، تاريخ الإسلام ٢/ ٢٧٣، مجمع الزوائد ٩/ ٢٦٠، العقد الثمين ٨/ ١٨٠، تهذيب التهذيب ١٢/ ٣٩٨، الإصابة ١٢/ ١١٦، شذرات الذهب ١/ ١٥، ٤٨.

(٤) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٨٠، ٢٨١.

فلما ماتَ الصدِّيقُ أوصى أن تُغسِّلَه[1]، ثم تزوَّجها عليُّ بنُ أبي طالب فولدَتْ له يَحيى[2].

روى عنها: ابنُ عبَّاس، وأبو موسى الأشعري، وغيرُهما.

قال أبو موسى الأشعريّ: قدِمْنا على رسولِ الله ﷺ فوافقناهُ حينَ فتحَ خيبَر، فأسْهَمَ لنا، وماقَسَمَ لأحدٍ غابَ عن فتح خيبر إلاَّ لمن شهِدَ معنا أصحابَ سفينتِنا مع جعفر وأصحابِه، فكانَ ناسٌ يقولون لنا ـ يعني أهل السفينة ـ: سبقناكم بالهجرة. فدخلتْ أسماءُ بنتُ عُميس فقال لها عمر: هذه الحبَشيَّة البَحريَّة؟ فقالتْ نعم. فقال عمر: سَبقناكم بالهجرة، نحنُ أحقُّ برسولِ الله ﷺ [منكم]. فغضِبَتْ وقالت: كلاَّ واللهِ، كنتم مع رسولِ الله ﷺ يُطعِمُ جائعَكم، ويَعِظُ جاهلَكم، وكُنَّا في أرضِ البُعَداء البُغَضاء في الحبشة، وذلك في اللهِ ورسوله، وايمُ الله، لاأطعَمُ طعامًا، ولاأشربُ شرابًا حتى أذكرَ ماقُلتَ لرسولِ الله ﷺ وأسأله، واللهِ لاأكذِبُ ولاأزِيغُ ولاأزيدُ على ذلك. فلمَّا جاءَ النبيُّ ﷺ، قالتْ: يانبيَّ الله، إنَّ عمرَ قال كذا وكذا. قال رسولُ اللهِ ﷺ: «فما قلتِ له؟». قالت: قلتُ كذا وكذا. قال: «ليس بأحقَّ بي منكم، وله ولأصحابِه هِجرةٌ واحدة، ولكم أنتم ياأهلَ السَّفينةِ هِجرتان». قالت: فلقدْ رأيتُ أبا موسى وأصحابَ السَّفينةِ يأتوني أرسالاً ليَسألوني عن هذا الحديث، مامِنَ الدُّنيا شيءٌ هم به أفرَحُ ولاأعظمُ في أنفسِهم ممَّا قالَ لهم رسولُ الله ﷺ[3].

وقال ابنُ عباس: لما زوَّجَ رسولُ اللهِ ﷺ فاطمةَ عليًّا رضي الله عنهما

---

(١) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٨٢، ٢٨٣.

(٢) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٨٥.

(٣) أخرجه البخاري ٧/ ٤٨٤ (٤٢٢٩) في المغازي: باب غزوة خيبر؛ ومسلم (٢٥٠٢ و٢٥٠٣) في فضائل الصحابة: باب في فضائل جعفر بن أبي طالب، وأسماء بنت عُميس، وأبو نُعيم في الحلية ٢/ ٧٤، واللفظ له.

دخلَ، فلما رآهُ النِّساءُ وثَبْنَ، وبينهنَّ وبين رسولِ اللهِ ﷺ سترةٌ، فتخلَّفَتْ أسماءُ بنتُ عُمَيس، فقال لها: «كما أنتِ على رِسْلِك، من أنت؟» قالت: أسماءُ، أحرِسُ ابنتك، فإنَّ الفتاةَ ليلةَ يُبْنَى بها لابُدَّ لها من امرأةٍ تكونُ قريبةً منها، إنْ عرضتْ لها حاجةٌ، أو أرادَتْ شيئًا أفضَتْ بذلك إليها. قال: «فإنِّي أسألُ إلٰهي أنْ يَحرُسَكِ من بين يديكِ، ومن خلفكِ، وعن يمينك، وعن شمالكِ من الشيطانِ الرجيم». قال ابنُ عباس: فأخبرتْني أسماءُ أنَّها رمقتْ رسولَ اللهِ ﷺ قامَ، فلم يَزَلْ يدعو لها خاصَّةً، لايُشرِكُ في دُعائه أحدًا حتى تَوارَى في حجرتِه[1].

رحمة اللهِ عليها ورضوانه.

(٥٢١) أمُّ أيْمَن(*)

واسْمُها بَرَكَة، وتُكنى أيضًا أُمَّ الظِّباء، وغلَبَتْ عليها الكُنيةُ الأولى.

وهي مولاةُ رسولِ الله ﷺ، وحاضِنَتُه، ورِثَها من أبيه، وأعتَقَها حينَ تزوَّجَ خَدِيجة، وأسلمتْ قديمًا، وهاجرتْ إلى أرضِ الحَبَشة، وإلى المدينة، وزوَّجَها رسولُ اللهِ ﷺ عُبيد بن زيد، من بني الحارث، فولدتْ له أيمن قبلَ النُبُوَّة، ثم تزوَّجَها زيدُ بنُ حارثة مولى رسولِ الله ﷺ بعدَ النبوَّة، فولَدَتْ له أسامة، وشهِدَتْ أُحُدًا، وكانتْ تسقي الماء، وتُداوي الجَرْحى، وشهدتْ خيبر، وتوفِّيتْ في أوَّلِ خلافةِ عثمان[2].

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية ٢/ ٧٥.

(*) ترجمتها في: طبقات ابنِ سعد ٨/ ٢٢٣، طبقات خليفة ٣٣١، الجرح والتعديل ٩/ ٤٦١، الاستيعاب ٤/ ١٧٩٣، صفة الصفوة ٢/ ٥٤، جامع الأصول ١٣/ ١٧٧، أسد الغابة ٧/ ٣٦، تهذيب الكمال ٣٥/ ٣٢٩، سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٢٣، العبر ١/ ١٣، ٥٩، الوافي بالوفيات ١٠/ ١١٨، العقد الثمين ٨/ ٣٢٤، تهذيب التهذيب ١٢/ ٤٥٩، الإصابة ٤/ ٤٣٢، شذرات الذهب ١/ ١٥.

(٢) جامع الأصول ١٣/ ١٧٧.

قال عثمانُ بنُ القاسم: خرجتْ أُمُّ أيمنَ مُهاجرةً إلى رسولِ اللهِ ﷺ من مكةَ إلى المدينةِ، وهي ماشيةٌ ليس معها زادٌ، وهي صائمةٌ في يومٍ شديدِ الحرِّ، فأصابَها عطَشٌ شديدٌ حتى كادَتْ تموتُ من شدَّةِ العطش، وهي بالرَّوْحاء، أو قريبًا منها، فلمَّا غابتِ الشَّمْسُ، قالت: إذا أنا بحفيفِ شيءٍ فوقَ رأسي، وإذا أنا بدَلْوٍ من السماءِ مُدَلَّى برِشاءٍ[1] أبيض، قالت: فدَنا منِّي حتى إذا كانَ حيثُ أستَمْكِنُ (☆منه تناولتُه، فشربْتُ منه حتى رَوِيت. قالتْ: فلقدْ كنتُ بعدَ ذلك في اليوم الحارِّ أطوفُ في الشمس☆)[2] كي أعطشَ، وماعطِشتُ بعدَها[3].

وقال أنس: ذَهبتُ مع النبيِّ ﷺ إلى أُمِّ أيمن نزورها، فقرَّبتْ له طعامًا، أو شرابًا، فإمَّا كانَ صائمًا، وإمَّا لم يُرِدْهُ، فجعلتْ تُخاصِمُهُ ـ أي كُلْ ـ فلمَّا تُوفِّيَ النبيُّ ﷺ قال أبو بكرٍ لعمر: مُرَّ بنا إلى أُمِّ أيمنَ نزورُها كما كان رسولُ الله ﷺ يزورُها، فلمَّا رأَتْهما بكَتْ، فقالا لها: مايُبكيكِ؟ فقالتْ: ماأبكي إنِّي لأعلَمُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قد صارَ إلى خيرٍ ممَّا كان فيه، ولكنِّي أبكي لخبرِ السماءِ انقطَعَ عنَّا. فهيَّجَتْهما على البُكاء، فجعلا يَبكيانِ معها[4].

وقالتْ أُمُّ أيمن: باتَ رسولُ اللهِ ﷺ في البيت، فقامَ من الليل، فبالَ في فَخَّارة، فقمتُ وأنا عَطْشَى لم أشعرْ مافي الفخَّارةِ، فشربْتُ مافيها، فلمّا أصبحْنا قال لي: «ياأُمَّ أيمن، أهْرِيقي مافي الفخَّارة». قلتُ: والذي بعثَكَ بالحقِّ شربتُ مافيها. فضحِكَ رسولُ الله ﷺ حتى بدَتْ نواجذُه، ثم قال:

---

(١) الرشاء: الحبل.

(٢) (☆-☆) مابينهما ليس في (أ).

(٣) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٢٤، حلية الأولياء ٢/ ٦٧.

(٤) رواه مسلم (٢٤٥٣ و٢٤٥٤) في فضائل الصحابة: باب من فضائل أم أيمن؛ وأبو نُعيم في الحلية ٢/ ٦٨، واللفظ له.

«أما إنَّه لايتَّجعنْ بطنُكِ بعدَه أبدًا»[1].

رضي اللهُ عنها.

(٥٢٢) جُوَيْرِيَةُ بنتُ الحارث(*)

أُمُّ المؤمنين، سَبَاها النبيُّ ﷺ في غَزوةِ المُرَيسيع، وهي غَزوةُ بني المُصْطَلِق في سنةِ خمسٍ، وقيل: ستٍّ، فوقعتْ في سَهْم ثابتِ بن قَيس بن شمَّاس، فكاتَبَها على تسعِ أواقٍ.

قالت عائشة: وكانتِ امرأةً حُلوةً، لايَكادُ يراها أحدٌ إلا أخذَتْ بنفسِه، فبينا رسولُ الله ﷺ عندي إذ دخلتْ عليه جُوَيرِيةُ تسألُه في كِتابتِها، فواللهِ ماهو إلاَّ أنْ رأيتُها فكرِهتُ دخولَها على النبيِّ ﷺ، وعلمتُ أنَّه سيرَى منها مثلَ الذي رأيتُ. فقالتْ: يارسولَ الله، أنا جُويرية بنتُ الحارث سيِّدِ قومِه، وقد أصابني من الأمرِ ماقد علمتَ، فوقَعْتُ في سهمِ ثابتِ بنِ قيس، فكاتبَني على تسعِ أواقٍ، فأعِنِّي في كتابتي. فقال: «أوَخَيرٌ من ذلك». قالتْ: ماهو؟ قال: «أؤَدِّي عنك كتابتَكِ وأتزوَّجُك». قالت: نعم، يارسولَ الله. قال: «قد فعلت». وخرجَ الخبرُ إلى الناسِ، فقالوا: أصهارُ رسولِ اللهِ ﷺ يُسترَقُّون! فأَعتَقوا ماكانَ في أيديهم من نساءِ بني المُصْطَلِق. فبلغَ

---

(١) رواهُ أبو نعيم في الحلية ٢/ ٦٧، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٧١، وقال: رواه الطبراني، وفيه أبو مالك النخعي وهو ضعيف.

(*) ترجمتها في: طبقات ابن سعد ٨/ ١١٦، طبقات خليفة ٣٤٢، تاريخ خليفة ٨٠، ٢٢٤، المعارف ١٣٨، المستدرك ٤/ ٢٥، الاستيعاب ٤/ ١٨٠٤، صفة الصفوة ٢/ ٤٩، جامع الأصول ١٢/ ٢٥٦، أسد الغابة ٧/ ٥٦، تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٣٣٦، تهذيب الكمال ٣٥/ ١٣٥، سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٦١، تاريخ الإسلام ٢/ ٢٧٥، العبر ١/ ٧، ٦١، تهذيب التهذيب ١٢/ ٤٠٧، الإصابة ٤/ ٤١١، شذرات الذهب ١/ ٦١.

عتقُهم مئةَ أهلِ بيتٍ بتزويجه إيّاها. فلا أعلمُ امرأةً أعظَمَ برَكةً على قومِها منها[1].

وقالتْ جويرية: أتى عليَّ رسولُ اللهِ ﷺ غُدوةً، وأنا أُسَبِّحُ، ثم انطلقَ لحاجتِه، ثم رجعَ قريبًا من نصفِ النهار، فقال: «أما زلتِ قاعدةً؟». قلتُ: نعم. قال: «ألا أُعلِّمُكِ كلماتٍ لو عُدِلْنَ بهنَّ عَدَلَتْهُنَّ ـ أو لو وُزِنَّ بهنَّ وزَنَتْهُنَّ ـ يعني جميعَ ماسبّحَتْ ـ سُبحانَ اللهِ عددَ خَلْقِه، ثلاث مرات، سبحانَ اللهِ زِنَةَ عَرْشِه، ثلاثَ مرات، سبحانَ اللهِ رِضَا نفسِه، ثلاثَ مرات، سبحانَ اللهِ مِدادَ كلماتِهِ ثلاثَ مرات»[2].

وماتَتْ سنةَ ستٍّ وخمسين. وقيل: سنةَ خمسين، وهي بنتُ ستٍّ وخمسين، وقيل: خمسٍ وستين.

رضي الله عنها.

* * *

---

(١) أخرجه ابن هشام في السيرة ٣/ ٣٠٧، ٣٠٨ وابن سعد في طبقاته ٨/ ١١٧، وأحمد في مسنده ٦/ ٢٧٧، والحاكم في مستدركه ٤/ ٢٦، ٢٧، والبيهقي في السنن الكبرى ٩/ ٧٤، ٧٥، ودلائل النبوّة ٤/ ٥٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٧٢٦) في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التسبيح أول النهار وعند النوم، وابن سعد في طبقاته ٨/ ١١٩، وأحمد في مسنده ٦/ ٣٢٥، واللفظ لأحمد.

(٥٢٣) حفصة بنت عمر بن الخطاب(*)

أمُّ المؤمنين

قال عبدُ اللهِ بنُ عمرَ عن أبيه قال: تأيَّمَتْ حفصةُ من خُنَيْسِ بنِ حُذافةَ، وكانَ ممَّنْ شهِدَ بدرًا، قال عمر: فلَقِيتُ عثمانَ بنَ عفَّان، فعرضْتُ عليه حفصةَ، فقلتُ: إنْ شئتَ أَنْكَحتُكَ حَفْصَةَ. قال: سأنظُرُ في ذلك. فلبثْتُ ليالي، فلقيني، فقال: ماأُريدُ أنْ أنكحَ يومي هذا. قال عمر: فلَقِيتُ أبا بكرٍ، فقلت: إنْ شئتَ أنكحتُكَ حفصة. فلم يرجِعْ إليَّ شيئًا، فكنتُ أوجدَ منِّي عليه ـ على عثمان ـ فلبثْتُ لياليَ. فخطَبَها رسولُ اللهِ ﷺ فأنكحتُها إيَّاه، فلقِيَني أبو بكرٍ فقال: لعلَّكَ وجدْتَ عليَّ حينَ عَرضتَ عليَّ حفصةَ فلم أرجعْ إليك شيئًا؟ قلتُ: نعم. قال: فإنَّه لم يمنعْني أنْ أرجِعَ إليك شيئًا حين عَرضتَها عليَّ إلاَّ أنِّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يذكرُها، ولم أكُنْ لأُفشيَ سرَّ رسولِ الله ﷺ، ولو ترَكَها لنكحتُها[1].

وقال أبو عمرانَ الجَوْني: إنَّ النبيَّ ﷺ طلَّقَ حفصةَ بنتَ عمرَ، فدخلَ

(*) ترجمتها في: طبقات ابن سعد ٨/ ٨١، طبقات خليفة ٣٣٤، تاريخ خليفة ٦٦، المستدرك ٤/ ١٤، حلية الأولياء ٢/ ٥٠، الاستيعاب ٤/ ١٨١١، صفة الصفوة ٢/ ٣٨، جامع الأصول ١٢/ ٢٥٠، أسد الغابة ٧/ ٦٥، تهذيب الكمال ٣٥/ ١٥٣، تاريخ الإسلام ٢/ ٢٢٠، سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٢٧، العقد الثمين ٨/ ٢٠٠، مجمع الزوائد ٩/ ٢٤٤، تهذيب التهذيب ١٢/ ٤١١، الإصابة ٤/ ٢٧٣، شذرات الذهب ١/ ١٠، ١٦.

(١) أخرجه ابن سعد في طبقاته ٨/ ٨٢، والبخاري ٩/ ١٧٥، ١٧٦، في النكاح: باب عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير. والنسائي ٦/ ٨٣ في النكاح: باب إنكاح الرجل ابنته الكبيرة.

عليها خالاها قدامة، وعثمانُ ابنا مظعون، فبكتْ وقالتْ: واللهِ ماطلَّقَني عن شبع. وجاءَ النبيُّ ﷺ فتجلببتُ، فقالَ: «قال لي جبريلُ عليه السلام: راجعْ حفصةَ، فإنَّها صوَّامةٌ قوَّامة، وإنَّها زوجتُكَ في الجنَّة»[1].

وقال عمَّارُ بنُ ياسر: أرادَ رسولُ اللهِ ﷺ أن يُطَلِّقَ حفصةَ، فجاءَ جبريلُ عليه السلام، فقال: لاتُطلِّقْها؛ فإنَّها صوامةٌ قوَّامة، وإنَّها زوجتُك في الجنة[2].

وماتَتْ في سنةِ خمسٍ وأربعين، وقيل: سنةَ إحدى وأربعين. ولها ستون سنة.

رضي الله عنها.

(٥٢٤) الحَوْلاءُ بنتُ تُوَيْت(*)

من بني أسد بن عبدِ العُزّى بن قُصي.

أسلمتُ بعدَ الهجرة، وبايعتْ، وهاجرتْ من المُجتهدات في العبادة.

قالت عائشةُ رضي الله عنها: إنَّ الحَولاء مرّتْ بها وعندها رسولُ اللهِ ﷺ فقالتْ: هذه الحَولاءُ وزَعَموا أنّها لاتَنامُ الليلَ. فقال: «لاتنامُ الليلَ!

---

(١) أخرجه ابن سعد في طبقاته ٨/ ٨٤؛ وأبو نعيم في الحلية ٢/ ٥٠؛ والحاكم في المستدرك ٤/ ١٥. وكلُّهم روى الحديثَ عن أبي عمرانَ الجَوْني عن قيس بن زيد. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٢٤٥: رواه الطبراني ورجالُه رجالُ الصحيح.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية ٢/ ٥٠، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٢٤٤: رواه البزار والطبراني، وفي إسناديهما الحسن بن أبي جعفر، وهو ضعيف.

(*) ترجمتها في: طبقات ابن سعد ٨/ ٢٤٤، ثقات ابن حبان ٣/ ١٠٠، حلية الأولياء ٢/ ٦٥، الاستيعاب ٤/ ١٨١٥، صفة الصفوة ٢/ ٥٨، أسد الغابة ٥/ ٤٣٢، تجريد أسماء الصحابة ٢/ ٢٦١، الإصابة ٨/ ٥٦، توضيح المشتبه ١/ ٦٧٣.

خُذوا من العملِ ماتُطِيقون، فواللهِ لايَسأمُ اللهُ حتى تسأموا».

وفي رواية: كان عندَها امرأةٌ، فلمَّا قامتْ، قال رسولُ اللهِ ﷺ: «منْ هذه ياعائشة؟» قالت: فقلت: يارسولَ اللهِ أما تعرِفُها؟ هذه فُلانة لاتنامُ الليلَ، وهي أعبدُ أهلِ المدينة. فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «مَهْ مَهْ» ثم قال: «عليكم من العمَلِ ماتُطيقون، فإنَّ اللهَ لايَمَلُّ حتى تَمَلُّوا». وكان أحبُّ العملِ إلى اللهِ أدوَمَه وإنْ قَلَّ[1].

وقالتْ عائشةُ رضي الله عنها: إنَّ الحَوْلاءَ استأذنتْ على النبيِّ ﷺ، فأذِنَ لها، وأقبَلَ عليها. فقلتُ: يارسولَ الله، تُقبلُ على هذه هذا الإقبال؟! فقال لها: «كانتْ تأتينا في زمنِ خديجةَ، وإنَّ حُسْنَ العَهْدِ من الإيمان»[2].

رضي الله عنها.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٦/٢٤٧، والبخاري في صحيحه ٣/١٣٦ (١٠٥١) في التهجد: باب مايكره من التشديد في العبادة؛ ومسلم ١/٥٤٢ (٧٨٥) في صلاة المسافرين: باب أمر من نعس في صلاته؛ وأخرجه الموطأ ١/١١٨ في صلاة الليل: باب ماجاء في صلاةِ الليل مرسلاً عن إسماعيل بن أبي حكيم؛ والنسائي ٣/٢١٨ (١٦٤٢) في صلاة الليل: باب الاختلاف على عائشة في إحياء الليل؛ وأبو نعيم في الحلية ٢/٢٦٥.

(٢) رواه ابن عبد البر في الاستيعاب ٤/١٨١٥، وقال: هكذا رواه محمد بن موسى الشامي عن أبي عاصم بإسنادِه المذكور(أبو عاصم عن صالح بن رستم عن أبي مليكة عن عائشة): استأذنتِ الحولاء، ولم يقل بنت تويت ولانسبها، وقد غلط في ذلك محمد بن موسى الشامي، والله أعلم؛ لأنه قد روي هذا الحديث عن أبي عاصم بخلاف ماروواه محمد بن موسى الشامي اهـ. والصواب ماذكره ابن عبد البر في الاستيعاب ٤/١٨١٠ في ترجمةِ حسانة المزنية عن عائشة قالت: جاءت عجوزٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال لها: من أنت؟ قالت: أنا جثامة المزنية. قال: بل أنت حسانة المزنية، كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟ قالت: بخير، بأبي أنت وأمي يارسولَ الله. فلما خرجت قلت: يارسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال! قال: إنها كانت تأتينا أيامَ خديجة، وإنَّ حسن العَهدِ من الإيمان.
قال أبو عمر: هذه الرواية أولى بالصواب من رواية من روى ذلك في الحولاءِ بنت تويت، والله أعلم. . .
وروى حديثَ حسَّانةَ الحاكم في مستدركه ١/١٦، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٥٢٥) أمُّ حَرَام بنت مِلْحان الأنصارية(*)

أُختُ أُمِّ سُليم، وزوجةُ عُبادةَ بنِ الصامت.

وكان رسولُ اللهِ ﷺ يَزورُها، ويَقِيلُ في بيتِها.

قالتْ: بينا رسولُ الله ﷺ قائلاً في بيتي إذ استيقظَ وهو يَضحكُ، فقلت: بأبي أنتَ وأُمّي، مايُضحِكُكَ؟ قال: «عُرِض عليَّ ناسٌ من أُمّتي يَركبونَ ظهرَ هذا البحر، كالمُلوكِ على الأسِرَّة». فقلت: ادْعُ اللهَ أنْ يجعلَني منهم. قال: «اللهمَّ اجعلْها منهم». ثم نامَ، فاستيقظَ وهو يَضْحَكُ، فقلتُ: بأبي وأمي، مايُضحِكُك؟ قال: «عُرِضَ عليَّ ناسٌ من أُمّتي يَركبونَ هذا البحر، كالمُلوكِ على الأسرَّة» فقلت: ادعُ اللهَ أن يجعلَني منهم. فقال: «أنتِ من الأوّلِين» فغزَتْ مع عُبادةَ بنِ الصامت ـ وكان زوجَها ـ فوقَصتْها بغلةٌ لها شَهباءُ فوقعَتْ فماتتْ[1].

(*) ترجمتها في: طبقات ابن سعد ٨/ ٤٣٤، تاريخ خليفة ١٦٠، الجرح والتعديل ٩/ ٤٦١، الحلية ٢/ ٦١، الاستبصار ٤٠، الاستيعاب ٤/ ١٩٣١، تاريخ دمشق لابن عساكر (تراجم النساء) ٤٨٦، صفة الصفوة ٢/ ٦٩، جامع الأصول ٩/ ١٤٧، و١٣/ ٣٩٢، أسد الغابة ٧/ ٣١٧، تهذيب الكمال ٣٥/ ٣٣٨، سير أعلام النبلاء ٢/ ٣١٦، تاريخ الإسلام ٢/ ٧٨، العبر ١/ ٢٩، مجمع الزوائد ٩/ ٢٦٣، تهذيب التهذيب ١٢/ ٤٦٢، الإصابة ١٣/ ١٩٣، شذرات الذهب ١/ ٣٦.

(١) أخرجه البخاري ٦/ ٨٧ (٢٨٩٤) في الجهاد: باب ركوب البحر؛ و١٢/ ٣٩١ (٧٠٠١) في التعبير: باب رؤيا النهار؛ ومسلم (١٩١٢) في الإمارة: باب فضل الغزو في البحر؛ والموطأ ٢/ ٤٦٤ في الجهاد: باب الترغيب في الجهاد؛ وأبو داود (٢٤٩٠) في الجهاد: باب فضل الغزو في البحر؛ والترمذي (١٦٤٥) في فضائل الجهاد: باب ماجاء في غزو البحر؛ والنسائي ٦/ ٤٠ في الجهاد: باب فضل الجهاد في البحر؛ وابن ماجه (٢٧٧٦) في الجهاد: باب فضل غزو البحر؛ والدارمي ٢/ ٢١٠؛ وابن سعد ٨/ ٤٣٥، وأبو نعيم في الحلية ٢/ ٦١، وابن عساكر ٤٨٧.

وقال عُميرُ بنُ الأسود العَنْسيّ: إنّه أتى عُبادةَ بنَ الصامت وهو بساحلِ حمصَ، ومعه امرأتُهُ أمُّ حَرَام، فحدَّثتنا أنّها سمعتْ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «أوّلُ جيشٍ من أُمَّتي يَغْزونَ البحرَ قد أوجَبُوا»[1]. قالتْ: يارسولَ اللهِ، أنا منهم؟ قال: «أنتِ منهم»[2].

وقال هشام: قبرُ أُمِّ حَرَام بقُبْرُس[3]، وهم يقولون: هذا قبرُ المرأةِ الصالحة[4].

وكان موتُها في خلافةِ عثمان رضي الله عنهما.

(٥٢٦) خديجةُ بنتُ خُويلد(*)

كانتْ تُدعَى في الجاهليّة الطّاهرة[5].

وهي أوّلُ مَنْ أسلَمَ بالإجماع، وتزوّجَها النبيُّ ﷺ قبلَ النُّبوّة، ولها أربعونَ سنة، وله خمسٌ وعشرونَ سنة[6]، ولم يَنكِحْ قبلَها، ولانكَحَ عليها

---

(١) قد أوجبوا: أي فعلوا فعلاً وجَبَتْ لهم به الجنة.

(٢) أخرجه البخاري ٦/١٠٢ (٢٩٢٤) في الجهاد: باب ماقيل في قتال الروم؛ والحاكم في المستدرك ٤/٥٥٦؛ والبيهقي في دلائل النبوة ٦/٤٥٢؛ وابن عساكر ٤٨٦؛ وابن كثير في البداية والنهاية ٦/٢٢٢.

(٣) قبرس: الجزيرة المعروفة اليوم بقبرص، وانظر معجم البلدان ٤/٣٠٥.

(٤) حلية الأولياء ٢/٦٢، تاريخ ابن عساكر ٤٩٦.

(*) ترجمتها في: طبقات ابن سعد ١/١٣١، و٨/٥٢، المستدرك ٣/١٨٢، الاستيعاب ٤/١٨١٧، جامع الأصول ٩/١٢٠، و١٢/٢٤٥، صفة الصفوة ٢/٧، أسد الغابة ٧/٧٨، سير أعلام النبلاء ٢/١٠٩، مجمع الزوائد ٩/٢١٨، العقد الثمين ٨/٢٠٣، الإصابة ١٢/٢١٣، الشذرات ١/١٤.

(٥) جامع الأصول ١٢/٢٤٥، سير أعلام النبلاء ٢/١١١.

(٦) طبقات ابن سعد ١/١٣٢.

حتى ماتَتْ[1]، وجميعُ أولادِهِ منها غير إبراهيم، فإنَّه من ماريَة[2].

قال رسول الله ﷺ: «خيرُ نِسائها مَرْيمُ بنتُ عِمران، وخيرُ نِسائها خَديجةُ بنتُ خُويلد»[3].

وقال ﷺ: «حَسْبُكَ من نساءِ العالمين: مريمُ بنتُ عِمران، وخديجةُ بنتُ خُويلد، وفاطمةُ بنتُ محمد، وآسيةُ امرأةُ فِرْعَون»[4].

وقال أبو هريرة: أتى جبريلُ عليه السلام إلى النبيِّ ﷺ، فقال: يارسولَ الله، هذه خديجةُ قد أتَتْ ومعها إنَاءٌ فيه إدَامٌ أو طعامٌ أو شراب، فإذا هي أتَتْكَ فاقْرَأْ عليها السلامَ من ربِّها، وبَشِّرْها ببيتٍ في الجَنَّةِ من قَصَب[5]، لاصخَبَ فيه ولانَصَب[6].

وقالت عائشةُ رضي الله عنها: ماغِرْتُ على أحدٍ من نِساءِ النبيِّ ماغِرْتُ على خديجة، ومارأيتُها قطُّ، ولكنْ كان رسولُ الله ﷺ يُكثِرُ ذِكرها، وربَّما

---

(١) المستدرك ٣/ ١٨٦.

(٢) مجمع الزوائد ٩/ ٢٢٠.

(٣) أخرجه البخاري ٧/ ١٣٣ (٣٨١٥) في مناقب الأنصار: باب تزويج النبي ﷺ خديجة؛ ومسلم (٢٤٣٠) في فضائل الصحابة: باب فضائل خديجة أم المؤمنين؛ وأحمد في مسنده ١/ ٨٤، ١١٦، ١٣٢، ١٤٣؛ والترمذي (٣٨٧٧) في المناقب: باب فضل خديجة رضي الله عنها؛ والبيهقي في السنن ٦/ ٣٦٧. وتتمة رواية مسلم: «قال أبو كريب: وأشار وكيع إلى السماء والأرض».

(٤) رواه أحمد في مسنده ٣/ ١٣٥، والترمذي (٣٨٧٨) في المناقب: باب مناقب خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، وعبد الرزاق في المصنف ١١/ ٤٣٠ (٢٠٩١٨) والحاكم ٣/ ١٥٧ وصححه ووافقه الذهبي، وأبو نعيم في الحلية ٢/ ٣٤٤، وقال الترمذي: هذا حديثٌ صحيح.

(٥) القصب: لؤلؤ مجوف واسع كالقصر المُنيف. النهاية.

(٦) أخرجه البخاري ٧/ ١٣٣، (٣٨٢٠) في مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها، ومسلم (٢٤٣٢) في فضائل الصحابة: باب فضائل خديجة أمّ المؤمنين؛ والحاكم في المستدرك ٣/ ١٨٥.

ذَبَحَ الشاةَ ثم يُقطِّعُ أعضاءَها، ثم يَبعثُها في صَدائقِ خديجة، وربَّما قلتُ له: كأنّه لم يكنْ في الدُّنيا امرأةٌ إلاَّ خديجة؟ فيقول: «إنَّها كانتْ وكانتْ، وكانَ لي منها وَلَد».

وفي رواية: فأغْضَبْتُهُ يومًا، فقال: «إنّي رُزِقْتُ حُبَّها»[1].

وقالت عائشةُ رضي الله عنها: كان رسولُ اللهِ ﷺ لايكادُ يخرجُ من البيت حتى يذكرَ خديجةَ، فيُحْسِنُ عليها الثناء، فذكرَها يومًا من الأيام، فأدركَتْني الغَيْرَةُ، فقلت: هل كانتْ إلاَّ عجوزًا، قد أخلفَ اللهُ عليك[2] خيرًا منها. فغضِبَ حتى اهتزَّ مُقدَّمُ شعرِهِ من الغضَب، ثم قال: «لاوالله، ماأخلفَ اللهُ لي خَيرًا منها، لقد آمنتْ إذْ كَفَر الناس، وصدَّقَتْني إذ كذَّبَني الناس، وواسَتْني بمالِها إذ حَرَمَني الناس، ورزَقَني اللهُ أولادَها إذ حرمَني أولادَ النساء». قالت،: فقلتُ بيني وبين نفسي: لا أذكُرُها بسوءٍ أبدًا[3].

وماتتْ خديجةُ بمكة قبل الهجرة بخمسٍ سنين، وقيل: بأربعٍ، وقيل: بثلاث[4]، وهو الصحيح. وكان قد مَضى من النبُوَّةِ عشرُ سنين، أو مايُقارِبها، وكانتْ مُدَّةُ مَقامِها مع رسولِ اللهِ ﷺ خمسًا وعشرين سنة، ودُفِنتْ بالحَجُون[5]، ونزل رسولُ اللهِ ﷺ في حفرتِها[6].

رضي الله عنها.

---

(١) أخرجه البخاري ٧/ ١٣٣ (٣٨١٦ ومابعده) في مناقب الأنصار: باب تزويج النبيِّ ﷺ خديجة وفضلها، ومسلم (٢٤٣٥) في فضائل الصحابة: باب فضائل خديجة أم المؤمنين، والترمذي (٣٨٧٥) في المناقب: باب فضل خديجة رضي الله عنها.

(٢) في (أ): «لك».

(٣) أخرجه أحمد ٦/ ١١٧، ١١٨، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٢٢٤: رواه أحمد، وإسنادُه حسن.

(٤) مجمع الزوائد ٩/ ٢١٩.

(٥) الحَجون: جبل بأعلى مكة، عنده مدافن أهلها. معجم البلدان.

(٦) المستدرك ٣/ ١٨٢.

(٥٢٧) أمُّ الدَّرداءِ الكُبرى(*)

واسمها خَيْرَةُ بنتُ أبي حَدْرَد الأسلميَّة، زوجة أبي الدرداء.

وكانت من فُضلاء الصحابيَّات، وعُقلائهنَّ، وذواتِ الرأيِ منهنّ، مع العبادةِ والنُّسك.

روى عنها: صفوانُ بن عبد الله، ومَيمونُ بنُ مِهْران(١)، وسهلُ بن مُعاذ.

وماتَتْ قبلَ أبي الدَّرداء بسنتَين.

قال صفوانُ بنُ عبد الله(٢): قدِمتُ الشامَ، فأتيتُ أبا الدرداءِ في منزلِهِ فلم أجدْه، ووجدْتُ أُمَّ الدرداء، فقالتْ: أتُريدُ الحجَّ العام؟ فقلتُ: نعم. قالتْ: فادْعُ لنا بخَير، فإنَّ النبيَّ ﷺ كان يقول: «دعوةُ المرْءِ المسلمِ لأخيهِ بظهْرِ الغيبِ مُستجابة. عند رأسِهِ ملَكٌ مُوكَّلٌ كلَّما دَعا لأخيه بخيرٍ قال الملَكُ الموكَّلُ به: آمين، ولكَ بمثلِه». قال: فخرجتُ إلى السُّوقِ فلَقِيتُ أبا الدرداء، فقال لي مثلَ ذلك، يَرويهِ عن النبيِّ ﷺ(٣).

رضي الله عنها.

(*) ترجمتها في: الجرح والتعديل ٩/ ٤٦٣، الثقات ٣/ ١١٦، الاستيعاب ٤/ ١٨٣٤، صفة الصفوة ٤/ ٢٩٤، جامع الأصول ١٣/ ٤٤٩، أسد الغابة ٥/ ٤٤٨، مختصر تاريخ دمشق ٨/ ١٠٣، تجريد أسماء الصحابة ٢/ ٢٦٦، الإصابة ٨/ ٧٣.

(١) أم الدرداء الكبرى توفِّيت في حياةِ أبي الدرداء، وميمون بن مِهران ولد عام الجماعة سنة أربعين، وإنما يروي عن أم الدرداء الصغرى، ولم تسمع من النبيِّ ﷺ شيئًا. انظر مختصر تاريخ دمشق ٨/ ١٠٣.

(٢) في الأصل عبد الرحمن، والمثبت من مصادر الخبر.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٧٣٣) و(٢٧٣٤) في الذكر والدعاء: باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب، وأحمد ٥/ ١٩٥.

(٥٢٨) زينب بنت جَحْش(*)

أمُّ المؤمنين. من بني أسد بنِ خُزَيمة، وهي ابنةُ عمَّةِ النبيِّ ﷺ، وكانَ اسمُها بَرَّة، فسمَّاها النبيُّ ﷺ زَينب[١].

قالت عائشةُ في شأنِها: ولم تكنِ امرأةٌ خيرًا منها في الدِّين أتقى للهِ وأصدقَ حديثًا، وأوصلَ للرَّحِم، وأعظمَ صدقةً، وأشدَّ تبذُّلاً لنفسها في العمل الذي تتصدَّقُ به، وتتقرَّبُ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ[٢].

وقال أنس: لما انقضَتْ عِدَّةُ زينبَ بنتِ جحش ـ يعني من زيد بن حارثة ـ قال رسولُ اللهِ ﷺ لزيد: «اذهبْ، فاذكُرْني لها». قال: فلمّا قالَ ذلك عَظمتْ في نفسي، فذهبتُ إليها، فجعلتُ ظهري إلى الباب، فقلت: يازينب، بعثَ رسولُ الله ﷺ يذكُرِك. فقالتْ: ماكنتُ لأُحدثَ شيئًا حتى أُؤمَّرَ ربِّي عزَّ وجلَّ. فقامتْ إلى مَسجدِها[٣]، فأنزلَ اللهُ هذه الآية: ﴿فلمّا قضى زيد منها وطرًا زَوَّجْناكَها﴾[الأحزاب: ٣٧] فجاء رسولُ اللهِ ﷺ فدخلَ

(*) ترجمتها في: طبقات ابن سعد ٨/ ١٠١، طبقات خليفة ٣٣٢، تاريخ خليفة ١٤٩، المستدرك ٤/ ٢٣، الثقات لابن حبان ٣/ ١١٦، حلية الأولياء ٢/ ٥١، الاستيعاب ٤/ ١٨٤٩، صفة الصفوة ٢/ ٤٦، جامع الأصول ١٢/ ٢٥٣، أسد الغابة ٧/ ١٢٥، تهذيب الكمال ٣٥/ ١٨٤، سير أعلام النبلاء ٢/ ٢١١، تاريخ الإسلام ٢/ ٣٤، العبر ١/ ٥، ٢٤، العقد الثمين ٨/ ٢٢٦، مجمع الزوائد ٩/ ٢٤٦، تهذيب التهذيب ١٢/ ٤٢٠، الإصابة ١٢/ ٢٧٥، شذرات الذهب ١/ ١٠، ٣١.

(١) أخرجه مسلم (٢١٤٢) في الأدب، باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن.

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٤٢) في فضائل الصحابة: باب في فضل عائشة، والنسائي ٧/ ٦٦ (٣٩٤٤) في عشرة النساء: باب حب الرجل بعض نسائه أكثر من بعض، وأبو نعيم في الحلية ٢/ ٥٣.

(٣) في (أ): «إلى مسجدٍ لها».

عليها بغيرِ إذْن[1].

وقال أنس: إنَّ زينبَ كانتْ تفخَرُ على أزواجِ النبيِّ ﷺ تقول: زَوَّجَكُنَّ أهاليكُنَّ، وزوَّجَني اللهُ من فوقِ سبع سماوات. قال أنس: وأطْعَمَ عليها يومئذٍ خُبزًا ولحمًا[2].

وفي قصَّتِها نزلَتْ آيةُ الحجاب[3].

وماأَوْلَمَ رسولُ اللهِ ﷺ على امرأةٍ من نِسائهِ أكثرَ وأفضلَ ممَّا أَوْلَمَ على زينب[4].

وقالتْ بَرْزَةُ بنتُ رافع: لمَّا جاءَ العَطاءُ بعثَ عمرُ إلى زينب بالذي لها،

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٢٨) في النكاح: باب زواج زينب بنت جحش، والنسائي ٦/ ٧٩ (٣٢٥١) في النكاح: باب صلاة المرأة إذا خطبت واستخارتها ربها؛ وابن سعد في الطبقات ٨/ ١٠٤، وأبو نُعيم في الحلية ٢/ ٥٢، ٥٣.

(٢) أخرجه البخاري ١٣/ ٤٠٣، ٤٠٤ (٧٤٢٠، ٧٤٢١) في التوحيد: باب وكان عرشه على الماء؛ والحاكم في المستدرك ٤/ ٢٣.

(٣) روى مسلم (١٤٢٨) في النكاح: باب زواج زينب بنت جحش، عن أنس رضي الله عنه قال: لمَّا تزوَّجَ النبيُّ ﷺ زينب بنت جحش دعا القومَ فطَعِموا، ثم جلسوا يتحدَّثون، قال: فأخذَ كأنَّه يتهيَّأُ للقيام، فلم يقوموا، فلمَّا رأى ذلك قام، فلمَّا قام قام من قام من القوم وقعد ثلاثة، وإنَّ النبيَّ ﷺ جاء ليدخل فإذا القومُ جلوس، ثم إنهم قاموا فانطلقوا، قال: فجئتُ فأخبرتُ النبيَّ ﷺ أنَّهم قد انطلقوا، قال: فجاء حتى دخل، فذهبتُ أدخلُ فألقى الحجابَ بيني وبينه. قال: وأنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتَ النبيِّ إلاَّ أنْ يُؤذَنَ لكم إلى طعامٍ غيرَ ناظِرينَ إناهُ ولكنْ إذا دُعيتُم فادْخُلُوا فإذا طَعِمْتُمْ فانْتَشِروا ولا مستأنِسينَ لحديثٍ إنَّ ذلكم كان يُؤذي النبيَّ فيستَحْيي منكم واللهُ لا يَسْتَحْيي من الحق وإذا سألتُمُوهنَّ مَتَاعًا فاسْألوهنَّ من وراءِ حِجَابٍ ذلكمْ أطهرُ لِقُلوبِكم وقُلوبهنَّ وما كان لكمْ أنْ تُؤذوا رسولَ اللهِ ولا أنْ تَنكِحوا أزْواجَهُ من بعدِه أبدًا إنَّ ذلكُمْ كان عندَ اللهِ عظيمًا﴾[الأحزاب: ٥٢].

(٤) أخرجه مسلم (١٤٢٨) في النكاح: باب زواج زينب بنت جحش، وابن سعد في الطبقات ٨/ ١٠٧.

فلمَّا دخلَ عليها، قالتْ: غفرَ اللهُ لعمر، لَغيرِي من إخوتي كان أقوى على قسم هذا منّي. قالوا: هذا كلُّه لك. قالتْ: سبحانَ الله! واستترتْ دونَه بثوبٍ، وقالت: صبُّوهُ، واطْرحوا عليه ثوبًا. وقالتْ لي: أدخلي يدَكِ فاقبِضي منه قَبْضَةً، فاذهبي إلى آلِ فلان، وآلِ فلانٍ من أيتامها، وذَوي رَحِمِها، فقسَّمتْهُ حتى بقيَتْ منه بقيّة، فقالتْ لها بَرْزَةُ: غفَرَ الله لك - واللهِ - لقد كانَ لنا في هذا حظٌّ. قالتْ: فلكُمْ ماتحت الثَّوب. قالت: فرفعنا الثوبَ فوجدْنا خمسةً وثمانين درهمًا، ثم رفعتْ يدَها، فقالت: اللهمَّ لايدركْني عطاءُ عمرَ بعد عامي هذا. قالتْ: فماتَتْ[1].

وقالت عائشة: قالَ رسولُ الله ﷺ لأزواجِه: «أوَّلُكنَّ يَتبَعُني أطولُكُنَّ يدًا». قالتْ عائشةُ: فكُنَّا إذا اجتمعنا بعد وفاةِ رسولِ الله ﷺ نَمُدُّ أيديَنا في الحائط نتطاولُ، فلم نَزَلْ نفعَلُ ذلك حتى تُوفِّيَتْ زينب، وكانتِ امرأةً قصيرة، ولم تكنْ أطولَنا يدًا، فعرفتُ أنَّ النبيَّ ﷺ أرادَ بطولِ اليدِ الصدقة. وكانتِ امرأةً صَنَاعًا، وكانتْ تعملُ بيدِها، وتتصدَّقُ به في سبيل الله عزَّ وجلَّ[2].

وماتتْ سنةَ عشرين[3]. ولها ثلاثٌ وخمسونَ سنة، رضي الله عنها.

* * *

---

(١) طبقات ابن سعد ٨/١٠٩، حلية الأولياء ٢/٥٤.

(٢) أخرجه ابن سعد في طبقاته ٨/١٠٨؛ والحاكم في المستدرك ٤/٢٥، وأبو نعيم في الحلية ٢/٥٤.

(٣) طبقات ابن سعد ٨/١١٥.

(٥٢٩) أمُّ سُليم بنتُ مِلْحان(*)

واختُلِفَ في اسمِها، واشتهرَتْ بكُنْيَتِها، وهي أُمُّ أنسِ بنِ مالك.

قال أنسُ: خطَبَ أبو طلحةَ أمَّ سُليم قبلَ أن يُسلم، فقالتْ: أما إنّي فيك لراغِبَة، وما مِثْلُكَ يُرَدُّ، ولكنَّكَ رجلٌ كافر، وأنا امرأةٌ مسلمةٌ، فإنْ تُسْلِمْ فذلك مَهْرِي، لا أسألُكَ غيرَه. فأسلَمَ أبو طلحةَ وتزوَّجَها.

وفي رواية: فقالتْ: يا أبا طَلْحة، ألَسْتَ تعلمُ أنَّ إلٰهَكَ الذي تعبُدُ خشبةٌ تنبُتُ من الأرضِ، نجرَها حَبَشيٌّ بين فلان؟ قال: بلى. قالت: أفلا تستحي أنْ تعبُدَ خشبةً من نباتِ الأرضِ نجرَها حبشيٌّ بني فلان؟ إنْ أنتَ أسلمتَ لم أُرِدْ منك من الصَّداقِ غيرَه. قال: حتى أنظرَ في أمري. فذهبَ ثم جاء، فقال: أشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا الله، وأشهدُ أنَّ محمدًا رسولُ الله. قالتْ: يا أنس، زَوِّجْ أبا طلحة. قال ثابت: فما سمعنا بمهرٍ كان قطُّ أكرمَ من مَهْرِ أُمِّ سُليم الإسلام[1].

وقال أنس: كانَ النبيُّ ﷺ يدخلُ على أُمِّ سُليم فتبسُطُ له النِّطع، فيقيلُ عندها، فتأخذُ من عرَقِهِ فتجعلُهُ في طِيبِها[2].

(*) ترجمتها في: طبقات ابن سعد ٨/ ٤٢٤، طبقات خليفة ٣٣٩، الجرح والتعديل ٩/ ٤٦٤، حلية الأولياء ٢/ ٥٧، الاستبصار ٣٦، الاستيعاب ٤/ ١٨٤٧، صفة الصفوة ٢/ ٦٥، جامع الأصول ٩/ ١٥١، و١٤/ ٢٨٧، أسد الغابة ٧/ ٣٤٥، تهذيب الكمال ٣٥/ ٣٦٥، سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٠٤، مجمع الزوائد ٩/ ٢٦١، تهذيب التهذيب ١٢/ ٤٧١، الإصابة ١٢/ ٢٦٥، و١٣/ ٢٢٦.

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٨/ ٤٢٧، والنسائي ٦/ ١١٤ في النكاح: باب التزويج على الإسلام؛ وأبو نعيم في الحلية ٢/ ٥٩، ٦٠.

(٢) أخرجه البخاري ١١/ ٧٠ (٦٢٨١) في الاستئذان: باب من زار قومًا فقال عندهم؛=

وقال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «دخلتُ الجنَّةَ فسمعتُ خَشْفَةً[1] بين يدي فإذا هي الغُمَيْصاء[2] ابنةُ مِلْحان أُمُّ أنس بن مالك»[3].

وقال: لمَّا كانَ يومُ أُحُدٍ رأيتُ عائشةَ، وأمَّ سُلَيم وإنَّهما لمُشمِّرَتان، أرى خَدَمَ[4] سوقِهما ينقلانِ القِرَبَ على مُتونِهما، ثم يُفرِغانِهِ في أفواهِ القوم، وترجعانِ فتملآنها ثم تجيئان فيُفرِغانِها في أفواهِ القوم[5].

وقال: ماتَ ابنٌ لأبي طَلْحَةَ من أُمِّ سُليم، فقالتْ لأهلِها: لاتُحدِّثُوا أباطلحةَ بابنِه حتى أكونَ أنا أُحدِّثُه. قال: فجاءَ فقرَّبَتْ له عشاءً، فأكلَ وشرب، ثم تصنَّعَتْ له أحسنَ ماكانت تتصنَّعُ قبل ذلك، فوقَعَ بها، فلمَّا رأتْ أنَّه قد شبعَ وأصابَ منها، قالت: ياأبا طلحة، أرأيتَ لو أنَّ قومًا أعاروا عاريَتَهم أهلَ بيتٍ فطلبوا عاريتَهم ألَهم أنْ يمنعوهم؟ قال: لا. قالتْ: فاحتسِبِ ابنَك. فانطلقَ حتى أتى رسولَ اللهِ ﷺ فأخبرَهُ بما كان. فقال رسولُ الله ﷺ: «باركَ اللهُ لكما في ليلتِكما». فولدَتْ غُلامًا، فقالَ لي

= ومسلم (٢٣٣١) في الفضائل: باب طيب عرق النبيِّ ﷺ والتبرُّك به؛ وأحمد ٣/٣٧٦؛ وابن سعد ٨/٤٢٨.

(١) الخَشْفَة: الحسُّ والحركة. وقيل هو الصوت. النهاية.

(٢) الغميصاء: وهي الشِّعْرَى الشاميَّة، وأكبر كوكبي الذراع المقبوضة. تقول العرب في خرافاتِها: إنَّ سُهيلاً والشعريين كانت مجتمعةً، فانحدر سهيل فصار يمانيًا، وتبعتْه الشعرى اليمانية فعبرت المجرة فسميت عبورًا، وأقامتِ الغميصاء مكانها، فبكت لفقدهما حتى غمصت عينها، وهي تصغير الغمصاء، وبه سميت أم سليم. النهاية.والغمص والرمص قذى يكون في أطراف العين.

(٣) أخرجه البخاري ٧/٤٠ (٣٦٧٩) في فضائل الصحابة: باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ ومسلم (٢٤٥٦) في فضائل الصحابة: باب من فضائل أم سليم، وهو في طبقات ابن سعد ٨/ ٤٣٠.

(٤) الخَدَمَةُ: الخَلْخال، وقد تسمى الساق خَدَمة حملاً على الخلخال لكونها موضعه. والجمع خَدَم، وخِدام. اللسان (خدم).

(٥) حلية الأولياء ٢/٦١.

أبو طَلحة: أحمله[1] حتى تأتيَ [به] النبيَّ ﷺ. وبعثَ معه بتمَرَاتٍ، فأخذَها النبيُّ ﷺ فمضَغَها ثم تركَها في فِي الصبِيّ، ثم حنَّكَه، وسمَّاهُ عبد الله.

زادَ في رواية: فلقد رأيتُ لهم بعدَ ذلك في المسجد سبعةً كلُّهم قد قرؤوا القرآن[2].

رضي الله عنها.

(٥٣٠) عائشةُ أمُّ المؤمنين(*)

تزوَّجها النبيُّ ﷺ بمكةَ سنةَ عشرٍ من النبوّة، قبل الهجرةِ بثلاثِ سنين، ولها ستُّ سنين، وقيل غيرُ ذلك. وأعرسَ بها بالمدينة على رأسِ ثمانيةَ عشرَ شهرًا من الهجرة[3] ولها تِسعُ سنين، وبقيتْ معه تسعَ، ومات عنها ولها ثماني عشرةَ سنة، ولم يتزوَّجْ بِكرًا غيرَها، واستأذَنَتْهُ في الكنية، فقالَ

---

(١) في فتح الباري ٩/٥٨٧: «أحفظه».

(٢) أخرجه البخاري ٩/٥٨٧ (٥٤٧٠) في العقيقة: باب تسمية المولود غداة يولد لمن لم يعقَّ عنه؛ ومسلم ٤/١٩٠٩ (٢١٤٤) في فضائل الصحابة: باب من فضائل أبي طلحة الأنصاري؛ وأحمد ٣/١٩٦، و٢٨٧، وهو في طبقات ابن سعد ٨/٤٣٢.

(*) ترجمتها في: الزهد لأحمد بن حنبل ٢٤٠، طبقات ابن سعد ٨/٥٨، طبقات خليفة ٣٣٣، تاريخ خليفة ٢٢٥، المستدرك ٤/٤، حلية الأولياء ٢/٤٣، الاستيعاب ٤/١٨٨١، صفة الصفوة ٢/١٥، جامع الأصول ٩/١٣٢، و١٢/٢٤٨، أسد الغابة ٧/١٨٨، وفيات الأعيان ٣/١٦، تهذيب الكمال ٣٥/٢٢٧، سير أعلام النبلاء ٢/١٣٥، تاريخ الإسلام ٢/٢٩٤، البداية والنهاية ٨/٩١، مجمع الزوائد ٩/٢٢٥، العقد الثمين ٨/٢٦٢، تهذيب التهذيب ١٢/٤٣٣، الإصابة ١٣/٣٨، شذرات الذهب ١/٩، و٦١.

(٣) كذا في الأصول، وجامع الأصول ١٢/٢٤٩، وفي طبقات ابن سعد ٨/٥٨، والمستدرك ٤/٤: وأعرس بها في شوال على رأس ثمانية أشهر من الهجرة، وانظر ماقاله ابن حجر في فتح الباري ٧/٢٢٤، ٢٢٥.

لها: «تكنَّيْ بابنِ أُختِكِ عبد اللهِ بن الزُّبير»[1]. وكانتْ فقيهةً، عالمةً، فصيحةً، فاضلةً، كثيرةَ الحديثِ عن رسولِ اللهِ ﷺ، عارفةً بأيّامِ العرب، وأشعارِها.

وقال لها رسولُ اللهِ ﷺ: «أُريتُكِ في المنام مرَّتين، ورجلٌ يحمِلُكِ في سَرَقةٍ[2] من الحرير، فيقول: هذهِ امرأتُكَ؟ فأقول: إنْ كان هذا من عند اللهِ عزَّ وجلَّ يُمْضِه»[3].

وقال لها رسولُ اللهِ ﷺ يومًا: «ياعائشةُ، هذا جبريلُ يُقرِئُكِ السلامَ» فقلتُ: وعليه السلام ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ، تَرَى مالاتَرَى[4].

وقال أنس: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «فضْلُ عائشةَ على النِّساءِ كفَضْلِ الثَّرِيدِ على سائر الطعام»[5].

وقال أبو موسى: قِيلَ: يارسولَ الله، مَنْ أحبُّ الناسِ إليك؟ قال: «عائشة»[6].

---

(١) طبقات ابن سعد ٨/ ٦٤.



(٢) أي في قطعة من جيِّدِ الحرير. النهاية (سرق).

(٣) أخرجه أحمد ٦/ ٤١، ١٢٨، ١٦١، والبخاري ٧/ ٢٢٣ (٣٨٩٥) في مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ عائشة، ورواه أيضًا في النكاح، وفي التعبير، ومسلم (٢٤٣٨) في فضائل الصحابة، باب فضل عائشة، وابن سعد في الطبقات ٨/ ٦٤.

(٤) أخرجه البخاري ٧/ ١٠٦ (٣٧٦٨) في فضائل الصحابة: باب فضل عائشة، وفي بدء الخلق، وفي الأدب، وفي الاستئذان؛ ومسلم (٢٤٤٧) في فضائل الصحابة: باب في فضل عائشة، وفيه: «وهو يرى مالاأرى»؛ وأبو داود (٥٢٣٢) في الأدب: باب في الرجل يقول: فلان يقرئك السلام؛ والترمذي (٣٨٨١) في المناقب: باب فضل عائشة.

(٥) أخرجه البخاري ٧/ ١٠٦ (٣٧٧٠) في فضائل الصحابة: باب فضل عائشة؛ ومسلم (٢٤٤٦) في فضائل الصحابة: باب في فضل عائشة؛ الترمذي (٣٨٨٧) في المناقب: باب فضل عائشة.

(٦) أخرجه البخاري ٧/ ١٨ (٣٦٦٢) في فضائل الصحابة: باب لو كنتُ متخذًا =

وقالتْ أُمُّ سَلمة: إنَّ نساءَ النبيِّ ﷺ كلَّمْنَها أنْ تُكلِّمَ النبيَّ ﷺ أنَّ الناسَ يتحرَّوْنَ بهداياهم يومَ عائشة، ويقُلْنَ: إنَّا نُحبُّ الخيرَ كما تُحِبُّ عائشة. فكلَّمَتْهُ، فلم يُجِبْها، فلمَّا دارَ عليها كلَّمته فلم يُجِبْها، فقلن: ماردَّ عليكِ؟ قالتْ: لم يُجِبْني. قُلْنَ: لاتدَعِيه حتى يردَّ عليك، أو تنتَظري مايَقول. فلمَّا دارَ عليها كلَّمَتْه، فقال: «لاتُؤذيني في عائشة، فإنَّه لم ينزِلْ عليَّ الوحيُ وأنا في لِحافِ امرأةٍ مِنكنَّ إلا في لِحافِ عائشة»[1].

وقالتْ عائشةُ: أرسلَ أزواجُ النبيِّ ﷺ فاطمةَ بنتَ رسولِ اللهِ ﷺ فاستأذَنَتْ عليه، وهو مُضْطَجِعٌ في مِرْطِي[2] فأذِنَ لها، فقالتْ: يارسولَ الله، إنَّ أزواجَكَ أرْسَلْنَني يسألْنَكَ العَدْلَ في ابنةِ أبي قُحَافة[3]. وأنا ساكتَة. فقالَ لها رسولُ اللهِ ﷺ: «أيْ بُنَيَّة، ألستِ تُحبِّينَ ماأُحِبُّ؟». قالتْ: بَلى. قال: «فأَحِبِّي هذه». فقامَتْ فاطمةُ حين سمعتْ ذلك من رسولِ اللهِ ﷺ، فرَجَعَتْ إلى أزواجِه، فأخبرَتْهُنَّ بالذي قالتْ، وبالذي قال لها. فقُلْنَ لها: مانراكِ أَغْنَيتِ عنَّا من شيء، فارجعي إلى النبيِّ ﷺ فقولي له: إنَّ أزواجَكَ يَنْشُدْنَكَ العدلَ في ابنةِ أبي قُحافة. فقالتْ فاطمةُ: واللهِ لاأُكلِّمُهُ فيها أبدًا. فأرْسَلَ أزواجُ النبيِّ ﷺ زينبَ بنتَ جحش، فقالتْ: يارسولَ الله، أرْسَلْنَني إليك أزواجُك يسألْنَكَ العدْلَ في ابنةِ أبي قُحافة. قالتْ عائشة: ووقعتْ بي زينبُ فطفقتُ أنظُرُ إلى النبيِّ ﷺ متى يأذَنُ لي فيها، فلم أزَلْ حتى عرَفْتُ

= خليلاً؛ ومسلم (٢٣٨٤) في فضائل الصحابة: باب من فضائل أبي بكر؛ والترمذي (٣٨٨٦). كلُّهم عن عمرو بن العاص. قال الأستاذ الشيخ عبد القادر الأرناؤوط في جامع الأصول ٩/١٣٥: معقبًا على روايةِ الحديث عن أبي موسى الأشعري: في الأصل: أبو موسى الأشعري وهو خطأ.

(١) أخرجه النسائي ٧/٦٨ (٣٩٥٠) في عشرة النساء: باب حب الرجل بعض نسائه أكثر من بعض. وهو حديثٌ صحيح.

(٢) المِرْط: الكساءُ من الخَزِّ والصوف يتغطَّى به. جامع الأصول ٩/ ١٤٠.

(٣) معناه يسألنك التسويةَ بينهنَّ في محبةِ القلب. شرح صحيح مسلم ١٥/٢٠٥.

أنَّ النبيَّ ﷺ لايَكْرَهُ أنْ أنتصر، قالتْ: فوقعْتُ بزينبَ فلم أَنْشَبْها[1] أنْ أفحَمْتُها[2]، فتبسَّمَ النبيُّ ﷺ، ثم قال: «إنَّها ابنةُ أبي بكر»[3].

وقالتْ عائشةُ: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كانَ يسألُ في مرضه الذي ماتَ فيه: «أينَ أنا غدًا؟ أينَ أنا غدًا؟» يُريد يومَها. فأذِنَ له أزواجُه أنْ يكونَ حيثُ شاء. فكانَ في بيتِ عائشة حتى ماتَ عندها. قالتْ عائشةُ: فماتَ في اليومِ الذي كان يدورُ عليَّ فيه، فقبضَهُ الله، وإنَّ رأسَه لَبَينَ نَحْرِي وسَحْري[4]، وخالَطَ ريقُهُ ريقي[5].

وقال عطاء: بعثَ مُعاويةُ إلى عائشةَ بطوقٍ من ذَهب، فيه جَوهرٌ قُوِّمَ بمئةِ ألف، فقسمَتْهُ بين أزواجِ النبيِّ ﷺ[6].

وقالتْ أمُّ ذَرَّة، وكانتْ تغشى عائشةَ: بعثَ إليها ابنُ الزُّبير بمالٍ في غِرارَتَيْنِ[7]، أراهُ ثمانينَ ومئةَ ألف؛ فدعَتْ بطبَقٍ، وهي يومئذٍ صائمة، فجلسَتْ تقسِمُهُ بين الناس، فأمسَتْ وماعندها من ذلك دِرهم، فلمّا أمستْ

---

(١) لم أنشبها: لم أُمهلها. شرح صحيح مسلم ١٥/ ٢٠٧.
(٢) أفحمتها: أسكتُّها.
(٣) أخرجه البخاري ٥/ ٢٠٥ (٢٥٨١) في الهبة: باب من أهدى إلى صاحبه، وتحرَّى بعضَ نسائه دون بعض؛ ومسلم (٢٤٤٢) في فضائل الصحابة: باب في فضل عائشة؛ والنسائي ٧/ ٦٦ (٣٩٤٤) في عشرة النساء: باب حب الرجل بعض نسائه أكثر من بعض.
(٤) سَحْرِي: السَّحْرُ: الرِّئة، وأرادَتْ أنه مات عندها في حضنها. جامع الأصول ١١/ ٦٦.
(٥) أخرجه البخاري ٨/ ١٤٤، في المغازي: باب مرض النبيِّ ﷺ ووفاته؛ ومسلم (٤١٨) في الصلاة: باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر؛ والمستدرك ٤/ ٧، وانظر جامع الأصول ١١/ ٦٥.
(٦) صفة الصفوة ٢/ ٢٩، سير أعلام النبلاء ٢/ ١٨٧.
(٧) الغِرارة: الجُوالق، واحدة الغرائر، قال الجوهري: الغِرارة واحدة الغَرائر التي للتبن، وأظنه معربًا. اللسان (غرر).

قالتْ: ياجارية، هلُمّي فِطْري. فجاءتْها[1] بخبزٍ وزيت، فقالتْ لها أُمُّ ذَرَّة: أَمَا استطعتِ ممَّا قَسمتُ اليومَ أن تشتريَ لنا بدرهمٍ لحمًا، نُفطِرُ عليه. فقالت: لاتُعنِّفيني، لو كنتِ ذكَّرتِني لفعلتُ[2].

وقال عُروةُ: لقد رأيتُ عائشةَ تقسِمُ سبعين ألفًا وهي ترقَعُ دِرْعَها[3].

وقال الزُّهريُّ في حديثِ هِجرانِ عائشةَ لعبد اللهِ بنِ الزُّبير[4] وإنَّها نذَرَتْ ألاَّ تكلِّمَهُ أبدًا، فلما ألَحُّوا عليها في كلامِه، وسألوها طَفِقَتْ تبكي وتقول: إنِّي نَذَرْتُ، والنَّذْرُ شديد. فلم يزالوا بها حتى كلَّمَتْه، وأعتقَتْ في نذْرِها أربعين رقبَةً، وكانتْ تذْكُرُ نذْرَها بعد ذلك فتبكي حتى يبلَّ دموعُها خمارَها[5].

وقال القاسمُ بنُ محمد: إنَّ عائشةَ كانتْ تصومُ الدَّهر، ولاتُفطِرُ إلاَّ يومَ أضحى، أو يومَ فِطر[6].

وقال أبو موسى: ماأشْكَلَ علينا ـ أصحابَ رسولِ الله ـ حديثٌ قطُّ فسألْنا عائشةَ إلاَّ وجدنا عندَها منه عِلمًا[7].

---

(١) في (ب): «وهي يومئذٍ صائمة بخبز».

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات ٨/٦٧، وأبو نعيم في الحلية ٢/٤٧، وذكرهُ ابن الجوزي في صفة الصفوة ٢/٢٩.

(٣) طبقات ابن سعد ٨/٦٦، سير أعلام النبلاء ٢/١٨٧.

(٤) وسبب الهجران أن عائشة بلغها أن عبد الله بن الزبير كان في دار لها باعتها، فتسخط عبد الله بيع تلك الدار، فقال: أما والله لتنتهين عائشة عن بيع رباعها، أو لأحجرنَّ عليها. قالت عائشة: أو قال ذلك؟ قالوا: قد كان ذلك. قالت: للهِ عليَّ ألاَّ أُكلِّمه حتى يفرق الموت بيني وبينه. سير أعلام النبلاء ٢/١٨٤.

(٥) أخرجه البخاري ١٠/٤٩١ (٦٠٧٣ و٦٠٧٤ و٦٠٧٥) في الأدب: باب الهجرة، وقول رسول اللهِ ﷺ: «لايحلُّ لرجلٍ أن يهجرَ أخاهُ فوق ثلاث». وأبو نُعيم في الحلية ٢/٤٩، وفي صفة الصفوة ٢/٣٠.

(٦) طبقات ابن سعد ٨/٦٨، وصفة الصفوة ٢/٣١.

(٧) رواهُ الترمِذي (٣٨٨٣) في المناقب: باب فضل عائشة، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح.

وقال موسى بن طلحة: مارأيتُ أحدًا أفْصَحَ من عائشةَ رضي الله عنها[1].

وقال مسلمُ بنُ مسروق ـ يحلِفُ بالله ـ: لقد رأينا الكبارَ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ يَسألونَ عائشةَ عن الفرائض[2].

وقال عروة: مارأيتُ أحدًا من الناسِ أعلمَ بالقرآنِ، ولابفريضةٍ ولابحلالٍ ولابحرامٍ، ولابشعرٍ، ولابحديثِ العرب، ولابنسبٍ من عائشة[3].

وقال الزهري: لو جُمِعَ علمُ عائشةَ إلى علمِ جميع أزواجِ النبيِّ ﷺ وجميع النساء، كان علمُ عائشةَ أكثر[4].

وقال عامر: كتبتْ عائشةُ إلى معاوية: أمَّا بعدُ، فإنَّ العبدَ إذا عملَ بمعصيةِ اللهِ عادَ حامدُهُ من الناسِ ذامًّا[5].

وقال إبراهيم: قالت عائشةُ: إنّكم لن تَلقَوا اللهَ بشيءٍ خيرٍ لكم من قلَّةِ الذُّنوب، فمن سرَّهُ أنْ يَسبِقَ الدَّائبَ المُجتهِدَ فليكُفَّ نفسَه عن الذُّنوب[6].

وقال هشام بن عروة: بلغَ عائشةَ أنَّ أقوامًا يتناولون من أبي بكر. فأرسلتْ إلى أزْفَلَةٍ[7] منهم فلمَّا حضروا أسْدَلَتْ أستارَها، ثم دَنَتْ، فحمدتِ الله تعالى، وصلَّتْ على نبيِّه، وعذَلَتْ وقرَّعَتْ، ثم قالت: أبي

---

(١) رواه الترمذي (٣٨٨٤) في المناقب: باب فضل عائشة، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح غريب. والحاكم ٤/ ١١.

(٢) أخرجه الدارمي ٢/ ٣٤٢، وابن سعد ٨/ ٦٦، والحاكم ٤/ ١١.

(٣) حلية الأولياء ٢/ ٤٩، صفة الصفوة ٢/ ٣٢.

(٤) المستدرك ٤/ ١١، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٢٤٣ وقال: رواه الطبراني مرسلاً، ورجاله ثقات.

(٥) رواه أحمد في الزهد ٢٤٠، وابن الجوزي في صفة الصفوة ٢/ ٣٢.

(٦) صفة الصفوة ٢/ ٣٢.

(٧) الأزفلة: الجماعةُ من الناس، ولا تخصُّ عددًا بعينه. منال الطالب في شرح الطوال الغرائب صفحة ٥٦١ وشرح الغريب في هذا الخبر كله عنه.

وماأبِيَهْ! أبي لاتَعْطُوه الأيدي[1]، ذاك طَوْدٌ مُنِيف، وظِلٌ مَدِيد[2]، هيهات، كذَبتِ الظُّنون، أنجحَ إذْ أكدَيْتُم[3]، وسَبَقَ إذْ وَنَيْتُم[4] سَبْقَ الجَوادِ إذا اسْتَولَى على الأمَدِ[5]، فتى قُريشٍ ناشئًا، وكَهفُها كَهْلاً[6]، يَفُكُّ عانيَها، ويَرِيشُ مُمْلِقَها، ويَرْأبُ شَعْبَها، حتى حَلِيَتْه[7] قلوبُها، ثم استشرى[8] في دينِ اللهِ تعالى، فما بَرِحَتْ[9] شَكِيمتُه في ذاتِ الله حتى اتَّخَذَ بفِنَائه مسجدًا يُحيي فيه ماأماتَ المُبطِلون، وكان ـ رحمه الله ـ غَزيرَ الدَّمْعَة، وقِيذَ الجوانح[10]، شَجِيَّ النَّشيج[11]، فانصَفَقَتْ إليه نسوانُ مكَّةَ وولدانُها[12] يسخرونَ منه، ويستهزؤون به ﴿اللهُ يستهزئُ بهم ويمدُّهم في طُغْيانِهم يَعْمَهُون﴾[البقرة: ١٥] فأكبَرَتْ ذلك رجالاتُ قريش، فحَنَتْ له قِسيَّها[13]، وفوَّقَتْ له سِهامَها[14]، وامتثَلُوهُ غَرَضًا[15] فما فَلُّوا له صَفاةً[16]، ولاقَصَفوا له قَناةً، ومرَّ على

---

(١) العَطْو: الأخذُ، أي لاتبلُغُه الأيدي، ولاتصلُ إليه لارتفاعِه وعزِّه.

(٢) في الأصل: «فرع». والمثبت من منال الطالب. ومعناه: أنَّ شرفَه سابغٌ لاتزيلُه الأقوال كما تزيلُ الشمس الظِّل.

(٣) الإكداءُ: الخيبة.

(٤) ونيتم: قصَّرتُم وفترتُم.

(٥) الأمَدُ: الغايةُ.

(٦) الكَهفُ: الملجأُ.

(٧) حليته: استحسنتْهُ وأُعجبتْ به.

(٨) استشرى: أي لجَّ وتمادى.

(٩) برِحَ: بمعنى زال، وليستْ من أخوات كان الناقصة؛ لأنَّ تلك تحتاجُ إلى خبر.

(١٠) في الأصل: «الجوارح»، والمثبت من منال الطالب، والوَقِيذ: العليل الشديد العِلَّة. والجوانح: الضلوع القِصار، تريد أنَّه عليل القلب محزونه، قد وقَذَهُ خوفُ اللهِ تعالى، فكَنَتْ عن القلب بالجوانح لأنه يليها.

(١١) شجيّ: حزين مغتصٌّ، والنشيج: صوتٌ معه توجُّع.

(١٢) انصفق: مطاوع صفقته إذا ضربه، تريد صرفهم إليه صارف التلهِّي والسُّخرية.

(١٣) حنا القوسَ يحنيها: إذا عطفها، تريد وتَّرها لرميه.

(١٤) فوَّقتُ السهام: إذا جعلت له أفواقًا، وتريد بها جعلها في الأوتار عند الرمي.

(١٥) امتثلوه: نصبوه، وغرضًا: هدفًا.

(١٦) الفلُّ: الكسر والثلم. والصفاة: الصخرة. وكلُّ هذا استعارةٌ لشدَّته في الدِّين وقوَّته.

سِيسائِهِ[١]، حتى إذا ضَربَ الدِّينُ بجِرانِه[٢]، وألقَى بَرْكَه[٣]، ورَسَتْ أوتادُهُ، ودخلَ الناسُ فيه أفواجًا، ومن كلِّ فِرقةٍ أرْسالاً وأشْتاتًا، اختارَ اللهُ لنبيِّه ﷺ ماعندَه، فلمّا قبَضَ اللهُ نبيّه ﷺ نصَبَ الشيطانُ رِواقَه[٤]، وقدَّ طُنُبَه، ونصَبَ حبائِلَه[٥]، فظنَّ رجالٌ أنْ قد تحقَّقَتْ أطماعُهم، ولاتَ حينَ الذي يرجون[٦]، وأنّى[٧] والصِّدِّيقُ بين أظهرِهم؟ فقام حاسِرًا مُشَمِّرًا فجمعَ حاشيتَيْه، ورفعَ قُطْرَيْه[٨] فردَّ نشرَ الإسلام على غَرِّه[٩]، ولمَّ شعثَهُ بطيِّه، وأقامَ أَوَدَه بثِقَافِه[١٠]، فابْذَقَرَّ[١١] النِّفاقُ بوطأتِه، وانتاشَ الدِّينُ بنَعْشِه[١٢]، فلما أراحَ[١٣] الحقَّ إلى أهلِه، وقرَّرَ الرُّؤوسَ على كواهِلِها[١٤]، وحقَنَ الدِّماءَ في أُهُبِها[١٥] أتَتْهُ

---

(١) السِّيساء: منتظم فَقارِ الظهر، وتريد به دوامه على حالته وطريقته في ذلك.

(٢) الضرب بالجِران: كنايةٌ عن الثباتِ والإقامة.

(٣) البَرْك: الصَّدْر.

(٤) الرُّواق: وهو مابين يدي البيت. وفي (ب): «رايته».

(٥) أرادت أنَّ الشيطان بعد وفاة رسول الله ﷺ أقام بينهم يستغويهم، وينصب لهم المصائد.

(٦) أي ليس هذا وقت حصول أملهم.

(٧) وأنّى بمعنى كيف.

(٨) الحاشية والقُطر: الجانب. وأرادَتْ بتثنيتهما إحاطةَ الجوانب، وجمع الحواشي، وضم الأقطار: كنايةٌ عن التحزُّمِ والتأهُّبِ لتلافي الأمر واستدراكه. وفي منال الطالب: «ضمّ» بدل «رفع».

(٩) غَرُّ الثوب: طيُّه. تريد أنه ردَّ ماانتشر من الإسلام إلى حاله التي كانت في حياةِ رسولِ الله ﷺ.

(١٠) الأوَد: العِوَج؛ والثقاف: الإصلاح.

(١١) ابذقرَّ: تبدَّدَ وتفرّق. القاموس (بذقر).

(١٢) النعش: الرفع والإقامة من المصرع.

(١٣) الإراحة: مِنْ أراحَ الراعي الغنم على أهلِها، إذا ردَّها إليهم.

(١٤) الكاهل: مابين الكتفين من الظهر. تريد أقرَّ الرؤوس في مغارزِها.

(١٥) الأُهُب: جمع إهاب، وهو الجلد.

منيَّتُهُ، فسدَّ ثُلْمتَهُ بنظيرِهِ في الرَّحمةِ، وشقيقِهِ في السِّيرةِ والمَعْدَلَة، ذلك ابنُ الخطَّاب للهِ أمٌّ حملَتْ به! ودرَّتْ عليه، لقد أوحَدَتْ به[1]، ففَنَخَ الكفرةَ[2] ودَيَّخَها، وشرَّدَ الشِّرْكَ شذَرَ مَذَرَ، وبَعَجَ الأرضَ وبَخَعَها[3] فقاءَتْ أُكُلَها، ولَفَظَتْ خبأها[4] تَرْأَمُهُ ويَصْدِفُ عنها[5]، وتصدَّى له ويأْباها، ثم وزَّعَ فيها فَيْأَها وودَّعَها كما صَحِبَها. فأرُوني ماذا تَرْتؤون، وأيَّ يَوْمَيْ أبي تنقِمون[6]؟ يومَ إقامتِهِ إذْ عَدَلَ فيكم، أمْ يومَ ظَعْنِهِ فقد نَظَرَ لكم. أستغفِرُ اللهَ لي ولكم[7].

وقالت عائشةُ رضي الله عنها: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يخصِفُ نعلَه، وكنتُ أغزِلُ، فنظرْتُ إلى رسولِ الله ﷺ فجعلَ جبينُه يَعرَقُ، وجعل عرقُه يتولَّدُ نورًا، فبهت. فنظر إليَّ فقال: «مالكِ بُهِتِّ؟». فقلتُ: يارسولَ الله، نظرتُ إليكَ فجعل جبينُكَ يَعرَقُ، وجعلَ عرَقُكَ يتولَّدُ نورًا، فلو رآكَ أبو كَبير[8] الهُذَليُّ لعلمَ أنَّكَ أحقُّ بشعرِهِ. قال: «ومايقولُ أبو كَبير الهُذَلي»؟ قالت: يقول:

---

(١) أوحدتْ: جاءت به واحدًا فردًا بلا نظير.

(٢) فنخَ الكفرة: أي أذلَّها وقهرها. وهي في (أ): «ففتح».

(٣) بعجَ الأرضَ: إذا شقَّها. وبخعَها: إذا حرثَها.

(٤) اللفظ: الإلقاء، الخَبْءُ: المخبوء: أي ألقتْ ماكان خُبِئَ فيها من النبات. تريد أنه عمر البلاد وأكثرَ الحرث والزراعة، فأكلتِ الأرضُ البذر، وشربت ماءَ المطر، فقاءتْ أكلها حين أنبتت، ويجوزُ تريد بالبعج والبخع الجهاد، وبث الغزاة في أقطار الأرض، وبقيءُ الأكل ولفظ الخبيء، مافتح الله على المسلمين من البلاد والغنائم.

(٥) تَرْأَمُه: تعطِفُ عليه، ويصدف عنها: أي يعرضُ عنها.

(٦) تريد أيَّ الشيئين تنكرونَ على أبي؟ يوم حياته إذ قامَ فيكم بالواجِب، أم يوم موته إذ ولَّى أمركم أعدَلَ الناسِ وأقوامهم به؟.

(٧) بلاغات النساء لطيفور ٧، منال الطالب في شرح طوال الغرائب ٥٦١، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٤٨/٩ وقال: رواه الطبراني، وأحمد السدوسي لم يدرك عائشة، ولم أعرفه ولاابنه.

(٨) في الأصل: «أبو كثير».

ومُبَرَّأً مِـنْ كُـلِّ غُبَّـرِ حَيْضَـةٍ   وفسـادِ مُـرْضِعَـةٍ وداءٍ مُغْيِـلِ[1]

وإذا نَظَـرْتَ إلـى أسِـرَّةِ وَجْهِـهِ   بَرَقَتْ كَبَرْقِ العارضِ المُتَهَلِّلِ[2]

قالت: فوضعَ رسولُ اللهِ ﷺ ماكان في يده، وقامَ إليَّ فقبَّلَ مابين عينيَّ، فقال: «جزاكِ الله خيرًا ماسُررتِ منِّي كسروري منكِ»[3].

قال ذكوان: جاءَ عبدُ اللهِ بن عباس يَستأذِنُ على عائشةَ، فجئتُ وعند رأسِها ابنُ أُختِها عبدُ اللهِ بنُ عبد الرحمن، فأكبَّ عليها، فقال: هذا ابنُ عباس يَستأذِن. فقالت: دَعْني من ابنِ عباس. فقال لها: ياأُمَّتاه، إنَّ ابنَ عباس من صالحي بنيك، يُسلِّمُ عليكِ ويودِّعُكِ. فقالت: ائذَنْ له إنْ شئت. فأدخلتُه. فلمَّا جلسَ قال: أبشِري، فما بينكِ وبين أنْ تلْقَيْ محمدًا ﷺ والأحبَّةَ إلاَّ أن تخرجَ الرُّوحُ من الجسَد. كنتِ أحبَّ نساءِ رسولِ الله ﷺ إلى رسولِ الله ﷺ، ولم يكنْ رسولُ اللهِ ﷺ يُحِبُّ إلاَّ طيِّبًا. وسقطَتْ قِلادتُكِ ليلةَ الأبواءِ، فأصبحَ رسولُ اللهِ ﷺ، وأصبحَ الناسُ ليس معهم ماءٌ فأنزلَ الله: ﴿فتيَمَّمُوا صَعِيدًا طيِّبًا﴾ [النساء: ٤٢]، وكانَ ذلك في سببكِ، وماأنزلَ اللهُ لهذه الأمَّةِ من الرُّخصة، وأنزلَ اللهُ براءَتَكِ من فوقِ سبعِ سماوات، جاءَ به الرُّوحُ الأمين، فأصبحَ ليسَ مسجدٌ من مساجدِ اللهِ يُذكرُ فيه اللهُ إلاَّ تُتْلَى فيه آناءَ الليلِ وآناءَ النهار. فقالتْ: دَعْني منك ياابنَ عباس،

---

(١) الغُبَّر: البقية. والمغيل: من الغيل، وهو أن تُغْشَى المرأةُ وهي ترضع. قال التبريزي في شرح الحماسة ١/ ٨٥: ومعناه: أنها حملتْ به، وهي طاهرٌ ليس بها بقيةُ حيضة، ووضعتْه ولاداء به، ولم ترضعْه غيلةً.

(٢) العارض: هو الذي يجيءُ معارضًا في السماء، والمتهلِّل: الممطر. والبيتانِ من قصيدةٍ قالها في تأبَّطَ شرًا، انظر قصتها في شرح الحماسةِ للتبريزي ١/ ٨٩، خزانة الأدب ٨/ ١٩٤، ومطلعها:

أزهير هل عن شيبةٍ من معدل   أم لاسبيلَ إلى الشبابِ الأولِ

وانظر كتاب شرح أشعار الهُذَليِّين ٣/ ١٠٦٩.

(٣) حلية الأولياء ٢/ ٤٦.

فوالذي نفسي بيدِهِ لوَدِدْتُ أنّي كنتُ نَسْيًا مَنْسِيًا[1].

وماتتْ سنةَ سبعٍ وخمسين، وقيل: سنة ثمانٍ وخمسين بالمدينة. ولها من العُمرِ سبعٌ وستُّون سنة، ودُفنتْ بالبَقِيع.

رضي الله عنها.

(٥٣١) أمُّ عُمارة الأنصارية(*)

واسمُها نَسِيبَةُ[2] بنتُ كعب.

أسلمتْ وبايعتْ بالعقبة، وشهدتْ أُحُدًا، والحُدَيبية، وخَيْبَر، وعمرةَ القضيَّة، وحُنَيْنًا، ويومَ اليمامة[3].

قال النبيُّ ﷺ: «ماالتفتُّ يومَ أُحُدٍ يَمينًا ولاشِمالاً إلاَّ وأراها تُقاتِلُ دوني»[4].

وقال الواقديُّ: إنّها قاتلتْ يومَ أُحُدٍ، وجُرحتْ اثنتي عشرةَ جراحةً، وداوَتْ جُرْحًا في عُنقها سنةً. ثم نادَى مُنادٍ إلى حَمْراءِ الأسَد[5] فشدَّتْ

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٢٧٦، و٣٤٩، وابن سعد في الطبقات ٨/ ٧٥، وأبو نُعيم في الحلية ٢/ ٤٥، وصححه الحاكم ٤/ ٨ ووافقه الذهبي.

(*) ترجمتها في: طبقات ابن سعد ٨/ ٤١٢، طبقات خليفة ٣٣٩، حلية الأولياء ٢/ ٦٤، الاستبصار ٨٢، الاستيعاب ٤/ ١٩٤٨، صفة الصفوة ٢/ ٦٣، جامع الأصول ١٥/ ٤٤٥، أسد الغابة ٧/ ٢٨٠، تهذيب الكمال ٣٥/ ٣٧٢، سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٧٨، تهذيب التهذيب ١٢/ ٤٧٤، الإصابة ١٣/ ١٥١.

(٢) كذا قيَّدَها ابنُ الأثير في جامع الأصول ١٥/ ٤٤٥، والأئمة، وانفرَدَ ابن حجر في تقريب التهذيب صفحة ٧٥٤ فقال: «نُسيبة» بالتصغير.

(٣) طبقات ابن سعد ٨/ ٤١٢.

(٤) طبقات ابن سعد ٨/ ٤١٥، صفة الصفوة ٢/ ٦٣.

(٥) حمراء الأسد: موضعٌ على ثمانيةِ أميالٍ من المدينة، إليهِ انتهى رسولُ اللهِ ﷺ يومَ أُحد في طلبِ المشركين.

عليها ثيابَها، فمااستطاعَتْ من نَزفِ الدَّمِ[1].

وقال محمد بن إسحاق: حضَرَ البيعةَ بالعقَبَةِ امرأتانِ قد بايعتا، إحداهما: نَسِيبَةُ بنتُ كعب ـ يعني أُمَّ عُمارة ـ قال: وكانتْ تَشهدُ الحربَ مع رسولِ الله ﷺ، شهدتْ معه أُحُدًا، وخرجتْ مع المسلمين بعدَ وفاةِ رسولِ اللهِ ﷺ في خِلافةِ أبي بكر قتالَ أهل الرِّدَّة، فباشرتِ الحربَ بنفسها، حتى قَتَلَ الله مُسَيلِمةَ، ورجعَتْ وبها عشرُ جِراحاتٍ من طعنةٍ، وضربة[2].

رضي الله عنها.

(٥٣٢) غُزَيَّةُ بنتُ جابر(*)

أمُّ شَرِيك الدَّوْسيَّةُ الأسديَّة.

قال ابنُ عباس: وقعَ في قلبِ أمِّ شَرِيك الإسلامُ، فأسلمتْ وهي بمكَّة، وكانتْ تحتَ أبي العكر الدَّوسي، ثم جعلت تدخلُ على نساءِ قريشٍ سِرًّا، فتدعوهنَّ، وترغِّبُهنَّ في الإسلام، حتى ظهرَ أمرُها لأهلِ مكة، فأخذوها، وقالوا: لولا قومُكِ لفعلنا بكِ وفعلنا، ولكنَّا سنردُّكِ إليهم. قالتْ: فحملوني على بعيرٍ، ليس تحتي شيءٌ موطأ، ثم تركوني ثلاثًا لايُطعموني، ولايَسقوني، وكانوا إذا نزلوا منزِلاً أوثقوني في الشمس،

---

(١) طبقات ابن سعد ٨/ ٤١٣، صفة الصفوة ٢/ ٦٣.

(٢) حلية الأولياء ٢/ ٦٤، صفة الصفوة ٢/ ٦٤.

(*) ترجمتها في: طبقات ابن سعد ٨/ ١٥٤، طبقات خليفة ٣٣٥، الجرح والتعديل ٩/ ٤٦٤، المستدرك ٤/ ٣٤، حلية الأولياء ٢/ ٦٦، الاستيعاب ٤/ ١٩٤٢، صفة الصفوة ٢/ ٥٣، جامع الأصول ١٤/ ٣٣٣، و١٥/ ٨، أسد الغابة ٧/ ٣٥١، تهذيب الكمال ٣٥/ ٣٦٧، تاريخ الإسلام ٢/ ٣٣٠، سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٥٥، تهذيب التهذيب ١٢/ ٤٧٢، الإصابة ٨/ ٢٤٨.

واستظلُّوا هم منها، وحبَسوا عنِّي الطعامَ والشرابَ، فبيناهم قد نزلوا منزِلاً أوثقوني في الشمس إذا أنا بأبردِ شيءٍ على صدري، فتناولْتُهُ فإذا هو دَلْوٌ من ماءٍ، فشربتُ منه قليلاً، ثم نُزِعَ منِّي، فرُفِعَ ثم عادَ، فتناولْتُه، وشرِبتُ منه، ثم رُفِعَ، ثم عادَ، فتناولْتُه فشربتُ منه، ثم رُفِع مِرارًا، ثم تُرِك، فشربتُ حتى رَوِيت، ثم أفضْتُ سائرَهُ على جسدِي وثيابي، فلمّا استيقظوا، إذا هم بأثرِ الماء، ورأَوْني حسنةَ الهيئة، فقالوا لي: أنتِ حللتِ، فأخذتِ سقاءَنا فشربتِ منه؟ قلت: لا والله، مافعلتُ، ولكنَّه كان من الأمر كذا وكذا. قالوا: إنْ كنتِ صادقةً لَدِينُكِ خيرٌ من دِيننا. فلمّا نظروا إلى أسقيتِهم وجدوها كما تركوها، فأسلموا عندَ ذلك، وأقبلتْ إلى النبيِّ ﷺ[1].

رضي الله عنها.

(٥٣٣) فاطمةُ بنتُ رسولِ الله ﷺ(*)

ولدَتْها خديجةُ وقريشٌ تبني البيت[2] قبل النبوّةِ بخمسِ سنين، وهي أصغرُ بناتِه، وهي سيِّدَةُ نِساءِ العالمين، تزوَّجها عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه في السنةِ الثانيةِ من الهجرة.

قال عليٌّ رضي الله عنه: لقد تزوَّجْتُ فاطمةَ رضي الله عنها، ومالي

---

(١) طبقات ابن سعد ٨/ ١٥٥، حلية الأولياء ٢/ ٦٦، صفة الصفوة ٢/ ٥٣.

(*) ترجمتها في: طبقات ابن سعد ٨/ ١٩، تاريخ خليفة ٩٦، طبقات خليفة ٣٣٠، حلية الأولياء ٢/ ٣٩، المستدرك ٣/ ١٥١، الاستيعاب ٤/ ١٨٩٣، صفة الصفوة ٢/ ٩، جامع الأصول ٩/ ١٢٥، و١٢/ ٢٧٣، أسد الغابة ٧/ ٢٢٠، تهذيب الكمال ٣٥/ ٢٤٧، سير أعلام النبلاء ٢/ ١١٨، تاريخ الإسلام ١/ ٣٦٠، العبر ١/ ١٣، العقد الثمين ٨/ ٢٨٣، مجمع الزوائد ٩/ ٢٠١، تهذيب التهذيب ١٢/ ٤٤٠، الإصابة ١٣/ ٧١، شذرات الذهب ١/ ٩، ١٥.

(٢) ابن سعد ٨/ ٢٦.

ولها فِراشٌ غيرَ جلدِ كبشٍ ننامُ عليه، ونعلِفُ عليه الناضحَ بالنَّهار، ومالي ولها خادِمٌ غيرَها[١].

وقال جُمَيعُ بنُ عُمير التَّيميّ: دخلتُ مع عمَّتي على عائشةَ، فسُئلَتْ: أيُّ الناسِ كانَ أحبَّ إلى رسولِ الله ﷺ؟ قالت: فاطمةُ. قيل: من الرجال: قالتْ: زوجُها، إنْ كان ماعلمتُ صوّامًا قوّامًا[٢].

وقال حُذَيفةُ: قال النبيُّ ﷺ: «هذا ملَكٌ لم ينزلِ الأرضَ قطُّ قبلَ هذه الليلةَ، استأذَنَ ربَّهُ أن يُسلِّمَ عليَّ، ويُبَشِّرَني أنَّ فاطمةَ سيِّدُ نساءِ أهلِ الجنَّة، وأنَّ الحسنَ والحُسين سيِّدا شبابِ أهل الجنَّة»[٣].

وقال عليّ: إنَّ فاطمةَ أتَتِ النبيَّ ﷺ تَشكو ماتَلْقَى من يَدِها من الرَّحَى، وبَلَغَها أنَّه جاءَه رقيقٌ. فلم تصادِفْهُ، فذكرتْ ذلك لعائشةَ، فلمّا جاء أخبرَتْهُ عائشةُ. قال: فجاءَنا وقد أخذنا مَضاجِعَنا، فذَهبنا نقومُ، فقال: «على مكانِكُما»، فجاءَ فقعَدَ بيني وبينها، حتى وجدتُ بَرْدَ قدمَيْهِ على بَطني، فقال: «ألاَ أدُلُّكما على خيرٍ ممّا سألتما؟ إذا أخَذْتُما مَضاجعَكما، وأويتُما إلى فراشِكما فسبِّحا ثلاثًا وثلاثين، واحْمَدَا ثلاثًا وثلاثين، وكَبِّرا أربعًا وثلاثين، فهو خيرٌ لكما من خادم»[٤].

---

(١) رواه ابن سعد في طبقاته ٨/ ٢٢، وانظر صفة الصفوة ٢/ ١٠.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٨٧٤) في المناقب: باب فضل فاطمة، وقال: هذا حديث حسنٌ غريب. والحاكم في المستدرك ٣/ ١٥٧، وابن عبد البر في الاستيعاب ٤/ ١٨٩٧.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٧٨١) في المناقب: باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام، وقال: هذا حديث حسنٌ غريبٌ من هذا الوجه، لانعرفُه إلا من حديث إسرائيل. وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ١٥١.

(٤) أخرجه البخاري ٧/ ٧١ (قبل الحديث ٣٧٠٥) في فضائل الصحابة: باب مناقب علي؛ ومسلم (٢٧٢٧) في الذكر والدعاء: باب التسبيح أول النهار وعند النوم؛ والترمذي (٣٤٠٨) في الدعوات: باب ماجاء في التسبيح والتكبير والتحميد عند المنام؛ وأبو داود (٥٠٦٢) في الأدب: باب التسبيح عند النوم.

وقالتْ أمُّ سلَمَة: إنَّ رسولَ الله ﷺ دَعَا فاطمةَ عامَ الفتح فناجاها، فبَكَتْ، ثم حدَّثَها فضحِكَتْ، فلمَّا تُوفِّي رسولُ الله ﷺ سألتُها عن بُكائها وضحِكِها، قالت: أخبرَني رسولُ اللهِ ﷺ أنَّهُ يموتُ فبكَيتُ، ثم أخبرني أنّي سيِّدَةُ نساءِ أهلِ الجنة إلاَّ مريم بنت عمران، فضحِكْتُ(١).

وقالت عائشةُ رضي الله عنها: أقبَلَتْ فاطمةُ كأنَّ مِشيتَها مِشيةُ رسولِ الله ﷺ، فقال: «مَرْحبًا بابنتي». فأجلسَها عن يمينه، أو عن شِماله، ثم إنَّه أسرَّ إليها حديثًا، فبكتْ، فقلتُ لها: استخصَّكِ رسولُ اللهِ ﷺ بحديثِه، ثم أنتِ تبكين! ثم أسرَّ إليها حديثًا فضحكتْ، فقلتُ: مارأيتُ كاليومِ فرَحًا أقربَ من حُزْنٍ. فسألتُها عمَّا قال. فقالت: ماكنتُ لأُفشي سرَّ رسولِ الله ﷺ حتى إذا قُبِضَ سألتُها، فقالت: إنَّه أسرَّ إليَّ فقال: «إنَّ جبريلَ كانَ يُعارِضُني بالقرآنِ في كلِّ عامٍ مرَّةً، وإنَّه عارضَني العامَ به مرَّتين، ولاأُراهُ إلاَّ قد حضر أجَلي، وإنَّكِ أوَّلُ أهلِ بيتي لُحوقًا بي، ونعمَ السَّلَفُ أنا لكِ» فبكيتُ لذلك، ثم قال: «ألا ترضَينَ أنْ تكوني سيِّدةَ نساءِ هذهِ الأمَّة، أو نساء المؤمنين؟» فضحكتُ لذلك(٢).

وقال المِسور بن مَخْرَمة: قال رسولُ الله ﷺ: «فاطمةُ بَضْعَةٌ منِّي يَرِيبُني مارابَها، ويُؤذيني ماآذاها، فمن أغضبَها فقد أغْضَبَني»(٣).

---

(١) رواه الترمذي (٣٨٧٣) في المناقب: باب فضل فاطمة، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريب.

(٢) أخرجه البخاري ١١/ ٧٩ (٦٢٨٦) في الاستئذان: باب من ناجى بين يدي الناس، ولم يخبر بسرِّ صاحبه، فإذامات أخبر به؛ ومسلم (٢٤٥٠) في فضائل الصحابة: باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاةُ والسلام. وابن سعد في طبقاته ٨/ ٢٦، ٢٧، وأبو نعيم في الحلية ٢/ ٤٠.

(٣) أخرج الشطر الأول منه مسلم (٢٤٤٩) في فضائل الصحابة: باب فضائل فاطمة؛ وأبو داود (٢٠٧١) في النكاح، باب مايكره أن يجمع بينهن من النساء، والترمذي (٣٨٦٧) في المناقب، باب فضل فاطمة، وأخرج الشطر الأخير منه «فمن أغضبها=

وقال أنس: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «ماخيرٌ للنّساء؟» فلم نَدْرِ مانقول، فسارَ عليٌّ إلى فاطمةَ فأخبرَها بذلك، فقالتْ: فهلاَّ قلتَ له: خيرٌ لهنَّ ألاَّ يرينَ الرجالَ، ولايَرُونَهنَّ. فرجعَ، فأخبرَهُ بذلك، فقال له: «مَنْ علَّمَكَ هذا؟» قال: فاطمة. قال: «إنَّها بَضْعَةٌ منّي»[1].

وقالت عائشةُ: مارأيتُ أحدًا قَطُّ أصدَقَ من فاطمةَ غير أبيها. قالت: وكانَ بينهما شيءٌ، فقالتْ: يارسولَ اللهِ سَلْها، فإنَّها لاتكذِبُ[2].

وقال عِمران بنُ حُصين: إنَّ النبيَّ ﷺ قال: «ألا تَنطلقُ بنا نعودُ فاطمة، فإنَّها تَشْتكي». قلتُ: بلى. فانطلَقْنا حتى إذا أتينا إلى بابِها، فسَلَّمَ واستأذَن، فقال: «أدخلُ أنا ومن معي؟» قالتْ: نعم، ومَنْ معَكَ ياأبتاه، فواللهِ ماعليَّ إلاَّ عَباءة[3]. فقال لها: «اصنَعي بها كذا وكذا» فعلَّمَها كيفَ تستَتِرُ. فقالتْ: واللهِ ماعلى رأسي من خِمارٍ، فأخذَ خَلَقَ مُلاءَةٍ كانتْ عليه، فقال: «اختمِري بها» ثم أذنَتْ لهما، فدخلا. فقال: «كيف تَجِدينَكِ يابُنَيَّة؟» قالت: إنّي لوَجِعة، وإنّه ليزيدُني أنَّه مالي طعامٌ آكلُه. قال: «يابُنَيَّة، أما تَرْضَيْنَ أنَّكِ سيِّدةُ نساءِ العالمين؟» قالت: ياأبتِ، فأينَ مريمُ بنةُ عِمران؟ قال: «تلكَ سيّدةُ نِساءِ عالمِها، وأنتِ سيّدةُ نساءِ عالَمِك، أمَا واللهِ زوَّجْتُكِ سيّدًا[4] في الدُّنيا والآخرة»[5].

= فقد أغضبني» البخاري ٧/ ٧٨ (٣٧١٤) في فضائل الصحابة: باب مناقب قرابة رسولِ الله ﷺ، و٧/ ١٠٥ (٣٧٦٧) في فضائل الصحابة: باب مناقب فاطمة.

(١) حلية الأولياء ٢/ ٤٠.

(٢) حلية الأولياء ٢/ ٤٢.

(٣) في (ب): «ماعلى فاطمة إلا عباءة».

(٤) في (ب): إنَّ زوجَك سيد.

(٥) حلية الأولياء ٢/ ٤٢، وهو بنحوِهِ في الاستيعاب ٤/ ١٨٩٥، وسير أعلام النبلاء ٢/ ١٢٦.

وفي روايةٍ: أنَّه دخلَ عليها ومعه جماعةٌ يَعودونَها، فخرجوا، فقال القومُ: يالله! بنتُ نبيِّنا على هذهِ الحال؟ فالتفتَ، فقال: «أمَا إنَّها سيِّدةُ النساءِ يومَ القيامة»[1].

وتُوفِّيَتْ فاطمةُ رضي الله عنها بعدَ رسولِ اللهِ ﷺ بستَّةِ أشهرٍ، في رمضانَ سنة إحدى عشرةَ، وهي بنتُ ثمانٍ وعشرين سنة ونصف، وغسَّلَها عليٌّ، ودُفنتْ ليلاً، وصلَّى عليها عليّ، وقيل: العباس[2].

وقال عبدُ اللهِ بنُ محمد بن عقيل: إنَّ فاطمةَ لما حَضرَتْها الوفاةُ، أَمَرتْ عليًّا فوضعَ لها غسلاً، فاغتسلتْ، وتطهَّرَتْ، ودَعَتْ بثيابِ أكفانِها، فأُتيتْ بثيابٍ غِلاظٍ خُشُن، فلبستها، ومَسَّتْ من الحَنُوط، ثم أمَرَتْ عليًّا أن لاتُكشَفَ إذا قُبِضتْ، وأنْ تُدرجَ كما هي في ثيابها[3].

رضي الله عنها.

* * *

(١) حلية الأولياء ٢/ ٤٢.

(٢) في (ب): «وصلى عليها العباس». والخبر مُجزَّأً في طبقات ابن سعد ٢٨/٨، ٢٩.

(٣) حلية الأولياء ٢/ ٤٣، وهو بنحوهِ في طبقات ابن سعد ٨/ ٢٧، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٢١١، وقال: رواه الطبراني، وعبد الله بن محمد لم يدركِ القصة، فالإسناد منقطع.

الفصل الثاني

في غير الصحابيات من النِّساء مُرتَّبًا على التقفية

(٥٣٤) أمُّ إبراهيم العابدة(*)

من عابدات البصرة.

قال عبدُ المؤمن بن عبد الله القيسيُّ: ضَربتْ أُمَّ إبراهيم العابدةَ دابَّةٌ فكسرَتْ رِجْلَها، فأتاها قومٌ يُعَزُّونَها، فقالت: لولا مَصائبُ الدُّنيا ورَدْنا الآخرة مَفَاليس.

وقال أبو موسى الشَّوَّاء: كنتُ مع أُمِّ إبراهيمَ العابدة، فلما صِرنا عند الجِمار رأتِ الناسَ قد أقبلوا على الشِّراء والبَيع، فرفعتْ رأسَها إلى السماءِ وقالت: حَبيبي، أقبلوا على الدُّنيا وتركوكَ. ثم صاحَتْ، واجتمعَ الناسُ، فغطَّيتُها بثوبي، ثم قلتُ للناس: أصابَها شيءٌ. وأوهَمْتُهم أنَّ بها عِلَّة، ثم أقمتُ عليها حتى أفاقتْ، فرفعتْ رأسَها، فقلتُ لها: ياأُمَّ إبراهيم، أيُّ شيءٍ هذه الشُّهْرة؟ فقالت: يابطَّال، إذا كان هو يَقسِمُ الثَّناءَ فلمن يتصنَّع؟

رحمة الله عليها ورضوانه.

* * *

(*) ترجمتها في: صفة الصفوة ٤/٣٨. وأخبارها فيه.

(٥٣٥) أمُّ الأسود العدَوِيّة(*)

من عابداتِ البصرة.

قال أبو عبد الرحمن السُلَميّ: قالت أُمُّ الأسود: قالتْ لي مُعاذةُ العدَوية: لاتُفسِدي رَضاعي بأكْلِ الحرام، فإنّي جهدتُ جَهدي حين أرضعتُكِ حتى أكلتُ الحلالَ، فاجتهدي أنْ لاتأكلي إلاّ حَلالاً، لعلَّكِ أن تُوفَّقي لخدمةِ سيّدكِ، والرّضى بقضائه.

وكانت أمُّ الأسود تقول: ماأكلتُ شُبهةً إلاّ فاتَتْني فَريضة، أو وِرْدٌ من أورادي.

رحمة الله عليها ورضوانه.

(٥٣٦) أمَةُ الجليل بنتُ عمرو العدويّة(**)

من عابداتِ البَصرة.

قال مسمعُ بنُ عاصم: اختلفَ العابدونَ عندنا في الولاية، فقال بعضُهم: إذا استحقَّها عبدٌ لم يهمَّ بشيءٍ إلا نالَهُ في دِينٍ كان أو دُنيا. وقال آخر: الوليُّ لايَعْصي غيرَ أنّه لايُدرِكُ الشيءَ الذي يُريده من الدُّنيا بهمَّتِه، ولايُدركُه إلاّ بطلبه، كأنّهم يقولون: يَدعو فيُجاب. وقال آخرون: المُستحقُّ للولايةِ لايُعرِّض؛ لانتقاصِ حظِّه من الآخرة. فتكلّموا في ذلك بكلامٍ كثير،

(*) ترجمتها في: صفة الصفوة ٤/ ٣٢، وأخبارها فيه، الكواكب الدرية ١/ ٤٦٦.
(**) ترجمتها في: صفة الصفوة ٤/ ٣٧ وأخبارها مذكورة فيه، طبقات الشعراني ١/ ٦٧، الطبقات الصغرى للمناوي ٢٢٨، الدر المنثور ٧٠.

فأجمعوا على أنْ يأتوا امرأةً من بني عَدي يُقالُ لها أَمَةُ الجليل، وكانتْ مُنقطعةً جدًّا من طول الاجتهاد. فأتَوْها، قال مسمع: وأنا يومئذٍ مع أصحابِنا، فاستأذَنوا عليها، فأذِنَتْ، فدخلوا[1] وعرضوا عليها اختلافَهم، وماقالوا. فقالتْ: ساعاتُ الوَلِيِّ ساعاتُ شُغْلٍ عن الدُّنيا، ليس للوليِّ في الدُّنيا من حاجة. ثم أقبلَتْ على كلابٍ، فقالت: بنفسي أنتِ ياكلاب، من حدَّثك أو أخبركَ أنَّ وليَّهُ له همٌّ غيرُه فلاتُصَدِّقْه. قال مسمع: فما كنتُ أسمعُ إلاَّ الصارخَ[2] من نواحي البيت.

رحمها الله.

(٥٣٧) آمنةُ الرَّمْلِيَّة(*)

قال جعفر بنُ محمد صاحبُ بشرِ بنِ الحارث: اعتلَّ بشرٌ، فعادَتْهُ آمنةُ الرَّمْلِيَّةُ من الرملة، فإنَّها لَعِنْدَهُ إذْ دخلَ أحمدُ بن حنبل يعودُهُ، فقال: مَنْ هذه؟ فقال: هذه آمنةُ الرَّمْلِيَّة، بلغها[3] عِلَّتِي فجاءتْ من الرَّمْلةِ تعودُني. قال: فسَلْها تدعو لنا. فقالتْ: اللهمَّ، إنَّ بشرَ بنَ الحارث وأحمدَ بنَ حنبل يَستجيرانِ بكَ من النار، فأَجِرْهما. قال أحمدُ: فانصرَفتُ، فلمَّا كانَ من الليل طُرحتْ إليَّ رُقعَةٌ مكتوبٌ فيها: بسم اللهِ الرحمن الرحيم، قد فعلْنا ولَدَينا مَزيد.

رحمة الله عليها ورضوانه.

---

(١) ليس لفظة: «فدخلوا» في (أ).

(٢) في (ب): «الصوارخ».

(*) ترجمتها في: صفة الصفوة ٤/ ٣٠٥، طبقات الشعراني ١/ ٦٧، الكواكب الدرية ١/ ٢٣٠، الدر المنثور ١٧، أعلام النساء ١/ ١٠.

(٣) في (ب): «بلغتها».

(٥٣٨) بَرْدَةُ الصُّرَيْمِيَّة(*)

من عابداتِ البصرة.

قال ثابتٌ البُنانيُّ: إنَّ امرأةً من الصَّدْرِ الأول كان يُقالُ لها بَرْدَة، وكانتْ تُكثِرُ البُكاء حتى فسدَ بصرُها، فقيل: اتَّقي الله، أما تخافينَ على بصرِكِ أنْ يَذهبَ؟ قالتْ: دَعوني، فإنْ أكُنْ من أهل النار فأبعدني الله، وأبعَدَ بصري، وإنْ أكنْ من أهل الجنَّةِ فسيُبدِلني الله عينَيْنِ خيرًا من عينيّ.

وقيل للحسن البصريّ: يا أبا سعيد، إنَّ هٰهنا امرأةً يُقالُ لها بَرْدَة، قد فسَدَتْ عيناها من البُكاء. فدخلَ عليها، فقال: يابَرْدَة، إنَّ لِبَدَنِكِ عليكِ حقًّا، وإنَّ لِبصَرِكِ عليك حقًّا. قالتْ: يا أبا سعيد، إنْ أكن من أهلِ الجنَّة فسيُبدلُني اللهُ بصرًا خيرًا من بصري، وإنْ أكنْ من أهلِ النارِ فأبعدَ الله بصري[٢].

وقال محمد بنُ الحسين بإسنادِهِ، قال: كانتِ امرأةٌ في زمنِ الحسن، يُقال لها بَرْدَة، إذا سمعتِ القرآنَ صَرَخَتْ، فرُبَّما تكلَّمتْ بما لا تُريد، فقيل لها في ذلك، فقالتْ: ربَّما سمعتُ القرآنَ فأرى أنَّ مُلْكَ بني مروانَ قد حُوِيَ لي، وكانت تبكي حتى يرحمَها من يراها.

وقال الحُميدي: ذكرَ سُفيانُ يومًا بَرْدَةَ، فقال: رحمَها الله، ماكان هٰهنا من أولئكَ النِّساء المجاورات أشدَّ اجتهادًا منها. بكتْ حتى ذهبَ بصرُها، وكانت إذا سمعَتْ صوتَ الصَّواعقِ صرختْ، ولم تزَلْ تصيحُ حتى يُغْشَى

(*) ترجمتها في: صفة الصفوة ٤/ ٣٦ وأخبارها فيه؛ الكواكب الدريّة ١/ ٩٢؛ أعلام النساء ١/ ١٢٦.

(٢) في (ب): «فأبعدني الله وأبعد بصري».

عليها، وكانتْ إذا قِيل لها: كيفَ أصبحتِ؟ تقول: أصبحنا أضيافًا مُنْتَجعين بأرضٍ غُربةٍ، ننتظِرُ إجابةَ الدَّاعي.

وقال عَطاءُ بنُ المبارك: كان بالبصرةِ امرأةٌ جليلةٌ مُتعبِّدَةٌ يُقالُ لها بَرْدَة، وكانتْ تقومُ الليلَ، فإذا سكَنَتِ الحركاتُ، وهدأَتِ العيون، نادَتْ بصوتٍ لها حَزين: هَدَأَتِ العيون، وغارَتِ النُّجوم، وخلا كلُّ حبيبٍ بحبيبِهِ، وقد خَلوتُ بكَ يامَحبوب، أفترَاكَ تُعذِّبُني، وحبُّكَ في قلبي؟ لاتفعلْ ياحبيباه.

رضي الله عنها.

(٥٣٩) البيضاء بنتُ المفضَّل(*)

في عابداتِ الشام.

قال أحمد بن أبي الحَوَارِيّ: سمعتُ أسماءَ الرَّمْليّة، وكانتْ من العابداتِ تقول: سألتُ البيضاءَ بنتَ المفضَّل، فقلتُ: ياأُختي، هل للمُحِبِّ للهِ تعالى دَلائلُ يُعرفُ بها؟ قالت: ياأُختي، والمُحِبُّ للسيِّد يَخفَى؟ لو جهدَ المحبُّ للسيِّد أنْ يَخفَى ماخَفِي. قلتُ: صِفيهِ لي. قالتْ: لو رأيتِ المُحِبَّ للهِ لرأيتِ عَجَبًا عجيبًا من والِهٍ مايَقِرُّ على الأرضِ، طائرٌ مُسْتَوحِشٌ، أُنسُهُ في الوحدة، قد مُنعَ الرَّاحة، طعامُه الحُبُّ عند الجوعِ، وشرابُهُ الحبُّ عند الظمأ، لايملُّ من طولِ الخدمةِ للهِ تعالى.

رحمة اللهِ عليها ورضوانه.

* * *

(*) ترجمتها في: حلية الأولياء ١٠/ ١٣ (في ترجمةِ أحمد بن أبي الحواري)، صفة الصفوة ٤/ ٣٠٥.

(٥٤٠) تحيّةُ النُّوْبيّة(*)

قال الهالِيني[١] الصُّوفي: دخلتُ على تحيّةَ زائرًا، فسمعتُها من داخلِ البيت، وهي تُناجي، وتقول في مناجاتها: [يا] مَنْ يُحِبُّني وأُحِبُّه. فدخلتُ إليها، وسلَّمتُ عليها، وقلت[٢]: ياتحيّة، هبي أنّكِ تُحبِّينَ الله تعالى، فمِن أينَ تعلمينَ أنّه يُحبُّكِ؟ فقالت: نعم، إنّي كنتُ في بلدِ النُّوبة[٣]، وأبوايَ كانا نَصْرانيَّيْنِ، وكانتْ أُمّي تحمِلُني إلى الكَنِيسة، وتجيءُ بي إلى الصَّلِيب، وتقول: قبِّلي الصَّلِيب. فإذا هَمَمْتُ بذلك أرى كفًّا تخرجُ، فتردُّ وجهي حتى لاأُقبِّلَه، فعلمتُ أنَّ عِنايتَه بي قديمة.

رحمة الله عليها.

(٥٤١) جوهر البَرَاثِيّة(**)

من عابداتِ بغداد، نزلَتْ بَرَاثَا[٤] مع زوجِها أبي عبد الله البَرَاثيِّ.

قال حكيم بنُ جعفر: كانتْ جوهرُ جاريةً لبعضِ الملوك، فعَتَقَتْ،

(*) ترجمتها في: صفة الصفوة ٤/ ٣٣٢، أعلام النساء ١/ ١٦٧.

(١) كذا في الأصل، وهو كذلك في إحدى نسخ صفة الصفوة، وقد أثبتَ محقِّق الكتاب في المتن: الماليني.

(٢) في (ب): فدخلتُ عليها وسلمت وقلت...

(٣) النوبة: بلادٌ واسعة عريضة في جنوبي مصر، وهم نصارى، أهل شدة في العيش، أول بلادهم بعد أسوان. معجم البلدان.

(**) ترجمتها في: تاريخ بغداد ١٤/٤٠٣، ٤٣٦، صفة الصفوة ٢/ ٥٢١ (جوهرة)، معجم البلدان ١/ ٣٦٣، روض الرياحين ٢٥٨ (الحكاية ١٩١).

(٤) براثا: محلة كانت في طرق بغداد، في قبلة الكرخ. معجم البلدان.

وخلَعَتِ الدُّنيا، ولزِمَتْ أبا عبد الله البَرَاثِيّ، فتزوَّجَ بها، وتعبَّدَتْ معه[1].

وقال أبو عبد الله: قالت لي جوهرُ يومًا: ياأبا عبد اللهِ، النّساءُ يُحلينَ في الجنَّةِ إذا دخلْنَها؟ قلتُ: نعم. فصاحَتْ صَيحةً غُشي عليها، فلمَّا أفاقتْ، قلتُ: ماهذا الذي أصابَكِ؟ قالت: ذكرتُ حالي تلك، وماكنتُ قد نلتُ من الدُّنيا، فخَشِيتُ ـ واللهِ ـ حرمانَ الآخرة.

وقال أبو عبد اللهِ البَرَاثي: رأتْ جوهرُ في منامِها خِيامًا مضروبةً، فقالت: لمنْ هذه الخِيام؟ فقيل: للمتهجِّدين بالقرآن. فكانتْ بعدَ ذلك لاتنامُ.

وقال: كانتْ جوهرُ تُنبِّهُني من الليلِ وتقول: ياأبا عبد الله[2]، كارْوَانْ بَرَفْت، معناه: قد سارتِ القافلة[3].

وقال حكيم بنُ جعفر: كُنّا نأتي أبا عبد اللهِ الزَّاهد وكان يَسكُنُ بَرَاثا، وكانتْ له امرأةٌ مُتعبِّدةٌ يُقال لها جَوهر، وكان أبو عبد الله يجلسُ على جِلَّةِ خُوصٍ بحرانِيَّةٍ، وجوهرُ جالسةٌ حذاءَهُ على جِلَّةٍ أُخرى في بيتٍ واحدٍ، مستقبل القبلة. فأتيناهُ يومًا وهو جالسٌ على الأرض، فقلنا: ياأبا عبد الله، مافعلتِ الجِلَّةُ التي كنتَ تقعدُ عليها؟ قال: إنَّ جوهرَ أيقظَتْني البارحةَ فقالت: أليس يُقال في الحديث: «إنَّ الأرضَ تقولُ لابنِ آدم: تجعلُ بيني وبينك سِترًا، وأنتَ غدًا في بطني»[4]؟ قلتُ: نعم. قالتْ: فأخرجْ هذه الجِلالَ، لاحاجةَ لنا فيها. فقمتُ ـ واللهِ ـ فأخرجتُها[5].

رحمة الله عليها ورضوانه آمين.

---

(١) صفة الصفوة ٢/ ٥٢١، روض الرياحين ٢٥٨ (الحكاية ١٩١).

(٢) في (ب): «ياعبد الله».

(٣) صفة الصفوة ٢/ ٥٢٢.

(٤) ذكره أبو نعيم في الحلية ١٠/ ٣٢٤ في ترجمةِ أبي شعيب البراثي، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١٤/ ٤١٨ في ترجمةِ أبي شعيب أيضًا، كلاهما من كلام أبي شعيب.

(٥) تاريخ بغداد ١٤/ ٤٠٤، وصفة الصفوة ٢/ ٥٢٢، ومعجم البلدان ١/ ٣٦٣، وقد ذكرت مثل هذه الحكاية عن أبي شعيب البراثي وزوجه.

(٥٤٢) حَبيبةُ العَدَوِيّة(*)

من عابداتِ البصرة.

قال أحمد بن أبي الحَوَارِيّ: كانتْ حَبيبةُ العدوية إذا صلَّتْ العتَمَةَ قامتْ على السَّطح، فشدَّتْ عليها دِرْعَها وخِمارَها، وقالتْ: إلٰهي، غارَتِ النُّجوم، ونامتِ العيون، وغلَّقتِ الملوكُ أبوابَها، وبابُكَ مفتوح، وخلا كلُّ حبيبٍ بحبيبه، وهذا النهارُ قد أسفَر، فليتَ شِعري هل قَبلتَ منِّي ليلتي فأُهنَّى، أم رَدَدْتَها عليَّ فأُعَزِّي نفسي؟ فوعزَّتِكَ لهذا دَأْبي ودَأْبُكَ أبدًا ماأبقيتَني؛ وعزَّتِكَ مابَرِحتُ من بابِك، ولاوقعَ في قلبي غيرُ جودِكَ وكرمِك.

رحمة الله عليها ورضوانه.

(٥٤٣) حفصة بنت سِيرِين(**)

من عابداتِ البصرةِ وتابِعيها، وهي أُختُ محمد بن سيرين.

قال عاصم الأحْول: كُنا ندخلُ على حفصةَ بنتِ سِيرين وقد جعلتِ

(*) ترجمتها في: صفة الصفوة ٤/ ٣٢، الكواكب الدُّرِّيّة ١/ ٢٦٨.

(**) ترجمتها في: طبقات ابن سعد ٨/ ٤٨٤، التاريخ الصغير ١/ ٢٥٦، ٢٨١، الثقات لابن حبان ٤/ ١٩٤، صفة الصفوة ٤/ ٢٤، جامع الأصول ١٣/ ٣٨٣، تهذيب الكمال ٣٥/ ١٥١، سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٠٧، العبر ١/ ١٢٣، تاريخ الإسلام ٤/ ١٠٧، مرآة الجنان ١/ ٢١١، الوافي بالوفيات ١٣/ ١٠٦، تهذيب التهذيب ١٢/ ٤٠٩، النجوم الزاهرة ١/ ٢٧٥، شذرات الذهب ١/ ١٢٢.

الجلبابَ هكذا وتنقَّبَتْ به، فنقولُ لها: رحمَكِ الله، قال الله تعالى ﴿والقواعدُ من النساء اللاتي لا يرجونَ نِكَاحًا فليس عليهنَّ جُناحٌ أن يَضَعْنَ ثيابَهُنَّ غيرَ مُتبرِّجاتٍ بِزِينة﴾[النور: ٦٠] هو الجلباب. فتقولُ لنا: أيُّ شيءٍ بعد ذلك؟ فنقول: ﴿وأنْ يَسْتَعْفِفْنَ خيرٌ لهنَّ﴾ [النور: ٦٠] فتقول: هو إثباتُ الجلباب.

وقال هشام بنُ حسَّان: كانتْ حفصةُ تقولُ لنا: يامعشرَ الشباب، خذوا من أنفسِكم وأنتم شباب، فإنِّي مارأيتُ العملَ إلاَّ في الشباب.

قال: وقرأتِ القرآنَ وهي ابنةُ اثنتي عشرةَ سنة، وماتت وهي ابنةُ تسعين.

وقال هِشام بن حفصة: كانتْ تدخلُ مسجدَها فتصلِّي فيه الظُّهرَ والعصرَ والمغربَ والعِشاءَ والصُّبح، ثم لاتزالُ فيه حتى يرتفعَ النهار، وتركع، ثم تخرجُ فيكون عند ذلك وضوؤها ونومُها حتى إذا حضرتِ الصلاةُ عادَتْ إلى مسجدِها إلى مثلِها.

وقال مَهدي بن مَيمون: مكثتْ حفصةُ في مُصلاَّها ثلاثين سنةً لاتخرجُ إلاَّ لحاجةٍ أو لقائلة.

وقال هشام: إنَّ ابنَ سيرين كان إذا أشكلَ عليه شيءٌ من القِراءةِ قال: اذهبوا، فاسألوا حفصةَ كيف تقرأ.

وقال هشام: كان الهُذيلُ بنُ حَفصة يجمعُ الحطبَ في الصَّيفِ، فيقشِرُه، ويأخذُ القصبَ فيفلِقُه. قالتْ حفصة: وكنتُ أجِدُ قرَّةً، فكان إذا جاءَ الشتاءُ جاءَ بالكانونِ فيضعه خَلفي، وأنا في مُصلاَّيَ، ثم يقعُدُ، ويوقد ذلك الحطبَ المُقشَّرَ، وذلك القصبَ المُفلَّقَ وَقودًا لايُؤذيني دخانُه، ويُدفئني، فمكثتُ بذلك ماشاءَ الله. قالتْ: وعنده من يكفيه لو أرادَ ذلك، وربَّما أردتُ أنصرف إليه، وأقول: يابني، ارجعْ إلى أهلِك، ثم أذكر

مايُريد، فأدعه. قالت حفصة: فلمّا ماتَ رزق اللهُ عليه من الصَّبْرِ ماشاءَ الله أنْ يَرزُقَ، غيرَ أنّي كنتُ أجدُ غُصَّةً لاتذهبُ. قالت: فبينا أنا ذاتَ ليلةٍ أقرأُ سورةَ النّحل إذ أتيتُ على هذه الآية: ﴿لا تشتروا بعهدِ اللهِ ثمَنًا قليلاً إنّما عندَ اللهِ هُوَ خيرٌ لكمْ إنْ كُنتُمْ تعلمون * ما عندَكم يَنْفَدُ وما عندَ الله باقٍ ولَنَجْزِيَنَّ الذينَ صَبَرُوا أجرَهُمْ بأحْسَنِ ما كانوا يعملون﴾[النحل: ٩٥-٩٦]. قالتْ: فأعدتُها، ، فأذهبَ الله ماكنتُ أجِد.

قالت: وكانت له لِقْحَةٌ[١]، وكان يبعثُ إليَّ بحَلْبَةٍ بالغداةِ فأقول: يابُني، إنّكَ لتعلمُ أنّي لاأشربُه، أنا صائمة. فيقول: ياأُمَّ الهُذيل، إنَّ أطيبَ اللَّبَنِ مابات في ضُروعِ الإبل. اسقِهِ مَنْ شئتَ.

وقال هشام: اشترتْ حفصةُ جاريةً أظنُّها سِندِيّة، فقيل لها: كيف رأيتِ مولاتَك؟ فذكرتْ كلامًا بالفارسيّة؛ تفسيرُه: إنّها امرأةٌ صالحةٌ، إلاَّ أنّها قد أذنَبَتْ ذنبًا عظيمًا؛ فهي الليلَ كلَّهُ تبكي وتصلّي.

وقال عبد الكريم بن معاوية: ذُكر لي عن حفصةَ أنّها كانت تقرأُ نصفَ القرآنِ في كلِّ ليلةٍ، وكانت تصومُ الدَّهرَ، وتُفطِرُ العيدَين، وأيامَ التَّشريق.

وقال هشام: كان لحفصةَ كفَنٌ مُعَدٌّ، فإذا حجّتْ وأحرمَتْ لَبِسَتْه، وكانتْ إذا كان العَشرُ الأواخرُ من رمضان قامتْ من الليلِ فلبِسَتْه.

وقال: قالت أُمُّ سليم: ربَّما نُوِّرَ لحفصةَ بنتِ سِيرين بيتُها.

وفي رواية: قال هشام: كانتْ حفصةُ بنتُ سيرين تُسرجُ سراجَها من الليل، ثم تقوم في مُصلاَّها، فربَّما طُفِئَ السِّراجُ، فيُضيءُ لها البيتُ حتى تُصبح.

رحمةُ الله عليها ورضوانه.

---

(١) اللُّقحة: الناقةُ الحلوب الغزيرة اللبن. متن اللغة(لقح).

(٥٤٤) حكيمةُ المكّيّة(*)

قال سلَمَةُ بن خالد المَخْزومي: كانت هاهنا امرأةٌ من بني مَخْزوم مُجاوِرةً، يقالُ لها حَكيمة، وكانتْ إذا نظرتْ إلى بابِ الكعبةِ قد فُتِحَ صرخَتْ كما تصرُخُ الثَّكْلَى، فلاتزالُ تصرُخُ حتى يُغمَى عليها[١]، وكانت لاتكادُ تُفارقُ المسجدَ إلا إلى الأمرِ الذي لابُدَّ منه. ففُتحتِ الكعبةُ يومًا وهي في بعضِ حاجتِها، فلمَّا جاءتْ قالتْ لها امرأةٌ كانتْ تُجالسُها: ياحكيمة، فُتحَ اليومَ بيتُ ربِّك، فلو رأيتِ الطائفينَ يطوفون به، والبابُ مفتوحٌ، وهم ينتظرون الرَّحمةَ من مَلِيكِهم، لقد قرَّتْ عينُك. قال: فصرَخَتْ حكيمةُ صرخةً، ثم لم تزلْ تضطرِبُ حتى ماتتْ.

رحمة الله عليها ورضوانه.

(٥٤٥) أمُّ حسّانَ الكوفيّة(**)

قال عبدُ اللهِ بن المبارك: ذَكَرَ سفيانُ الثَّوريُّ امرأةً بالكوفةِ يُقال لها أمُّ حسَّان، ذاتُ اجتهادٍ وعِبادة، فدخلْنا بيتَها، فلم نرَ فيهِ شيئًا غيرَ قطعةِ حَصير خَلَقٍ، فقال لها الثَّوريّ: لو كتبتِ رُقعةً إلى بعضِ بني أعمامِكِ لغيَّروا سوءَ[٢] حالك. فقالتْ: ياسفيان، قد كنتَ في عيني أعظم، وفي قلبي أكبرَ

(*) ترجمتها في: صفة الصفوة ٢/ ٢٧٤.

(١) في (ب): حتى يغشى عليها.

(**) ترجمتها في: حلية الأولياء ٧/ ٩ (ضمن ترجمة سفيان)، صفة الصفوة ٣/ ١٨٨، الكواكب الدريّة ١/ ٢٣١.

(٢) في (ب): «من سوء».

من ساعتِك هذه، إنّي ماأسألُ الدُّنيا من يقدِرُ عليها ويملِكُها ويحكُمُ فيها. فكيفَ أسألُ مَنْ لايَمْلِكُها ولايَقضي ولايَحكُمُ فيها؟ ياسفيان، واللهِ ماأُحبُّ أن يأتيَ عليَّ وقتٌ وأنا متشاغلةٌ فيه عن اللهِ بغيرِ الله. فأبْكَتْ سفيان.

رحمة اللهِ عليها ورضوانه آمين.

(٥٤٦) أمُّ حيَّانَ السُّلَمِيَّة (*)

من عابداتِ البصرة.

قال أبو خَلْدَة[١]: مارأيتُ رجلاً قطُّ ولاامرأةً أقوى ولاأصبرَ على طولِ القيامِ من أُمِّ حيَّانَ السُّلميَّة. إنْ كانتْ لَتقومُ في مسجدِ الحيِّ كأنَّها نخلةٌ تصفِّقُها الرِّياحُ يمينًا وشِمالاً.

وقالت سَوادةُ السُّلَميَّة: كانتْ أمُّ حيَّان تقرأُ القرآنَ في كلِّ يومٍ وليلةٍ، وكانتْ لاتتكلَّمُ إلاَّ بعدَ العصر، فإنَّها كانت تأمرُ بالحاجة، والشيءِ تريده.

رحمة الله عليها ورضوانه.

(٥٤٧) بنت أبي الحسن المكِّيِّ (**)

من عابداتِ مكة.

قال عبد الله بن أحمد بن بكر[٢]: كان لأبي الحسن المكِّيِّ ابنةٌ مُقيمةٌ بمكَّةَ، أشدُّ ورعًا منه، وكانت لاتقتاتُ إلاَّ بثلاثين دِرهمًا يُنفذُها إليها أبوها

(*) ترجمتها في: صفة الصفوة ٤/ ٣٨.

(١) في الأصل: أبو جلدة، تحريف، وهو خالدُ بن دينار، انظر الإكمال ٣/ ١٨٢.

(**) ترجمتها في صفة الصفوة ٢/ ٢٧٥، المنتظم ٦/ ٣٦١، العقد الثمين ٨/ ٣٦٠.

(٢) في المنتظم والعقد الثمين: «عبيد الله بن أحمد بن بكر».

في كلِّ سنةٍ ممَّا يستفضله من ثمنِ الخُوصِ الذي يسفُّه[1] ويبيعه، فأخبرَني ابنُ الرَّوَّاسِ التمَّار ـ وكان جارَهُ ـ قال: جئتُ أُودِّعُهُ في الحجِّ، وأستعرِضُ حاجتَه، وأسألُه أنْ يدعو لي. فسلَّمَ إليَّ قِرْطاسًا، وقال: تسألُ بمكَّةَ في الموضع الفلاني عن فلانةٍ، وتُسلِّمُ هذا إليها. فعلمتُ أنَّها ابنتُه، فأخذتُ القِرطاسَ وجئتُ فسألتُ عنها، فوجدتها بالعبادة أشدَّ اشتهارًا من أن تخفى، فتتبعت[2] نفسي أنْ يَصِلَ إليها من مالي شيءٌ يكونُ لي ثوابُه، وعلمتُ أنِّي إنْ دفعتُ إليها ذلك لم تأخُذْه، ففتحتُ القِرْطاسَ، وجعلتُ الثلاثين خمسين، وردَدْتُه كما كان، وسلَّمتُه إليها، فقالتْ: أيُّ شيءٍ خبرُ أبي؟ قلت: سلامة. فقالت: قد خالطَ أهلَ الدنيا، وتركَ الانقطاعَ إلى اللهِ تعالى؟ فقلت: لا. فقالت: أسألُكَ باللهِ، وبمَنْ حجَجْتَ إليه ☆إذا سألتُكَ☆[3] عن شيءٍ فتصدُقني؟ فقلتُ: نعم. فقالت: خلطتَ بهذه الدراهم شيئًا من عندك؟ فقلت: نعم، فمن أينَ علمتِ بهذا؟ فقالت: ماكانَ أبي يزيدُني على الثلاثين شيئًا؛ لأنَّ حالَهُ لايحتمِلُ أكثرَ منها، إلاَّ أن يكونَ تركَ العِبادة، فلو أخبرتَني بذلك ماأخذتُ منه أيضًا شيئًا. ثم قالت: خُذِ الجميعَ؛ فقد عقَقْتَني من حيثُ قدَّرتَ أنَّكَ تَبَرُّني. فقلت: ولِمَ؟ قالت: لاآكلُ شيئًا ليس هو من كسبي ولاكسبِ أبي، ولاآخُذُ من مالٍ لاأعرِفُ كيف هو شيئًا. فقلتُ: خذي منها ثلاثين كما أنفذَ إليك أبوكِ، ورُدِّي الباقي. فقالت: لو عرفتُها بعينِها لأخذْتُها، ولكنْ قدِ اختلطَتْ بمالاأعرِفُ جهتَهُ، فلا آخذُ منها شيئًا، وأنا الآنَ أقتاتُ إلى الموسِمِ الآخِرِ من المَزابل؛ لأنَّ هذه كانتْ قُوتي طولَ السنة، فقدْ أجعتَني، ولولا أنَّكَ ماقصدتَ أذايَ لدعَوْتُ عليك. قال: فاغتمَمْتُ، وعدتُ إلى البَصرَة وجئتُ إلى أبي الحسن فأخبرتُه، واعتذَرْتُ

---

(١) السَّفُّ: النَّسج. وفي (ب): «يشقه».

(٢) في المنتظم ٦/ ٣٦١: «فطمعت».

(٣) (☆-☆) مابينهما ليس في (أ).

إليه. فقال: لاآخُذُها وقدِ اختلطَتْ بغيرِ مالي، وقد عقَقْتَني وإيَّاها. فقلتُ: فما أعملُ بالدراهم؟ قال: لاأدري. فمازِلْتُ مُدَّةً أعتذِرُ إليه، وأسألُه ماأعملُ بالدراهم؟ فقال لي بعدَ مُدَّةٍ: تصدَّقْ بها. ففعلتُ.

رحمة الله عليها ورضوانه آمين.

(٥٤٨) خنساءُ بنتُ خِذَام(*)

من عابداتِ اليمن.

قال حفصُ بنُ عمرَ الجُعْفي: كانت باليمنِ امرأةٌ من العرب، جليلةً جَهْوَرِيَّةً[١] حسنًا وجمالاً، كأنَّها بَدَنَةٌ، يُقال لها خنساء بنت خِذَام، فصامتْ أربعينَ عامًا حتى لَصِقَ جِلْدُها بعظمِها، وبكتْ حتى ذهبتْ عيناها، وقامتْ حتى أُقعدتْ من رجليها. وكان طاوسُ، ووهبُ بن منبِّه يُعظمانِ قدرَها، وكانتْ إذا جنَّ عليها الليلُ، وهدأَتِ العيون، وسَكَنتِ الحركاتُ تنادي بصوتٍ حَزين: ياحبيبَ المُطيعين، إلى كم تحبِسُ خدودَ المُطيعين في التُّراب؟ ابعثْهمْ حتى يُنجزوا موعودَكَ[٢] الصادِقَ الذي اتعبوا له أنفسَهم، ثم أنضَوْها. قال: فيُسمَعُ البكاءُ من الدُّورِ حولها[٣].

رحمة اللهِ عليها ورضوانه.

* * *

(*) ترجمتها في: صفة الصفوة ٢/٣٠٢. وقال ابن الجَوزيّ فيه: وهي غير الصحابيَّة.

(١) في (ب): «جوهرية».

(٢) في (ب): «حتى يفتخروا بوعدك».

(٣) في (ب): «كلها».

(٥٤٩) خنساء بنت عمرو النَّخَعِيّة(*)

من أهل البادية.

قال أبو بكر بن عبيد بإسناده، عن رجلٍ من خُزاعةَ، قال: لما اجتمعَ الناسُ بالقادسيّةِ دعَتْ خنساءُ بنتُ عمرٍو بنيها الأربعةَ، فقالت: يابَني، إنّكم أسلمتُمْ طائعين، وهاجرتم واللهِ ما نَبَتْ بكم الدَّارُ، ولاأقحَمَتكُمُ السَّنَة[1]، ولاأرذلكم الطَّمَع، واللهِ الذي لاإلٰهَ إلاّ هو، إنّكم لبنو رجلٍ واحدٍ، كما أنّكم بنو امرأةٍ واحدةٍ، ماخنتُ أباكم، ولافَضَحتُ خالَكم، ولاغيَّرْتُ نسبَكم، ولاأوطأْتُ حريمكم، ولاأبَحْتُ حماكم، فإذا كان غدًا إنْ شاءَ الله فاغْدوا لِقتالِ عدوِّكم مُستنصرين باللهِ، مستبصرين، فإذا رأيتم الحربَ قد أبْدَتْ ساقَيها، وقد ضَرَبتْ رُواقَها فتيمَّموا وطيسَها، وجالِدوا خميسَها، تظفروا بالمَغْنَمِ والسلامة، والفوزِ والكرامة، في دارِ الخُلدِ والمقامة.

فانصرفَ الفتيةُ من عندِها، وهم لأمرِها طائعون، وبنُصحِها عارفون، فلمّا لَقُوا العدوَّ شدَّ كلُّ واحدٍ منهم، وارتجَزَ أبياتًا[2]، فقاتلوا جميعًا حتى فتح اللهُ على المؤمنين. وكانوا يأخذونَ أعطيتَهم ألفَينِ ألفين، فيجيئون بها ويَصُبُّونَها في حِجْرِها، فتُقسِّمُ ذلك بينهم حَفْنَةً حَفنة، فمايُغادِرُ واحدٌ من عطائه درهمًا.

رحمة الله عليها ورضوانه آمين.

(*) ترجمتها في: الأغاني ١٥/٧٦، الاستيعاب ٤/١٨٢٧، صفة الصفوة ٤/٣٨٥، أسد الغابة ٥/٤٤١، الوافي بالوفيات ١٠/٣٨٨، الإصابة ٨/٦٦ (٣٥٣).

(١) أقحمتكم: أدخلتكم بلادَ الريفِ هربًا من الجدب. متن اللغة (قحم).

(٢) انظر الأبيات في صفة الصفوة ٤/٣٨٦.

(٥٥٠) جاريةُ خالد الورّاق(*)

قال خالد: كانتْ لي جاريةٌ شديدةُ الاجتهاد، فدخلتُ عليها يومًا فأخبرتُها بشيءٍ من رفقِ الله وقَبولِه يَسيرَ العمل، فبكتْ ثم قالتْ: ياخالد، إنّي لآمُلُ من اللهِ آمالاً لو حمَلَتْها الجبالُ لأشفقتْ من حملِها، كما ضعفتْ عن حملِ الأمانة[1]، وإنّي لأعلمُ أنَّ في كرمِ اللهِ مُستغاثًا لكلِّ مُذنبٍ، ولكن كيف لي بحسرةِ السُّباق؟ قلتُ: وماحسْرَةُ السُّباق؟ قالت: غداةَ الحشرِ إذا بُعثِرَ مافي القبور، وركِبَ الأبرارُ نجائبَ الأعمالِ، فاستبَقُوا إلى الصِّراط، وعزّةِ سيّدي لايَسْبِقُ[2] مُقصِّرٌ مجتهدًا أبدًا، ولو حَبَا المجدُّ حَبْوًا. أم كيف لي بموتِ الحُزنِ والكَمَد؟ إذا رأيتُ القومَ يتراكضون، وقد رُفعتْ أعلامُ المُحسنين، وجازَ الصِّراطَ المُشتاقون، ووصلَ إلى اللهِ المُحِبُّون، وخُلِّفْتُ مع المُسيئين المُذنبين. ثم بكتْ، وقالت: ياخالد، انظرْ لايقطعكَ قاطعٌ عن سرعةِ المُبادرةِ بالأعمال؛ فإنّه ليس بين الدّارَينِ دارٌ يُدرِكُ فيها الخُدّامُ مافاتَهم من الخِدْمة، فويلٌ للمقصِّرِ عن خدمةِ سيِّدِهِ ومعه الآمال، فهلاّ كانتِ الآمالُ تُوقِظُهُ إذا نامَ البطّالون؟

رحمة اللهِ عليها ورضوانه.

* * *

(*) ترجمتها في: صفة الصفوة ٤/٤٦.

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إنّا عرَضْنَا الأمانةَ على السماواتِ والأرض والجبال فأبَيْنَ أنْ يَحْمِلْنَها وأشفَقْنَ منها وحمَلَها الإنسان إنّه كان ظَلُومًا جَهُولا﴾[الأحزاب: ٧٢].

(٢) في الأصل: «سبق» والمثبت من صفة الصفوة.

(٥٥١) أُمُّ الدَّرْداءِ الصُّغرَى(*)

واسمها هُجَيْمَة، وقيل جُهَيْمة، وهي زوجةُ أبي الدَّرداء. وليستِ الصحابيّة.

ويَروِي عنها: زيدُ بنُ أسلم، وصفوانُ بنُ عبد الله، وسالم بن أبي الجَعْد، وغيرُهم.

قال عَوْنُ بنُ عبد الله: كُنّا نجلسُ إلى أُمّ الدَّرداءِ، فنذكرُ اللهَ تعالى عندَها، فقالوا: لعلَّنا قد أملَلْناكِ؟ قالت: تزعمونَ أنّكم قد أملَلْتموني، فقد طلبتُ العِبادةَ في كلِّ شيءٍ فما وجدتُ شيئًا أشفى لصَدري، ولا أحرى أنْ أُصيبَ به الذي أُريد من مجالسِ الذِّكْر[١].

وقال مَيمون بنُ مِهران: مادخلتُ على أُمّ الدَّرداءِ في ساعةِ صلاةٍ إلاّ وجدتُها مُصلِّيةً[٢].

وقال يونس بنُ مَيْسَرة: كُنّا نحضرُ أمَّ الدرداء، ويحضرُها نساءٌ مُتعبِّداتٌ يقمنَ الليلَ كلَّه حتى إنَّ أقدامَهنَّ قدِ انتفختْ من طُولِ القِيام[٣].

(*) ترجمتها في: التاريخ الصغير ١/٢٠٩، ٢٢٣، الجرح والتعديل ٩/٤٦٣، الثقات لابن حبان ٥/٥١٧، ابن عساكر (تراجم النساء) ٤١٨، صفة الصفوة ٤/٢٩٤، تهذيب الكمال ٣٥/٣٥٢، تذكرة الحفاظ ١/٥٣، سير أعلام النبلاء ٤/٢٧٧، تاريخ الإسلام ٣/٣١٦، العبر ١/٩٣، البداية والنهاية ٩/٤٧، غاية النهاية ت ٣٧٨٣، تهذيب التهذيب ١٢/٤٦٥، طبقات الحفاظ للسيوطي ١٧.

(١) تاريخ ابن عساكر ٤٢٨، وصفة الصفوة ٤/٢٩٦، وفي تهذيب الكمال ٣٥/٣٥٥: «ولاأجري أن أدرك به ماأريد..».

(٢) تاريخ ابن عساكر ٤٢٩، صفة الصفوة ٤/٢٩٦.

(٣) صفة الصفوة ٤/٢٩٦.

وقال سعيدُ بنُ عبد العزيز: أشرفتْ أُمُّ الدَّرداءِ على وادي جهنَّم[١] ومعها إسماعيلُ بنُ عبيد الله[٢]، فقالت: ياإسماعيل، اقرَأ. فقرأَ: ﴿أفَحَسِبْتُمْ أنَّما خلَقْنَاكمْ عَبَثًا وأنَّكمْ إلينا لا ترجعون﴾[المؤمنون: ١١٥] فخرَّتْ أُمُّ الدرداءِ على وجهها، وخرَّ إسماعيلُ على وجهه، فما رَفَعَا رؤوسَهما[٣] حتى ابتلَّ ماتحتَ وجوههما من دموعِهما[٤].

وقال هِزَّان: قالتْ لي أمُّ الدرداء: ياهِزَّان، هل تدري مايقولُ الميتُ على سريره؟ فقلت: لا. قالت: إنَّه يقول: ياأهلاه، وياجيراناه، وياحملةَ سريراه، لاتغرَّنَّكم الدُّنيا كما غرَّتْني، ولاتلعبَنَّ بكم كما لعبتْ بي، فإنَّ أهلي لايَحملونَ عنِّي من وزري شيئًا، ولو حاجُّوني عند الجبَّارِ لحجُّوني. ثم قالتْ: الدُّنيا أسحرُ لقلوبِ العابدين من هاروتَ وماروت، وماآثَرَها عبدٌ قطُّ إلاَّ أضْرَعت خدَّه[٥].

رحمة اللهِ عليها ورضوانه.

* * *

---

(١) وادي جهنم: وادٍ قربَ بيتِ المقدس، أعادَه الله تعالى لأيدي المسلمين. الروض المِعطار ص٣٥٥.

(٢) في (ب): «عبد الله».

(٣) في (أ): «رؤوسيهما».

(٤) صفة الصفوة ٤/٢٩٧.

(٥) تاريخ ابن عساكر ٤٣٤، صفة الصفوة ٤/٢٩٦.

(٥٥٢) رابعة العدوية(*)

من عابداتِ البصرة، وهي أشهرُ العابداتِ وأشرفُهنَّ قدراً.

لها ألأخبارُ الجميلة، والآثارُ الحسنة، والمناقبُ الجَلِيلة. فاقتِ العُبَّادَ، وسبقتِ الزُّهَّاد، وقد أشرْنا إلى نُكَتٍ مُختصرةٍ من أخبارِها، وأقوالها.

قال عبدُ اللهِ بن عيسى: دخلتُ على رابعةَ العدويةِ فرأيتُ على وجهها النُّور، وكانتْ كثيرةَ البُكاء، فقرأ عندها رجلٌ آيةً من القرآن فيها ذِكْرُ النار، فصاحَتْ ثم سقطتْ. ودخلتُ عليها وهي جالسةٌ على قطعةِ بُوري[1] خَلَقٍ، فتكلَّمَ رجلٌ عندَها بشيءٍ، فجعلتُ أسمعُ وقْعَ دموعِها على البُوري مثل الوَكْف[2]، ثم اضطرَبَتْ وصاحَتْ، فقمنا وخرجنا[3].

وقال مسمعُ بنُ عاصم، ورِياحُ القَيسيّ: شهدنا رابعةَ وقد أتاها رجلٌ بأربعينَ ديناراً، فقال لها: تستعينينَ بها على بعضِ حوائجك. فبكتْ، ثم رفعتْ رأسَها إلى السماء، فقالت: هو يعلمُ أنِّي أستحي منه أنْ أسألَهُ الدُّنيا وهو يملِكُها، فكيفَ أُريدُ أنْ آخذَها ممَّنْ لايَمْلِكُها[3]؟

وقال محمد بن عمرو: دخلتُ على رابعةَ، وكانتْ عجوزاً كبيرةً بنتَ

(*) ترجمتها في: صفة الصفوة ٤/ ٢٧، وفيات الأعيان ٢/ ٢٨٥، سير أعلام النبلاء ٨/ ٢١٥ (٥٣)، العبر ١/ ٢٧٨، مرآة الجنان ١/ ٢٨١، الوافي بالوفيات ١٤/ ٥١، البداية والنهاية ١٠/ ١٨٦، طبقات الأولياء ٤٠٨، النجوم الزاهرة ١/ ٣٣٠، طبقات الشعراني ١/ ٦٥، الكواكب الدريّة ١/ ٢٨٥، شذرات الذهب ١/ ١٩٣.

(١) البُوري: الحَصِير المعمول بالقصب، جمع بواري، فارسي معرَّب. متن اللغة (بور).

(٢) الوكف: المطر المنهل. متن اللغة (وكف).

(٣) صفة الصفوة ٤/ ٢٧.

ثمانين سنة كأنَّها الشَّنُّ[1] تكادُ تسقطُ، ورأيتُ في بيتها كراخةً[2] بواري، ومِشجَبَ قصَبٍ فارسيّ، طولُه من الأرض قدْرَ ذراعَين، وسِتْرُ البيت جلةٌ[3] وربما كانت بُوريًّ، وحُبٌّ[4]، وكوز، ولِبْدٌ هو فراشها وهو مصلَّاها، وكان لها مِشجبٌ من قصَبٍ عليه أكفانُها. وكانت إذا ذكرتِ الموتَ انتفضَتْ وأصابَها رِعْدَةٌ. وإذا مرَّتْ بقومٍ عرفوا فيها العِبادة[5].

وقال لها رجل: ادْعي لي. فالتصقَتْ بالحائطِ، وقالت: من أنا يَرحمُكَ الله؟ أطِعْ ربَّكَ وادْعُه، فإنَّه يُجيبُ المُضطرِّين[5].

وقال سجف بنُ مَنظور: دخلتُ على رابعةَ وهي ساجدةٌ، فلمَّا أحسَّتْ بمكاني رفعتْ رأسَها، فإذا موضِعُ سجودِها كهيئةِ الماءِ المستنقع من دموعِها، فأقبلتْ عليَّ فقالت: يابُني، ألَكَ حاجة؟ فقلت: جئتُكِ لأُسلِّمَ عليك. فبكتْ وقالت: ستْرَكَ اللهمَّ، ستْرَك. ودَعَتْ بدعواتٍ، ثم قامتْ إلى الصلاةِ، وانصرَفَتْ[5].

وقال العباس بن الوليد: قالتْ رابعةُ: أستغفِرُ اللهَ من قِلَّةِ صِدقي في قولي، أستغفرُ الله[5].

وقال أزْهر بنُ مروان: دخلَ على رابعةَ رياحٌ القيسيُّ، وصالحُ بنُ عبد الجليل، وكلاب، فتذاكروا الدُّنيا، فأقبلوا يذُمُّونَها، فقالت رابعة: إنِّي لأرَى الدُّنيا بترابيعِها في قلوبِكم. قالوا: ومن أين توهَّمْتِ علينا؟ قالت: إنَّكم نظرتم إلى أقربِ الأشياء من قلوبكم، فتكلَّمتم فيه[6].

---

(١) الشَّنُّ: القِرْبةُ الخَلَقُ الصغيرة. القاموس (شنن).

(٢) الكراخة: الشقة من البواري. والبواري تقدم التعريف به. متن اللغة (كرخ، بور).

(٣) في صفة الصفوة: «جلد».

(٤) الحُبُّ: الجَرَّة، أو الضخمة منها. القاموس (حبب).

(٥) صفة الصفوة ٤/٢٨.

(٦) صفة الصفوة ٤/٢٨ ـ ٢٩.

ورويَ أنَّ أبا سُليمانَ الهاشميَّ كان له دخلٌ بالبصرةِ في كلِّ يومٍ ثمانون ألفَ درهم، فبعثَ إلى علماءِ البصرةِ يستشيرُهم في امرأةٍ يتزوَّجُها، فأجمعوا على رابعةَ العدويّة، فكتبَ إليها: بسم اللهِ الرحمن الرحيم، أما بعد، فإنَّ الذي هو مُلكي في غلَّةِ الدُّنيا في كلِّ يومٍ ثمانونَ ألفَ درهم، وليسَ يمضي إلاَّ قليل حتى أُتِمَّها مئةَ ألفٍ إنْ شاءَ الله تعالى. وأنا أخطُبُكَ إلى نفسِك، وقد بذَلْتُ لكِ من الصَّدَاقِ مئةَ ألف درهم، وأنا مُصَيِّرٌ إليكِ بعد ذلك أمثالَها، فأجيبيني.

فكتبتْ إليه: بسم اللهِ الرحمن الرحيم، أمَّا بعد، فإنَّ الزُّهدَ في الدنيا يُريحُ القلبَ والبدَن، والرَّغبةَ فيها تورثُ الهمَّ والحَزَن، وإذا أتاكَ كتابي فهيِّئْ زادَك، وقدِّمْ لمعادِك، وكُنْ وصيَّ نفسِك، ولاتجعلْ وصيَّكَ إلى غيرِك[1]، وصُمْ دَهرَك، واجعلْ الموتَ فِطرَك. فما يَسُرُّني أنَّ اللهَ تعالى خوَّلَني أضعافَ ماخوَّلك، ويشغَلُني بك عنه طرفةَ عينٍ، والسلام[2].

وقال أبو جعفر المَدِيني: قيل لرابعة[3]: هل عملتِ عملاً ترَيْنَ أنَّهُ يُقبَلُ منك؟ قالت: إنْ كان فمخافتي أنْ يُرَدَّ عليَّ.

وقال جعفر بن سليمان: أخذَ بيدي سفيانُ الثَّوريُّ فقال: مُرَّ [بنا] إلى المؤدِّبةِ التي لاأجدُ مَنْ أستريحُ إليه إذا فارقتُها. فلمَّا دخلْنا عليها رفعَ سُفيانُ يدَه، وقال: اللهمَّ، إنِّي أسألُكَ السلامة. فبكتْ رابعةُ، فقال لها: مايُبكيكِ؟ قالت: أنتَ عرَّضْتَني للبُكاء. فقال لها: وكيف؟ قالتْ: أمَا علمتَ أنَّ السلامةَ من الدُّنيا تَركُ مافيها، فكيف وأنتَ مُتلطِّخٌ بها؟ فقال

---

(١) في (أ): «وصيك غيرك».

(٢) وفيات الأعيان ٢/٢٨٦.

(٣) في صفة الصفوة ٤/٢٩: «أبو جعفر المديني، عن شيخ من قريش، قال: قيل لرابعة...».

الثَّوريُّ: واحُزْناه. فقالت: لاتكْذِبْ. قل واقِلَّةَ حُزناه، لو كنتَ مَحْزونًا ماهنَّاكَ العيش[1].

وقال جعفرُ بنُ سليمان: سمعتُ رابعةَ تقول لسفيان: إنَّما أنتَ أيامٌ معدودة، فإذا ذهبَ يومٌ ذهبَ بعضُك، ويُوشكُ إذا ذهبَ البعضُ أنْ يذهبَ الكلُّ، وأنت تعلمُ، فاعمَلْ[1].

وقالتْ عبدةُ بنتُ أبي شوَّال، وكانتْ من خِيارِ إماءِ الله، وكانت تخدمُ رابعة، قالت: كانت رابعةُ تُصلِّي الليلَ كلَّه، فإذا طلعَ الفَجْرُ هجَعَتْ في مُصلاَّها هَجْعَةً خفيفةً حتى يُسفِرَ الفَجر، فكنتُ أسمعُها تقولُ إذا وثَبَتْ من مَرْقَدِها وهي فزعة: يانفسُ كم تنامِين؟ وإلى كم تقومِين؟ يُوشكُ أنْ تنامي نَوْمَةً لاتقومِين منها إلاَّ لصرخةِ يوم النُّشُور. قالت: وكان هذا دَأْبها دهرَها حتى ماتَتْ، فلمَّا حضرتْها الوفاةُ دَعَتْني، فقالت: ياعبدة، لاتُؤْذِني بموتي أحدًا، وكفِّنيني في جُبَّتي هذه، جبَّة من شعَرٍ كانتْ تقومُ فيها إذا هدَأَتِ العيون، قالت: فكفَّنَّاها في تلك الجُبَّة وخمارِ صوفٍ كانتْ تلبَسُه.

قالت عبدة: ورأيتُها بعد ذلك بسنةٍ أو نحوِها في منامي عليها حُلَّةُ إستبرَقٍ خضراء، وخمارٌ من سُنْدُسٍ أخضر، لم أرَ شيئًا قطُّ أحسنَ منه. فقلت: يارابعة، مافعلتِ الجُبَّةُ التي كفَّنَّاكِ بها، والخمارُ الصُّوف؟ قالت: إنَّه - والله - نُزِعَ عنِّي، وأُبدِلْتُ به هذا الذي تَرَيْنَهُ عليَّ، وطُويَتْ أكفاني وخُتِمَ عليها، ورُفعتُ في عِلِيِّين ليكملَ لي بها ثوابها يوم القيامة. فقلتُ لها: ألهذا كنتِ تعملينَ أيامَ الدُّنيا؟ فقالت: وماهذا عندما رأيتُ من كرامةِ اللهِ عزَّ وجلَّ لأوليائه! قلتُ: فما فعلتْ عبيدة[2] بنت أبي الكلاب؟ فقالت: هَيهات هيهات، سبقتْنا واللهِ إلى الدَّرَجاتِ العُلى. قلت: وبمَ، وقد كنتِ

---

(١) صفة الصفوة ٤/ ٢٩.

(٢) في (ب): «عبدة»، وكذا هي في صفة الصفوة ٢/ ٣٠، وهو تصحيف، وانظر ترجمتها صفحة ٢٧٠ من هذا الجزء.

عند الناسِ أكثرَ منها؟ قالت: إنَّها لم تكنْ تُبالي على أيِّ حالٍ أصبحَتْ[1] من الدُّنيا، وأمستْ. قلتُ: فما فعلَ أبو مالك ـ تعني ضَيْغَمًا ـ؟ قالت: يَزورُ اللهَ عزَّ وجلَّ متى شاء. قلتُ: فما فعل بِشرُ بنُ منصور؟ قالت: بخٍ بخٍ! أُعطيَ واللهِ فوقَ ماكان يأمُل. قلت: فمُريني بأمرٍ أتقرَّبُ به إلى اللهِ عزَّ وجلَّ. قالت: عليكِ بكثرةِ ذِكرِه، يُوشكُ أن تغتبطي بذلك في قبرِك[2].

رحمة اللهِ عليها ورضوانه آمين.

(٥٥٣) رابعةُ بنت إسماعيل(*)

ويقال: رائعة. من عابداتِ الشَّام، وهي زوجةُ أحمدَ بنِ أبي الحَوارِيّ.

قال أحمد: قلتُ لرابعةَ امرأتي، وقد قامتْ بليلٍ: قد رأينا أبا سليمان وتعبَّدْنا معه، مارأينا من يقومُ من أوَّلِ الليل. فقالت: سبحانَ الله! مِثلُكَ من يتكلَّمُ بهذا؟ إنَّما أقومُ إذا نُوديتُ[3].

قال: وجلستُ آكُلُ وجَعَلَتْ تذكِّرُني، فقلتُ لها: دَعينا يَهنينا طعامُنا. قالتْ: ليسَ أنا وأنتَ ممَّن يتنغَّصُ عليه الطعامُ عند ذِكرِ الآخرة[3].

وقال: قالت لي رابعة: أعلمتَ أنَّ العبدَ إذا عَمِلَ بطاعةِ اللهِ أطلَعَهُ الجبَّارُ على مساوئِ عملِه فيتَشاغَلُ به دونَ خَلقِه؟[4].

---

(١) في (ب): «على أي حالٍ كان أصبحت».

(٢) صفة الصفوة ٤/٢٩، ٣٠.

(*) ترجمتها في: صفة الصفوة ٤/٣٠٠، مختصر تاريخ دمشق ٨/٣٤٧، سير أعلام النبلاء ٨/٢١٧ (٥٤)، مرآة الجنان ٢/١٥٤، طبقات الأولياء ٣٥، طبقات الشعراني ١/٦٦، الكواكب الدُّرِّيَّة ١/٢٩١، شذرات الذهب ٢/١١٠.

(٣) صفة الصفوة ٤/٣٠١، مختصر تاريخ دمشق ٨/٣٤٩.

(٤) صفة الصفوة ٤/٣٠١، مختصر تاريخ دمشق ٨/٣٤٨.

وقال: سمعتُ رابعةَ تقول: إنّي لأضَنُّ باللُّقمةِ الطَّيِّبةِ أنْ أُطعِمَها نفسي، وإنّي لأرى ذراعي قد سمِنَ فأحزنُ. قال: وربّما قلتُ لها: أصائمةٌ أنتِ اليوم؟ فتقول: ومامِثلي يُفطِرُ في الدنيا[1].

قال: وربّما نظرتُ إلى وجهها ورَقبتِها، فيتحرّكُ قلبي على رؤيتِها مالايتحرّكُ مع مُذاكرتي أصحابنا، من أثرِ العبادة[1].

قال: وقالتْ لي: لستُ أُحِبُّكَ حبَّ الأزواج، إنما أُحِبُّكَ حبَّ الإخوان، وإنّما رغبتُ فيك رغبةً في خِدمتِك، وإنّما كنتُ أُحِبُّ وأتمنّى أنْ يأكلَ مالي مثلُك ومثلُ إخوانِك. قال أحمد: وكان لها سبعةُ آلافِ درهم، فأنفقَتْها عليَّ[1].

قال: وكنتُ إذا أردتُها نَهارًا، قالت: أسألكَ باللهِ لاتُفطِّرْني اليوم. وإذا أردتُها ليلاً، قالت: أسألُكَ باللهِ لما وهبتَني للهِ الليلة[1].

وقال: سمعتُ رابعةَ تقول: ماسمعتُ الأذانَ إلاّ ذكرتُ مُناديَ القيامةِ، ولارأيتُ الثّلجَ إلاّ ذكرتُ تطايُرَ الصُّحُف، ولارأيتُ جَرادًا إلاّ ذكرتُ الحَشر[2].

وقال: كانت لرابعةَ أحوالٌ شتّى: فمرّةً يَغلِبُ عليها الحُبُّ، ومرّةً يغلِبُ عليها الأنس، ومرّةً يغلبُ عليها الخَوف[3].

وقال: قالتْ لنا رابعة: نَحُوا عنّي ذلك الطَّسْتَ؛ فإنما عليه مكتوب: ماتَ أميرُ المؤمنين هارونُ الرشيد. فنظروا فإذا قد ماتَ ذلك اليوم[4].

وقال: دعوتُ رابعةَ يومًا فلم تُجِبْني، فلمّا كانَ بعدَ ساعةٍ أجابتني

---

(١) صفة الصفوة ٤/٣٠٢.

(٢) صفة الصفوة ٤/٣٠٢، مختصر تاريخ دمشق ٨/٣٤٩.

(٣) صفة الصفوة ٤/٣٠١، مختصر تاريخ دمشق ٨/٣٤٩.

(٤) صفة الصفوة ٤/٣٠٣.

وقالت: إنَّما مَنعني من أنْ أُجيبَك أنَّ قلبي قد كان امتلأ فرَحًا بالله، فلم أقدِرْ أنْ أُجيبك[1].

رحمة اللهِ عليها ورضوانه آمين.

(٥٥٤) رُقيَّة المَوْصِليّة(*)

قال منصور بن محمد: قالت رُقيَّةُ العابدة المَوْصلية: إنِّي لأُحبُّ ربِّي حُبًا شديدًا، فلو أمرَ بي إلى النارِ ماوجدتُ للنارِ حرارةً مع حُبِّه، ولو أمرَ بي إلى الجنةِ لما وجدتُ للجنَّةِ لَذَّةً مع حُبِّه؛ لأنَّ حبَّه هو الغالبُ عليَّ.

وقال فتحُ الموصلي: سمعتُ امرأةً متعبِّدَةً عندنا تقول: إلٰهي، لو أنَّكَ عذَّبْتني بعذابِك كلِّه لكانَ مافاتَني من قُرْبِكِ أعظمَ عندي من العذاب، ولو نعَّمتني بنعيمِ الجَنَّةِ كلِّه كان لَذَّةُ حُبِّكَ في قلبي أكثر.

وقال محمد بن كثير المِصِّيصي: قالت رُقَيَّةُ العابدةُ، وكانت بالموصل: حرامٌ على قلبٍ فيه رهبانيَّةُ المخلوقين أن يَذوقَ حلاوةَ الإيمان. شَغَلوا قلوبَهم بالدُّنيا عن الله، ولو تركوها لجالتْ في الملكوتِ، ورجعَتْ إليهم بطُرَفِ الفوائد.

وكانت تقول: تفقَّهوا في مذاهبِ الإخلاص، ولاتفقَّهوا مالا يؤدِّيكم[2] إلى ركوبِ القِلاص[3].

رحمة اللهِ عليها ورضوانه.

---

(١) صفة الصفوة ٤/٣٠٣.

(*) ترجمتها في: صفة الصفوة ٤/١٩٠، وأخبارها فيه، الكواكب الدرية ١/٢٩٣.

(٢) في صفة الصفوة: «فيما يؤديكم».

(٣) القلاص: واحدتها قَلُوص، من الإبل الشابَّة.

(٥٥٥) امرأةُ رياح القيسي(*)

قال أبو يوسف البَزّاز: تزوَّجَ رياحُ القيسيُّ امرأةً، فبَنَى بها، فلمّا أصبحَ قامتْ إلى عَجينها. فقال: لو نظرتِ امرأةً تكفيكِ هذا؟ فقالت: إنَّما تزوَّجتُ رياحًا القيسيَّ ولم أُراني تزوَّجتُ جبَّارًا عنيدًا. فلمَّا كان الليلُ نامَ ليختبِرَها، فقامتْ رُبُعَ الليل، ثم نادَتْهُ: قُمْ يارياح. فقال: أقومُ. فلم يَقُمْ، فقامتِ الرُّبُعَ الآخر، ثم نادَتْهُ فقالت: قُمْ يارياح. فقال: أقوم. فلم يقمْ، فقامتِ الرُّبُعَ الآخر، ثم نادَتْهُ: قمْ يارياح. فقال: أقوم. فقالت: مَضى الليلُ وعَسْكرُ المحسِنين[1]، وأنت نائمٌ، ليتَ شعري من غَرَّني بك يارياح؟ ثم قامتِ الرُّبُعَ الباقي.

وقال رياح: اغتمَمْتُ مرَّةً في شيءٍ من أمرِ الدُّنيا، فقالت: أراكَ تغتمُّ لأمرِ الدُّنيا. غرَّني منكم شُميط. وكان شُميطٌ قد زوَّجَهُ بها. ثم أخذتْ هُدبةً من مِقْنَعتِها[2]، وقالت: الدُّنيا أهونُ عليَّ من هذه.

وقال رياح: ذُكرتْ لي امرأةٌ فتزوَّجْتُها، فكانتْ إذا صلَّتِ العشاءَ الآخرة تطيَّبَتْ وتدخَّنَتْ[3]، ولبِسَتْ ثيابَها، ثم تأتيني فتقول: ألكَ حاجة؟ فإنْ قلتُ: نعم، كانت معي، وإنْ قلتُ: لا، قامتْ فنزَعَتْ ثيابَها، ثم صفَّتْ بين قدميها حتى تُصبح. قال رياح: فقبحتني والله. يعني قهرَتْني[4].

(*) ترجمتها في: صفة الصفوة ٤/٤٣، الطبقات الكبرى للشعراني ١/٦٦، الكواكب الدرية ١/٢٣٢.

(١) في صفة الصفوة ٤/٤٤: «وعسكرَ المحسنون».

(٢) الهُدْبَةُ: القطعةُ. والمِقْنَعة: ماتُغَطِّي به المرأةُ رأسَها. متن اللغة(هدب، قنع).

(٣) في (ب): «تطيبت وتزينت».

(٤) في (أ): «ففتحتني».

رحمة اللهِ عليها ورضوانه.

(٥٥٦) زُجْلَةُ العابدة(*)

من عابداتِ البصرة.

قال أحمد بن سهل الأزدي: دخلَ على زُجْلَةَ العابدةِ نفرٌ من القُرّاء، فكلَّموها في الرِّفقِ بنفسِها، فقالت: مالي وللرِّفقِ بها، إنَّما هي أيامٌ مُبادرة، فمن فاتَه اليومَ شيءٌ لم يُدرِكه غدًا. واللهِ لأصلِّيَنَّ للهِ ماأقلَّتني جوارحي، ولأصومَنَّ له أيامَ حياتي، ولأبكينَّ له ماحملتِ الماءَ عيناي. ثم قالت: أيُّكم يأمرُ عبدَه بأمرٍ[1] فيحبُّ أن يقصِّرَ فيه؟

وقال أبو عتبة الخَوّاص: دخلنا على زُجْلةَ العابدة، وكانتْ قد صامتْ حتى اسودَّتْ، وبَكتْ حتى عَمشتْ، وصلَّتْ حتى أُقعدَتْ، فكانتْ صلاتُها قاعدةً. فسلَّمْنا عليها، ثم ذاكرناها[2] شيئًا من العفو، أردْنا أنْ نُهوِّنَ عليها الأمرَ هناك، فشهقتْ، ثم قالت: عِلْمي بنفسي قرَّحَ فؤادي، وكَلَمَ قلبي. واللهِ لوَدِدْتُ أنَّ الله لم يخلقْني ولم أكُ شيئًا مذكورًا. ثم أقبلتْ على صلاتِها وتركتْنا، فخرجْنا من عندِها.

وقال كُليب بن عيسى: كانت زُجلةُ لاترفعُ بصرَها إلى السماء، وكانت تخرجُ إلى الساحِل فتغسِلُ ثيابَ المرابطين.

وقال سعيدُ بنُ عبد العزيز: مابالشامِ ولابالعراق أفضلُ من زُجْلَة.

رحمة اللهِ عليها ورضوانه.

(*) ترجمتها في: صفة الصفوة ٤/ ٤٠، مختصر تاريخ دمشق ٩/ ١٧٢، الطبقات الصغرى للمناوي ٤/ ٢٩٥.

(١) في (ب): «بشيء».

(٢) في صفة الصفوة ٤/ ٤٠: «ذكَّرناها».

(٥٥٧) زهراء الوالهة(*)

قال ذو النون المِصري: بينا أنا في بعضِ أودِيةِ بيتِ المقدس، إذْ سمعتُ صوتًا يقول: ياذا الأيادي التي لاتُحصى، وياذا الجُودِ والبَقاء، مَتِّعْ بصرَ قلبي بالجَوَلانِ في بساتينِ جَبروتِكَ، فاجعلْ همَّتي مُتَّصلةً بجودِ لُطفِكَ يالطيف، وأعذْني من مسالِكِ المُتحيِّرين بجلالِ بهائكَ يارؤوف، واجعلني لكَ في الحالاتِ خادِمًا وطالبًا، وكُنْ لي يامُنوِّرَ قلبي وغايةَ طلبي في الفضلِ صاحبًا.

قال ذو النون: فطلبتُ الصَّوتَ حتى ظهرَ، فإذا امرأةٌ كأنَّها العُودُ المحترق، وعليها دِرْعٌ من الصُّوف، وخِمارٌ من الشعر أسود، قد أفناها الجَهد، وأضناها الكَمَدُ، وذَوَّبها الحبُّ، وقتلَها الوَجْدُ. فقلتُ لها: السلامُ عليك. فقالت: وعليك السلامُ ياذا النون. فقلتُ: لاإلٰه إلاَّ الله، كيفَ عرفتِ اسمي ولم ترَيْني؟ قالت: كشفَ عن سِرِّي الحبيبُ، فرفعَ لقلبي حِجابَ العَمَى، فعرَّفَني اسمَك. فقلتُ: ارجِعي إلى مُناجاتِكِ. فقالت: أسألُكَ ياذا البَهاء، أنْ تصرِفَ عنِّي شرَّ ماأجِدُ، فقد استوحشتُ من الحياة. ثم خرَّتْ ميتةً. فبَقِيتُ مُتحيِّرًا مُتفكِّرًا. فأقبلتْ عجوزٌ كالوالِهة، فنظرتْ إليها، ثم قالت: الحمدُ للهِ الذي أكرمها. فقلت: من هذه؟ فقالت: ألم تسمعْ بزهراءَ الوالهة؟ هذه ابنتي توهَّمَ الناسُ منذُ عشرين سنةً أنَّها مجنونة، وإنَّما قتلَها الشَّوقُ إلى ربِّها.

رحمة اللهِ عليها ورضوانه.

(*) ترجمتها في: صفة الصفوة ٤/٣٥٣، روض الرياحين ١١٢ (الحكاية ٤٠)، الكواكب الدرية ١/٦١٦.

(٥٥٨) سَويّة اليمانيّة(*)

قال الحُميدي: حدَّثنا أبو هشام رجلٌ من قريشٍ من بني عامر قال: قدِمَتْ علينا امرأةٌ من اليمن يُقالُ لها سَوية، فنزَلَتْ في بعضِ رِباعِنا وكنتُ أسمعُ لها من الليلِ نَحِيبًا وشهيقًا، فقلتُ للخادِمةِ: أشرفي على هذه المرأةِ فانظري ماتصنع؟ فأشرَفتْ فإذا هي قائمةٌ مستقبلةٌ القِبْلة، رافعة رأسَها إلى السماء، فقلت: ماتصنَعُ؟ قالت: ماأُراها تصنعُ شيئًا غيرَ أنَّها لاتردُّ طرفَها عن السماء. فقلت: اسمعي ماتقول. قالت: ما أفهمُ كثيرًا من قولِها، غيرَ أنِّي أسمعُها تقول: أراكَ خلقْتَ سَويَّةَ من طينةٍ لازِبة، وغمرتَها بنعمتِكَ، تغذوها من حالٍ إلى حال، وكلُّ أحوالِكَ لها حسنة، وكلُّ بلائكَ عندها جميل، وهي مع ذلك مُتعرِّضةٌ لِسُخطِك بالتَّوثُّبِ على معاصيك، فلتةً في إثرِ فلتة، أترى أنَّها تظنُّ أنَّكَ لاترى سوءَ فعالِها؟ بلى وأنتَ على كلِّ شيءٍ قدير. ثم صرَخَتْ وسقطَتْ، ونزلَتِ الجاريةُ، فأخبرَتْني بسقطَتِها، فلمَّا أصبحنا نظرنا، فإذا هي قد ماتتْ.

رحمها الله.

* * *

(*) ترجمتها في: صفة الصفوة ٢/ ٣٠٢.

(٥٥٩) شَعْوَانة(*)

من عابدات الأُبُلَّة(١).

قال أبو عَوْن معاذُ بنُ الفضل: بكتْ شَعوانةُ حتى خِفنا عليها من العَمَى، فقلنا لها في ذلك، فقالت: أعمَى ـ واللهِ ـ في الدنيا من البُكاء أحبُّ إليَّ من أنْ أعمَى في الآخرةِ من النار.

وقال مالكُ بنُ ضَيغَم: كان رجلٌ من أهلِ الأُبُلَّة يأتي أبي كثيرًا، فيذْكُرُ له شَعوانةَ وكثرةَ بكائها؛ فقال له أبي يومًا: صِفْ بكاءَها. فقال: يا أبا مالك(٢) ماأصِفُ لك؟! هي واللهِ تبكي الليلَ والنهارَ لاتكادُ تفتُر. قال: ليس عن هذا أسألُك، إنما أسألُكَ كيفَ تبتدئُ بالبكاء؟ قال: نعم يا أبا مالك(٢)، تسمعُ الشيءَ من الذِّكر فترى الدُّموعَ تحدَّرُ من جفونِها كالقَطْر. قال: فمجاري الدُّموع من المآقي الذي على الأنفِ أكثر أم من مُؤخَّرِ العين ممَّا يلي الصُّدْغ. قال: إنَّ دُموعَها أكثرُ من أن يُعرفَ هذا من هذا، ماهي إلاَّ أنْ تسمعَ الذِّكرَ فتجيء عيناها بأربعٍ سجومًا متبادرةً جدًّا، فبكى أبي وقال: ماأرى الخَوفَ إلاَّ قد أحرقَ قلبَها كُلَّه، ثم قال: كان يُقال إنَّ كثرةَ الدُّموعِ وقلَّتَها على قدر احتراقِ القلبِ، حتى إذا احترقَ القلبُ كلُّه لم يشأِ الحزينُ أن يبكي إلاَّ بكى، والقليلُ من التذكرةِ يجزئه.

(*) ترجمتها في: صفة الصفوة ٤/٥٣، روض الرياحين ٢٥٧ (الحكاية ١٨٩)، ٥١٦ (الحكاية ٤٧٥)، البداية والنهاية ١٠/١٦٦، طبقات الشعراني ١/٦٧، الكواكب الدرية ١/٣٢٧، الدر المنثور ٢٥٦.

(١) الأُبُلَّة: بلدةٌ على شاطئ دجلة البصرة، في زاويةِ الخليج الذي يدخلُ إلى مدينة البصرة. معجم البلدان.

(٢) في (ب): «يامالك».

قال مالك بن ضيغم: وقال لي أبي يومًا: انطلقْ مع مَنبوذٍ حتى تأتيَ هذه المرأةَ الصالحةَ فتنظرَ إليها ـ يعني شعوانة ـ قال: فانطلقتُ أنا وأبو هَمَّام إلى الأُبُلَّةِ ثم غَدَوْنا عليها، فدخلْنا فسلَّمَ عليها مَنبوذٌ، وقال: هذا ابنُ أخيك ضيغم. فرحَّبتْ بي وتحفَّتْ، وقالت: مرحبًا بابنِ مَنْ لم نَرَهُ ونحنُ نحبُّه. أما واللهِ يابُنيّ، إنّي لمُشْتاقةٌ إلى أبيك، ومايمنَعني من إتيانِه إلاّ أنّي أخافُ أن أُشغلَه عن خدمةِ سيّدِه، فخدمةُ سيّده أَوْلى به من مُحادثةِ شَعوانة، ثم قالت: ومَنْ شَعوانة؟ وماشَعوانة؟ أَمَةٌ سَوداءُ عاصيةٌ. ثم أخذَتْ في البُكاء، فلم تزلْ تبكي حتى خرجنا، وتركناها.

وقال يحيى بن بسطام: كنتُ أشهدُ مجلسَ شَعوانة كثيرًا، فكنتُ أرى ماتصنَعُ بنفسها، فقلتُ لصاحبٍ لي يُقال له عمران بن مسلم: لو أتيناها إذا خَلَتْ. فانطلقتُ أنا وهو إلى الأُبُلّة، فاستأْذَنّا عليها، فأذِنتْ لنا، فإذا منزلٌ رثُّ الهيئة، أثرُ الجدبِ عليه بَيِّنٌ. فقال لها صاحبي: لو رفَقْتِ بنفسِك، فقصَّرْتِ عن هذا البُكاء شيئًا كانَ أقوى لكِ على ماتُريدين. فبكتْ، ثم قالت: واللهِ لوَدِدْتُ أنّي أبكي حتى تنفدَ دُموعي، ثم أبكي الدِّماءَ حتى لايَبقى في جسدي جارحةٌ فيها قطرةٌ من دَمٍ، وأنّى ليَ بالبُكاء؟ فلم تزلْ تردِّدُ ذلك حتى انقلَبَتْ حدَقَتاها، ثم مالتْ ساقطةً مَغشيًا عليها، فخرجْنا وتركناها على تلك الحال.

وقال مُضر: مارأيتُ أحدًا أقوى على كثرةِ البُكاءِ من شَعْوانة، ولاسمعتُ صوتًا قطُّ أحرقَ لقلوبِ الخائفين من صوتِها إذا هي نَشَجَتْ، ثم نادت: ياموتى وبَني الموتى، وإخوةَ الموتى.

وقال محمد بن الحسين: قلتُ لأبي عمرٍو الضَّرير: أتيتَ شَعوانة؟ قال: قد شهدتُ مجلسَها مِرارًا، ماكنتُ أفهمُ ماتقولُ من كثرةِ بكائها. قلت: فهل تحفظُ من كلامِها شيئًا؟ قال: ماحفِظتُ من كلامِها شيئًا أذكرُهُ الساعةَ إلاّ شيئًا واحدًا. قلتُ: ماهو؟ قال: سمعتُها تقول: من استطاعَ

منكم أن يبكيَ فلْيَبْكِ، وإلاّ فليرحَمِ الباكي؛ فإنَّ الباكي إنَّما يبكي لمعرفته بما أتى إلى نفسه[1].

وقال الحارثُ بنُ المُغيرة: كانت شَعوانة تَنوح بهذين البيتين:

يُـؤمِّـلُ دُنيـا لتبقَـى لـه ... فَـوافَـى المنيَّـةَ قَبْـلَ الأمَـلْ
حَثِيثًـا يُـروِّي أُصـولَ الفَسيـلِ[2] ... فعـاشَ الفَسيـلُ ومـاتَ الـرَّجُـلْ

وقال ابنُ أبي الدُّنيا: كانتْ شَعوانةُ تُردِّدُ هذا البيت فتبكي، وتُبْكي النُّسَّاكَ معها تقول:

لقـد أمِـنَ المَغْـرُورُ دارَ مقـامـه ... ويُوشِكُ يومًا أن يَخافَ كما أَمِنْ

وقال الفُضيلُ بنُ عِياض: قدِمَتْ شَعوانةُ فأتيتُها، فشكَوتُ إليها وسألْتُها أنْ تدعوَ بدعاءٍ فقالت: يافُضَيل، أما بينك وبينَ اللهِ ماإنْ دَعوتَه[3] استجابَ لك؟ قال: فشَهِقَ الفُضيلُ شَهقَةً، فخرَّ مَغشيًّا عليه.

رحمة الله عليها ورضوانه.

(٥٦٠) أمُّ طَلْق(*)

من عابداتِ البصرة.

قال محمد بنُ سِنان الباهليّ: كانتْ أُمُّ طَلْقٍ تُصلِّي في كلِّ يومٍ وليلةٍ أربعَ مئةِ ركعة، وتقرأُ من القرآنِ ماشاءَ الله.

---

(١) في (ب): «على نفسه».

(٢) الفَسْل: قضبان الكرم للغرس. القاموس (فسل).

(٣) في روض الرياحين: أما بينك وبين الله سريرة ما إنْ دعوتَهُ

(*) ترجمتها في: صفة الصفوة ٤/ ٣٧.

وقال عاصم الجَحْدَرِيُّ: كانتْ أُمُّ طلقٍ تقول: ماملَكْتُ نفسي ماتشتهي منذُ جعلَ اللهُ لي عليها سُلطانًا.

وقال سُفيانُ بنُ عُيينة: قالت أُمُّ طلقٍ لطلق: ماأحسنَ صوتَكَ بالقرآن! فليتَهُ لايكونُ عليك وَبالاً يومَ القيامة. فبكى حتى غُشيَ عليه.

وقال عاصم الجَحْدَريّ: كانتْ أُمُّ طلقٍ تقول: النَّفسُ مَلِكٌ إنْ تبعْتَها، ومملوكٌ إنْ أتعَبْتَها.

رحمة اللهِ عليها ورضوانه آمين.

(٥٦١) عاتكةُ المَخْزوميّة(*)

من عابداتِ البوادي.

قال ابنُ أبي الدُّنيا بإسنادِهِ: بكتِ امرأةٌ من بني مَخزوم يُقالُ لها عاتكةُ حتى ذهبَ بصَرُها، فعُوتبتْ في ذلك، وقيل لها: مابعدَ ذهابِ البصرِ شيء؟ فقالت: مايَنبغي للمُخوَّفِ بالنَّارِ أنْ تجفَّ له دمعةٌ حتى يَعرفَ موقعَ الأمانِ[1] من ذلك. فلم تَزَلْ على ذلك البُكاء حتى ماتت.

رحمة اللهِ عليها روضوانه.

(٥٦٢) عاتكةُ الغَنَويّة(**)

من عابداتِ البوادي.

قال ابن أبي الدُّنيا بإسنادِهِ: قال ضِرار: لقِيَتْني امرأةٌ من غَنِيّ[2]، عابدةٌ

(*) ترجمتها في: صفة الصفوة ٤/ ٣٨٧.

(١) في (أ): «الإيمان».

(**) ترجمتها في: صفة الصفوة ٤/ ٣٩٠، والكواكب الدرية ١/ ٣٩٠.

(٢) غني اسم قبيلة من غَطَفان، وهو جدٌّ من أجداد العرب، واسمه غني بن يعصر. انظر الأنساب ٩/ ١٨٤. ولسان العرب (غني).

يُقالُ لها عاتكة، فقالتْ: ياضِرار، توسَّلْ إلى مولاكَ بجميعِ مايُمكنُك من الوسائل؛ فإنَّكَ تجدُ ذلك لك مَوْفورًا عند حلول الأمورِ الجلائل، وانقطِعْ إليه في حوائجكَ لديه يَأْتِ لكَ عليها على غيرِ تعبٍ منك ولانَصَب، واعلمْ أنّه لن يَنال المطيعونَ في الدُّنيا لذَّةً أحلى في صُدورهم من الازدياد للهِ في طاعتهِ بقُربِه. ولَحلاوةُ ساعةٍ من مُطيعٍ ألَذُّ في قلوبِ المُريدين من جميعِ ماأُخرج إلى الدُّنيا من زهرةٍ ولذَّة، ولن يجدَ المريدُ للهِ فَقْدَ[1] شيءٍ تركه رجاءَ ثوابِ الله. فجِدَّ أيْ أخي، قبلَ أن لايمكنك الجِدّ، وبادِرْ قبلَ فَوتِ المُبادرة؛ فإنَّ الدُّنيا لاتطيبُ لعارفها، وإنَّما تورَّطَهَا أهلُ الغِرَّة، وعمَّا قليلٍ فسوف يعلمون.

رحمة اللهِ عليها ورضوانه.

* * *



(٥٦٣) عائشةُ بنتُ أبي عثمانَ الحِيرِي(*)

قال أبو عبد الرحمن السُّلَمي: كانتْ عائشةُ بنتُ أبي عثمان من أزهدِ أولادِ أبي عثمان[1] وأورَعِهم، وأحسنِهم حالاً ووقتًا، وكانتْ مُجابَةَ الدَّعْوة.

وسمعتُ بنتَها أمَّ أحمد تقول: قالتْ لي أُمِّي: يابنتي، لاتفرَحِي بفانٍ، ولاتجزَعي من ذاهب؛ وافرَحِي باللهِ عزَّ وجلَّ، واجزَعي من سُقوطِك من عين اللهِ عزَّ وجلَّ.

قال: وسمعتُها تقول: قالت لي أُمِّي: الزَمِي الأدَبَ ظاهرًا وباطنًا، فما

---

(١) في (أ): المريد لله في فقد.

(*) ترجمتها في: صفة الصفوة ٤/ ١٢٥، الكواكب الدرية ٢/ ١٢١.

(١) أبو عثمان الحيري هو سعيد بن إسماعيل، تقدَّمت ترجمته.

أساءَ أحدٌ الأدَبَ في الظاهر إلاَّ عُوقب في الظاهر، وماأساءَ أحدٌ الأدبَ في الباطن إلاَّ عُوقب في الباطن.

وقالت عائشة: من استوحشَ من وحدته فذاكَ لقلَّةِ أُنسِهِ بربِّه.

وقالت: من تهاوَنَ بالعبيدِ فهو لقلَّةِ معرفتِه بالسيِّدِ، ومن أحبَّ الصانِعَ أحبَّ صنعتَه.

رحمة اللهِ عليها ورضوانه.

(٥٦٤) عائشة المَكِّيَّة(*)

قال أبو عُبيد القاسم بن سلام: دخلتُ مكةَ فكنتُ ربَّما أقعدُ بحذاءِ الكعبة، وربما كنتُ أستلقي وأمُدُّ رجليَّ. فجاءتْني عائشةُ المكيَّة، وكانتْ من العابداتِ ممَّن صحبَ الفُضيل، فقالت لي: ياأبا عُبيد، يقالُ إنَّكَ عالم، اقبَلْ منِّي كلمةً: لاتجالسْهُ إلاَّ بأدَب، فيمحو[1] اسمَكَ من ديوانِ القُرْب.

(٥٦٥) عبدةُ أختُ أبي سليمان الداراني(**)

قال أبو سُليمان: سمعتُ أُختي تقول: الفُقراءُ كلُّهم أمواتٌ إلاَّ من أحياهُ اللهُ بعزِّ القناعةِ والرِّضا بفقره.

وقالت أمُّ البنين بنتُ عبد العزيز بن مروان: وُصِفَتْ لأُختي عبدةَ قنطرةٌ من قناطِرِ جهنَّم، فأقامتْ يومًا وليلةً في صَيْحَةٍ واحدةٍ ماتسكت، ثم انقطَعَ

(*) ترجمتها في: صفة الصفوة ٢/ ٢٧٥.

(١) في (ب): وإلا فيمحو.

(**) ترجمتها في: صفة الصفوة ٤/ ٣٠٠، مختصر تاريخ دمشق ٢٠/ ١٧٧، وفي (ب): «عبيدة».

عنها، فكلَّما ذُكِرتْ لها صاحتْ. قيل لها: من أيِّ شيءٍ كان صياحُها؟. قالت: مَثَّلَتْ نفسَها على القنطرةِ وهي تُكْفَأُ بها.

رحمة اللهِ عليها ورضوانه.

(٥٦٦) عُبيدة بنت أبي كلاب(*)

من عابداتِ البصرة.

قال ابنُ أبي الدُّنيا بإسنادِهِ: بكتْ عُبيدةُ بنت أبي كلاب أربعين سنةً حتى ذهبَ بصرُها.

وقال سلمةُ الأفقم: قلتُ لعُبيدةَ بنتِ أبي كلاب: ماتشتهين؟ قالت: الموت. قلتُ: ولمَ؟ قالت: لأنِّي واللهِ في كلِّ يومٍ أُصبحُ أخشى أنْ أجنيَ على نفسي جِنايةً يكون فيها عَطَبي أيَّامَ الآخرة.

وقال محمد بنُ عبد العزيز بن سُليمان: اختلفتْ عُبيدةُ وأبي إلى مالكِ ابنِ دِينار عشرين سنة، قال أبي: فما سمعتُها تسألُ مالكًا عن شيءٍ قطُّ إلاَّ مرَّةً، قالتْ: ياأبا يحيى، متى يبلغُ المُتَّقي الدرجةَ العليا التي ليس فوقَها درجة؟ قال مالك: بخٍ بخٍ! ياعُبيدة، إذا بلغَ المُتَّقي تلكَ الدرجةَ العُليا التي ليس فوقها درجة لم يكنْ شيءٌ أحبَّ إليه من القُدومِ على الله. فصرخَتْ عُبيدةُ صرخةً سقطَتْ[1] مَغْشيًا عليها.

وقال عبد الله بن رُشَيْد السَّعْديُّ، وكان قد صحِبَ عبدَ الواحدِ بن زيد قال: رأيتُ الشُّيوخَ والشَّبابَ والرِّجالَ والنِّساءَ من المتعبِّدِين، مارأيتُ امرأةً

(*) ترجمتها في: صفة الصفوة ٤/ ٣٤، طبقات الشعراني ١/ ٦٧، الكواكب الدرية ١/ ٣٩١، أعلام النساء ٣/ ٢٤٤.

(١) في (ب): خرت.

ولارجلاً أفضلَ ولاأحسَنَ عَقْلاً من عُبيدة بنت أبي كلاب.

وقال البَرَاءُ الغَنَوِيّ: ماتَتْ عُبيدةُ بنتُ أبي كلاب، وماخلَّفتْ بالبصرةِ أفضلَ منها[1].

وقالتْ عبدةُ بنت أبي شَوّال: رأيتُ رابعةَ في المنام، فقلت: مافعلتْ عُبيدةُ بنت أبي كلاب؟ فقالت: هَيهات هيهات! سبقَتْنا واللهِ إلى الدَّرَجاتِ العُلى. قلت: وبِمَ؟ وقد كنتِ عند الناسِ أكثرَ منها؟ قالت: إنَّها لم تكنْ تُبالي على ماأصبحتْ من الدُّنيا، وأمْسَتْ.

رحمة اللهِ عليها ورضوانه.

(٥٦٧) عجردة العمِّيَّة(*)

من عابدات البصرة.

قال رجاءُ بن مسلم العبدي: كنّا نكونُ مع عَجردة العمِّيَّةِ في الدار، فكانتْ تُحيي الليلَ صلاةً، فإذا كان السَّحَرُ نادتْ بصوتٍ لها مَحْزون: إليكَ قطعَ العابدون دُجَى الليل بتبكير الدَّلَجِ إلى ظُلَمِ الأسحار يستبقون إلى رحمتك، وفَضْلِ مغفرتك، فبِكَ إلٰهي لابغيرك أسألُك أنْ تجعلَني في أوَّلِ زُمرةِ السابقين إليك، وأنْ ترفعَني إليكَ في درجةِ المُقرَّبين، وأنْ تُلحِقَني بعبادِك الصالِحين، وأنتَ أكرَمُ الكُرَماء، وأرحمُ الرحماء، وأعظمُ العظماء، ياكريم. ثم تَخِرُّ ساجدةً، فلاتزالُ تبكي وتدعو في سجودِها حتى يَطلُعَ الفجر، وكان ذلك دَأْبَها ثلاثين سنة.

وقالتْ آمنةُ بنتُ يَعْلَى بن سُهيل: كانتْ عَجردةُ تَغْشانا، فتظلُّ عندَنا

---

(١) في صفة الصفوة ٤/٣٥: «البراء الغنوي يقول يوم ماتت عبيدة: ماخلَّفت».

(*) ترجمتها في: صفة الصفوة ٤/٣١.

اليومَ واليومين، وكانتْ إذا جاءَ الليلُ لبِسَتْ ثيابَها وتقنَّعَتْ، ثم قامتْ إلى المِحراب، فلاتزالُ تُصَلِّي إلى السَّحرِ فتدعو حتى يَطلُعَ الفجر. فقلتُ لها، أو قال لها بعضُ أهلِ الدار: لونمتِ من الليلِ شيئًا. فبكت، وقالتْ: ذِكْرُ الموتِ لايَدَعني أنام.

وقال جعفرُ بن سليمان عن أُمِّه قالت: رأيتُ عجردة في يوم عيدٍ، وعليها جُبَّةُ صُوفٍ، وقِناعُ صوفٍ، وكِساء صوف، فنظرتُ فإنّما هي جِلْدٌ وعظم.

قالت: وسمعتُهم يَذكرون عنها أنَّها لم تُفطرْ ستين عامًا.

رحمة الله عليها ورضوانه.

(٥٦٨) عزيزة بنت علي أمُّ أيمن(*)

من عابداتِ مِصر[١]، وهي امرأةُ أبي علي الرُّوذبَاريّ.

قال أبو عبد الرحمن السُّلمي: كانت عزيزةُ امرأةُ أبي عليٍّ تقول: كيف لاأرغَبُ في تحصيل ماعندكَ، وإليك مَرجعي؟ وكيف لاأُحِبُّكَ ومالقيتُ خيرًا إلاَّ منك؟ وكيف لاأشتاقُ إليك وقد شوَّقْتَني إليك؟

وقال: قالتْ: لاينتفعُ العبدُ بشيءٍ من أفعالِه كما ينتفعُ بطلب قوتِهِ من حلالٍ.

وقال: خرجتْ يومًا من مصرَ وقتَ خُروجِ الحاجِّ، والجِمالُ تَمرُّ بها، وهي تَبكي، وتقول: واضعفاه. وتنشد على أثرِه:

فقلتُ دَعوني واتِّباعي رِكابَكم ... أكُنْ طَوْعَ أيديكم كما يَفعلُ العَبدُ
ومابالُ رغمي لايهونُ عليهمُ ... وقد علموا أنْ ليس لي منهمُ بُدُّ

(*) ترجمته في: صفة الصفوة ٤/ ٣٣١.
(١) في (ب): «البصرة» وهو خطأ.

وتقول: هذه حسرةُ مَنِ انقطَعَ عن الوصولِ إلى البيت، فكيف ترى حَسرةَ من انقطَعَ عن الوصول إلى ربِّ البيت؟

رحمة الله عليها ورضوانه.

(٥٦٩) جاريةُ عبيد الله بن الحسن العَنْبَريّ(*)

قال: كانتْ عندي جاريةٌ أعجميّة وَضيئةٌ، وكنتُ بها مُعجَبًا، فكانتْ ذاتَ ليلةٍ نائمةً إلى جنبي، فانتبهتُ، فلم أجدْها، فالتمستُها فإذا هي ساجدة، تقول: بحبِّكَ لي اغفِرْ لي. فقلت: ياجارية، لاتقولي بحبِّكَ لي، وقولي: بحُبّي لك. فقالت: يابطّال، حُبُّه لي أخرجَني من الشِّرْكِ إلى الإسلام، وأيقظَ عيني، وأنامَ عينَك. فقلتُ: اذهبي فأنتِ حُرَّةٌ لوجه الله. قالت: يامَولايَ، أسأتَ إليَّ؛ كان لي أجرانِ فصارَ لي أجرٌ واحدٌ[1].

رحمة اللهِ عليها ورضوانه آمين.

(٥٧٠) عُفَيرة العابدة(**)

من عابداتِ البصرة.

قال رَوْحُ بن سلَمَة: قلتُ لعفيرة العابدة: بلغَني أنّكِ لاتنامِينَ بالليل.

(*) ترجمتها في: تاريخ بغداد ١٠/٣٠٩، صفة الصفوة ٤/٤٦.

(١) وهذا إشارةٌ إلى قولِ رسولِ اللهِ ﷺ: «العبد إذا نصحَ سيدَهُ وأحسنَ عبادةَ ربه كان له أجره مرّتين». أخرجه البخاري في صحيحه ٥/١٧٥ (٢٥٤٦) في العتق: باب العبد إذا أحسنَ عبادةَ ربّه ونصح سيده؛ ومسلم (١٥٤) في الإيمان: باب وجوب الإيمان برسالةِ نبيّنا محمد ﷺ إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملة.

(**) ترجمتها في: صفة الصفوة ٤/٣٣، البداية والنهاية ١٠/١١٧، طبقات الشعراني ١/٦٧، الكواكب الدرية ١/٣٩٢. وفي (أ): «غُفيرة».

فبكتْ ثم قالت: ربَّما اشتهيتُ أن أنام فلا أقدِرُ عليه، فكيف ينامُ ـ أو كيف يقدِرُ على النَّوم ـ مَنْ لاينامُ عنه حافظاهُ ليلاً ولانهارًا؟ فأبكتْني والله. فقلتُ في نفسي: أُراني في شيءٍ وأُراكَ في شيء[1].

وقال يحيى بن بِسْطام: دخلتُ مع نفرٍ من أصحابِنا على عُفيرة، وكانتْ قد تعبَّدَتْ وبكتْ حتى عَمِيَتْ. فقال بعضُ أصحابِنا لرجلٍ إلى جنبِه: ماأشدَّ العمَى على مَنْ كانَ بصيرًا! فسمعتْ عُفيرةُ فقالت له: ياعبدَ الله، عمَى القلبِ ـ واللهِ ـ عن اللهِ أشدُّ من عمى العينِ عن الدُّنيا. واللهِ لودِدْتُ أنَّ اللهَ وهبَ لي كُنْهَ محبَّتِهِ، وأنَّه لم تبقَ منِّي جارحةٌ إلاَّ أخذَها[1].

وقال محمد بنُ عُبيد: دخلنا على امرأةٍ بالبصرةِ يُقالُ لها عُفيرة، فقيل لها: ادْعي اللهَ لنا. فقالت: لو خَرِسَ الخاطئون ماتكلَّمَتْ عجوزُكم، ولكنَّ المُحسنَ أمرَ المسيءَ بالدُّعاء، جعلَ الله قِراكم من بيتي [دخول] الجنَّة، وجعلَ الموتَ منِّي ومنكم على بالٍ[2].

وقال مالك بن ضَيغم: سمعتُ عُفيرةَ تقول: عصَيْتُكَ بكلِّ جارحةٍ منِّي على حدتِها، واللهِ لئن أعنتَ لأُطيعَنَّكَ مااستطعتُ بكلِّ جارحةٍ عَصيتُكَ بها.

وقال سعيد العَمِّيّ: قلتُ لعُفيرة: أما تسأمينَ من طولِ البكاء؟ فبكتْ، ثم قالت: يابُني، كيف يسأمُ ذو داءٍ من شيءٍ يَرجو أنَّ له فيه من دائه شفاءً؟ ثم بكتْ، فخرجتُ وتركتُها.

وقال يحيى بن راشد: كنَّا عند عُفيرةَ فقَدِمَ ابنُ أخٍ لها كانتْ طالتْ غَيبتُهُ، فبُشِّرَتْ به فبكتْ، فقيل لها: ماهذا البُكاء؟ واليوم يوم فرحٍ وسرور. فازدادتْ بُكاءً ثم قالت: واللهِ ماأجدُ للسُّرورِ في قلبي مَسكنًا مع ذكر الآخرة، ولقد أذكرني قدومُهُ يومَ القُدومِ على اللهِ، فمن بين مسرورٍ ومثبور، ثم غُشِيَ عليها.

رحمة اللهِ عليها ورضوانه.

---

(١) صفة الصفوة ٤/ ٣٣.

(٢) الكواكب الدرية ١/ ٣٩٢ ومابين معقوفين مستدرك منه.

(٥٧١) فاطمة النَّيْسابوريَّة (*)

قال محمد بن الحسين بإسناده، قال: إنَّه رأى ذا النُّونِ المِصري، فسألَهُ: مَنْ أجَلُّ من رأيت؟ قال: مارأيتُ أحدًا أجَلَّ من امرأةٍ رأيتُها بمكَّةَ يُقالُ لها فاطمةُ النَّيسابورية، كانت تتكلَّمُ في فهم القرآن. وتَعجَّبتُ منها، فسألتُ ذا النونِ عنها، فقال: هي وَلِيَّةٌ من أولياءِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وهي أُستاذتي، وسمعتُها تقول: من لم يكنِ اللهُ منه على بالٍ فإنَّه يتخطَّى في كلِّ ميدانٍ، ويتكلَّمُ بكلِّ لسانٍ. ومن كانَ اللهُ منه على بالٍ أخرسَه إلاَّ عن الصِّدْق، وألزَمَهُ الحياءَ منه والإخلاص.

قال: وقالتْ فاطمةُ: الصادقُ المُقرَّبُ في بحرٍ تضطربُ عليه أمواج، يدعو ربَّه دُعاءَ الغريق؛ يسألُ ربَّه الخلاصَ والنَّجاة.

وقالت: من عمِلَ للهِ على المُشاهدةِ فهو عارف؛ ومن عَمِلَ على مُشاهدةِ اللهِ إيَّاه فهو مُخلصٌ.

وقال السُّلَميُّ: كانت فاطمةُ النَّيسابوريَّة من قُدَماء نِساء خُراسان، أتى إليها أبو يزيد البِسطامي، وسألَها ذو النون عن مَسائل، وكانت مُجاورةً بمكَّة، وربَّما دخلتْ إلى بيتِ المقدِس ثم رجعتْ إلى مكَّة.

وقال أبو يزيد البِسطامي: مارأيتُ في عُمري إلاَّ رجلاً وامرأةً: المرأةُ فاطمة النَّيسابورية، ماأخبرتُها عن مقامٍ من المقامات إلاَّ وكان الخَبَرُ لها عِيانًا.

وقال لها ذو النون: عِظيني ـ وقد اجتمعا ببيتِ المَقْدِس ـ فقالت له: الزَمِ الصِّدْق، وجاهدْ نفسَك في أفعالك.

رحمها الله.

(*) ترجمتها في صفة الصفوة ٤/ ١٢٣، طبقات الشعراني ١/ ٦٦، الكواكب الدرية ١/ ٦٩٣، أعلام النساء ٤/ ١٤٧.

(٥٧٢) أخت فُضيل بن عبد الوهاب(*)

من عابداتِ الكوفة.

قال فُضيل: سمعتُ أُختي يومًا تقولُ: الآخرةُ أقربُ من الدُّنيا، وذلك أنَّ الرَّجُلَ يهمُّ بطلبِ الدُّنيا فلعلَّهُ يُنشئُ لذلك سَفرًا يكونُ فيه تعبُ بدَنِهِ، وإنفاقُ مالِه، ثم لعلَّهُ لاينالُ بُغيَتَهُ. والرجلُ يطلبُ الآخرة، فمنتهى طَلِبَتِه(١) في حُسن نيَّتِه حيثُ ماكان، من غيرِ أن يُنشئَ سَفرًا أو يُنفقَ مالاً، أو يُتعبَ بَدَنًا. ماهو إلاَّ أن يُجمعَ على طاعةِ اللهِ، فإذا هو قد أدركَ ماعندَ الله.

وقال: سمعتُها تقول: مابيننا وبين أن نَرى السُّرور، أو نُنادَى بالويل والثُّبور إلاَّ خروجُ هذه الأرواحِ من الأبدان، فانظروا أيَّ عَبيدٍ تكونون حينئذٍ؟ ثم صرخَتْ، وغُشِيَ عليها.

وقال فُضيل: مارأيتُ أحدًا قطُّ ـ رجلاً ولاامرأةً ـ أطولَ حُزنًا منها.

رحمة اللهِ عليها ورضوانه.

(٥٧٣) لُبابةُ المقدِسيَّة(**)

قال محمد بن رَوح: قالت لُبابة المتعبِّدةُ في بيت المقدس: إنِّي لأستحي منه أنْ يَراني مُشتغلةً بغيره.

وقال محمد بن رَوح: قالت لُبابةُ المتعبِّدةُ: مازلتُ مجتهدةً في العبادة

(*) ترجمتها في: صفة الصفوة ٣/ ١٨٩، الكواكب الدرية ١/ ٢٣٢.

(١) في (أ): «طلبه».

(**) ترجمتها في: صفة الصفوة ٤/ ٢٥١.

حتى صِرتُ أستروحُ بها، وإذا تعبتُ من لقاءِ الخلقِ آنسني ذِكْرُه، وإذا أعياني الخَلْقُ روَّحَني التَّفرُّغُ لعبادةِ اللهِ، والقيامُ إلى خدمته.

وقال لها رجل: أُريدُ الحجَّ، فماذا أدعو بالموسِم؟ فقالت: سلِ اللهَ تعالى شيئَينِ: أن يَرضى عنك، ويُبلِّغَكَ منزلَ الرَّاضين عنه، وأن يجعلَ ذِكْرَك فيما بين أوليائه.

رحمة اللهِ عليها ورضوانه.

(٥٧٤) ماجدة القرشيَّة(*)

من عابداتِ البحرين.

قال إياسُ بنُ حمزة: قالتِ امرأةٌ من قريش يُقالُ لها ماجدة، كانتْ تسكنُ البحرين: طوى أملي طلوعُ الشمسِ وغروبُها، فما من حركةٍ تُسمَع، ولامن قدَمٍ تُوضع، إلاَّ ظننتُ أنَّ الموتَ في أثَرها.

وكانت تقول: سُكَّانُ دارٍ وأُذنوا بالنُّقلة، وهم حَيارى يركضون[٢] في المُهلة، كأنَّ المرادَ غيرُهم، أو التأذينَ ليس لهم، والمعنيَّ بالأمرِ سواهم، [آهٍ] من عقولٍ ماأنقَصَها! ومن جهالةٍ ماأتمَّها! بؤسًا لأهلِ المعاصي ماذا غرُّوا [به] من الإمهالِ والاستدراج[٣].

وكانت تقول: بَسَطوا آمالَهم فأضاعوا أعمالَهم، ولو نصبوا الآجالَ، وطَوَوُا الآمال، خفَّتْ عليهم الأعمال.

(*) ترجمتها في: صفة الصفوة ٤/ ٧٤، طبقات الشعراني ١/ ٦٦، الكواكب الدرية ١/ ٤٦٤، الدر المنثور ٤٨١.

(٢) في (ب): يرتكضون.

(٣) مابين معقوفين مستدركٌ من صفة الصفوة.

وكانت تقول: لم ينلِ المُطيعونَ مانالوا من حُلول الجِنان، ورضا الرحمن، إلاَّ بتعبِ الأبدان، والقيامِ للهِ بحقِّه في المَنْشَطِ والمَكْرَه.

وكانت تقول: كفى المؤمنين طولُ اهتمامهم بالمعادِ شُغلاً.

وكانت تقول: لو رأتْ أعينُ الزاهدين ثوابَ ماأعدَّ اللهُ لأهلِ الإعراضِ عن الدُّنيا لذابتْ أنفسُهم شَوقًا إلى الموت؛ لِينالوا من ذلك ماأمَّلُوه من تفضُّله.

رحمة اللهِ عليها ورضوانه.

(٥٧٥) مُخَّةُ أُختُ بِشر الحافي(*)

من عابداتِ بغداد.

قال عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ بنِ حنبل: جاءتْ مُخَّةُ أُختُ بشرِ بنِ الحارث إلى أبي، فقالت له: إنِّي امرأةٌ رأسُ مالِي دانقان، أشتري القطنَ فأَرُدُّنُه[٢] فأبيعه بنصفِ درهم، فأتقوَّتُ بدانقٍ من الجُمعةِ إلى الجمعة، فمرَّ ابنُ طاهر[٣] ومعه مِشعلٌ، فوقف يُكلِّمُ أصحابَ المسالح[٤]، فاستغنَمْتُ ضوءَ المِشعَل، فغزَلْتُ طاقًا، ثم غابَ عنِّي المِشعل، فعلمتُ أنَّ للهِ فيَّ مُطالَبةً، فخلِّصْني خلَّصَكَ الله. فقال لها: تُخرجينَ الدَّانقَيْن، ثم تَبقينَ بلا رأسِ مالٍ حتى يُعوِّضَكِ اللهُ خيرًا منه. قال عبدُ الله: فقلتُ لأبي: ياأبة، لو قلتَ لها: لو أخرجتِ الغزلَ الذي أدرجتْ فيه الطاقات! فقال: يابُني، سُؤالُها

(*) ترجمتها في: تاريخ بغداد ١٤/٤٣٦، طبقات الحنابلة ١/٤٢٧، صفة الصفوة ٢/٥٢٤، وفيات الأعيان ١/٢٧٦.

(٢) الرُّدَن: الغزل يفتل إلى قدام، وقيل: هو الغزل المنكوس. اللسان (ردن).

(٣) في الأصل: «أبو صالح» ووضع في الهامش: «في نسخة أبو طاهر». والمثبت من تاريخ بغداد وطبقات الحنابلة وصفة الصفوة.

(٤) المسالح: جمع مَسْلَحة: القوم ذوو سلاح في عدَّةٍ بموضعِ رصد. معجم متن اللغة (سلح). وفي تاريخ بغداد، وطبقات الحنابلة: «أصحابَ مصالح».

لايحتملُ التأويل. ثم قال: مَنْ هذه؟ قلت: مُخَّة أُختُ بشر بن الحارث. فقال: من هاهنا أُتيت.

وقال عبدُ اللهِ بنُ أحمد: كنتُ مع أبي يومًا من الأيام في المنزل، فدُقّ البابُ، فقال لي: أخرجْ، فانظرْ من بالباب. فخرجتُ فإذا امرأةٌ، فقالت: استأذِنْ لي على أبي عبد الله. فاستأذَنْتُه، فقال: أدخِلْها. فدخلتْ فسلَّمَتْ عليه، فقالتْ له: ياأبا عبد الله، أنا امرأةٌ أغزِلُ باللَّيل في السِّراج، فرُبَّما طُفئَ السِّراج، فأغزِلُ في القمر، فعليَّ أنْ أُبَيِّنَ غزلَ القمرِ من غزلِ السِّراج؟ فقال لها: إنْ كان عندَكِ بينهما فَرْقٌ فعليكِ أن تُبيِّني ذلك. فقالت له: ياأبا عبد الله، أَنينُ المريضِ شَكوى؟ قال: أرجو أن لايكونَ شَكوى، ولكنَّهُ اشتكى[1] إلى اللهِ عزَّ وجلّ. فودَّعَتْهُ وخرجَتْ. فقال لي: يابُني، ماسمعتُ قطُّ إنسانًا يَسألُ عن مثل هذا. اتبعْ هذه المرأةَ فانظرْ أين تدخُل؟ قال: فاتَّبعتُها، فإذا قد دَخَلَتْ إلى بيتِ بشرٍ، وإذا هي أُخته. فرجعتُ فقلتُ له، فقال: مُحالٌ أنْ تكونَ مثلُ هذه إلاّ أُختَ بشر.

وقال أبو عبد الرحمن السُّلَمي: قالت زُبدةُ أُختُ بشر: أثقلُ شيءٍ على العبد الذُّنوب، وأخفُّهُ عليه التَّوبة، فمالَهُ لايَدفعُ أثقلَ شيءٍ بأخفِّ شيء؟ رحمها الله.

(٥٧٦) مسكينة الطُّفَاوِيّة(*)

من عابداتِ البصرة.

قال عمّار بن الراهب[2] وكان من العاملين للهِ في دارِ الدنيا: رأيتُ مسكينةَ

---

(١) في مصادر ترجمتها كلِّها: «ولكنه اشتكاء».

(*) ترجمتها في: صفة الصفوة ٤/٤٢.

(٢) في صفة الصفوة: «عمار الراهب».

الطُّفاويةَ في منامي، وكانتْ من المواظباتِ على حلَقِ الذِّكر، فقلت: مرحبًا يامِسكينةُ مرحبًا. قالت: هيهات ياعمَّار، ذهبتِ المسكنةُ وجاءَ الغِنى الأكبر. قلتُ: مافعلَ اللهُ بكِ؟ قالتْ: هيه[1]، ماتسألُ عمَّن أبيحَ لها الجنَّةُ بحذافيرِها، تظلُّ منها حيثُ شاءت؟[2] قلت: وبِمَ ذاك يرحمُكِ الله؟ قالت: بمجالسِ الذِّكر، والصبرِ على الحقِّ. قال عمار: وكانت تحضرُ معنا مجلسَ عيسى بن زاذَان بالأُبُلَّة، تنحدِرُ من البصرةِ حتى تأتيَه قاصدة. قال عمار: قلتُ يامسكينة، مافعلَ عيسى؟ فضحكتْ ثم قالت:

قد كُسِي حُلَّةَ البَهاءِ وطافَتْ ... بـأبـاريـقَ حـولَـهُ الخُـدَّامُ

ثم حُلِّي وقيل: ياقارئُ اقرَأْ[3] ... فلعمـري لقـد بـراكَ الصِّيـامُ

وكان عيسى قد صامَ حتى انحنى وانقطَعَ صوتُه.

رحمة اللهِ عليها ورضوانه.

(٥٧٧) مطيعةُ العابدة(*)

قال محمد بن الحسين: بكتْ مُطيعةُ أربعين عامًا، فعُوتبتْ على كثرةِ البُكاء، فقالتْ: لاأزالُ أبكي حتى أعلمَ على أيِّ الحالَيْنِ أنا عند الله؟

وقال محمد بن الحسين: دخَلْنا على مُطيعةَ العابدة في الجَبَّان بالبصرة، فجعلنا نُذاكرها شيئًا من الخيرِ، فلا نَستبينُ كثيرًا من كلامِها من كثرةِ بُكائها، فلما رأينا ذلك خرجْنا من عندها، وتركْناها.

قال محمد: وسألتُ مُطيعةَ قلتُ: مُنذ كم أنتِ هاهنا في الجبَّان؟

---

(١) في (أ): «قلت: هيه. قالت: ماتسأل عمن...».

(٢) في (ب): «ماتسأل عمن أُبيح له الجنة بحذافيها يظل منها حيث شاء؟».

(٣) في صفة الصفوة: «ارق».

(*) ترجمتها في: صفة الصفوة ٤/ ٤١.

فبكت ثم قالت: يابُني، منذُ أربعِ وخمسين سنة.

رحمة الله عليها ورضوانه.

(٥٧٨) مُعاذةُ بنتُ عبد اللهِ العدَوِيَّة(*)

تُكنى أمَّ الصَّهباء، وهي من عابداتِ البصرة وتابعيها.

روتْ عن عائشةَ. وروى عنها: الحسنُ البصري، وأبو قِلابة.

قال محمد بن الفضيل عن أبيه قال: كانتْ معاذةُ العدوية إذا جاءَ النهارُ قالت: هذا يومي الذي أموتُ فيه. فما تَنامُ حتى تُمسي. وإذا الليلُ جاء قالت: هذه ليلتي التي أموتُ فيها. فلا تنامُ حتى تُصبح، فإذا جاء البَرْدُ لبِسَتِ الثيابَ الرِّقاقَ حتى يمنعَها البردُ من النَّوم(١).

وقال الحكم بن سِنان الباهلي: حدَّثتني امرأةٌ كانت تخدمُ مُعاذةَ العدويَّة، قالت: كانت تُحيي الليلَ صلاةً، فإذا غلَبَها النَّومُ قامتْ فجالَتْ في الدَّار وهي تقول: يانفسُ، النومُ أمامكِ، لو قد مِتِّ لطالتْ رقدتُكِ في القبر على حسرةٍ أو على سُرور. فهي كذلك حتى تُصبح(١).

وقالت آسيةُ بنتُ عمرو: كانت مُعاذةُ العدويةُ تُصلِّي في كلِّ يومٍ وليلةٍ ستَّ مئةِ ركعة، وتقرأُ جُزءَها من الليلِ تقومُ به، وكانت تقول: عجِبْتُ لعينٍ تنامُ، وقد عرفتْ طولَ الرُّقادِ في ظُلَمِ القبور.

(*) ترجمتها في: طبقات ابن سعد ٨/٤٨٣، الثقات لابن حبان ٥/٤٦٦، حلية الأولياء ٢/٢٩، صفة الصفوة ٤/٢٢، تهذيب الكمال ٣٥/٣٠٨، سير أعلام النبلاء ٤/٥٠٨، تاريخ الإسلام ٣/٣٠٣، العبر ١/١٢٢، و٢٥٢، مرآة الجنان ١/٢١١، تهذيب التهذيب ١٢/٤٥٢، طبقات الشعراني ١/٦٥، الكواكب الدرية ١/٤٦٥، شذرات الذهب ١/١٢٢، أعلام النساء ٥/٦٠.

(١) صفة الصفوة ٤/٢٢.

وقال أبو السَّوَّار العدَوِيّ: بنو عديٍّ أشدُّ أهلِ هذه البلدةِ اجتهادًا، هذا أبو الصَّهْباء[1] لاينامُ ليلهُ ولايُفطِرُ نهارَه، وهذه امرأتُهُ مُعاذةُ لم ترفعْ رأسَها إلى السماء أربعين عامًا[2].

وقالت امرأةٌ من بني عدي أرضعَتْها مُعاذة: قالت لي مُعاذة: يابُنَيَّة، كوني من اللهِ على حذَرٍ ورجاء؛ فإنِّي رأيتُ الرَّاجي له محقوقًا بحُسنِ الزُّلفي لديه يومَ يلقاه، ورأيتُ الخائفَ له مؤمِّلاً للأمان يومَ يقومُ الناسُ لربِّ العالمين[3].

وقالت أُمُّ الأسود بنتُ زيد العدوية: قالتْ مُعاذةُ لما قُتِلَ أبو الصَّهباء وقُتل ولدها[4]: واللهِ يابُنَيَّة، مامَحبَّتي للبَقاء في الدُّنيا للذيذ عيشٍ، ولا لرَوْحِ نسيم، ولكنِّي واللهِ أُحبُّ البقاءَ لأتقرَّبَ إلى ربِّي عزَّ وجلّ بالوسائل لعلَّه يجمعُ بيني وبين أبي الصَّهباء وولده في الجنة.

وقالت عُفيرةُ العابدة: بلغني أنَّ مُعاذةَ العدوية لما احتُضرتْ للموتِ بكتْ، ثم ضحكتْ، فقيل لها: مِمَّ بكيتِ ثم ضحكتِ؟ قالت: أمَّا البُكاء الذي رأيتُم فإنِّي واللهِ ذكرتُ مُفارقةَ الصِّيامِ والصلاةِ والذِّكر، وأمَّا الذي رأيتم من تبسُّمي وضَحِكي فإنِّي نظرتُ إلى أبي الصَّهباء وقد أقبلَ في صحْنِ الدار، وعليه حُلَّتانِ خَضراوان وهو في نفرٍ، واللهِ مارأيتُ لهم في الدُّنيا شَبَهًا، فضحكتُ إليه، ولاأُراني أُدْرِكُ بعد ذلك فرضًا. فماتت قبلَ أن يَدخلَ وقتُ الصلاة.

رحمةُ اللهِ عليها ورضوانه

---

(١) أبو الصهباء، هو صلة بن أشيم. انظر ترجمته في ٣/١٤٨ من هذا الكتاب.
(٢) صفة الصفوة ٤/٢٢.
(٣) صفة الصفوة ٤/٢٣.
(٤) وذلك في غزوةِ سِجِسْتان سنة ٦٢ للهجرة. انظر طبقات خليفة ١٩٢، وسير أعلام النبلاء ٣/٤٩٩.

(٥٧٩) مُليكة بنتُ المُنكَدِر (*)

من عابداتِ المدينة.

قال أبو عبد الرحمن المَرْوزي: قال مالكُ بنُ دينار: بينا أنا أطوفُ بالبَيت إذا أنا بامرأةٍ جَهيرةٍ في الحِجْر، وهي تقول: أتيتُكَ من شُقَّةٍ بعيدةٍ، مؤمِّلةً لمعروفك، فأنِلْني مَعروفًا من معروفك تُغنيني به عن معروفِ من سواك، يامَعروفًا بالمعروف. فعرّفت أيوب السختياني، فسألنا عن منزِلها، وقصدْناها، وسلَّمْنا عليها، فقال لها أيّوب: قولي خيرًا يرحمُكِ الله. قالت: وماأقولُ؟ أشكو إلى اللهِ قلبي وهواي فقد أضرَّا بي، وشغلاني عن عبادةِ ربِّي. قُوما، فإنِّي أُبادرُ طيَّ صحيفتي. قال أيوب: فما حدَّثتُ نفسي بامرأةٍ قبلَها، فقلت لها: لو تزوَّجْتي رجلاً كان يُعينك على ماأنتِ عليه. قالت: لو كان مالكُ بنُ دينار أو أيوب السَّختياني ماأرَدْتُه. فقلت: أنا مالكُ بنُ دينار، وهذا أيوبُ السختياني. فقالت: أُفٍّ، لقد ظننتُ أنّه يشغلُكما ذِكرُ اللهِ عن مُحادثةِ النساء، وأقبلَتْ على صلاتها. فسألتُ عنها، فقالوا: مُليكة بنتُ المُنكدر.

وقال أبو خالد البرّاد: كلَّمْنا بنتَ المُنكدر في تخفيفِ بعضِ العِبادة، فقالت: دَعوني أُبادرُ طيَّ صحيفتي.

رحمة اللهِ عليها.

(*) ترجمتها في: صفة الصفوة ٢/٢٠١، أعلام النساء ٥/١٠٨.

(٥٨٠) مَنْفوسة بنتُ زيد الفوارس(*)

من عابداتِ البوادي.

قال رجلٌ من بني ثُعَل: كنتُ ببعضِ نواحي نجد، فرُفعتْ لي قُبَّةٌ من أدمٍ، فإذا أصواتُ نساءٍ مُعْوِلات، فدنوتُ منهنَّ وسألتُهنَّ عن شأنهنَّ(١)، فقُلْنَ: مَنْفوسة بنتُ زيد الفوارس أُصيبتْ بابنها، وإذا هو في حِجْرِها، وهي تقول: واللهِ لتقدُّمُكَ أَمامي أحبُّ إليَّ من تأخُّرِكَ ورائي، ولصبرِي عنك(٢) أجدى من جَزَعي عليك، وماحظُّ مُصيبةٍ تحلُّ من التَّلَفِ محلَّك، وتُورِث من العطبِ مثل مَضجعك؟ ولئن كان فراقُكَ حَسْرةً إنَّ توقّع أجرك لخيِّرة، ثم قالت: للهِ درّ عَمرو بن معدي كرب حيثُ يقول(٣):

وإنَّـا لَقَـومٌ لاتَفيـضُ دُمـوعُنـا ... على هالكٍ مِنَّا وإنْ قَصَمَ الظَّهْرا

رحمها الله.

(٥٨١) مُنيفة بنت أبي طارق(**)

من عابداتِ البحرين.

قال مسمع بن عاصم: كانت بالبحرين امرأةٌ عابدةٌ يُقال لها مُنيفة،

(*) ترجمتها في: صفة الصفوة ٤/٣٨٧، طبقات الشعراني ١/٦٧، الطبقات الصغرى للمناوي ٦١٧، الدر المنثور ٥١٣.

(١) في (ب): «حالهن».

(٢) في (ب): «عليك».

(٣) البيت مذكور في ديوانه صفحة ١٠٢، ونسب ابن عساكر في تاريخه (عاصم ـ عائذ) صفحة ٣٩٤: البيت لعامر بن عمارة بن خريم، وكذلك هو في معاهد التنصيص ١/٢٥١، والأمالي ١/٢٦٧.

(**) ترجمتها في صفة الصفوة ٤/٧٣.

وكانت إذا هجَمَ الليلُ عليها قالت: بخٍ بخٍ! يانفسُ قد جاء سُرورُ المؤمنين. فتحزَّمُ وتلبَسُ وتقومُ إلى مِحرابها وكأنَّها الجِذْعُ القائم حتى تُصبح، فإذا أصبحتْ وأمكنتِ الصلاة فإنما هي في صلاةٍ حتى يُنادَى بالعصر، فإذا صلَّتِ العصرَ هجَعَتْ إلى غروبِ الشمس، وكان هذا دَأْبها. فقيل لها: لو جعلتِ هذهِ النَّومةَ في الليل كان أهدأَ لبدَنِكِ. قالت: فلا واللهِ لاأنامُ في ظُلمةِ الليلِ مادمتُ في الدُّنيا. قال رجلٌ من أهلِها: فمكثَتْ كذلك أربعين سنةً، ثم ماتت.

وقال عامرُ بنُ مُليك من أهل البحرين: رأيتُ مُنيفةَ بعدَ موتِها في منامي فقلت: يامنيفة، ماحالُ الناسِ هنالك؟ فأقبلتْ عليَّ وقالت: عن أيِّ حالِهم تسأل؟ الدارُ واحدةٌ لأهلِ الطاعةِ، يتعالَوْن[1] فيها بالأعمالِ، ولاتَسألْ عن حالِ أهلِ النار. فبكيتُ واللهِ من قولها: لاتسألْ عن حالِ أهل النار. ثم ولَّيتُ فأتبعَتْني صوتًا: عليكَ بالجِدِّ والاجتهاد؛ لعلَّكَ تجري في مساعي السابقين غدًا. قال عامر: فمرضتُ واللهِ من هذه الرُّؤيا شهرًا.

وقال عامر عن أُمِّه قالت: بتُّ عند مُنيفةَ بنتِ أبي طارق فما زادَتْ على هذه الآية من أوَّلِ الليلِ إلى آخره تُرَدِّدُها وتبكي: ﴿وكيف تكفرونَ وأنتمْ تُتْلَى عليكم آياتُ اللهِ وفيكم رسولُه ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم﴾[آل عمران: ١٠١].

رحمة الله عليها ورضوانه.

(٥٨٢) ميمونة السوداء(*)

قال عبد الواحد بن زيد[2]: سألتُ اللهَ تعالى ثلاثَ ليالٍ أن يُرِيَني رفيقي

---

(١) في (ب): «يتغالون».

(*) ترجمتها في: حلية الأولياء ٦/١٥٨، عقلاء المجانين ١٢٩، صفة الصفوة ٣/١٩٥، روض الرياحين ١٠١ (الحكاية ٢٧)، الكواكب الدرية ١/٤٦٧.

(٢) في عقلاء المجانين صفحة ١٢٩ عن إبراهيم بن الأدهم، وبه أيضًا صفحة ١٢٤ عن بلال بن جماعة.

في الجنةِ، فرأيتُ قائلاً يقول: ياعبد الواحد، رفيقُك[1] في الجنَّة مَيمونةُ السَّوداء. فقلت: وأينَ هي؟ قال: في آلِ فلان بالكوفة. فخرجتُ إلى الكوفةِ، فسألتُ عنها، فقيل: هي مجنونةٌ بين ظهرانينا، تَرعى غُنيماتٍ لنا. فقلتُ: أُريدُ أراها. قالوا: اخرُجْ إلى الجَبَّان. فخرجتُ، فإذا بها قائمةٌ تُصلِّي، وإذا بين يدَيها عُكَّازةٌ لها، فإذا عليها جُبَّةٌ من صوف، عليها مكتوب: لاتُباعُ ولا تُشترى، وإذا الغنم مع الذئاب، فلا الذئابُ تأكلُ الغنم، ولا الغنم تخافُ الذئاب. فلمَّا رأتْني أوجزَتْ في صلاتِها، ثم قالت: ارجِعْ يا ابنَ زيدٍ ليس الموعدُ هاهنا، إنما الموعِدُ ثَمَّ. فقلتُ لها: رحمَكِ الله، ومايُعلمكِ أنّي ابنُ زيد؟ فقالت: أما علمتَ أنَّ «الأرواح جنودٌ مُجَنَّدةٌ، فما تعارفَ منها ائتلَف، وما تناكَرَ منها اختلَف»[2]؟ فقلتُ لها: عِظيني. فقالت: واعجبًا لواعظٍ يُوعَظ! ثم قالتْ: ياابنَ زيد، إنَّكَ لو وضعتَ مَعاييرَ القسطِ على جوارحك لخبَّرَتْكَ بمكتومِ مَكنونِ مافيها؛ ياابن زيد، بلغني أنَّه مامن عبدٍ أُعطيَ من الدُّنيا شيئًا فابتغى إليه ثانيًا إلاَّ سلَبَهُ اللهُ حُبَّ الخَلْوَةِ معه، وبدَّلَه بعدَ القُربِ البُعد، وبعدَ الأُنسِ الوَحْشة، ثمَّ أنشأَتْ تقول:

يـاواعظًـا قـامَ لاحْتِسـابِ ... يَزجـرُ قـومًا عـن الـذُّنـوبِ
تَنْهَـى وأنـتَ السَّقيـمُ حقًّـا ... هـذا مـن المُنْكَـرِ العجيـبِ
لو كُنتَ أصلحتَ قَبْلَ هذا ... عيبَـكَ أوتُبْـتَ مـن قـريـبِ
كـانَ لِمَـا قلـتَ يـاحَبيبـي ... مـوقـعُ صِـدقٍ مـن القلـوبِ
تنهَـى عـن الغَـيِّ والتمـادي ... وأنـتَ فـي النَّهـيِ كـالمُريـبِ

فقلتُ لها: إنِّي أرى هذه الذِّئابَ مع الغنم، فلا الغَنَمُ تفزَعُ من الذِّئابِ

---

(١) في (ب): «رفيقتي... فرأيت كأنَّ قائلاً... رفيقتك».
(٢) رواه مسلم (٢٦٣٨) في البر والصلة: باب الأرواح جنود مجندة؛ وأبو داود (٤٨٣٤) في الأدب: باب من يؤمر أن يجالس.

ولا الذِّئابُ تأكلُ الغَنَم. فأيُّ شيءٍ هذا؟ فقالت: إليك عنِّي، فإنِّي أصلحتُ مابيني وبين سيِّدي فأصلحَ مابين الذِّئابِ والغنم.

رحمة اللهِ عليها ورضوانه آمين.

(٥٨٣) أمُّ نهار العدوِيَّة(*)

من عابداتِ البوادي.

قال عُتبةُ بنُ صالح الهِلالي: شهدتُ أعرابيةً بالحفرِ حَفرِ بني عَديّ، يقالُ لها أم نهار العدوية، واقفةً على قبرِ رجلٍ، ونحن نَدْفِنُه، فقالت: أيُّها الناسُ، إنَّكم من اللهِ في نعمةِ سترٍ، ومن الناسِ بمحلِّ تزكيةٍ، فإيَّاكم ومصاداةَ[1] زخارفِ[2] الرَّخاء، فإنَّها ليستْ من صفةِ الألِبَّاءِ فأجْلُوا سَمَادِيرَ[3] الغَفْلةِ عن قلوبِكم، وتأمَّلوا أهلَ هذه العَرَصاتِ الخُرْسِ والرُّبوعِ الصُّموت، وارجعوها صورًا بوَهْمِكم تَنَسَّمونَ روحَ الحياة، فنادُوهم يسمعوا، واسألُوهم يُخبِّروا، فاخْبَوْا بموتِهم، وتيقَّظُوا بغفلاتِهم، وخُذُوا خوفَكم من أمْنهم، وحذركم من غُرورهم، وانظروا بهم إلى أثَرِ البِلَى في أجسامِكم، والخرابِ في مَساكنكم، وكيف حَكَمَ فيهم التراب إذ وليَ الحُكم فيهم، فأبدَلَهم بالنُّطقِ خَرَسًا، وبالسمعِ صَمَمًا، وبالحركةِ سُكونًا. رحمَ اللهُ امرأً أبصرَ فتدبَّر، واتَّعظَ فاعتبَر، وعَمِلَ ليومِ الحساب، وخَشِيَ وقتَ العِقابِ، ثم قالت:

(*) ترجمتها في: صفة الصفوة ٤/٣٨٩.

(١) مصاداة: مداراة. القاموس (صدي).

(٢) في (أ): «زخاريف».

(٣) السمادير: مايتراءى للإنسان من ضعف بصره عن السُّكر، وغَشْي الدُّوار والنُّعاس. القاموس (سمدر).

الموتُ يُفني ولايُبقِي على أحدٍ ماأحسَبُ الموتَ يُبقِي جِدَّةَ الأبَدِ
ياموتُ كم من كريمٍ قد فجَعْتَ بهِ من أقربيهِ ومِنْ أهلٍ ومِنْ ولَدِ

ثم قالت: تغمَّدَكمُ اللهُ بالرحمةِ، وبلغَ بكم شرفَ الهِمَّة.

رحمة اللهِ عليها ورضوانه آمين.

(٥٨٤) أمُّ هارون(*)

من عابداتِ الشام.

قال أحمد بن أبي الحَوَارِيّ: خرجتْ أمُّ هارونَ من قريتِها تُريدُ مَوضِعًا، فصاحَ صَبيٌّ لصبيٍّ: خذوه. فسقطَتْ أمُّ هارون، فوقعَتْ على حجَرٍ فدَمِيَتْ، فظهرَ الدَّمُ من مِقْنعتِها. وقال أبو سُليمانَ الداراني: مَنْ أرادَ أنْ ينظرَ إلى صَعْقٍ صحيحٍ فلينظُرْ إلى أمِّ هارون. وماكنتُ أرى أنْ يكونَ بالشام مثلها.

وقال أحمدُ بن أبي الحواريّ: سمعتُ عبدَ العزيز بنَ عُمير يقول: قالتْ أمُّ هارون ـ وكانتْ من الخائفين العابدين ـ: قد أنزلتُ الدُّنيا منزلتَها. وكانتْ تأكلُ الخبزَ وحدَه.

وقالت: بأبي[1] الليل، ماأطيبَه! إنِّي لأغتمُّ بالنَّهارِ حتى يجيءَ الليل، فإذا جاءَ الليلُ قمتُ أوَّلَه، فإذا جاءَ السَّحَرُ دخلَ الرُّوحُ قلبي.

وقال أحمد: قالتْ لي رابعة: مادَهَنَتْ أمُّ هارون رأسَها منذُ عِشرين

(*) ترجمتها في: تاريخ دمشق (تراجم النساء) ٥٥٢، صفة الصفوة ٤/٣٠٣، مختصر تاريخ دمشق ٢٩/٢٠٩، طبقات الشعراني ١/٦٦، الكواكب الدرية ١/٥٥٦.

(١) في (ب): «يأتي الليل».

سنة، فإذا كشفنا رؤوسَنا[١] كان شعرُها أحسنَ من شعورِنا.

وقال القاسم الجُوعي: مرضتْ أُمُّ هارون، وأتيناها نَعودُها أنا وصاحبٌ لي، فدخلنا عليها وهي على طرفِ الدَّرَجة، فسألْناها عن حالِها فقلتُ لها[٢]: ياأُمَّ هارون، أيكونُ من العُبَّادِ من يَشغَلُهُ خوفُ النِّيران عن الشَّوقِ إلى الجِنان؟ فسقطَتْ[٣] عن الدرجةِ مَغْشِيًّا عليها.

وقال قاسم: كانتْ أُمُّ هارون تأتي بيتَ المقدسِ من دمشقَ كلَّ شهرٍ مرَّةً على رِجليها. فدخلتُ عليها، فقالتْ: ياقاسم، كنتُ أمشي ببَيْسَان[٤]، فإذا قد عرَضَ لي هذا الكلبُ الأسدُ فمشى نحوي، فلمَّا قرُبَ منِّي نظرتُ إليه، فقلت: تعالَ ياكلب، إنْ كانَ لكَ رزقٌ فكُلْ. فلمَّا سمعَ كلامي أقْعَى[٥]، ثم ولَّى راجعًا.

وقال أحمدُ بنُ أبي الحَوَاري: قلتُ لأمِّ هارون: أتُحِبِّينَ الموت؟ قالت: لا. قلت: ولِمَ؟ قالت: لو عَصيتُ آدميًّا ماأحبَبْتُ لقاءَه، فكيف أُحبُّ لقاءَ اللهِ، وقد عَصَيْتُه؟

رحمة اللهِ عليها ورضوانه.

* * *

---

(١) في (ب): «فكانت إذا كشفتْ رأسَها».
(٢) في (ب): «قال لها رفيقي».
(٣) في صفة الصفوة ٤/٣٠٤: «آه، وسقطت عن الدرجة».
(٤) بيسان: مدينةٌ بالأُردُنّ، بالغَوْرِ الشمالي، بين حوران وفلسطين. معجم البلدان ١/٥٢٧.
(٥) أقعى الكلب: جلس على استِه. القاموس (قعو).

(٥٨٥) هُنيدة(*)

من عابداتِ البوادي.

قال أسلمُ الباهلي: كانت[1] جاريةٌ في الحيِّ يُقالُ لها هُنيدة، فكانتْ تقومُ إذا مضَى من الليلِ ثُلُثه، أو نصفُه، فتوقِظُ ولدَها وزوجَها وخدمَها، فتقولُ لهم: قوموا فتوضَّؤوا وصلُّوا فستَغْتبِطونَ بكلامي هذا. فكان هذا دأْبها معهم حتى ماتت. فرأى زوجُها في منامه: إنْ كنتَ تُحبُّ أنْ تزوَّجَها هناك فاخلُفْها في أهلِها بمثلِ فعلِها. فلم يزلْ ذلك دأبَ الشيخ حتى مات. فأُتي أكبرُ ولدِه في منامه، فقيل له: إنْ كنتَ تحبُّ أن تجاورَ أبويك في درجتهما في الجنَّةِ فاخلُفْهما في أهلِهما بمثلِ عملِهما. قال: فلم يزَلْ ذلك دأبَهُ حتى مات. فكانوا يُدعَونَ القوَّامين.

رحمة اللهِ عليهم ورضوانه.

* * *

(*) ترجمتها في: صفة الصفوة ٤/ ٣٩١.

(١) في (أ): «قال الباهلي: كان».

القسم الثاني

فيمن لم يعرف اسمه وفيه بابان

الباب الأول

في الرجال

البصرة

قال مالكُ بنُ دينار: احتبسَ علينا المطرُ بالبصرةِ، فخرجنا يومًا بعدَ يومٍ نستسقي[١] فلم نرَ أثرَ الإجابة، فخرجتُ أنا وعطاء السُّلَميّ، وثابت البُنانيّ، ومحمد بن واسع، وحبيب الفارسي، وصالح المُرّي في آخرين حتى صِرْنا إلى المُصلَّى بالبصرة، واستسقينا[٢] فلم نرَ أثرَ الإجابة، وانصرفَ الناسُ وبقِيتُ أنا وثابت في المُصلَّى، فلمَّا أظلمَ الليلُ إذا[٣] بأسودَ دقيقِ الساقَين، عظيمِ البطن عليه مئزرانِ من صوف، فجاءَ إلى ماءٍ فتمسَّحَ، ثم صلَّى ركعتينِ خفيفتين ثم رفعَ طرْفَه إلى السماء فقال: سيِّدي[٤]، إلى كم تردُّ عِبادَكَ فيما لا ينقصُكَ، أنفدَ ماعندَكَ؟ أقسمْتُ عليك بحبِّكَ لي إلاَّ سقيتَنا غيثَك الساعةَ الساعة. فما أتمَّ الكلامَ حتى تغيَّمَتِ السماءُ، وأخذَتْنا كأفواهِ القِرَب، فماخرجنا حتى خُضْنا الماء. فتعجَّبنا من الأسود، فتعرَّضْتُ له، فقلت: أما تستحي ممَّا قلتَ؟ قال: وماقلتُ؟ فقلتُ: قولُك بحبِّكَ لي،

---

(١) في (أ): «نستقي».
(٢) في (أ): «واستقينا».
(٣) في(ب): «إذا أنا».
(٤) في (أ): «ياسيدي».

ومايُدريكَ أنّه يُحبُّك؟ فقال: تنحَّ عن همَّتي، يامن اشتغلَ عنه بنفسِه، أينَ كنتُ أنا حين خصَّني بتوحيدِهِ ومعرفتِه؟ أتُراهُ بدَأني بذلك إلاَّ لمحبَّتِه لي؟ ثم بادَرَ يسعى، فقلتُ: ارفُقْ بنا. قال: أنا مملوك، عليَّ فرضٌ من طاعةِ مالكي الصغير[1]. فدخلَ دارَ نخَّاس، فلما أصبحْنا أتيتُ النخَّاسَ فقلتُ له: عندَك غلامٌ تبيعُنيه للخدمة؟ قال: نعم، عندي مئةُ غلام. فجعلَ يُخرجُ إليَّ واحدًا بعدَ واحد، وأنا أقول: غير هذا؛ إلى أن قال: مابقِيَ عندي أحد. فلمَّا خرجنا إذ بالأسودِ نائمٌ في حُجرةٍ خَرِبةٍ، فقلتُ: بعني هذا. قال: هذا غلامٌ مشؤوم، لاهمَّةَ له إلاَّ البُكاء. فقلتُ: ولذلك أُريدُه. فدعاهُ، وقال لي: خُذْهُ بماشئتَ بعدَ أن تُبرِئني من عُيوبه. فاشتريتُه بعشرين دينارًا، فلمّا خرجنا قال: يامَولاي، لماذا اشتريتَني؟ قلت: لتخدُمَكَ نحن. قال: ولِمَ ذاك؟ قلتُ: أليسَ أنتَ صاحبَنا البارحةَ في المُصلَّى؟ قال: وقد اطَّلَعْتَ على ذاك؟ فجعلَ يَمشي حتى دخلَ مسجدًا، فصلَّى ركعتينِ ثم قال: إلٰهي وسيِّدي، سرٌّ كانَ بيني وبينك، أظهرتَهُ للمخلوقين، أقسمْتُ عليك إلاَّ قبضتَ روحي الساعة. فإذا هو ميت، فمددتُ يديهِ ورجليه، فإذا وجهُهُ ضاحِك، وإذا شابٌّ قد أقبلَ من الباب، فقال: السلامُ عليكم ورحمة الله وبركاته، أعظمَ الله أجرَنا في أخينا، هاكم الكَفَن، فكفِّنوه فيه. فناولَني ثوبينِ ما رأيتُ مثلَهما، ثم خرج، فكفَّنَّاهُ فيهما. قال مالك بن دينار: فبقبرِهِ نستسقي، ونطلبُ الحوائجَ إلى يومِنا هذا[2].

* * *

وقال محمد بن عبد الرحمن عمَّنْ حدَّثه: أنَّهم كانوا بالبصرةِ في سنةٍ قُحِطَ الناسُ فيها، وغلا سعرُهم، واحتبَسَ عنم المطر، فخرجوا يستسقون،

---

(١) في (ب): «مولاي الصغير».

(٢) الخبر في صفة الصفوة ٤/ ١٦.

وخرجتِ اليهودُ والنصارى، فاعتزلتِ اليهودُ ومعهم التَّوراة، واعتزلتِ النَّصارَى ومعهم الإنجيل، واعتزلَ المسلمون كلُّهم يدعون، وانصرفوا يومَهم ذلك. قال: فبينا أنا بعدَ ذلك أمشي في طريقِ المِربد نظرتُ، فإذا بين يدي فتًى عليه أطمارٌ رثَّة، تقبله النَّفسُ، فهو يمشي وأنا خلفه، حتى خرجَ إلى الجَبَّان، فدخلَ بعضَ تلك المساجد التي بالقرب من المقابر، ودخلتُ خلفَه، يحولُ بيني وبينه أركانُ المسجد، فصلَّى ركعتَينِ ثم رفعَ يده يدعو، فقالَ في دُعائه: ياربّ، استغاثَ بك عِبادُك فلم تَسْقِهم؟ ياربّ، الآنَ شَمِتَ بنا اليهودُ والنصارى، أقسمْتُ عليك ياربّ إلاَّ سَقيتَنا الساعة ولم تَرُدَّني.

قال: فمابرح يدعو حتى جاءتِ السَّحابة، ومُطرنا، فخرجَ وخرجتُ في أثَرِه لأعرفَ موضعَه. فجاءَ إلى دارٍ فيها أخصاصٌ وأكواخ، وفيها سكَّانٌ، فدخلَ بيتًا منها، فعرفتُ موضعَه، فانصرفتُ عنه وهيَّأتُ دراهمَ في صُرَّةٍ، ثم جئتُ فاستأذنْتُ عليه، فدخلتُ، وإذا ليس في البيت إلاَّ قطعةُ حصيرٍ ومطهرةٌ فيها ماء، وإذا هو قاعدٌ يعملُ الخُوصَ، فسلَّمتُ، فرحَّبَ بي وبشَّ، فتحدَّثتُ ساعةً، ثم أخرجتُ الصرَّة. فقلت: رحمَكَ الله، انتفِعْ بهذه. فتبسَّمَ وقال: جزاكَ اللهُ خيرًا، أنا في غنًى عنها. فألححْتُ عليه. فجعلَ يدعو ويأبَى أنْ يأخذَها، فلمّا أكثرتُ عليه تنكَّرَ لي، وقال: حَسْبُكَ، الآنَ ليس بي إليها حاجة. قال: فأقبلتُ عليه، فقلت: رحمك الله، إنَّ لي عليك حقًّا. قال: وماهو، رحمكَ الله؟ قلت: كنتُ أسمعُ دعاءَكَ حين خرجتَ إلى الجبَّان. قال: فاصفرَّ وجهُه حتى أنكرتُه، وساءَهُ ماقلت، ثم خرجتُ من عندِه، فلمّا كان بعد ذلك بأيام، أتيتُهُ فلمّا دخلتُ الدارَ جعلَ سُكَّانُ الدارِ يصيحون بقيِّمِ الدار: هو ذا هو قد جاء. فجاءَ إليَّ فتعلَّقَ بي، وقال: ياعدوَّ نفسِه، ماصنعتَ بذاكَ الفتى الذي جئتَه اليومَ الأول؟ أيَّ شيءٍ أسمعتَه؟ قلتُ: لاتعجَلْ حتى أُخبرَكَ بالحديث، فأخبرتُهُ

بالحديث[1]. فقال: إنَّك لمَّا خرجتَ من عندِه قامَ في الحال، فأخذَ حصيرَهُ ومَطهرتَه وودَّعَنا وخرج، ولم يعُدْ إلينا إلى الساعة، لاندري أينَ توجَّه[2].

* * *

وقال صالح المُرِّي: قدِمَ علينا ابنُ السَّمَّاك مرَّةً فقال لي: أرِني بعضَ عجائبِ عُبَّادِكم؟ فذهبتُ به إلى رجلٍ في بعضِ الأحياء في خُصٍّ له، فاستأذنَّا عليه، فأذِنَ لنا، فدخلنا، فإذا رجلٌ يعملُ خوصًا له، فقرأتُ: ﴿إذِ الأغلالُ في أعناقِهِم والسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ * في الحَمِيمِ ثم في النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾[غافر: ٧١، ٧٢]، فشَهَقَ الرجلُ شهقةً، فإذا هو قد يبِسَ مَغْشيًا عليه. فخرجْنا من عندِه وتركْناه على حاله.

وذهبنا إلى آخرَ فاستأذنَّا عليه، فقال: ادخلوا إنْ لم تشغلونا عن ربِّنا. فدخلنا فإذا رجلٌ جالسٌ في مُصلًّى له، فقرأتُ: ﴿ذلك لمَنْ خافَ مَقَامي وخافَ وَعِيدِ﴾[إبراهيم: ١٤]، فشهقَ شهقةً بدرَ الدَّمُ من مِنْخَرَيْه، ثم جعلَ يتشحَّطُ في دَمِهِ حتى يبس. فخرجنا من عنده وتركناه على حالِهِ. حتى أدرتُهُ على ستَّةِ أنفسٍ، كلٌّ نخرجُ من عنده، وهو على هذه الحال.

ثم أتيتُ به السابعَ، فاستأذنتُ، فإذا امرأةٌ له من وراءِ الخُصِّ تقول: ادخلوا. فدخلنا، فإذا شيخٌ فانٍ جالسٌ في مُصلاَّه. فسلَّمْنا، فلم يَعقِلْ سلامَنا، فقلتُ بصوتٍ عالٍ: إنَّ للخلقِ غدًا مقامًا. فقال الشيخ: بينَ يَدي مَنْ ويحك؟ ثم بقي مَبهوتًا فاتحًا فاه، شاخِصًا بصرُه، يصيحُ بصوتٍ له ضعيف، حتى انقطع، فقالتِ امرأتُهُ: اخرجوا من عندِه؛ فإنكم ليس تنتفعونَ به الساعة. فلمَّا كان بعد ذلك سألتُ عن القوم، فإذا ثلاثةٌ قد

---

(١) في (أ) عبارة: «فأخبرته بالحديث» ساقطة.
(٢) صفة الصفوة ٤/ ١٥.

أفاقوا، وثلاثةٌ قد لحقوا باللهِ تعالى، وأمّا الشيخ فإنّه مكثَ ثلاثةَ أيامٍ على حالِهِ مَبهوتًا مُتحيِّرًا، لايؤدِّي فرضًا، فلمّا كان بعد ثلاثةٍ عَقَل[1].

* * *

وقال ابنُ السَّمَّاك: دخلتُ البصرةَ فقلتُ لرجلٍ كنتُ أعرفه: دُلَّني على عُبَّادِكم. فأدخلَني على رجلٍ عليه لباسُ الشَّعَر، طويل الصَّمْت، لايرفعُ رأسَه إلى أحدٍ، قال: فجعلتُ أستنطِقُهُ الكلامَ فلا يُكلِّمُني، قال: فخرجتُ من عنده. فقال صاحبي: هاهنا ابنُ عجوزٍ، هل لك فيه؟ قال: فدخلنا عليه، فقالتِ العجوزُ: لاتَذكروا لابني شيئًا من ذِكْرِ جنَّةٍ ولانار، فتقتُلوه عليّ، فإنه ليس لي غيرُه. قال: فدخلنا على شابٍّ عليه من اللِّباسِ نحوٌ ممَّا على صاحبه، مُنكَّس الرأس، طويل الصَّمت، فرفعَ رأسَه، فنظرَ إلينا، ثم قال: أما إنَّ للناسِ موقفًا لابُدَّ أنْ تقفوه. قال: قلتُ: بين يدي مَنْ، رحمك الله؟ قال: فشَهَقَ شهقةً فمات.

قال ابن السمَّاك: فجاءتِ العجوزُ فقالت: قتلتم ولدي. قال: فكنتُ فيمن صلَّى عليه[2].

رحمة اللهِ عليه.

* * *

وقال أبو عبد الله الجَزَري: قلتُ لمحمدِ بن السمَّاك: أخبرْني عن شيءٍ[3] رأيتَهُ من الخائفين. قال: اشتقتُ إلى عُبَّادِ البصرة، فأتيتُ الرَّبيع بن

---

(1) صفة الصفوة ٤/ ١٩.

(2) حلية الأولياء ٨/ ٢٠٨، صفة الصفوة ٤/ ٢٠

(3) في صفة الصفوة ٤/ ٢١: «أغرب شيء».

صُبيح، فنزلتُ عليه، ثم قلتُ له: هل تعرفُ هاهنا أحدًا من الخائفين؟ قال: نعم، هاهنا زاهدٌ يُقال إنّه من الخائفين. قلتُ له: فبكِّرْ بنا إذا صلّينا. قال: فبكَّرنا إلى بعضِ زوايا البصرة، فدقّ بابًا، فخرجَتْ عجوزٌ، فسلَّمَ عليها، ثم قال: مافعلَ ابنُك؟ قالت: إنَّ ابني قد نَسِيَ الدُّنيا. قال: أتأذنينَ لنا أنْ ندخلَ عليه[1]؟ قالت: بشرط أن لاتذكروا له القيامةَ. قال: فأذنتْ لنا، فدخلْنا، فإذا شابٌّ عليه مِدْرَعةٌ من شعر، وفي عُنقِه طوقٌ وسِلسِلةٌ مشدودةٌ بساريةِ البيت، وإذا قبرٌ محفورٌ، وإذا هو جالسٌ على شَفيرِ قبرِهِ ينظرُ في لحدِه. فقال الرَّبيعُ: ياهذا، أخوكَ محمدُ بن السَّمَّاك المذكور[2] أتاكَ زائرًا. فالتفتَ إليَّ، فقال: ماأنتَ قائل؟ فتلجلجَ لساني، وهِبْتُ، فجهدْتُ الجهدَ أن أنطقَ فما قدَرْتُ، فخرجنا يومئذٍ، ثم عُدنا في اليوم الثاني، فإذا هو على حالته التي رأيناه بالأمس. فالتفتَ إليَّ فقال: ماأنتَ قائل؟ فتلجلجَ لساني ثم قلتُ: إنَّ للعبادِ مَقامًا. قال: ويحك، عندَ مَنْ؟ قلت: عند مالكِ الملوك[3]. فشهقَ شهقةً فإذا هو ميتٌ في قبرِه[4].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

وقال: احترقَتْ خِصاصٌ بالبصرة، وبقي في وسَطِها خُصٌّ لم يحترقْ، وأميرُ البصرةِ يومئذٍ أبو موسى الأشعري، فخبر بذلك، فبعثَ إلى صاحبِ الخُصِّ، فأُتِيَ به، فإذا شيخٌ، فقال: ياشيخ، مابالُ خُصِّكَ لم يحترِق؟ قال: إنّي أقسمتُ على ربِّي أنْ لايحرقَه. فقال أبو موسى: أما إنّي سمعتُ رسولَ

---

(١) في (ب): «أتأذنين لي أن أدخل عليه»؟.
(٢) في صفة الصفوة ٤/ ٢١: «المذكِّر».
(٣) في صفة الصفوة: ملك الملوك.
(٤) صفة الصفوة ٤/ ٢١.

اللهِ ﷺ يقول: «يكونُ في أُمتي رجالٌ طِلْسٌ رؤوسُهم[١]، دَنِسٌ ثيابُهم، لو أقسموا على اللهِ لأبرَّهم»[٢].

* * *

وقال فُضيل أبو حاتم: لما كانَ حريقُ عَرْماذ[٣] كان رجلٌ في خُصٍّ له يسفُّ خُوصًا[٤]، والنارُ قد أحدَقَتْ به، فلم يضرَّه، فقلتُ له[٥] في ذلك، فقال: إنِّي عَزَمْتُ على ربِّ النار أن لايحرِقَني بالنَّار. قيل له: فاعزِمْ عليه أنْ يُطفئَها. قال: ففعلَ، فلم تلبَثِ النارُ أنْ طَفِئت[٦].

* * *

وقال إبراهيم بن عبد اللهِ المَدِيني: قيل للحسن: هاهنا رجلٌ لم نَرَهُ قَطُّ جالسًا إلى أحدٍ، إنَّما هو أبدًا خلفَ ساريةٍ وحدَهُ. فقال الحسن: إذا مارأيتموه فأخبروني به. فمرَّ به ذاتَ يوم ومعهم الحسن، فأشاروا إليه، فقالوا: ذاكَ الرَّجلُ الذي أخبرناك. فقال: امضوا حتى آتيَه. فلمّا جاءَهُ قال: ياعبد الله، أراكَ قد حُبِّبَتْ إليك العُزْلة، فما يمنعُكَ من مُخالطةِ الناس؟ [قال: ماأشغَلَني عن الناس! قال: فيأتي هذا الرجلُ الذي يُقال له الحسن فتجلس إليه]؟ قال: ماأشغلَني عن الحسن وعن الناس! قال له الحسن: فما الذي شَغَلَك ـ يرحمكَ الله ـ عن الناسِ وعن الحسن؟ قال: إنِّي أُمْسي

---

(١) طِلس: متساقط الشعر والوبر. اللسان (طلس).

(٢) الحديث ذكره الديلمي في الفردوس ٥/٤٠٩ (٨٥٧٨)، والخبر في صفة الصفوة ٤/١٣.

(٣) كذا في الأصل، والضبط منه، وفي صفة الصفوة ٤/١٩: «عرماز».

(٤) يسف خوصًا: ينسج ورق النخيل.

(٥) في (ب): «فقيل له».

(٦) صفة الصفوة ٤/١٩.

وأُصبحُ بين ذنبٍ ونعمةٍ، فرأيتُ أن أشغَلَ نفسي عن الناس بالاستغفار للذنبِ، والشُّكرِ للهِ على النِّعمة. فقال له الحسن: ياعبد الله، أنتَ أفْقَهُ عندي من الحسن، الزَمْ ماأنتَ عليه[1].

* * *

وقال عَطيَّةُ بنُ سليمان: صلَّيتُ الجمعةَ، ثم انصرفتُ، فجلستُ إلى يونس بن عُبيد حتى صلَّينا العصرَ فقال: هل لكم في جِنازةِ فلان؟ فمشينا إلى ناحيةِ بني سعد، فصلَّينا على جِنازةٍ، ثم قال: هل لكم في فلان العابدِ نعوده؟ فأتينا رجلاً[2] قد وقعتْ في فيه الخبيثة، حتى أبدَتْ عن أضراسِه، فكان إذا أرادَ أن يتكلَّمَ دعا بقَعْبٍ[3] من ماءٍ، وبقطنةٍ فيبُلُّ لسانَه حتى يبتلَّ، ثم يتكلَّمُ بكلماتٍ يُحسن فيهن. فلمّا دخلنا عليه، دَعا بالقدح ليفعلَ ماكان يفعل، فبينا هو يَبُلُّ لسانَه سقطَتْ حدقتاه في القَدَح، فأخذهما فمَعَتَهما[4] بيدِه، ثم قال: إنِّي لأجدُ فيهما دَسَمًا، وماكنتُ أظنُّه بقي فيهما، ثم استقبلَ القبلةَ، فقال: الحمدُ للهِ الذي أعطانيهما، فأمتعَني بهما شبابي وصِحَّتي حتى إذا فنيتْ أيامي، وحَضَرَ أجلي أخذهما منّي ليُبدِلَني بهما[5] - إن شاءَ اللهُ - خيرًا [منهما. فقالَ له يُونس: قد كُنَّا تهَيَّأنا لنعزِّيَكَ، فنحن الآن نُهنِّئك. فقال خيرًا]، ودَعا له، ثم خرجنا من عنده[6].

* * *

---

(١) صفة الصفوة ٤/ ١٤، ومابين معقوفين مستدركٌ منه.

(٢) في (ب): «فأتيناه فإذا رجل».

(٣) القَعْب: القدح الكبير الجافي. القاموس (قعب).

(٤) معت: دلك. اللسان (معت). وفي صفة الصفوة ٤/ ١٥: «فمرَّ بهما».

(٥) في (ب): «ليبدلهما».

(٦) صفة الصفوة ٤/ ١٤، ١٥، ومابين معقوفين مستدركٌ منه.

وقال حُصين بن القاسم الوزّان: كُنّا عند عبد الواحد بن زَيد وهو يَعِظُ، فناداه رجلٌ من ناحيةِ المسجد: كُفَّ ياأبا عُبيدة، قد كشفتَ[1] قناعَ قلبي. فلم يلتفتْ عبدُ الواحد إلى ذلك، ومرَّ في الموعِظةِ، فلم يزلِ الرجلُ يقول: كُفَّ ياأبا عُبيدة، فقد كشفتَ[1] قناعَ قلبي. وعبدُ الواحد يَعِظُ ولايَقطعُ موعظَتَهُ، حتى حشرجَ الرجلُ حشرجةَ الموتِ، ثم خرجَتْ نفسُهُ.

قال: فأنا واللهِ شهدتُ جِنازَتَهُ يومئذٍ، فما رأيت بالبصرةِ يومًا أكثرَ باكيًا من يومئذ.

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

وقال منصور بن عمّار: خرجتُ في ليلةٍ من الليالي، وظَننتُ أنَّ الصُّبح ماأضاءَ، فإذا الصُّبحُ قد أضاءَ عليَّ، فقعدتُ إلى دِهْلِيزِ مشرفٍ، فإذا أنا بصوتِ شابٍّ يدعو ويبكي، وهو يقول: اللهمَّ، وجلالِكَ ماأردتُ بمعصيتي مُخالفَتَك، ولقد عَصَيتُك إذْ عَصَيتُكَ وما أنا بِنكالكَ جاهلٌ، ولا لعقوبتِكَ مُتعرِّضٌ، ولالِنَظَرِكَ مُستخفٍ، ولكنْ سوَّلَتْ لي نفسي، فأعانتْني عليها شِقوتي، وغَرَّني سِتْرُكَ المَرخيُّ عليَّ، فقد عصيتك وخالفتك بجهدي. فمن عذابك من يستنقذني؟ ومن أيدي زَبانيتِكَ من يُخلِّصُني؟ وبحبلِ مَنْ أتَّصلُ إنْ أنتَ قطعْتَ حبلَكَ عني؟ واسوأتاه إذا قيل للمُخِفِّين: جُوزوا، وللمثقلين حطُّوا، فياليتَ شِعري مع المُثقلين نَحطُّ أم مع المُخفِّين نجوزُ؟ ويحي، كلَّما أطالَ عمري كثرتْ ذُنوبي، وكلَّما كَبرت سِنِّي كثرتْ خَطاياي، فياويلي كم أتوبُ وكم أعودُ ولاأستحي من ربِّي!

قال منصور: فلمّا سمعتُ هذا الكلام وضعتُ فمي على بابِ داره،

---

(١) في (أ): «كشف».

وقلت: أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيم بسم اللهِ الرحمنِ الرحيم ﴿يا أيُّها الذين آمَنُوا قُوا أنفسَكُمْ وأهْلِيكُمْ نارًا وَقُودُها الناسُ والحجارة ...﴾ [التحريم: ٦] الآية.

قال منصور: ثم سمعتُ للصَّوتِ اضطرابًا شديدًا، وسَكَنَ الصوتُ، فقلتُ: إنَّ هناك بَلِيَّةً. فعملتُ على الباب علامةً ومضيتُ لحاجتي، فلمّا رجعتُ من الغَدِ إذ أنا بجِنازةٍ منصوبةٍ، وأكفانٍ تصلح، وعجوزٍ تدخلُ الدَّارَ وتخرجُ باكيةً، فقلتُ: ياأمةَ الله، من هذا الميتُ منكِ؟ قالت: إليك عنِّي، لاتُجدِّدْ عليَّ أحزاني. قلتُ: إنِّي رجلٌ غَريبٌ، أخبريني. قالت: واللهِ لولا أنَّكَ غَريب ماأخبرتُك، هذا ولدي ومَنزِلُ كبدي، ومن كنتُ أظنُّ أنَّه سيدعو لي مِنْ بعدي. كان ولدي من موالي آلِ رسولِ اللهِ ﷺ وكان إذا جَنَّ عليه الليلُ قامَ من مِحرابِهِ يبكي على ذُنوبه، وكان يعملُ هذا الخُوصَ، فيقسمُ كسبَهُ أثلاثًا: فثُلُثٌ يُطعِمني، وثُلُثٌ للمساكين، وثُلث يُفطِرُ عليه. فمرَّ البارحة علينا رجلٌ لاجزاهُ اللهُ خيرًا، فقرأَ عند ولدي آياتٍ فيها ذكرُ النار، فلم يزلْ يَضطربُ ويَبكي حتى مات.

رحمه الله.

قال منصور بنُ عمَّار: فهذه صفةُ الخائفين إذا خافوا السَّطوةَ.

* * *

قال محمد بنُ السَّمَّاك: وعظتُ يومًا في مجلسٍ، فقام شابٌ من القوم، فقال لي: ياأبا العباس، لقد وعظتَ اليومَ بكلمةٍ ماكُنَّا نُبالي أن نسمعَ غيرَها. قلت: وماهي، رحمَكَ الله؟ قال: قولُكَ لقد قطعَ قلوبَ الخائفين طولُ الخلودَيْنِ: إمَّا في الجنَّةِ أو النار.

ثم غابَ ذلك الشابُّ عنِّي، ففقدتُهُ في المجلس الآخر، ولم أره،

فسألتُ عنه، فأخبروني أنَّه مريضٌ يُعاد. فأتيتُه أعودُه، فقلتُ له: ياأخي، ماالذي أرى بك؟ فقال: ياأبا العباس، ذلك من قولِك: لقد قطعَ قلوبَ الخائفين طولُ الخلودَيْنِ إمَّا في الجنةِ أو النار، ثم مات رحمه الله، فرأيتُهُ في المنام، فقلتُ له: ياأخي، ماصنَعَ بك ربُّكَ عزَّ وجلَّ؟ قال: غَفَرَ لي، وأدخلَني الجنَّة. قلت: بماذا؟ قال: بالكلمة.

* * *

وقال يزيد الرَّقاشي: دخلتُ على عابدٍ بالبصرة، وإذا أهلُ بيتهِ حولَه، وإذا هو مَجْهودٌ، قد أجهدَهُ الاجتهاد، قال: فبكى أبوه، فنظرَ إليه، ثم قال: أيُّها الشيخ، ماالذي يُبكيك؟ قال: يابُني، أبكي فَقْدَكَ ومأرى من جَهْدِك. قال: فبكتْ أُمُّه، فقال: أيَّتُها الوالدةُ الشفيقةُ الرَّفيقة، ماالذي يُبكيكِ؟ قالتْ: يابُنيّ، أبكي فراقَكَ، ومأتعجَّلُ من الوَحشةِ بعدَك. فبكى أهلُهُ وصبيانُهُ، فنظرَ إليهم، ثم قال: يامعشرَ اليتامَى بعدَ قليلٍ، ماالذي يُبكيكم؟ قالوا: ياأبانا نَبكي فراقَك، ومانتعجَّلُ من اليُتم بعدَكَ. قال: فقال: أقعدوني أقعدوني، ألا أرَى كلَّكم يَبكي لدُنيايَ، أما فيكم من يَبكي لآخرتي؟ أما فيكم من يَبكي لما يلقاهُ من التُّرابِ وجهي؟ أمَا فيكم من يبكي لمساءلةِ مُنكرٍ ونكِير؟ أما فيكم من يَبكي لوقوفي بين يدي ربِّي؟ قال: ثم صرخَ صرخةً، فمات[1].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

وقال عبد الواحد بن زَيد: خرجتُ إلى ناحيةِ الخُرَيْبة[2] فإذا إنسانٌ

---

(1) صفة الصفوة ٤/١٨.

(2) الخُريبة: تصغير خَرِبة، موضعٍ بالبصرة. معجم البلدان. وقد تحرَّفتْ في صفة =

أسودُ مَجذوم، قد تقطَّعَتْ كلُّ جارحةٍ له بالجُذام، وعَمِيَ وأُقعد، وإذا صِبيانٌ يَرمونه بالحجارةِ حتى دَمَوا وجهه، فرأيتُهُ يُحرِّكُ شفتيه، فدنوتُ منه لأسمعَ مايقولُ، فإذا هو يقول: ياسيدي إنَّكَ لتعلمُ أنَّكَ لو قرضْتَ لحمي بالمقاريض، ونشرتَ عظامي بالمناشير माازددتُ لك إلاَّ حُبًّا، فاصنَعْ بي ماشئت[1].

رحمة الله عليه ورضوانه.

* * *

وقال إبراهيم بن داود القصَّار: سمعتُ الدرَّاجَ يقول: كنتُ أنا وابن الفُوَطي على دجلةَ بين البصرةِ والأُبُلَّة، وإذا بقصرٍ حسنٍ، له منظرٌ وعليه رَجُلٌ، وبين يديه جاريةٌ تُغنِّي وتقول:

فـــي سبيـــلِ اللهِ وُدٌّ كـــانَ منِّـــي لـــكَ يُبـــذَلْ
كـــلَّ يـــومٍ تتلـــوَّنْ غيـــرُ هـــذا بـــكَ أجْمَـــلْ

وإذا شابٌّ بيدِه ركوةٌ، وعليه مُرقَّعَةٌ، وهو قائمٌ تحتَ القصرِ يسمعُ، فقال: ياجارية، بحياةِ مولاك، أعيدي:

كـــلَّ يـــومٍ تتلـــوَّنْ غيـــرُ هـــذا بـــك أجمـــلْ

فقال مولاها: قولي. فأعادَتْ. فقالَ الفقيرُ: هذا ـ والله ـ تلوُّني مع اللهِ في الحقّ. ثم شَهِقَ شهقةً خرجتْ روحُه.

فقال صاحبُ القصرِ للجارية: أنتِ حُرَّةٌ لوجه اللهِ تعالى.

وخرجَ أهلُ البصرةِ فغسَّلوهُ وكفَّنوه، وصَلَّوا عليه ودفنوه، فقامَ صاحبُ

= الصفوة ٤/١٨ إلى الحربية. والحربية موضعٌ ببغداد. والأخبار كلُّها عن متعبّدي البصرة.

(١) صفة الصفوة ٤/١٨، ١٩.

القصر: أليس تعرفوني؟ أُشهدُكم أنَّ كلَّ شيءٍ لي في سبيل اللهِ تعالى، وكلُّ مماليكي أحرار، ثم اتَّزَرَ بإزارٍ وارتدى برداء، وتصدَّقَ بالقصر، وكلَّ مافيه. ولم يروا بعدَ ذلك له وجهًا، ولاعرفوا له خبرًا[1].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

قال جعفرُ الخُلْدِيُّ: حدَّثني شيخٌ من أهلِ البَصرةِ قال: وقفَ عليَّ رجلٌ فقيرٌ، فقال: أعطِني كذا وكذا دِينارًا وأكثر. فقلت له: هذا مايُمكنّي، تُريد أن أشتريَ لكَ شيئًا تأكلُهُ؟ أو تُريدُ ثوبًا أكسوكَ فتلبَسَهُ؟ أو عليك دَيْنٌ أقضيه عنك؟ قال: فترَكَني ومَضَى.

فلمَّا كان بعد أيَّامٍ جاءني، وقال: أعطِني كذا وكذا دينارًا. فقلتُ له: عافاكَ الله، مايُمكنِّي ماتطلُب، تُريدُ شيئًا تأكلُ؟ تريد شيئًا تكتسي؟ عليك دينٌ أقضيه عنك؟ قال: فتركَني ومضى، ثم عاوَدَني[2] بعد أيامٍ نَوبةً ثالثةً فقال: أعطِني كذا وكذا دِينارًا شيئًا كثيرًا. فقلتُ له مايُمكنِّي. فقال لي: فتريدُ أنتَ شيئًا؟ قلت: نعم، ولأيِّ شيءٍ قعدتَ هاهنا؟ قال: فضرَبَ بيدِه إلى زنبيلٍ بين يدي[3] فمَلأَ يديهِ منه، ثم طرحَ في حِجْرِي دنانير، ثم مَلأَها ثانيةً فطرحَهما في حِجري، ثم ملأهما ثالثةً فطرحَهما في حِجْري دنانير. فأذهشَني مارأيتُ منه، وعظم عليَّ ماشاهدتُه، ثم تركَني ومضى، وقد بَقي عندي من تلك الدَّنانير بقيَّة. فعليكَ بصُحبةِ الفقراء؛ فإنَّهم كنوزُ الدُّنيا، ومفاتيح الآخرة.

* * *

---

(١) انظر روض الرياحين ٢٠٦ (الحكاية ١٢٥).

(٢) في (ب): «عاد إليَّ».

(٣) في (ب): «يديه».

بغداد

قال أبو عبد اللهِ أحمدُ بن يحيى الجلاَّء: سمعتُ أبي يقول: كنتُ عند معروفٍ في مجلسه، فدخلَ عليه رجلٌ، فقال: ياأبا محفوظ، رأيتُ في هذه الليلةِ عجبًا. قال: ومارأيتَ، رحمَكَ الله؟ قال: اشتهى عليَّ أهلي سمكًا، فذهبتُ إلى السُّوق، فاشتريتُ لهم سمَكَةً وحملتُها مع حمَّالٍ، فمشى معي، فلمّا سمعنا أذانَ الظهر، قال الحمَّالُ: ياعمّ، هل لك أن نُصلِّي؟ فكأنّه أيقَظَني من غفلةٍ، وقلتُ له: نعم، نُصَلِّي. فوضع الطَّبَقَ والسمَكةَ مِنْ عليه على مُستراحٍ، ودخلَ إلى المسجد. فقلتُ في نفسي: الغلامُ قد جادَ بالطبق، فأجودُ أنا أيضًا بالسَّمَك. فلم يزلْ يَركعُ حتى أُقيمتِ الصلاةُ، فصلَّينا جماعةً، وركعَ بعد الصلاةِ، وخرجنا، فإذا الطَّبَقُ على حالِه موضوعٌ.

فجئتُ إلى البيت، وحدَّثتُ أهلي بهذا، فقالوا لي: قُلْ له يأكلْ معنا من هذا السمك. فقلتُ له: تأكلُ معنا من هذا السَّمَكِ؟ فقال: أنا صائم. فقلتُ له: أفطِرْ عندنا. قال نعم، أروني طريقَ المسجد. فأريتُه، فدخلَ المسجدَ وجلسَ إلى أنْ صلَّينا المغربَ، فجئتُ إليه، وقلتُ له: تقومُ رحمكَ الله؟ قال: أو نُصلِّي عشاءَ الآخرة. فقلتُ في نفسي: وهذه ثانيةٌ يُريد أنَّ فيها خيرًا.

فلمّا صلَّينا جئتُ به إلى منزلي، ولنا ثلاثةُ أبياتٍ: بيتٌ فيه أنا وأهلي، وبيتٌ فيه صَبيَّةٌ مُقعَدة ولِدَتْ كذلك لها فوقَ العشرين سنة، وبيتٌ كان فيه ضيفُنا. فبينا أنا مع أهلي إذ دَقَّ داقٌّ البابَ في آخرِ الليل، فقلتُ: مَنْ يَدقُّ؟ قالت: أنا فلانة. فقلتُ: فلانةُ قطعةُ لحمٍ مطروحةٌ في البيت، كيف يستوي لها أنْ تمشي؟ فقالت: أنا هي، افتحوا لي. ففتحنا لها، فإذا هي،

فقلتُ: أيُّ شيءٍ الخبر؟ فقالت: سمعتكم تذكرونَ ضيفَنا هذا بخيرٍ، فوقعَ في نفسي أنْ أتوسَّلَ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ به، وقلتُ: اللهمَّ، بحقِّ ضيفِنا هذا، وبجاهِهِ عندك إلاَّ أطْلَقْتَ أسري. فاستويتُ وقمتُ وأنا في عافيةٍ كما تروني.

فقمتُ إليه أطلبُه في البيتِ، فإذا البيتُ خالٍ ليس فيه أحد. فجئتُ إلى الباب فوجدتُه مُغلقًا بحاله.

فقالَ معروف: نَعمْ فيهم صغارٌ وكِبار - يعني الأولياء[1].

رحمة اللهِ عليهم ورضوانه.

* * *

وقال: خلف البُرْزانيُّ[2]: أُتيتُ برجلٍ مجذومٍ، ذاهبِ اليدينِ والرجلين، أعمى، فجعلتُه مع المَجْذومين، فغَفَلتُ عنه أيَّامًا ثم ذكرتُه، فقلت: ياهذا، إنِّي غَفَلتُ عنك، وكيفَ حالُك؟ فقال لي: حبيبي ومَنْ أنا أُحبُّه، فقد أحاطتْ محبَّتُهُ بأحشائي، فلاأجدُ لما أنا فيه من ألمٍ مع محبَّتِهِ لايَغفُلُ عنّي. فقلتُ له: إنِّي نَسيتُ. قال: إنَّ لي مَنْ يَذكرُني، وكيف لايَذكرُ الحبيبُ حبيبَه، وهو نصبُ عينه تائه العقلِ واللُّبّ؟ قلتُ له: ألا أُزَوِّجُكَ امرأةً تُنَظِّفُك من هذه الأقذار؟ قال: فبكى ثم تنفَّسَ، وسما ببصرِه نحو السَّماء، وقال: ياحبيبَ قلبي. ثم أُغميَ عليه، فأفاقَ، فقلتُ: ماتقولُ؟ فقال: كيف تُزوِّجُني، وأنا مَلِكُ الدُّنيا وعروسُها؟ قلت: أيُّ شيءٍ الذي عندك من حُلَلِ الدنيا[3]؟ وأنتَ ذاهبُ اليدين والرِّجلين، أعمى تأكلُ

---

(١) صفة الصفوة ٢/ ٥٠٠، وروض الرياحين ٢٨٩ (الحكاية ٢٢٩).

(٢) الضبط من الأصل، وفي صفة الصفوة ٢/ ٥٠١: «البرزالي».

(٣) في صفة الصفوة ٢/ ٥٠٢: ملك الدنيا.

كما تأكلُ البهائم؟ قال: رضي عنّي سيِّدي إذ أبْلى جَوارحي، وأطلقَ لساني بذكره. قال: فوقع منِّي بكلِّ منزِلةٍ، فما لبثَ إلاَّ يَسيرًا حتى مات، فأخرجتُ له كفنًا فيه طولٌ، فقطعتُ منه. فأُتيتُ في منامي، فقيل لي: ياخلَف، بخلتَ على وليِّي ومُحِبِّي بكفنٍ طويلٍ، فقد ردَدْنا عليك كفنَكَ، وكفَّنَّاهُ عندنا بالسُّندس والاستبرَق. قال: فصرتُ إلى بيتِ الأكفانِ، فإذا الكفَنُ مُلْقى.

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

وقال إبراهيم الآجُرِّيُّ الكبير: كنتُ يومًا قاعدًا على بابِ المسجد في يومِ شاتٍ، إذْ مرَّ بي رجلٌ عليه خِرقتان، فظننتُ أنَّه من هؤلاءِ الذين يسألون، فقلتُ في نفسي: لو عمِلَ هذا بيده لكانَ خيرًا له. قال: ومضى الرجلُ، فلمَّا كانَ الليلُ أتاني مَلَكانِ فأخذَا بضَبْعَيَّ[1]، ثم أدخلاني المسجدَ الذي كنتُ على بابهِ قاعدًا، فإذا رجلٌ نائمٌ عليه خِرقتان، فكشفتُ عن وجهه، فإذا هو الذي مرَّ بي. فقالا لي: كُلْ لحمَه ☆فقد اغتبتَه☆[2]. فقلتُ: مااغتبتُه. فقالا لي: بلى حدَّثْتَ نفسَك بغيبتِه، ومثلُك لايُرضَى منه بمثلِ هذا. قال: فانتبهتُ فَزِعًا. فمكثتُ ثلاثين يومًا أقعدُ على بابِ المسجد لاأقومُ منه إلاَّ لفرضٍ، أنتظرُ أن يمرَّ بي فأستحلَّه. فلما كان بعد الثلاثين مرَّ بي على حالِه، والخِرقتانِ عليه، فوثَبْتُ إليه، فغمزَ وغمزتُ خلفَه، فلما خفتُ أنْ يفوتَني قلت: ياهذا، أُكلِّمُك. قال: فالتفتَ[3] إليَّ ثم قال:

---

(١) الضَّبْعُ: مابين الإبط إلى نصف العضد من أعلاه. معجم متن اللغة (ضبع).

(٢) (☆-☆) مابينهما ليس في (أ).

(٣) في (ب): «فنظر».

ياإبراهيم، وأنتَ أيضًا ممَّن يَغتابُ المؤمنين بقلبه؟ قال: فسقطْتُ مَغشيًا عليّ. قال: فأفقتُ وهو عند رأسي، فقال: أتعودُ؟ قلتُ: لا. ثم غابَ عن عيني، فلم أرهُ بعدَ ذلك[1].

رحمه الله.

* * *

وقال الجُنيد: أرِقتُ ليلةً فرُمتُ السُّكونَ، فما وجدتُهُ، ثم اجتهدتُ في قضاءِ وِرْدٍ كان لي، فلم أقدِرْ، ثم حرصتُ على دراسةِ شيءٍ من القرآنِ فلم أقدِرْ، ووقعَ بي انزعاجٌ شديدٌ، فأخذتُ ثوبي على كتفي، وخرجتُ وذاكَ آخرَ الليل، فلمَّا توسَّطْتُ الدَّربَ عثرتُ بإنسانٍ مُلتفٍّ في عباءةٍ، فرفعَ رأسَه، وقال: إلى الساعة؟! فقلتُ: سيدي، عن موعدٍ تقدم؟ قال: لا، ولكنْ سألتُ مُحرِّكَ القلوبِ أن يُحرِّكَ لي قلبَك. فقلتُ: قد فعل، ألَكَ حاجةٌ؟ قال: نعم. قلت: ماهي؟ قال: ياأبا القاسم، متى يكونُ داءُ النفس دواءَها[2]؟ فقال: إذا خالفتِ النَّفسُ هواها صار داؤها دواءَها. قال: فتنفَّسَ، وقال: قد أجبتُها بهذا الجواب الليلةَ سبعَ مرَّاتٍ، فقالت: لا أو أسمعهُ من جُنيد، هاقد سمعتِ منه. ثم مَضى فمارأيتُهُ بعد ذلك[3].

رحمه الله.

* * *

وقال عُبيد الله بن عبد الله: كنتُ عند الجُنيد يومَ قَدِمَ أبو حفص

---

(١) صفة الصفوة ٢/٥٠٣.

(٢) في (أ): «متى يكون الداء دواء؟».

(٣) صفة الصفوة ٢/٥٠٤، وروض الرياحين ٣٩٠ (الحكاية ٣٤٩)

النَّيسابوريُّ، فوثبَ إليه الجُنيد وعانقَهُ. فقال للجُنيد: دَعْني من المُعانقة، عندكَ شيءٌ تطعمُني؟ فقال: إلى أيِّ شيءٍ تومئ؟ فعيَّنَ له على شيءٍ يُطبخ. فالتفتَ الجُنيد إلى ابن زَبْري[1] فقال: قد سمعت. فمضى ابنُ الزَّبريِّ، فغابَ ساعةً ثم عادَ ومعه ماأرادَ، فقال الجُنيد لأبي حفص: قد حضرَ ماذَكرتَ. فقال: ياأخي، قد أحببتُ أن أُوثِرَ به، أتُساعدُني؟ فقال له: أُحبُّ ماتُحبُّ. فقال الجُنيد لابن زَبْري: قد سمعتَ فأنفِذْهُ إلى مُستحقٍّ. فأقبلَ ابنُ زَبْريٍّ على الحمَّال، فقال: امشِ بين يديَّ، وحيثُ أعييتَ فقِفْ. فمشى الحمَّالُ ساعةً ووقفَ بين دارين، فدقَّ ابنُ زَبْري أقربَ الدارَيْنِ إلى الحمَّال، فإذا نداءٌ من داخلِ الدار: ادخُلْ إنْ كان معك كذا وكذا، وإلاَّ فلا. وعيَّنَ ماكانَ مع الحمَّال. قال: ففتحتُ الباب وإذا شيخٌ قاعد، وخيشٌ مُرسَلٌ على باب، فوضعتُ ماكان مع الحمَّال بين يدي الشيخ، وصرفتُ الحمَّال، وقعدتُ. فقال لي: وراءَ هذه الخيشةِ صبيانٌ وبُنَيَّاتٌ مُحتاجونَ إلى هذا الطعام. فقلتُ له: لاأنصرِفُ أو تُخبرني بالحال. فقال: هؤلاءِ الصِّبيان سألوني هذا الطعامَ مُنذُ مدَّةٍ، ولم تُسامحْني نفسي أنْ أسألَ الله تعالى، فوجدتُ البارحةَ مُسامحةً أنْ أسألَ، فجعلتُ علامةَ إجابةِ اللهِ إيَّايَ وجودَ المُسامحةِ من السؤال، فلمَّا دققتَ البابَ علمتُ مامعك[2].

* * *

وقال الجُنيد: سمعتُ السَّرِيَّ بنَ المُغلِّس يقول: إنَّ في قُرى بغداد لأولياءَ لا يعرفُهم الخَلْق. قال: فكنتُ أدورُ في القرى لعلِّي أجدُ منهم واحدًا. فبينا أنا يومًا في بعضِ القُرى دخلتُ مسجدًا، فرأيتُ فيه شابًّا

---

(١) في (أ): «زيزي» وفي صفة الصفوة ٢/ ٥٠٥: زيري. والمثبت من (ب) والضبط منها.

(٢) صفة الصفوة ٢/ ٥٠٤.

ساكتًا، فتقدَّمَ إليَّ، وقال: أتأذَنُ أنْ أسألَكَ مسألةً؟ فقلت: هات. فسألَ مسألَةً من أحوالِ القلبِ دقيقةً قاصيةً. فقلتُ[1]: يقعُ لك مثلُ هذه المسألة؟ فقال: كثير. فقلتُ: وكيف تعملُ؟ فقال: أنا إنسانٌ قد لازمتُ هذا الموضعَ، فإذا وقعَ لي مثلُ هذه المسألةِ قيَّضَ الله لي وليًّا مثلَك فيُجيبني. فعلمتُ صدقَ قولِ السَّرِيِّ[2].

* * *

وقال أبو جعفر السقَّاء: خرجتُ يومًا من بيتي في يومٍ مَطِير، فإذا أسودُ مطروحٌ على مَزْبلةٍ مريضٌ، فجررتُهُ، فأدخلتُه إلى بيتي، فلمّا أمسينا دعاني، فقال: ياأبا جعفر، لا تُفسِدْ ماصنعت، اقعُدْ عندي. قال: وفاحَ البيتُ ريحَ المِسْك، وصار ريحُ جبَّتي وكِسائي وجرَّتي وكوزي وكلِّ شيءٍ في البيت ريح المسك[3]. فقال: اقعدْ عندي. قال: ثم قال بيده هكذا: لاتُضيِّقْ على جُلسائي. قال: فسمعتُه يقول: اندَكْ اندَكْ ياباز خُدَاه[4]. ارفُقْ بي يامولاي. قال: ثم خرجتْ نفسُه. قال: قلت: أبيع كسائي، أبيعُ جبَّتي فأشتري له كفنًا. قال: فطرقَ بابي قريبٌ من سبعين إنسانًا، كلٌّ منهم يقول: ياأبا جعفر، ماتَ عندك إنسانٌ يحتاجُ إلى كفنٍ[5].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

---

(١) في (ب): «فأجبتُه وقلت».
(٢) صفة الصفوة ٢/٥٠٦.
(٣) في (أ): «بريح المسك».
(٤) الجملة فارسيَّةٌ، وترجمتها: رفقاً رفقاً يا إلهي.
(٥) صفة الصفوة ٢/٥٠٦.

وقال أبو بكر عبد العزيز: كنتُ مع أُستاذي ـ يعني أبا بكر الخلاَّل ـ وأنا غلامٌ مشتدٌّ، فاجتمعَ جماعةٌ يتذاكرونَ بعدَ عِشاء الآخرة. فقال بعضُهم لبعض: أليس مُقبل ـ يعني رجلاً أسودَ كان ناطوراً بباب حرب ـ لنا مُدَّةٌ مارأيناه؟ فقاموا يقصِدونَه. وقال لي أُستاذي ـ يعني الخلال ـ لاتبرحْ، احفظِ الباب. فتركتُهم حتى مَضَوا وأغلقتُ البابَ وتبعتُهم، فلمَّا بلغنا بعض الطريق، قال أُستاذي: هو ذا أرى وراءَنا شخصًا. فوقفوا، فقالوا: من أنت؟ فأَمسكتُ فزِعًا من أستاذي. فقال أحدُهم لأستاذي: باللهِ عليك، إلاَّ تركتَه. فتركَني، ومضيتُ معه.

فدخلنا إلى قَراحٍ[1] فيه باذِنجانٌ مملوء، والأسودُ قائمٌ يُصلي، فسلَّموا وجلَسوا إلى أنْ سلَّمَ، وأخرجَ كيسًا فيه كِسَرٌ يابسةٌ[2]، ومِلْحٌ جَريش، وقال: بلُّوا وكلوا. فأكلوا وتحدَّثوا وأخذوا يَذكرون كراماتِ الأولياء، وهو ساكتٌ، فقال واحدٌ من الجماعةِ: يامُقبِل، قد زُرناك، فما تحدِّثنا بشيء؟ فقال: أيُّ شيءٍ أنا؟ وأيُّ شيءٍ عندي أُحدِّثك؟ أنا أعرفُ رجلاً لو سألَ اللهَ تعالى أن يجعلَ هذا القَراحَ الباذنجان ذهبًا[3] لفعلَ. فواللهِ مااستتمَّ كلامَهُ حتى رأينا القَراحَ يتَّقِدُ ذهبًا.

فقال له أُستاذي ـ يعني الخلال ـ: يامُقبِل، لأحدٍ سبيلٌ أنْ يأخذَ من هذا القَراحِ أصلاً واحدًا؟ فقال له: خُذْ. وكان القَراحُ مَسقيًا، فأخذَ الأستاذُ الأصلَ فقلعَه بعروقِهِ، وجميعُ مافيه ذهب. فوقعتْ من الأصلِ باذنجانةٌ صغيرةٌ وشيءٌ من الورق، فأخذتُه. وبقاياه معي إلى يومي هذا. قال: ثم صلَّى ركعتين، وسألَ الله ☆تعالى أن يُعيدَ القَراحَ كما كان☆[4] فعادَ القَراحُ

---

(١) في (ب): «حتى دخلنا». والقَراح: في الأصل: الأرض لاماءَ بها ولاشجر ولابناء. معجم متن اللغة (قرح). وتفيد هنا البستان.

(٢) في (أ): كساء فيه كسر يابس.

(٣) في الأصل: «هذا القراح باذنجان ذهب»، والمثبت من صفة الصفوة ٢/ ٥٠٨.

(٤) (☆-☆) مابينهما ليس في (أ).

كما كان، وعادَ مكانَ ذلك الأصلِ باذنجانٌ آخر[١].

* * *

وقال محمد بن داود الرَّقِّيُّ: كنتُ مارًّا ببغداد، وإذا ببعضِ الفقراءِ يمرُّ في الطريق، وإذا مُغَنٍّ يُغنِّي ويقول:

أمُـدُّ كفِّـيَ بـالخُضـوعِ ... إلى الـذي جـادَ بـالصَّنِيـعِ

قال: فشهقَ الفقيرُ شهقةً، وخرَّ مَغشيًّا عليه[٢].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

وقال أبو السَّفَر الصُّوريُّ[٣]: دخلتُ في يومِ عيدٍ على بعضِ مشايخنا، فرأيتُ عندَه خلاًّ وهِنْدَبا[٤]، فاشتغلَ قلبي وخرجتُ، فدخلَ عليَّ[٥] بعضُ أهلِ الدنيا، فأخبرتُه، فدفعَ إليَّ صُرَّةً فيها دراهم، وقال: احمِلْها إليه. فعدتُ بها إليه، فقلتُ: جئتُ بهذه لتستعينَ بها على وقتِك. قال: وما الذي رأيتَ من حالي؟ فقلتُ له: رأيتُ عندَك خلاًّ وهِنْدَبا. فقال: كأنَّكَ افتقدتَ ذلك، لو كان في بيتي امرأةٌ كنتَ تفتقدُها، قم فواللهِ لاكلَّمْتُكَ شهرًا. فخرجتُ، فضربَ البابَ [في] وجهي، فسالَ الدَّمُ، فأتيتُ الشِّبْلِيَّ فقلتُ له: ياأبا بكر، رجلٌ مشى في طاعةِ اللهِ، فانفتحَ وجهه ماسبَبُ هذا؟ فقال: لعلَّهُ

---

(١) صفة الصفوة ٢/٥٠٧، روض الرياحين ٤٠٧ (الحكاية ٣٧٠).
(٢) صفة الصفوة ٢/٥٠٩. قال ابن الجوزي: وقد رويت لنا عن الرقي عن غيره.
(٣) في صفة الصفوة ٢/٥٠٩: «عن أبي الصوفي».
(٤) الهِنْدَبا: بقلةٌ معروفةٌ معتدلةٌ نافعةٌ للمِعدةِ والطحال. القاموس المحيط (هندب).
(٥) في (أ): «فدخلتُ على».

أرادَ أن يأتيَ إلى شيءٍ صافٍ يكدِّرُه[١].

* * *

وقال أبو الحسين بن شمعون[٢]: اجتزتُ يومًا على الصَّراةِ[٣]، فرأيتُ امرأةً تلتقِطُ من ورقِ البقلِ الذي يأتي عل الماء، فقلتُ: لاشكَّ أنَّ هذه المرأةَ فقيرةٌ، فوقفتُ حتى رجعتْ، فاتبعتُها، فأتتْ إلى دارٍ فدخلتْ، فرجعتُ إلى بيتي، فما استقرَّ بي المنزِلُ حتى أتاني خادمٌ معه دنانير ودراهم، فقال: ادفعْ هذا إلى محتاجٍ، فأخذتُهُ وقمتُ، فأتيتُ بيتَ المرأة، فطرقتُ البابَ، فخرجَ إليَّ رجلٌ من خواصِّ مجلسي، ومن المُلازمين لي، فلمّا رآني قال: مالي أراكَ هكذا؟ فقلتُ: جئتكم بهذه الدنانير تستعينون بها على الوقتِ. فنظرَ إليَّ مُغضَبًا، فقال: ياشيخ، تُحذِّرُنا من الدنيا، وتأتينا بها. ثم ردَّ البابَ في وجهي، ودخلَ.

فرجعتُ مُنكسرًا إلى بيتي، ثم قلتُ في نفسي: لابُدَّ أنْ أعودَ إليه فأعتذِر، فأتيتُه في اليوم الثاني، فطرقتُ البابَ مرارًا، فلم يجبْني أحدٌ، وإذا امرأةٌ من الجيرانِ تقول: مالكَ يارجل؟ فقلتُ لها: مافعلَ أهلُ الدار؟ فقالت: كان في هذه الدارِ رجلٌ مع والدتِه فكنَّا نتبرَّكُ بهما، فجاءَ بالأمسِ شيطانٌ فكلَّمهما بما كرِها، فانتقلا[٤] عنَّا.

قال: فعدتُ وأنا شديدُ الحُزنِ على مافعلتُ، وجعلتُ أتفقَّدُ مجلسي فلا أرى الرَّجل.

---

(١) صفة الصفوة ٢/٥٠٩، ومابين المعقوفين مستدركٌ منه.

(٢) في (أ): «سمعون».

(٣) الصراة: أحدُ نهرَيْنِ ببغداد، وهما الصراةُ الكبرى، والصراةُ الصغرى. معجم البلدان.

(٤) في (ب): «فكلمهم بما كرهوا فانتقلوا».

فلمّا كان يوم عرفة، وأنا أتكلَّمُ على النَّاس رأيتُهُ في أواخرِهم، فلما انقضى المجلسُ مضَيتُ إليه، فسلَّمْتُ عليه، فردَّ عليَّ وقال: لا تُعِدْ مافات، ولا تقُلْ شيئًا، فلولا أني أعتقدُ كلامَكَ دواءً لقلبي لم أحضُر، وإنّما غِبتُ عنك لأنّا انتقلْنا إلى مكانٍ آخرَ حتى لا نُعرف. فقلتُ: ماأتيتُ إلاّ مُعتذرًا، وماأعودُ. ثم فارقتُه[1].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

وقال إسماعيل الدَّيلميّ: كنتُ في البيت عند أحمدَ بنِ حنبل، فإذا نحنُ بداقٍّ يدقُّ الباب، قال: فخرجتُ إليه، فإذا أنا بفتًى عليه أطمارُ شعر، قال: فقلتُ: ماحاجَتُك؟ قال: أُريدُ أحمدَ بنَ حنبل. قال: فدخلتُ إليه، فقلت: ياأبا عبد الله، بالبابِ شابٌّ عليه أطمارُ شَعَرٍ يطلُبك.

قال: فخرجَ إليه فسلَّمَ عليه، فقال له الفتى: ياأبا عبد الله، أخبِرْني ماالزُّهْدُ في الدُّنيا؟ فقال له أحمد: حدَّثنا سُفيانُ عن الزُّهري، أنَّ الزُّهدَ في الدُّنيا قِصَرُ الأمَل. فقال له: ياأبا عبد الله، صفْهُ لي. قال: وكان الفتى قائمًا في الشمس والفَيءُ بين يديه، فقال: هو أنْ لايَبلُغَ من الشمس إلى الفَيء. ثم ذهبَ ليولِّي، فقال له أحمد: قفْ. قال: فدخلَ، فأخرجَ له صُرَّةً، فدفعَها إليه، فقال له: ياأبا عبد الله، من لايبلُغ من الشمس إلى الفيءِ أيشٍ يعملُ بهذه؟ قال: ثم تركَهُ وولَّى.

رحمة اللهِ ورضوانه.

* * *

(١) صفة الصفوة ٢/ ٥١٠.

وقال الجُنيد: كنتُ جالسًا في مسجد الشُّونِيزِيَّةِ أنتظرُ جنازةً أُصلِّي عليها، وأهلُ بغداد على طبقاتهم جلوسٌ ينتظرونَ الجِنازة، فرأيتُ فقيرًا عليه أثرُ النُّسكِ يسألُ الناس، فقلتُ في نفسي: لو عمِلَ هذا عملاً يصونُ به نفسَه كان أجملَ به.

فلمّا انصرفتُ إلى منزلي، وكان لي شيءٌ من الوِرْدِ باللَّيل من الصلاةِ والقِراءة والبُكاء، فثقلتْ عليَّ جميعُ أورادي، فسهرتُ وأنا قاعدٌ، فغلبتْني عيناي، فرأيتُ ذلك الفقيرَ، وقد جاؤوا به مَمدودًا على خِوانٍ، قالوا لي: كُلْ لحمَهُ؛ فقد اغتبتَه. فكُشِفَ لي عن الحال، وقلتُ: ماأغتبتُه، إنّما قلتُ شيئًا في نفسي. فقيل لي: ماأنتَ ممّن يُرضَى منك بمثلِ هذا، اذهبْ إليه فاستحلَّه.

فأصبحتُ ولم أزلْ أتردَّدُ عليه حتى رأيتُه في موضعٍ يلتقِطُ من تردادِ الماءِ أوراقًا من البقلِ ممّا يتساقطُ عن غسلِ البقل، فسلَّمتُ عليه، فقال: أتعودُ يا أبا القاسم؟ قلتُ: لا. قال: غفرَ اللهُ لنا ولك[1].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

وقال أبو العباس الهاشمي: دخلتُ على الحارثِ بن أسدِ المُحَاسِبِيِّ فقلتُ له: ياأبا عبد الله، حاسبتَ نفسَك؟ فقال: كان هذا مرّةً. قلتُ له: فاليوم؟ قال: أكاتمُ حالي؟ إنّي لأقرأُ آيةً من كتابِ الله تعالى فأضَنُّ بها أن تسمعَها نفسي لولا أن يَغلبَني فيها فرحٌ ماأعلنتُ بها، ولقد كنتُ ليلةً قاعدًا في مِحرابي فإذا أنا بفتًى حسنِ الوَجه، طيِّبِ الرائحة، فسلَّمَ عليَّ، ثم قعدَ

---

(١) روض الرياحين ٢٠٨ (الحكاية ١٢٨).

بين يدي، فقلتُ له: من أنت؟ فقال: أنا واحدٌ من السيَّاحين، أقصِدُ المتعبِّدين في محاريبِهم، ولاأرى لك اجتهادًا، فأيُّ شيءٍ عمَلُك؟ قال: قلت: كتمانُ المصائبِ واستجلابُ الفوائد. قال: فصاحَ صيحةً وقال: ماعلمتُ أنَّ أحدًا بين جنبتَي المشرقِ والمغرِب هذه صفتُه.

قال الحارث: فأردتُ أنْ أزيدَ عليه، فقلتُ له: أما علمتَ أنَّ أهلَ القلوب يحملونَ أحوالَهم، ويكتمون أسرارَهم، ويسألونَ اللهَ عزَّ وجلَّ كتمانَ ذلك عليهم، فمن أين تعرفهم؟ قال: فصاحَ صيحةً غُشِيَ عليه. فمكثَ عندي يومين لايَعقِلُ، ثم أفاقَ وقد أحدَثَ في ثيابه، فعلمتُ إزالةَ عقله، فأخرجتُ له ثوبًا جديدًا، وقلتُ له: خذْ هذا كفَني قد آثرتُك به، فاغتسِلْ وأعِدْ صلواتِك [1]. فقال: هاتِ الماء. فاغتسلَ وصلَّى، ثم التحفَ بالثوب وخرج، فقلتُ له: أينَ تريد؟ فقال لي: قم. فلم يزلْ يَمشي حتى دخلَ على المأمون أميرِ المؤمنين، فسلَّمَ عليه ثم قال: ياظالم، وأنا ظالمٌ إنْ لم أقلْ لك ياظالم [2]، أستغفرُ اللهَ تعالى، أستغفرُ الله من تقصيري فيك، أستغفرُ الله، أما تتَّقي اللهَ عزَّ وجلَّ فيما قد ملَّكَكَ! وتكلَّمَ بكلامٍ كثيرٍ، ثم أقبلَ يُريدُ الخروج، وأنا بالبابِ جالسٌ، فأقبلَ عليه المأمون، وقال: من أنت؟ قال: أنا رجلٌ من السيَّاحين، فكَّرْتُ فيما عمل الصِّدِّيقون قبلي فلم أجِدْ لنفسي فيه حظًّا، فتعلَّقتُ بموعظتِك لعلِّي ألحقُهم.

قال: فأمرَ بضربِ عنقه، وأُخرج وأنا قاعدٌ على الباب ملفوفًا في ذلك الثوب، ومنادٍ يُنادي: من وليُّ هذا فليأخُذْه؟ قال الحارث: فاجتنبْتُ عنه، فأخذه أقوامٌ غرباء فدفنوه، وكنتُ معهم لا أُعلِمُهم حالَه، فأقمتُ في مسجدٍ في المقابر مَحزونًا على الفتى، فغلبتْني عيناي، فإذا هو بين وصائفَ لم أرَ

---

(١) في (ب): «صلاتك».
(٢) في (أ): «إن لم أقل ذلك».

أحسنَ منهنَّ، وهو يقول: ياحارث، أتيتُ واللهِ الكاتمين الذين يُخْفون أحوالَهم، ويُطيعونَ ربَّهم. قلت: ومافعلوا؟ قال: الساعةَ يتلَقَّونَكَ. فنظرتُ إلى جماعةِ ركبانٍ، فقلتُ: من أنتم؟ فقالوا: حرَّك هذا كلامُك له، فلم يكنْ في قلبِهِ ممَّا وصفتَ شيءٌ، فخرجَ الأمرُ والنهيُ، فأنزلَه اللهُ معنا، وغضبَ لعبده.

رحمه الله تعالى.

* * *

وقال أبو محمد أحمدُ بن الحسين الجَزَرِيُّ: كان في جامع بغداد فقيرٌ لم يجتمِعْ له ثوبانِ قطُّ في الشتاء والصيف، فسئلَ عن ذلك فقال: إنِّي كنتُ مُولَعًا بكثرةِ الثِّياب فيما سبق، فرأيتُ في منامي كأنِّي دخلتُ الجنَّةَ، فرأيتُ جماعةً من أصحابِنا الفقراء على مائدةٍ، فأردتُ أنْ أجلسَ معهم، فإذا جماعةٌ من الملائكةِ أخذوا بيدي فأقاموني، وقالوا: هؤلاءِ أصحابُ قميصٍ واحد، وأنت لك قميصانِ، فلاتجلسْ معهم. فانتبهتُ، ونذرْتُ أن لاألبسَ غيرَ ثوبٍ واحدٍ إلى أن ألقى اللهَ عزَّ وجلَّ.

رحمة الله عليه ورضوانه آمين.

* * *

الجبال

قال أبو سليمانَ الدّاراني: مررتُ في جبلِ اللُّكَّام[1] في جوفِ الليل، فسمعتُ رجلاً يقول في دُعائه: ياسيِّدي، وأمَلي ومُؤمِّلي، ومن به تمَّ

---

(١) اللُّكَّام: بالضم، وتشديد الكاف، ويروى بتخفيفها: الجبل المشرف على أنطاكيةَ وبلادِ ابن ليون والمصِّيصة وطرسوس وتلك الثغور. معجم البلدان ٥/ ٢٢.

عملي، أعوذُ بك من بدَنٍ لاينتصِبُ بين يديك، وأعوذُ بك من قلبٍ لايَشتاقُ إليك، وأعوذُ بك من دُعاءٍ لايصلُ إليك، وأعوذ بك من عينٍ لاتبكي عليك. فعلمتُ أنّه عارفٌ. فقلت: يافتى، للعارفين مَقامات، وللمشتاقين علامات. قال: ماهي؟ قلت: كِتمانُ المصائب، وصياناتُ الكرامات. فقال لي: عِظني. فقلت: اذهبْ، فلا تُرِدْ غيرَه، ولاتَرُدَّ خيرَه، ولاتبخَلْ بشيئه[1] عنه. قال: زِدْني. قلتُ: اذهبْ فلا تُرِدِ الدنيا، واتَّخِذِ الفقرَ غِنًى، والبلاءَ من اللهِ ثناءً[2]، والتوكُّلَ مَعاشًا، والجوعَ حِرفةً، واتَّخذِ اللهَ لكلِّ شِدَّةٍ عُدَّةً. فصُعِقَ صعقةً، فتركتُه[3].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

وقال ذو النون: بينا أنا أسيرُ في جبلِ اللُّكَّام مررتُ على وادٍ كثيرِ الأشجارِ والنباتِ، فبينا أنا واقفٌ أتعجَّبُ من حُسنِ زهرتِه، ومن خُضرةِ العُشبِ في جنباتِه إذْ سمعتُ صوتًا أهطلَ مَدامعي، وهيَّجَ بلابِلَ[4] أحزاني، فاتَّبعتُ الصَّوتَ حتى وقفني[5] بباب مَغارٍ في سفحِ الوادي، فإذا الكلامُ يخرجُ من جوف المغار، فاطَّلعتُ فيه فإذا أنا برجلٍ من أهل التعبُّد والاجتهاد، فسمعتُه يقول: سُبحانَ من أمْرَجَ[6] قلوبَ المشتاقين في رياضِ الطاعةِ بين يديه، سبحان من أوصلَ الفَهْمَ إلى عُقولِ ذوي البصائر، فهي

---

(١) في (ب): «بشيء».
(٢) في صفة الصفوة ٤/ ٣٤٠: «شفاءً».
(٣) صفة الصفوة ٤/ ٣٤٠.
(٤) البلابل: البُرَحاءُ في الصدر. معجم متن اللغة (بلل).
(٥) في (ب) «وقف بي».
(٦) أمْرَج سائمتَه: تركها تمرجُ حيث شاءت، رعاها في المرج. وتحرفتْ في صفة الصفوة إلى أخرج.

لاتَعتمدُ إلاَّ عليه. سبحانَ من أَوْرَدَ حِياضَ المودَّةِ نفوسَ أهلِ المحبَّةِ فهي لاتَحِنُّ إلاَّ إليه. ثم أمسكَ فقلت: السلامُ عليك ياحليفَ الأحزان، وقَرين الأشجانِ. فقال: وعليكَ السلامُ، ماالذي أوصَلَك إلى مَنْ أفردَهُ خوفُ المُساءَلة[1] عن الأنام، واشتغلَ بمحاسبةِ نفسِه عن التنطُّعِ في الكلام؟ قلت: أوصلَني إليك الرَّغبةُ في التصفُّحِ والاعتبار. فقال: يافتى، إنَّ للهِ عزَّ وجلَّ عبادًا قدَحَ في قلوبهم زَنْدُ الشغفِ نارَ الوَمَقِ[2]، فأرواحُهم بشدَّةِ الاشتياقِ تسرحُ في الملكوت، وتنظرُ إلى ماذُخِرَ لها في حُجُبِ الجبروت. قلت: صِفْهم لي. قال: أولئك قومٌ آوَوْا إلى كنفِ رحمتِه. ثم قال: ياسيِّدي بهم فألْحِقْني، ولأعمالِهم فوفِّقْني. قلتُ: ألا تُوصي بوصيَّةٍ أحفظُها عنك؟ قال: أحِبَّ اللهَ شوقًا إلى لقائه، فإنَّ له يومًا يتجلَّى فيه لأوليائه. وأنشأَ يقول:

قد كان لي دَمْعٌ فأفنيتَهُ ... وكان لي جَفْنٌ فأدمَيْتَهُ
وكان لي جِسمٌ فأبلَيتَهُ ... وكان لي قلبٌ فأضنيتَهُ
وكان لي ياسيِّدي ناظرٌ ... أرى به الحقَّ فأعْمَيتَهُ
عَبدُكَ أضحى سيِّدي مُوثَقًا ... لو شئتَ قبلَ اليومِ داوَيتَه[3]

* * *

وقال أبو إبراهيم الزُّهري: كنتُ جائيًا من المصِّيصة، فمررتُ باللُّكَّام، وأحببتُ أن أراهم ـ يعني المتعبِّدين ـ هناكَ، فقصدتُهم، فوافَيتُ صلاةَ الظهر، وأحسبه رآني فيهم إنسانٌ فعرَّفَني، فقلتُ له: فيكم رجلٌ تدلُّوني عليه؟ فقالوا: هذا الشيخُ الذي يُصلِّي بنا. فحضرتُ معهم صلاةَ الظُّهر والعصر. فقال له ذلك الرجلُ: هذا رجلٌ من ولد عبد الرحمن بن عوف،

---

(١) في (أ): «المسألة».
(٢) الومق: الحب. متن اللغة (ومق).
(٣) صفة الصفوة ٣٤١/٤، روض الرياحين ٢٨٠ (الحكاية ٢١٥).

وجدُّهُ أبو أُمِّه سعدُ بن معاذ[1]. قال: فبشَّ بي، وسلَّمَ عليَّ كأنَّه قد[2] كان يعرفني. قال: فقلتُ له: من أين تأكلُ؟ فقال لي: أنتَ مُقيمٌ عندنا؟ فقلتُ: أمَّا الليلة فأنا عندكم. قال: ثم مضيتُ معه، فجعلَ يُحدِّثني ويُؤانسني حتى جاء إلى كهفِ جبلٍ، فقعدتُ ودخلَ فأخرجَ قَعْبًا[3] يسَعُ رطلاً ونصفًا قد أتى عليه الدُّهور، فوضعَهُ، وقعدَ يُحدِّثُني حتى إذا كادتِ الشمسُ تغربُ، اجتمعتْ حواليْه[4] ظباءٌ، فاعتقل منها ظبيةً، فحلبَها حتى ملأَ ذلك القدَحَ، ثم أرسلَها، فلمَّا سقطَ القرصُ[5] حَساه، ثم قال: ماهو غير ماترى. ربَّما احتجتُ إلى شيءٍ من هذا فتجتمعُ حولي من هذه الظباءِ، فآخذُ حاجتي وأُرسلها[6].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

وقال سَرِيٌّ السَّقَطيّ: مكثتُ أربعين سنةً أسألُ اللهَ أن يُرِيَني وليًّا من أوليائه، فلم أرَ أحدًا، فخرجتُ إلى الثَّغرِ وصعِدْتُ إلى جبلِ اللُّكَّام. قال: فبينا أنا أمشي في المَحَجَّةِ إذْ رأيتُ قومًا جلوسًا نحو ثلاثين نفسًا مَرْضى، عليهم ثيابٌ خُلْقان، فسلَّمْتُ عليهم ووقفتُ، فقلتُ: لأيِّ شيءٍ أنتم جُلوسٌ في هذا القفر؟ قالوا: نحن من هذه المدينةِ التي أسفلَ الجبل إذا كان في

---

(1) قال ابن الجوزي في صفة الصفوة ٤/٣٤٣: أبو إبراهيم اسمه أحمد بن إبراهيم ابن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، معروف بالعلم والزهد، وكان أحمد بن حنبل إذا رآه قام قائمًا.

(2) في (ب): «منذ».

(3) القعب: القدح الضخم. معجم متن اللغة (قعب).

(4) في (ب) عليه.

(5) أي قرص الشمس.

(6) صفة الصفوة ٤/٣٤٢.

كلَّ شهرٍ في مثلِ هذا اليومِ في مثلِ هذا الموضع نجلسُ، فإذا كان الظُّهرُ أقبلَ علينا رجلٌ من هذا الموضع، فنقومُ إليه فيدعو لنا. فقعدتُ معهم.

قال: فلمّا كان أوانُ الظُّهرِ أقبلَ رجلٌ أسمرُ شديدُ السُّمرة، عليه مِئزَرُ صوف، فقرأ على كلِّ واحدٍ، فلحقتُهُ فقلتُ له: قفْ عليَّ يرحمُك الله أكلِّمْكَ. فالتفتَ إليَّ، وقال: ياسَرِيُّ، لاتُعامِلْ غيرَه فتسقطَ من عينِه[1].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

وقال أبو عبيد البُسْرِيُّ: سألتُ رجلاً باللُّكَّام: مااللذي أجلسَكَ في هذا الموضع؟ قال: وماسؤالُكَ عن شيءٍ إنْ طلبتَهُ لم تدركْهُ، وإنْ لحقتَهُ لم تقعْ عليه؟ قلتُ له: تُخبرُني ماهو؟ قال: علمي بأنَّ مُجالستي اللهَ ليستغرقُ نعيمَ الجنان كلِّها. قال: ثم قال: أوَّه، قد كنتُ أظنُّ أنَّ نفسي قد ظفرتْ، ومن الخلقِ هربتْ، فإذا أنا كذَّابٌ في مقامي، لو كنتُ مُحبًا له[2] صادقًا مااطَّلعَ عليَّ أحدٌ. فقلتُ: أما علمتَ أنَّ المحبِّين خلفاءُ اللهِ في أرضه، مُستأنسونَ بخَلْقِه، يبعثونهم على طاعته. قال: فصاحَ بي صيحةً، وقال: يامجذوع[3]، لو شممتَ رائحةَ الحُبِّ، وعاينَ قلبُكَ ماوراءَ ذلك القُرْبِ مااحتجتَ أنْ ترى فوقَ مارأيتَ. ثم قال: ياسماءُ ويا أرضُ اشهَدَا عليَّ أنَّه ماخطرَ على قلبي ذكرُ الجنَّةِ ولا النارِ قطُّ، إنْ كنتُ صادقًا فأمِتْني.

قال: فواللهِ ماسمعتُ له كلامًا بعدَها، وخفتُ أن يسبقَ إليَّ الظنُّ من الناسِ في قتله، وتركتُه ومضَيتُ، فبينا أنا على ذلك الحال إذا أنا بجماعةٍ،

---

(١) صفة الصفوة ٤/٣٤٣.

(٢) في (ب): «لله».

(٣) في (أ): «يامجدوع».

فقالوا: مافعل الفتى؟ فكنَّيتُ عن ذلك، فقالوا: ارجِعْ فإنَّ اللهَ قد قبضَهُ، فصلَّيتُ معهم عليه، فقلتُ لهم: من هذا الرجل؟ ومن أنتم؟ فقالوا: ويحك هذا رجلٌ كان به يُمطَر المطَر، قلبُهُ على قلبِ إبراهيم الخليل عليه السلام، أما رأيتَه يُخبرُ عن نفسِه أنَّ ذكر النارِ ماخطرَ على قلبه قطُّ. فهل كان أحدٌ هكذا إلاَّ إبراهيم الخليل عليه الصلاةُ والسلام؟ قلت: فمنْ أنتم؟ قالوا: من السبعةِ المخصوصينَ من الأبدال. قلتُ: علِّموني شيئًا. قالوا: لاتختَرْ أن تعرف، ولاتختَرْ أنْ تُعرف؛ إنَّكَ ممَّنْ لا يختر أن يعرف.

رحمة الله عليهم ورضوانه.

* * *

وقال ذو النون: وُصف لي رجلٌ من أهلِ المعرفة في جبلِ اللُّكَّام، فقصدْتُه، فلقِيَني جماعةٌ من المتعبِّدين، فسألْتُهم عنه، فقالوا: ياذا النون، تسألُ عن المجانين؟ فقلتُ: ومالذي رأيتم من جنونِه؟ قالوا: نراهُ في أكثرِ أوقاتِه هائمًا ساهيًا، يُكلَّمُ فلايُجيب، ويتكلَّمُ فلا يُفقَهُ مايقول[1]، وينوحُ في أكثرِ أوقاتِه على نفسِه ويبكي. فقلتُ في نفسي: ماأحسَنَ أوصافَ هذا المجنون! ثم قلتُ لهم: دلُّوني عليه. فقالوا: إنَّه يأوي في الوادي الفلاني.

فانطلقتُ إلى الوادي، فأشرفتُ على وادٍ وعْرٍ، فجعلتُ أنظرُ يمينًا وشمالاً، فإذا أنا بصوتٍ محزونٍ شجٍ من وَجْدِ قلبٍ، وهو يقول:

ياذا الذي أنِسَ الفؤادُ بذكرِه ... أنتَ الذي ماإنْ سواهُ أُريدُ
تفنى اللَّيالي والزمانُ بأسرِهِ ... وهواكَ غَضٌّ في الفؤادِ جَديدُ

قال ذو النون: فاتَّبعتُ الصوتَ فإذا أنا بفتًى حسنِ الوجه، حسنِ الصوت، وقد ذهبتْ تلك المحاسنُ، وبقيتْ رسومُها. نحيلٌ قد اصفرَّ

---

(١) في صفة الصفوة: ٤/ ٣٤٤: «فلانفقَه».

واحترق، وهو شبيهٌ بالوالِه الحَيران. فسلَّمْتُ عليه، فردَّ السلامَ، وبقِيَ شاخصًا يقول:

أعميتَ عيني عن الدُّنيا وزينتِها　　فأنتَ والرُّوحُ شيءٌ غيرُ مفترِقِ
إذا ذكـرتُـكَ وافـى مُقلَتـي أرَقٌ　　من أوَّلِ الليلِ حتى مَطلعِ الفَلَقِ
ومـاتطـابقـتِ الأجفـانُ عن سِنَـةٍ　　إلاَّ رأيتُـكَ بيـن الجفـنِ والحَـدَقِ

ثم قال: ياذاالنون، مالكَ ولطلبِ المجانين؟ قلتُ: أوَمجنونٌ أنت؟ قال: قد سُمِّيتُ به. فقلتُ: مسألةً. فقال: سَلْ. قلتُ: أخبِرْني ماالذي حبَّبَ إليكَ الانفراد، وقطعَكَ عن المُؤانسين، وهيَّمَكَ في الأودية؟ فقال: حُبِّي له هيَّمَني، وشَوقي إليه هيَّجَني، ووجدي به أفرَدَني. ثم قال:

يالَيتَ شِعري يافتَى إلى متى　　تتـركنـي مُقَلْقَـلاً فـي مِحْنَتـي[1]

فقلتُ له: أخبرني أين مَحلُّ الحُبِّ منك، وأين مَسكنُ الشَّوقِ فيك؟ فقال: مَسْكنُ الحُبِّ سَوادُ الفؤادِ. قلت: فما الذي تجدُ في خلوتِك؟ قال: الحقَّ سبحانَه. فقلتُ كيف تجدُه؟ قال: بحيثُ لاحيث، ثم قال: ياذا النون، أعجبكَ كلامُ المجانين؟ قلتُ: إيْ واللهِ وأشجاني. ثم قلتُ له: ماصِدْقُ وجدانكَ للحقِّ تعالى؟ فصرخَ صرخةً ارتجَّ لها الجبل، ثم قال: ياذا النون، هكذا موتُ الصادقين. ثم سقطَ إلى الأرض ميتًا. فتحيَّرتُ في أمره لاأدري ماأصنع به، وإذا به قد غابَ عنِّي فلا أدري أين ذهب[2].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

---

(١) في صفة الصفوة ٤/٣٤٥، وفي (ب) البيت جُعل نثرًا، وبدل «محنتي»: «محبَّتي».

(٢) صفة الصفوة ٤/٣٤٤، روض الرياحين ١٠٤ (حكاية ٣٠).

وقال محمد بن حسَّان: بينا أنا أدورُ في جبلِ لُبنان إذ خرجَ عليَّ رجلٌ شابٌّ قد أحرقتْهُ السَّمُومُ والرِّياحُ، عليه طِمْرٌ رثٌّ، وقد سقَطَ شعرُ رأسِه على حاجبيه؛ فلمّا نظرَ إليَّ ولَّى هاربًا مُستوحشًا، فقلتُ له: ياأخي، موعظةً لعلَّ اللهَ ينفعني بها. فالتفتَ إليَّ وهو مارٌّ فقال: ياأخي، احذَرْهُ فإنَّهُ غَيورٌ، لايُحبُّ أن يَرى في قلبِ عبدِهِ سواه(١).

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

وقال أبو فَروةَ السَّائح: بينا أنا أسيحُ في جبل لُبنان إذ جَنَّ اللَّيلُ عليَّ، وأنا في بعضِ أوديتِه، فإذا أنا بصوتٍ محزونٍ، وهو يقول: يامَنْ آنَسَني بقُرْبِه، وأوحشَني من خَلْقِه، وكان عند مَسرَّتي، ارحمِ اليومَ عَبْرَتي. فدنوتُ منه فإذا شيخٌ قد سَقَطَ حاجباهُ على عينيه، فلمَّا أَحَسَّ بي نفرَ، وقال: إنسيٌّ أنتَ؟ قلتُ: إنسيّ. فقالَ: إليكَ عني، فمنكم فرَرْت(٢).

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

وقال: ذو النون: بينا أنا أسيرُ على جبل لُبنانَ في جوفِ الليل إذا أنا بعَريشٍ من ورقِ البَلُّوط، وإذا بشابٌّ قد أخرجَ رأسَه من العَريش بوجهٍ أحسنَ من القمر. فقال: شهدَ لك قلبي في التَّوازل بمعرفةِ درجةِ التفضيل لك، وكيفَ لايَشهدُ لك قلبي بذلك، ولايَحْسُنُ قلبي أنْ يألفَ غيرك؟ هيهات لقد خابَ لديك المقصِّرون عنك، ثم أدخلَ رأسَه في عريشه،

---

(١) صفة الصفوة ٤/٣٤٦.

(٢) صفة الصفوة ٤/٣٤٧.

وفاتني كلامُه، فلم أزلْ واقفًا إلى أن طلعَ الفجر، ثم أخرجَ رأسَهُ فنظرَ إلى القمر، فقال: [إلٰهي] أشرقتْ بنورِك السماواتُ، وأنارَتْ بنورِك الظُّلماتُ، وحجبتَ جلالَكَ عن العيون، فوصلتَ به معارفَ القلوب. ثم قال: بالْتِجائي إليك في حزني لتنظرْ إليَّ نظرةَ من نادَيتَه فأجاب. فوثبتُ إليه فسلَّمتُ عليه، فردَّ عليَّ السلام. فقلت: رحمكَ الله، أسألُك عن مسألةٍ؟ قال: لا. قلتُ: ولِمَ ذاك؟ قال: ماخرجَ روعُك من قلبي. قلتُ: حبيبي، وماالذي أفزَعَكَ منِّي؟ قال: بَطالتُكَ في يومِ شُغلِك، وتركُكَ الزَّادَ ليومِ معادك، ووقوفُكَ على الظُّنون، ياذا النون. فوقعتُ مَغشيًّا عليَّ. فماأفقتُ إلاَّ بحرِّ الشَّمس، ثم رفعتُ رأسي فلم أرَهُ ولا العَريش. فقمتُ فسِرتُ وفي قلبي منه حَسْرَة[1].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

وقال أبو الحارث الأوْلاسيّ[2]: بلغَني أن بجبَلِ لبنان رجلاً تُطوى له الأرضُ من يومه إلى بيتِ المقدس، ووُصِفَ لي مكانُهُ، فصِرْتُ إليه، فإذا هو رجلٌ قد أُلبِسَ سلامةً، فسألتُه: من أين المَطعَم[3]؟ فدعا بظبيةٍ كانت قريبًا منه في الجبل، فجاءَ بها إلى صخرةٍ فيها نُقرةٌ، فحلبَها وسقاني من اللَّبَن[4].

رحمة اللهِ عليه.

* * *

---

(١) صفة الصفوة ٣٤٧/٤، ومابين معقوفين مستدركٌ منه، روض الرياحين ٢٨١ (الحكاية ٢١٦).

(٢) الأولاسي نسبةٌ إلى أولاس، وهي مدينةٌ على ساحلِ بحر الشام. الأنساب ٣٨٨/١.

(٣) في (ب): «عن المطعم».

(٤) صفة الصفوة ٣٤٨/٤.

وقال ذو النون: بينا أنا أسيرُ في بعضِ جبال بيت المقدِس إذْ سمعتُ صوتًا، وهو يقول: ذهبتِ الآلامُ عن أبدانِ الخُدَّام، ووَلِهَتْ بالطَّاعةِ عن الطعامِ والشراب، وألفتْ أبدانُهم طولَ القيام[1] بين يدي الملكِ العلاَّم.

فتبعتُ الصَّوتَ فإذا شابٌّ أمردُ، قد علا وجهَهُ اصفِرارٌ، يميلُ ميلَ الغُصن إذا ميَّلَتْهُ الريح، عليه شَملةٌ قد ائتزَرَ بها، وأُخرى قد اتَّشَحَ بها، فلمّا رآني توارى عنِّي بالشجر، فقلتُ له: أيُّها العالم؛ ليسَ الجفاءُ من أخلاقِ المؤمنين، فكلِّمْني وأوصِني. فخرَّ ساجدًا، وجعلَ يقول: هذا مقامُ من لاذَ بك واستجارَ بمعرفتك، وألِفَ محبّتَك؟ فيإلٰه القلوبِ وماتحويه من جَلالِ عظمتِكَ احجُبْني عن القاطعين لي عنك.

قال ذو النون: ثم غابَ عني فلم أره[2].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

وقال ذو النون: بينا أنا في جِبالِ المغرِب إذْ وقعتُ على رجلٍ عابدٍ في رأسِ جبل، فسلَّمْتُ عليه، فأطرقَ إلى الأرضِ، ثم رفعَ رأسَه، وقال: وعليكم السلام. قال ذو النون: فقلتُ له: ما مُقامُك في هذا المكان؟ فقال: معي بُضَيِّعةٌ قد هربتُ بها من الأسواق، وقد جئتُ بها لأدفِنَها في هذا المكان. قلتُ: ومابِضاعتُك هذه؟ فقال: عِقْدُ توحيدي، وخالِصُ ضمير مكنوني. قلت: لو أنِستَ بالنَّاس؟ فقال: منهم هربت، وقد قصَدتُ إلى من قصدَه غيري من الراجين فوجدَهُ مؤنسًا، ثم رفعَ طَرْفَه[3] نحو

---

(١) في (ب): «المقام».

(٢) صفة الصفوة ٤/ ٣٥١، روض الرياحين ٧٤ (الحكاية ٣).

(٣) في (ب): «رأسه».

السماء، وقال: أنتَ أنتَ.

قال ذو النون: فرفعتُ طَرْفي[1] في موضعِ رفعِ طرفِهِ، وردَدْتُ طرفي فلم أره[2].

* * *

وقال إبراهيم بنُ أدهم ذاتَ يوم: ياأهلَ الشام، تعجبون منِّي، وإنّما العجَبُ من الرجلِ الإسكندرانيِّ، فإنِّي طلبتُهُ في جبالِ الإسكندريةِ حتى وقعتُ عليه بعد ثمانيةِ أيام، وهو يُصلِّي كأنَّه مَدْهوش، ثم حانت منه التفاتةٌ إليَّ، فقال لي: من أنتَ؟ قلتُ: أعرابيٌّ. قال: هل عندك حديثٌ تُحدِّثنا به؟ قال: فحدَّثتُهُ بخمسةِ أحرفٍ. فغُشيَ عليه، وأنا أنظرُ، ثم أفاقَ فقال: خُذْ أنتَ هاهنا حتى آخذَ أنا هاهنا. فطلبتُهُ بعدُ فلم أقدِرْ عليه[3].

رحمة اللهِ عليه.

* * *

وقال ذو النون المِصري: وُصِفَ لي رجلٌ في جبل المقطَّم فقصدتُهُ فرأيتُ رجلاً مُتعبِّدًا، فمكثتُ معه أربعين يومًا لاأكلِّمُه، فاستخرتُ الله تعالى يومًا في كلامِه، وسألتُ الله أن يوفِّقَه لي، فقلتُ: أيُّها الشيخ، فيمَ النَّجاةُ؟ فقال: في التَّقوى والمُراقبة. فقلتُ: زِدني. فقال: فِرَّ من الخَلْقِ ولاتستأنِسْ بهم. فقلتُ له: زِدْني. فقال: إنَّ للهِ عِبادًا نظروا إلى باطنِ الدُّنيا لمَّا نظرَ الخَلْقُ إلى ظاهرِها، فأماتوا منها ماخَشُوا أن يُميتَهم،

---

(١) في (ب): «فرفعت طرفي موضع».
(٢) صفة الصفوة ٤/ ٣٥٤.
(٣) صفة الصفوة ٤/ ٣٥٤.

إنَّهم[1] قومٌ صافَوْهُ بالعقول، ودقَّقوا له الفِطَنَ، فسقاهم كأسًا من محبَّتِهِ فهم في عطشهم أرواء، وهم في رِيِّهم عِطاش. قال: فقلتُ له: زِدْني. فقال: إنَّهم أقوياءُ في توكُّلِهم[2].

رحمة اللهِ ورضوانه.

*   *   *

وقال بشرُ بن الحارث: كنتُ في جِبالِ الشام، فأتيتُ على جبلٍ يُقالُ له الأقرَع[3]، فإذا أنا بشابٌّ قد نَحَلَ جسمُه، ورَقَّ جلدُه، عليه ثوبٌ من صوف. فسلَّمتُ عليه، فردَّ عليَّ، فقلتُ في نفسي: أقولُ له عِظْني وأبلِغْ. فقال لي قبلَ أنْ أُكلِّمَه، فأجابَ عن سِرِّي: عِظْ نفسَكَ بنفسِك، وفُكَّ نفسَكَ من حَبْسِك، [ولا تشتغلْ بموعظةِ غيرِك من جِنسك]، واذكرِ اللهَ في الخَلَواتِ يَقِكَ السيِّئات، وعليكَ بالجِدِّ والاجتهاد. ثم بكى وجعلَ يقول: شُغِلَتِ النفوسُ بالقليلِ الفاني، ونحفتِ[4] الأبدانُ بالتسويف والأماني. ثم قال: يابشر، ـ ومارآني وماعرفني قبل ذلك ـ إنَّ للهِ عِبادًا خالطَ قلوبهم الحزنُ فأسهرَ ليلَهم، وأظمأَ نهارَهم، وأبكى عيونَهم كما وصفَهم ربُّهم في كتابه: ﴿كانوا قليلاً من الليلِ ما يَهْجَعُون * وبالأسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرون﴾ [الذاريات: ١٧، ١٨][5].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

*   *   *

---

(١) في (ب): «فهم».

(٢) صفة الصفوة ٤/ ٣٥٥.

(٣) الأقرع: جبلٌ شمال اللاذقية بنحو ٢٥ كم.

(٤) في صفة الصفوة ٤/ ٣٥٦: «نحبَت». وشرحَها محققه بـ: نحب القومُ في سيرهم: جدُّوا. ونحبَه السير أجهدَه.

(٥) صفة الصفوة ٤/ ٣٥٥، ومابين معقوفين مستدرك منه.

وقال ذو النون: بينا أنا أسيرُ في ليلةٍ ظلماءَ في جبالِ بيت المقدِس، إذْ سمعتُ صوتًا حَزِينًا، وبكاءً عاليًا، وهو يقول: واوحشتَاهُ بعدَ أُنْساه! واغُرْبتاهُ عن وطناه! وافقراهُ بعد غناه! واذُلَّاهُ بعدَ عِزَّاه!. فتبعتُ الصوتَ حتى قربتُ منه، فلم أزلْ أبكي لبكائه حتى إذا أصبحنا[1] نظرتُ إليه فإذا رجلٌ ناحلُ الجسمِ كالشَّنِّ المُحترق. فقلتُ: يرحمكم الله، تقولُ مثلَ هذا الكلام لأيِّ سبب[2]؟ فقال: دَعْني، كان لي قلبٌ فقدتُهُ، ثم أنشأ يقول:

كان لي قلبٌ أعيشُ به   فرَمَاهُ الحُبُّ فاحترَقَا

فقلتُ له: لِمَ تشتكي أَلَمَ البلاءِ، وأنتَ تنتحلُ المحبّة؟ ثم أنشدته:

إنَّ المحِبَّ هو الصَّبو   رُ على البلاءِ لمن أحبَّهْ
حبُّ الإلهِ هو السُّرو   رُ مع الشِّفاءِ لكلِّ كُرْبَهْ

* * *

وقال ذو النون: بينا أنا أسيرُ في بعضِ جبالِ الشام إذا أنا بعابدٍ قد خرجَ من بعضِ تلك الكُهوف، فلمّا نظرَ إليَّ استترَ عنِّي بينَ تلك الأشجار، ثم قال: أعوذُ بك ياسيِّدي ممَّن يَشغَلُني عنك، يامَأْوَى العارفين، وحَبيبَ التوَّابين، ومُعينَ الصادقين، وغايةَ أمَلِ المُحِبِّين. ثم صاح: واغمَّاهُ من طُولِ البُكاء، واكَرْباهُ من طولِ المُكثِ في الدُّنيا! [ثم قال:] سبحانَ من أذاقَ قلوبَ العارفين حلاوةَ الانقطاعِ إليه! فلا شيءَ ألَذُّ عندَهم من ذِكرِه، والخلوةِ بمناجاتِه. ثم مَضى وهو يقول: قُدُّوسٌ قُدُّوس.

فنادَيْتُه: أيُّها العابد، قفْ لي. فوقفَ وهو يقول: اللهمَّ اقطَعْ عن قلبي

---

(١) في (أ): «حتى أصبحنا».
(٢) في (ب): «شيء».

كلِّ علاقةٍ، واجعلْ شُغْلَهُ بك دون خَلْقِك. فسلَّمتُ عليه وسألتُهُ أنْ يدعوَ لي. فقال: خفَّفَ اللهُ عنك مُؤَن نَصَبِ السَّيرِ إليه، وأدَّاكَ إلى رِضاه حتى لايكونَ بينك وبينه علاقةٌ. ثم سعَى من بين يدي كالهاربِ من السَّبُع[1].

رحمة الله عليه ورضوانه.

* * *

وقال خليلُ المقدسي: رأيتُ في جبالِ بيتِ المقدس رجلاً في وادٍ، قد اتَّشَحَ بعباءةٍ، وهو يقول: إلى متى هذا يكون؟ فقلتُ له: من تُعاتب؟ فقال: تنحَّ عنِّي، فما أوحشَكَ! مارأيتُ في هذا الوادي منذ ثلاثين سنةً جنِّيًّا ولا إنسيًّا. قلتُ: فيمَنْ تأنَسُ؟ قال: بمن يُطْعِمُني ويَسقيني، وبمنْ إذا مَرِضتُ يَشفيني، وبمن إذا توكَّلْتُ عليه يَكفيني. قلتُ: فكيفَ تعملُ في الشِّتاء؟ فقال: ياحَبيبي، إنَّ الزَّمانَ يتغيَّرُ، وهو في الشتاءِ كما هو في الصيف، وهو في الصيف كما هو في الشتاء.

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

وقال سريّ: بينا أنا أسيرُ في بلادِ الشام، إذْ مِلنا عن الطريقِ إلى ناحيةِ جبلٍ عليه عابدٌ، فجئنا إليه، فوجدناهُ يَبكي. قال سريّ: فقلتُ له: ماأبْكى العابدَ؟ قال: مالي لاأبكي وقد توعَّرتِ الطريق، وقلَّ السالكونَ فيها، وهُجرتِ الأعمالُ، وقلَّ الراغبون فيها، ورُفِضَ الحقُّ، ودُرِسَ هذا الأمر، فلاأراهُ إلاَّ في لسانِ كلِّ بطَّالٍ ينطِقُ بالحكمة، ويُفارقُ الأعمال، قد افترَشَ الرُّخَصَ، وتمهَّدَ التأويل، واعتلَّ بزَلَلِ العاصين. ثم صاحَ صيحةً، وقال:

---

(١) صفة الصفوة ٤/٣٦٠، ومابين معقوفين مستدركٌ منه.

كيف سَكَنَتْ قلوبُهم إلى روحِ الدُّنيا؟ وانقطعَتْ عن روح مَلَكوتِ السماوات؟ ثم ولَّى صارخًا، وهو يقول: واغمَّاهُ من فتنةِ العلماء، واكَرْباهُ من حَيرةِ الأدلأءِ. وجالَ جولةً، ثم قال: أين الأبرارُ من العُبَّاد؟ بل أين الأخيارُ من الزُّهَّاد؟ ثم بكى وقال: شغَلَهم ـ واللهِ ـ ذكرُ طولِ الوقوفِ، وهمُّ الجوابِ عن ذِكر الجنةِ والنار، وذكر الثواب. ثم قال: أستغفِرُ[1] اللهَ تعالى من شَهوةِ الكلام، تنحَّوا عنِّي. فخلَّيناه يبكي، وقد مُلئنا منه همًّا وغمًّا[2].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

وقال محمد بن السمَّاك: خرجتُ من العراقِ أُريد بعضَ الثُّغور، فبينا أنا أسيرُ في جبل اللُّكَّام، إذْ نظرتُ إلى عابدٍ على رأسِ جبلٍ، قد انفردَ من المخلوقين، واستأنسَ بربِّ العالمين، فسلَّمتُ عليه فردَّ عليَّ السلام، ثم قال: من أين أقبلتَ؟ قلت: من العراقِ أُريد بعضَ الثُّغور. فقال: إلى أمرٍ ترقبونه[3] أو إلى أمرٍ لاترقبونه[4]. قلت: بل إلى أمرٍ لانَرقبه. ثم قال: آه. قلتُ: ممَّ تأوَّه العابد؟ قال: ذكرتُ عيشَ المُستريحين، وفرحةَ قلوبِ الواصلين. فقلتُ له: إنِّي رجلٌ مَهموم. قال: وفيمَ همُّك؟ قلت: في ثلاثة. قال: وماهنّ؟ قلت: مادَليلُ الخوف؟ قال: الحُزْنُ. قلت: فما دليلُ الشَّوق؟ قال: الطلبُ. قلت: فمادليلُ الرَّجاء؟ قال: العمل. قلت: فمن أينَ ضَعفُنا؟ قال: لأنّكم وثقتم بعفوِ اللهِ عنكم، ولوعاجَلَكم بالعقوبةِ لهربتم

---

(١) في (ب): «أنا أستغفر».

(٢) صفة الصفوة ٤/٣٥٩.

(٣) في (ب): «ترتقبونه».

(٤) في (ب): «ترتقبونه».

من معصيته إلى طاعتِه، ولكنَّ حلمَهُ وسترَهُ حملَكم على معصيتِه. ثم أنشأ يقول:

إنْ كنتَ تفهَمُ ماأقولُ وتَعقِلُ فارْحَلْ بنفسِكَ قبلَ أنْ بكَ يُرْحَلُ
وذَرِ التَّشاغُلَ بالذُّنوبِ وخَلِّها حتى متى وإلى متى تَتَعَلَّلُ

* * *

وقال بشر بن الحارث: استقبلَني رجلٌ في طريق الشام، وعليه عَباءَةٌ قد عَقَدَها، مُستوفِزًا كأنَّه وحشيّ. فقلتُ له: رحمَكَ الله، من أين جئتَ؟ قال لي: جئتُ من عنده. فقلتُ: وإلى أين تُريد؟ قال: إليه. فقلتُ له: ففيمَ النَّجاةُ رحمَكَ الله؟ قال: في التقوى والمُراقبةِ لمن أنت له مُتَّبع. قلت: فأوصِني. قال: لاأراكَ تقبَل. قلتُ: أرجو أنْ أقبَلَ إنْ شاء الله. قال: فِرَّ منهم، ولاتأنسْ بهم، واستوحشْ من الدُّنيا؛ فإنَّها تُعرِّضُكَ للعطب. ثم قال: مَنْ عرَفَ الدُّنيا لم يطمئنَّ إليها، ومن أبصرَ ضررَها أعدَّ دواءَها، ومن عرفَ الآخرةَ ألحَّ في طلبها، ومن توهَّمَها اشتاقَ إلى مافيها وهانَ عليه العمل. ثم قال: فكيف لو توهَّمتَ من يَملكُها، ومن زَخْرَفها، ومن قال لها كُوني فكانتْ، وتزَيَّني فتزيَّنَتْ؟ فالشَّوقُ إلى مالكِها أولَى بقلوبِ المُشتاقين، وأطيبُ لعيشِ المُستأنسين. ثم قال: قد أنِسوا بربِّهم. فالأمرُ فيما بينهم وبينه سليم. صافَوْهُ بالعقول، ودقَّقوا به الفِطَنَ فسقاهم من كأسِ حُبِّه شَربةً، فظلوا في عيشهم أروياءَ، وفي رِيِّهم عِطاشًا. ثم قال: ياهذا أتفهَمُ ماأقول وإلاَّ فلا تتبعْني؟ قلتُ: بلى رحمَكَ الله، إنِّي أفهمُ جميعَ ماقلتَ. قال: الحمدُ للهِ الذي فهَّمَكَ. قال: ورأيتُ في وجهه السُّرورَ ثم قال: خذْ إليك، نعم، هم الذين [لايُمْلون كاساتِهِ من تُحفِهِ، فالحكمةُ إلى قلوبهم سائلةٌ مُتواصلة؛ لأنَّهم الأكياسُ الذين][1] لم تدنِّسْهم المطامع، ولم

---

(١) مابين معقوفين مستدرك من صفة الصفوة ٤/٣٥٨.

تقطعُهم عن اللهِ القواطِع، لُيوثٌ في تغرُّبهم[1]، أغنياءُ في توكُّلِهم، أقوياءُ في تقلُّبِهم. قد قطعتْهم الخَشْيَةُ، ولهَّتهم الغُرْبة، ونعيمُهم[2] اليقين، وروحُهم السُّكون، ألينُ الخلقِ عَريكةً، وأشدُّهم حياءً، وأشرفُهم مطلبًا، لايَركنونَ إلى الدنيا، ولايتطاولون ولايتماوتون، فهم صفوةُ اللهِ من خلقِه، وضنائنُ[3] من خالص عِباده. ثم قال لي: إنَّ القلوبَ الحيَّةَ من دونِ هذا لها مَقْنَعٌ، نفعَنا اللهُ وإيَّاكَ بما علَّمَنا والسلامُ عليك ورحمةُ الله.

قال بشر: فطلبتُ إليه أنْ أصحبَهُ، فأبَى عليَّ، وقال: لستُ أنساكَ فلاتَنْسَني. ثم مضى وتركَني.

قال بشر: فلَقِيتُ عيسى بنَ يونس، فحدَّثتُهُ بقصَّتِه، فقال لي: لقد أَنِسَ بك ذلك الرجلُ الصالح، إنَّه رجلٌ من خِيارِ الناس، يأوي في الجبل، وإنَّما يدخلُ إلى المدينةِ في كلِّ جُمعةٍ لصلاةِ الجُمعة، ويَبيعُ في ذلك اليوم حَطَبًا يكفيه إلى الجُمعةِ الأخرى، وعجبًا له كيف كلَّمَك؟ لقد حفِظْتَ عنه كلامًا حسَنًا[4].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

وقال ذو النُّون: بينا أنا أسيرُ بين جبالِ الشام إذا بشيخٍ على تَلْعَةٍ من الأرض، قد تساقطتْ حاجباه على عينيه كِبَرًا. فتقدَّمتُ إليه فسلَّمتُ عليه، فردَّ عليَّ السلام. ثم جعلَ يقول: يامن دَعاهُ المُذنبون فوجدوه قريبًا، ويامَنْ

---

(١) في صفة الصفوة ٣٥٨/٤: «تعززهم».
(٢) في صفة الصفوة: «وولَّهَتْهم الغربة، نعيمهم».
(٣) الضنائن: مفردها الضِّنُّ، وهو الشيء النفيس المضنونُ به. معجم متن اللغة (ضنن).
(٤) صفة الصفوة ٣٥٧/٤.

قصدَه الزَّاهدون فوجدوه حَبيبًا، ويامن استأنسَ به المُجتهدون فوجدوه مُجيبًا، ثم أنشأ يقول:

وله خَصائصُ مُصطَفَونَ لحبِّهِ   إختارَهمْ في سالِفِ الأزْمانِ
إختارَهمْ من قبل فِطرةِ خَلْقِهِ   فهـمْ ودائـعُ حكمـةٍ وبيَـانِ[1]

* * *

وقال مِسْعَر: إنَّ عابدًا كان يتعبَّدُ في جبلٍ، يُؤتَى بقُوتِه كلَّ يومٍ قرصين. قال سفيان: وقال غيرُ مِسْعَرٍ: كان يأتيهِ طيرٌ أبيضُ. قال: فأتاهُ ذاتَ يومٍ بقُوته، فجاءَ سائلٌ فأعطاهُ أحدَ القُرْصَيْنِ، ثم أتاهُ سائلٌ آخر، فكسَّرَ القرصَ الثاني نِصْفَين فأعطاهُ النِّصفَ، وبقَّى النِّصفَ لنفسِه، ثم قال: واللهِ ماهذا النِّصفُ بالذي يُغني عن هذا شيئًا، ولاهذا النِّصفُ بالذي يكفيني، ولأنْ يَشبَعَ واحدٌ خيرٌ من أنْ يجوعَ اثنان. فسلَّمَ القرصَ كلَّه للسائلِ وباتَ طاوِيًا، فأُتيَ في منامه، فقيل له: سل[2]. فقال: أسألُ المغفِرة. فقيل له: إنَّ هذا شيءٌ قد أُعطِيتَه، فسلْ. قال: أسألُ أنْ يُغاثَ الناس. قال: وكانَ عامَ جدْبٍ، فأُغيثوا[3].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

وقال عبدُ اللهِ بن غالب: خرجتُ إلى الجزيرة، فركِبْنا السفينة، فأرْفَتْ بنا إلى ناحيةِ قريةٍ عَبَادِيَّةٍ[4] في سفحِ جبلٍ خرابٍ ليس فيها أحدٌ، قال:

---

(١) صفة الصفوة ٤/ ٣٦٠، روض الرياحين ٧٥ (الحكاية ٣).
(٢) في (ب): «سل المغفرة».
(٣) صفة الصفوة ٤/ ٣٦١.
(٤) في صفة الصفوة ٤/ ٣٦٢: «عادية»، والضبط من الأصل.

فخرجتُ فطَوَّفْتُ في ذلك الخراب، أتأمَّلُ آثارَهم، وماكانوا فيه، إذْ دخَلْتُ بيتًا يُشبه أن يكونَ مأهولاً. قال: فقلتُ: إنَّ لهذا البيتِ لشأنًا. قال: فرجعتُ إلى أصحابي فقلتُ: إنَّ لي إليكم حاجةً. قالوا: وماهي؟ قلتُ: تقيمونَ عليَّ ليلةً. قالوا: نعم. قال: فدخلتُ ذلك البيتَ، فقلت: إنْ يكنْ له أهلٌ فسيأْوونَ إليه إذا جاءَ الليل. فلمّا أن جنَّ الليلُ سمعتُ صوتًا قد انحطَّ من رأسِ الجبلِ يُسبّحُ الله ويكبّرُهُ ويحمَدُه، فلم يزلِ الصوتُ يدنو كذلك حتى دخلَ البيت. قال: ولم أرَ في ذلك البيتِ شيئًا إلاّ جَرَّةً ليس فيها شيءٌ، ووعاءً ليس فيه طعام، فصلّى ماشاءَ الله أن يُصَلّي، ثم انصرفَ إلى ذلك الوِعاءِ، فأكلَ منه طعامًا، ثم حَمِدَ اللهَ وأثنى عليه، ثم أتى إلى تلك الجرَّةِ فشربَ منها شرابًا، ثم قام، فصلّى حتى أصبحَ، فلمّا أصبحَ أقامَ الصلاةَ، فصلَّيتُ معه، فقال: رحمَكَ الله، دخلتَ بيتي بغيرِ إذْني! قال: قلتُ: رحمَكَ الله، لم أُرِدْ إلاّ الخير، وقلتُ: رأيتُكَ أتيتَ هذا الوعاءَ فأكلتَ منه طعامًا، وقد نظرتُ قبلَ ذلك فلم أرَ فيه شيئًا، وأتيتَ تلك الجرَّةَ وشربتَ منها شرابًا، وقد نظرتُ قبل ذلك فلم أرَ فيها شيئًا. قال: أجَل، مامن طعامٍ أُريدُه من طعام الناس إلاّ أكلتُهُ من هذا الوِعاء، ولاشرابٍ أُريدُه من شرابِ الناسِ إلاّ شربتُه من هذه الجرَّة. قال: قلتُ: وإنْ أردتَ السَّمَكَ الطَّرِيَّ؟ قال: وإنْ أردتُ السَّمَك الطَّرِيَّ. فقلت: رحمَكَ الله، إنَّ هذه الأمَّةَ لم تؤمر بالذي صَنَعتَ، أُمرتْ بالجماعة[1] والمساجد لفضلِ الصلواتِ في الجماعةِ وعيادةِ المريض، واتّباعِ الجنائز. فقال: هاهنا قريةٌ فيها كلُّ ماذكرتَ، وأنا مُنتقِلٌ إليها. قال: فكاتَبَني حينًا ثم انقطعَ عنّي كتابُه، فظننتُ أنّه ماتَ.

وكان عبد اللهِ بن غالب لمّا مات وجدَ من قبرِهِ ريح المسك.

رحمة الله عليهما ورضوانه.

* * *

(١) في (ب): «بالجوامع».

وقال أبو فَرْوَةَ السَّائح: بينا أنا أطوفُ في بعضِ الجِبال إذْ سمعتُ صَدَى جبلٍ، فقلت: إنَّ هاهنا لأمرًا ما. فاتَّبعتُ الصَّوتَ فإذا أنا بهاتفٍ يهتِفُ: يامَنْ آنَسَني بذكرِه، وأوحشني من خَلْقِه، وكان لي عند مَسرَّتي، ارْحَمِ اليومَ عَبرَتي، وهَبْ لي من معرفتِكَ ماأزدادُ به تقرُّبًا إليك، ياعظيمَ الصنيعةِ إلى أوليائه، اجعلْني اليومَ من أوليائكَ المُتَّقين.

قال: ثم سمعتُ صَرخةً، ولم أرَ أحدًا، فأقبلتُ نحوها، فإذا أنا بشيخٍ مَغْشِيٍّ عليه، قد بَدَا بعضُ جسدِهِ، فغطَّيتُه، ثم لم أزلْ عنده حتى أفاقَ. فقال: من أنتَ رحمَكَ الله؟ قلتُ: رجلٌ من بني آدم. قال: إليكَ عنِّي، فمنكم هَرَبتُ. قال: ثم بكى، وقامَ فانطلقَ وتركَني، فقلتُ: رحمَك الله، دُلَّني على الطريق. فأومأَ بيدِه إلى السماء، فقال: هاهنا[1].

رحمة الله عليه ورضوانه.


* * *

وقال محمد بن أبي عبد الله عن رجلٍ حدَّثَهُ من أهلِ الشام، أنَّه دخلَ كهفَ جبلٍ في ناحيةٍ عن طريقِ الناس، فإذا هو بشيخٍ مَكبوبٍ على وجهه، وإذا هو يقول: إنْ كنتَ تطلبُ جَهدي في دارِ الدُّنيا، وتُطيلُ شقائي في دارِ الآخرة لقد أهملتَني وأسقطتَني من عينكَ أيُّها الكريم.

قال: فسلَّمتُ عليه، فرفعَ رأسَه، فإذا دموعُهُ قد بلَّتِ الأرضَ فقال: ألمْ تكنِ الدُّنيا لكم واسعةً، وأهلُها لكم أُناسًا؟ فلما رأيتُ من عقلِه مارأيتُ، قلتُ له: رحمَكَ الله، اعتزلتَ الناسَ واغْتربْتَ في هذا الموضع؟ فقال: وأنتَ ياأخي، فحيثُ ماظننتَ أنَّه أقربُ لك إلى اللهِ فابتغِ إلى ذلك

(١) صفة الصفوة ٤/٣٦٣.

سبيلاً، فلن يجدَ مُبتغوهُ من غيرِهِ عِوضًا. قال: قلتُ: فالمطعمُ؟ قال: أقلُّ[١] ذلك عند الحاجةِ إليه إذا أردْنا ذلك فنبْتُ الأرضِ وقلوبُ الشجر. قال: قلتُ: ألا أُخرِجُكَ من هذا الموضع، فآتي بك أرضَ الرِّيفِ والخِصْب؟ قال: فبكى ثم قال: إنَّما الرِّيفُ والخِصْبُ حيث يُطاعُ الله عزَّ وجلَّ. وأنا شيخٌ كبير، أموتُ الآنَ، لاحاجةَ لي بالناس[٢].

رحمة الله عليه ورضوانه.

* * *

وقال قاسمٌ الجُوعِيُّ: خرجتُ حاجًّا على طريقِ الشام، فبينا أنا أسيرُ في الليلِ إذْ غلطتُ الطريقَ، فسمعتُ صيحةً، فإذا أنا بجماعةٍ قد مَسَّهم من الغَلطِ مثلُ الذي مسَّني، وقد وقفوا على رجلٍ من المتعبِّدين في جبلٍ وهو يبكي ويقولُ في بُكائه: أتُرى بُكائي نافعي عندَك، ومُنقذٌ رقبتي من حُكمك؟ أتُراكَ آخذٌ من نفسي بحقِّكَ وموبِّخُها على رؤوس الأشهاد بما ضيَّعْتُ من أمرِك؟ ثم صاح: أوَّه لكشفِ سترك عنِّي، أوَّه لوقوفي بين يديك ياسيِّداه. فقال له بعضُ القوم: إنَّا غلطنا الطريق. فقال: وأنا أيضًا قد غلطتُ الطريق، فمن لي ولكم بالاستقامةِ على وجهها؟ ثم قال: يادَليلَ الأدِلاَّء دُلَّني ودُلَّهم، ولاتُحيِّرْني وإيَّاهم[٣]. قال: فكُشِفَ لنا عن الطريق، فسلكناها، وتركناه واقفًا في صَومعتِهِ[٤].

رحمة الله عليه.

* * *

---

(١) في (أ): «فإن أقل».

(٢) صفة الصفوة ٤/ ٣٦٤.

(٣) في (ب): «ولاتحيرني وتحيرهم».

(٤) في (ب): «في موضعه». والخبر في صفة الصفوة ٤/ ٣٦٥.

وقال: بلغنا عن أبي الحارث الأَوْلاسيِّ أنَّه قال: رأيتُ رجلاً على رأسِ جبلٍ كأنَّه شَنٌّ بالٍ، شاخصٌ ببصرِهِ نحو السماء، لايفترُ عن الذِّكر، فسألتُه المقامَ معه، فقال: إنْ أطقتَ ماطُوِّقتُ فأقِمْ، وإلاَّ فامْضِ عنِّي. قلتُ: وماهو؟ قال: يكونُ الذهبُ والفِضَّةُ عندك كالحصى والمَدَر، والسِّباعُ والهوامُّ كالطيرِ والأنعام. وخوفُكَ من جِنسِك كخوفِكَ من الشيطان، وخوفُكَ على دِينك من صُحبتهم كخوفِك السِّباع، فلعلَّكَ تنالُ ماتُريد؛ ومتى كان الذهبُ والفِضَّةُ أكبرَ في قلبِك فإنَّكَ ستميلُ إلى الأكبر. ومتى هِبْتَ السِّباعَ أو شكَ أن تبعَدَ إلى الأمن[١]، ومتى أنِسْتَ بالمخلوقين أوشكَ أن تهربَ من الوَحْشةِ. وثلاثةُ أشياء هنَّ تمامُ الأمر: أنْ تعلمَ أنَّكَ مُبتلَى لامحالةَ، وأنَّ لك رزْقًا مقسومًا، وكذلك أجلٌ معلوم. والثالثُ أن تقصِّرَ الأمَل، فهنالك لاتُبالي أينَ حلَلْتَ من البلاد؟ ولا من شاهدتَ من العِباد؟ فتقدَّم إنْ شئتَ على بصيرة، وإلاَّ فتأخَّرْ على علمٍ بضعفٍ وعجز.

قلت: صفْ لي مايَزيدُ[٢] في صبري. قال: تعلَّمْ أنَّ اللهَ ناظرٌ إليك، فقد رُوِيَ في بعضِ الأخبار أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقول: بعيني مايتحمَّلُ المتحمِّلون من أجلي، ومايكابِدُ المُكابدون في طلبِ مَرْضاتي، فإذا علمتَ أنَّ صبرَكَ يُرضي مولاك صبرتَ. قلتُ: فما السَّبيلُ إلى الرِّضا؟ قال: عِلمُ القلبِ بأنَّ المولى عادلٌ في قضائه، غيرُ مُتَّهمٍ فيما حكم. قلت: فما معنى الرِّضا؟ قال: سرورُ القلبِ بمُرِّ القضا. ثم قال: لاتنمْ إلاَّ نومَ يقظان، وكيف يأمنُ من لم يأتِهِ الأمان؟ وبادِرْ قبلَ الفوتِ، واستعِنْ على تصفيةِ الطُّعمةِ بالقِلَّة، والتمسِ الصَّمتَ بقِلَّةِ الخطأ[٣]، واتَّبعْ قولَ الرَّسولِ ﷺ والسَّلَف، ولاتميلَنَّ إلى مُحدثاتِ الأمور، وكلُّ مُحدثةٍ بِدعة، واعلمْ أنَّ اللهَ

---

(١) في (ب): «إلى الأنس».

(٢) في (أ): «ماتريد».

(٣) في صفة الصفوة ٤/٣٦٦: «الخلطاء».

يراكَ فاتَّقِه، وقمْ له بالقِسطِ على نفسِك، وتفرَّدْ بالفَرْدِ إذ كنتَ له عبدًا، وتجرَّدْ من الهموم الشاغلةِ، واجعلِ الهمَّ واحدًا تروَّحْ في العاجلةِ والآجلة[1].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

وقال: بلغنا عن بعضِ السلَفِ أنه قال: رأيتُ في بعضِ الجبالِ شابًا أصفرَ اللَّون، غائرَ العينين، مرتعشَ الأعضاء، لايستقرُّ على الأرض، كأنَّ به وخزَ الأسنَّة، ودموعُهُ تتحادَرُ. فقلتُ له: من أنت؟ قال: عبدٌ آبقٌ من مَولاه. قلتُ: فتعُودُ فتعتذر. فقال: العذرُ يحتاجُ إلى إقامةِ حجَّةٍ، فكيف يعتذِرُ المُقصِّرُ؟ فقلتُ: يتعلَّقُ بمَنْ يشفعُ فيه. فقال: كلُّ الشُّفعاءِ يخافون منه. قلتُ: فمن هو؟ فقال: مولًى ربَّاني صغيرًا فعصَيتُهُ كبيرًا، شرَطَ لي فوفَّاني، وضمِنَ لي فأعطاني، فخُنْتُهُ في ضماني، وعصيتُهُ وهو يراني، فواحيائي من حُسنِ صنيعه وقبيحِ فِعلي. فقلتُ: أين هذا المولى؟ فقال: أين توجَّهتَ لقِيتَ أعوانَه، وأين استقرَّتْ قدمُك ففي آثارِهِ[2] وداره. فقلت: ارفُقْ بنفسك؛ فربَّما أحْرَقَكَ هذا الخوف. فقال: الحريقُ بنارِ خوفه ـ لعلَّه يرضى ـ أحقُّ وأوْلَى، ثم أنشأ يقول:

لم يُبْقِ خوفُكَ لي دَمعًا ولاجَلَدَا ... لاشكَّ أنِّي بهذا ميِّتٌ كَمَدا

عبدٌ كئيبٌ أتى بالعجزِ مُعترِفًا ... ونارُهُ تحرقُ الأحشاءَ والكبِدَا

ضاقَتْ مَساكنُهُ في الأرضِ من وَجَلٍ ... فهبْ له منك لُطفًا إنْ لَقِيك غَدَا

فقلتُ: ياغُلام، الأمرُ أسهلُ ممَّا تَظُنّ. فقال: هذا من فتن البطَّالين،

---

(١) صفة الصفوة ٤/ ٣٦٥.

(٢) لفظة: (آثاره) ليست في (أ).

هَبْهُ تجاوزَ وعفَا، أين آثارُ الإخلاصِ والصَّفا؟ ثم صاحَ صيحةً، فخرجتْ روحُه، فخرجَتْ عجوزٌ من كهفِ جبلٍ عليها ثيابٌ رثَّةٌ، فقالت: من أعانَ على قتلِ البائسِ[1] الحيران؟ فقلت: ياأمَةَ اللهِ، دعوتِهِ إلى الرَّجاء؟ فقالت: قد دَعَوتُهُ إلى ذلك فقال[2]: الرجاءُ بلا صفاء شِركٌ. قلتُ: من أنتِ منه؟ قالت: والدتُهُ. فقلت: أُقيمُ عندكِ أُعينكِ عليه؟ فقالت: خَلِّهِ ذليلاً بين يدي قاتِلِه، عسى[3] أنْ يراهُ بغيرِ مُعينٍ فيرحمه. فلم أدرِ ممَّا أعجب، من صدقِ الغلامِ من خوفه، أومن قولِ العجوزِ، وحُسن صدقِها[4].

رحمة اللهِ عليهما ورضوانه.

* * *

الجزائر والبحار

قال عُبيدُ اللهِ بنُ أبي نوح: لقِيتُ رجلاً من العبَّاد في بعضِ الجزائر مُنفردًا فقلت: ياأخي، ماتصنعُ هاهنا وحدَكَ؟ أمَا تستوحِشُ؟ قال: الوَحْشةُ في غيرِ هذا الموضع أعمُّ. قلتُ: منذ كم أنتَ هاهنا؟ قال: مُنذُ ثلاثين[5] سنة. قلتُ: فمن أين المَطعم؟ قال: من عندِ المُنعِم. قلتُ: فماهنا في القُربِ منك شيءٌ تُعوِّلُ عليه إذا احتجتَ إليه من المطعَمِ رجعتَ إليه؟ قال: ماأكرثَكَ بما قد كُفيتَه، وضُمِنَ لك! قلتُ: أخبرني بأمرِك. قال: مالي أمرٌ غيرَ ماترى، غيرَ أنّي أظلُّ في هذا الليلِ والنهار مُتّكلاً على كَرَمِ من لاتأخُذُه سِنةٌ ولانَوم. قال: ثم صاحَ صيحةً أفزَعَني، فوثبتُ، وسقَطَ مَغْشيًا عليه،

---

(١) في (أ): «من أعان على البائس».
(٢) في (ب): «فقالت».
(٣) في (أ): «عساه».
(٤) صفة الصفوة ٤/٣٦٧. وقد كتب على الهامش: «تبصرة لابن الجوزي».
(٥) في (أ): «منذ ثلاثون».

فتركتُهُ على تلك الحالِ، ومضَيت[1].

رحمةُ الله عليه.

* * *

وقال: بلغَنا عن عبد الواحد بن زيد أنَّهُ قال: ركبنا في مركبٍ، فطرَحَتْنا الرِّيحُ إلى جزيرةٍ، فإذا فيها رجلٌ يَعبُدُ صنمًا، فقلنا له: يارَجل، مَنْ تعبُد؟ فأوْمَأَ إلى الصَّنَم. فقلنا: إنَّ معنا في المركب من يُسَوِّي مثلَ هذا، ليس هذا بإلٰهٍ يُعبد. قال: فأنتم لمن تعبُدون؟ قلنا: الله. قال: ومالله؟ قلنا: الذي في السماء عرشُه، وفي الأرضِ سُلطانُه، وفي الأحياء والأمواتِ قضاؤه. فقال: كيفَ علمتم به؟ قلنا: وجَّه هذا الملِكُ إلينا رسولاً كريمًا، فأخبرَنا بذلك. قال: فما فعلَ الرَّسولُ؟ قلنا: لمَّا أدَّى لنا الرسولُ[2] الرسالةَ قبضَهُ الله. قال: فما ترَكَ عندكم علامة؟ قلنا: بلى ترَكَ عندنا كتابَ الملِك. قال: أروني كتابَ الملكِ، فينبغي أن تكونَ كتبُ المُلوك[3] حِسانًا. فأتيناه بالمُصحَف، فقرأنا عليهِ سورةً من القرآن[4]، فلم نزلْ نقرأُ ويَبكي حتى ختمنا السورة. فقال: ينبغي لصاحبِ هذا الكلامِ أن لايُعصَى. ثم أسلمَ وحملْناهُ معنا، وعلَّمْناه شرائعَ الإسلام، وسُوَرًا من القرآن، فلمَّا جَنَّ علينا الليلُ وصلَّينا العِشاء أخذْنا مَضاجعَنا، فقال لنا: ياقوم، هذا الإله الذي دلَلْتُموني عليه إذا جَنَّ عليه الليلُ ينام؟ قلنا: لا ياعبدَ الله، هو عظيمٌ قيُّومٌ لاينام. قال: بئسَ العبيدُ أنتم، تنامون ومولاكم لاينام. فأعجَبَنا كلامُه.

---

(١) صفة الصفوة ٤/٣٦٨.

(٢) عبارة: «لنا الرسول» ليست في (أ).

(٣) في (ب): «الملك».

(٤) في (ب): «سورة يس».

فلمَّا قدِمْنا عَبَّادان[1]، قلتُ لأصحابي: هذا قريبُ عهدٍ بالإسلام. فجمعْنا له دراهم وأعطَيناه. فقال: ماهذه؟ قلنا: تُنفِقها. فقال: لاإلٰهَ إلاَّ الله، دَلَلْتُموني على طريقٍ ماسلَكْتُموها، أنا كنتُ في جزائرِ البحرِ أعبدُ صنَمًا من دونه ولم يُضيِّعْني، أفتراهُ يُضيِّعُني[2] وأنا أعرفُه؟!

فلمَّا كانَ بعدَ أيامٍ قيل لي: إنَّه في الموت. فأتيتُه، فقلت: هل من حاجةٍ؟ فقال: قَضَى حوائجي من جاءَ بكم إلى جزيرتي. قال عبدُ الواحد: فحملتْني عيني[3] فنمتُ عندَه، فرأيتُ مقابرَ عَبَّادان روضةً فيها قبَّةٌ، وفي القبَّةِ سريرٌ عليه جاريةٌ لم نر أحسنَ منها. فقالت[4]: سألتُك باللهِ إلاَّ ماعجَّلتَ به، فقد اشتدَّ شوقي إليه. فانتبهتُ فإذا به قد فارقَ الدُّنيا، فغسَّلْتُهُ وكفَّنْتُهُ وواريْتُه، فلمّا جَنَّ الليلُ نمتُ، فرأيتُه في القبَّةِ مع الجاريةِ وهو يقرأ: ﴿والملائكةُ يدخلونَ عليهم من كلِّ بابٍ * سلامٌ عليكُمْ بما صبَرْتُمْ فنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[الرعد: ٢٣، ٢٤][5]

رحمة الله عليه.



* * *

وقال سمنون: دخلتُ عَبَّادانَ فسألتُ عن شيخٍ أُسلِّمُ عليه، وآنسُ به، فقيل لي: مابَقِيَ عندنا أحدٌ إلاَّ وقد رأيتَهُ، ولم يبقَ لنا إلاَّ شيخٌ واحدٌ في البحرِ، قد نقرَ لنفسِه ساجةً[6] وهو يتعبَّدُ فيها منذُ ثلاثين سنة، وربَّما ألقتْهُ

---

(١) عبَّادان: مدينةٌ تقع تحت البصرة على شط العرب، جنوب شرق العراق، في دولة إيران، رابطَ فيها عبادُ بن حصين في زمن الحجاج فنسبت إليه؛ انظر معجم البلدان ٤/ ٧٤.

(٢) عبارة: «أفتراه يضيعني» ليست في (أ).

(٣) في (ب): «عيناي».

(٤) في (ب): «أر أحسن منها فقلت».

(٥) صفة الصفوة ٤/٣٦٩.

(٦) السَّاجة: الخشبة الواحدة المشرجعة ـ الطويلة المربعة ـ كما جلبت من الهند. معجم متن اللغة (سيج).

الرِّيحُ إلى هاهنا في كلِّ سنةٍ مرَّةً أو مرتين، فكأنَّ نفسي تشوَّقَتْ إليه، فلمَّا كان في بعضِ الأيام قِيل لي: الرجلُ قد وصل.

قال سمنون: فخرجتُ أنظرُ إليه فإذا شيخٌ جالسٌ في ساجةٍ منقورةٍ، حسَنُ السَّمْتِ[1]، فسلَّمتُ عليه، فردَّ عليَّ السَّلام، فقلتُ له: إنِّي أسألُكَ عن مسألةٍ. فقال: دَعْني من هذا، فإنِّي أُريدُ أنْ أسألَكَ عن مسألةٍ. قال سمنون: فقلتُ له: سَلْ. فقال: إنَّ ذَكَري يجري كمنخرِ الثَّورِ، فما أعملُ؟ فقلتُ له: ماعليك أكثرُ من أن تنترَ ثلاثًا، وماعدا ذلك فليس عليك. قال سمنون: ثم قلتُ له: حدِّثني بأشدِّ مارأيتَ في هذا البحر من الوَحشة؟ فقال: مايُمكنُ، ولكنْ هبَّتْ في بعضِ الليالي ريحٌ عظيمةٌ، وأظلمَ البحر، وخبَّ حتى مارأيتُ مثلَه قطُّ إن شاء الله تعالى، فداخلَني من ذلك وَحشةٌ عظيمةٌ، وطلبتُ شيئًا يُزيلُ عنِّي تلك الوَحشة، وإذا أنا بتنِّينٍ عظيم، فاتحٍ فاه، فألقتني الساجةُ نحوه، فدخلتُ في فيه، وجلستُ على نابٍ من أنيابِه، وصلَّيتُ ركعتَين، فزالَ ماكنتُ أجدُه من الوَحشة.

رحمة الله عليه ورضوانه.

* * *

وقال أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن هاشم: قلتُ لذي النُّون: صِفْ لنا من خيارِ من رأيت. فَذَرَفَتْ عيناه، وقال: ركِبْنا مرَّةً في البحر نُريدُ جُدَّةَ، ومعنا فتًى من أبناءِ نيِّفٍ وعشرين سنة، قد أُلبسَ ثوبًا من الهَيبةِ، فكنتُ أُحبُّ أنْ أُكلِّمَهُ فلم أستطعْ، بينما تراه مُصليًا وبينما تراهُ مُسبِّحًا إلى أن رَقَدَ ذات يومٍ، ووقعتْ في المركبِ تهمةٌ، فجعلَ الناسُ يُفتِّشُ بعضُهم

---

(١) في (ب): «الصمت»، والسَّمتُ: هيئةُ أهلِ الخير.

بعضًا إلى أن بلغوا إلى الفتى، فقال صاحبُ التُّهَمة: لم يكن أحدٌ أقربَ إليَّ من هذاالفتى النَّائم. فلمَّا سمعتُ ذلك قمتُ فأيقظتُه. فما كلَّمَني حتى توضَّأَ وصلَّى أربعَ ركعاتٍ، ثم قال لي: يافتى، ماتشاء؟ فقلتُ: إنَّ الناسَ لم يزلْ يُفتشُ بعضُهم بعضًا حتى بلغوا إليكَ، فالتفتَ إلى صاحبِ الصُّرَّة، فقال: أكما يقول؟ فقال: نعم، لم يكنْ أحدٌ أقربَ إليَّ منك. فرفعَ الفتى يديه يدعوه وخفتُ على أهلِ المركب من دُعائه، وخُيِّلَ إلينا أنَّ كلَّ حوتٍ في البحر قد خرج، في فمِ كلِّ حوتٍ دُرَّةٌ، فقامَ الفتى إلى جَوهرةٍ في فيِ حوتٍ، فأخذها فألقاها إلى صاحبِ الصُّرَّةِ، وقال: في هذه عوضٌ ممَّا ذهبَ منك، وأنتَ في حلٍّ.

* * *

السَّواحل

قال سعيد بنُ ثعلبةَ الورَّاق: بتنا ليلةً مع رجلٍ من العبَّادِ على السَّاحلِ بسِيراف[1]، فأخذَ في البكاء، فلم يزلْ يبكي حتى خِفنا طُلوعَ الفجرِ، ولم يتكلَّمْ بشيءٍ، ثم قال: جُرْمي عظيم، وعفوُكَ كبير[2]، فاجمَعْ بين جُرْمي وعفوِك ياكريم. قال: فتصارخَ الناسُ في كلِّ ناحية.

* * *

وقال أبو بكر الكتَّاني: كنتُ أنا وأبو سعيد الخَرَّاز[3]، وعباس بن المهتدي وآخرُ نَسيرُ بالشام على ساحلِ البحر، إذا شابٌّ يَمشي معه محبرةٌ

---

(١) سيراف: مدينةٌ جليلةٌ على ساحل بحر فارس. معجم البلدان.

(٢) في (أ): «كثير».

(٣) في (ب): «الحرار».

ظنَّنا أنَّه من أصحابِ الحديث، فقال له أبو سعيد: يافتى، على أيِّ الطَّرِيقِ تسير؟ فقال: ليسَ أعرِفُ إلاَّ طريقين: طريقَ الخاصَّة، وطريقَ العامَّة. فأمَّا طريقُ العامة فهذا الذي أنتم عليه، وأمَّا طريق الخاصَّة فبسم اللهِ. وتقدَّمَ إلى البحرِ ومَشى حِيالَنا على الماء. فلم نزلْ نراهُ حتى غابَ عن أبصارِنا[1].

رحمة اللهِ عليه.

* * *

وقال عبَّادٌ أبو عُتبة[2] الخوَّاص: حدَّثني رجلٌ من الزُّهَّاد ممَّنْ يَسيحُ في الجِبال، قال: لم تكنْ لي همَّةٌ في شيءٍ من الدُّنيا، ولالذَّةٌ إلاَّ في لقيِّهم[3] ـ يعني الأبدال والزُّهَّاد ـ قال: فبينا أنا ذات يومٍ على ساحلِ البحر ليس يَسْكُنُه الناسُ ولاترقَى إليه السُّفُن، إذا أنا برجلٍ قد خرجَ من تلك الجِبال، فلما رآني هرَبَ، وجعلَ يَسعى، واتَّبَعْتُهُ أسعى خلفه، فسقطَ على وجهه وأدركتُهُ، فقلتُ: ممَّنْ تهربُ رحمَكَ الله؟ فلم يُكَلِّمْني. فقلتُ: إنِّي أُريد الخيرَ فعلِّمْني. قال: عليكَ بلزومِ الحقِّ حيثُ كنتَ، فواللهِ ماأنا بحامدٍ لنفسي فأدعوكَ إلى مثلِ عَمَلِها. ثم صاحَ صَيحةً فسقَطَ ميتًا. فمكثتُ لاأدري كيفَ أصنَعُ به. قال: وهجَمَ الليلُ علينا فتنحَّيْتُ فنمتُ ناحيةً عنه، فأُريتُ في منامي أربعةَ نفرٍ هبَطوا عليه من السماءِ على جبَلٍ[4] فحفروا له وكفَّنوه، وصلَّوْا عليه، ثم دفنوه. فاستيقظتُ فزِعًا للذي رأيتُ، فذهبتْ عنِّي وَسْنَةُ النَّومِ بقيَّةَ الليل. فلمَّا أصبحتُ انطلقتُ إلى مَوضعِه، فلم أرهُ فيه، فلم أزلْ أطلبُ أثرَهُ وأنظُرُ حتى رأيتُ قبرًا جديدًا ظننتُ أنَّه القبرُ الذي

---

(١) صفة الصفوة ٤/ ٣٧٠.

(٢) في (ب): «ابن عتبة».

(٣) في صفة الصفوة ٤/ ٣٧١: «القياهم».

(٤) في صفة الصفوة: على خيلٍ.

رأيتُ في منامي[1].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

*   *   *

وقال عبد الرحمن[2] المَغازِليّ: قال رجلٌ ببلادِ الشام، في بعضِ تلك السَّواحل: لو بكى العابدون على الإشفاقِ حتى لم يبقَ في أجسادِهم جارحةٌ إلاَّ أدَّتْ[3] مافيها من الدَّمِ والوِدَكِ[4] دموعًا جارية، وبقيتِ الأبدانُ يُبْسًا خاليةً تتردَّدُ فيها الأرواحُ إشفاقًا ووجَلاً من يوم تَذهلُ فيه كلُّ مُرضعةٍ عمَّا أرضعتْ لكانوا مَحقُوقين بذلك. ثم غُشِيَ عليه[5].

رحمة اللهِ عليه.

*   *   *

وقال ذو النُّون: سمعتُ بعضَ المتعبِّدين بساحلِ بحر الشام يقول: إنَّ للهِ عِبادًا عَرَفوه بيقينٍ من معرفتِه، فشمَّروا قصدًا إليه، احتملوا فيه المصائبَ لما يَرجون عنده من الرَّغائب، صَحِبوا الدُّنيا بالأشجانِ، وتنعَّموا فيها بطولِ الأحزان، فما نظروا إليها بعينِ راغبٍ، وماتزوَّدوا منها إلاَّ كزادِ الراكب، خافوا البياتَ فأسرعوا، ورَجَوا النجاةَ فأزمعوا، بذَلوا مُهجَ أنفسَهم في رضا سيِّدِهم، نصبوا الآخرةَ نُصبَ أعينِهم، وأصغَوا إليها بآذانِ قلوبِهم. فلو رأيتَهم رأيتَ قومًا ذُبلاً شفاهُهُم، خُمُصًا بطونُهم، حزينةً قلوبُهم، ناحِلةً

---

(١) صفة الصفوة ٤/ ٣٧١.

(٢) في صفة الصفوة ٤/ ٣٧٢: «أبو عبد الرحمن».

(٣) في الأصل: «إذا أدّت»، والمثبت من صفة الصفوة.

(٤) الودَك: دسم اللحم والشحم. معجم متن اللغة (ودك).

(٥) صفة الصفوة ٤/ ٣٧٢.

أجسامُهم، باكيةً أعينُهم، لم يَصحَبوا التَّعليلَ والتَّسويفَ، وقَنِعوا من الدُّنيا بقوتٍ طفيف، لبِسوا من اللباسِ أطمارًا باليةً، وسكنوا من البلادِ قَفْرًا خالية، هَربوا من الأوطانِ واستبدلوا الوحدةَ من الأخْدان، فلو رأيتَهم لرأيتَ قومًا قد ذَبَحهم الليلُ بسكاكينِ السَّهَر، وفصَلَ الأعضاءَ منهم بخناجِرِ التَّعَب، خُمصٌ لطولِ السُّرَى، شُعثٌ لفقدِ الكرى، قد وصلوا الكَلالَ بالكَلال، وتأهَّبوا للنُّقلةِ والارتحال[1].

* * *

وقال محمد بنُ إبراهيم الأخرم: خرجتُ من مصرَ وأنا على ساحلِ البحر، فرأيتُ امرأةً خرجتْ من بريَّةٍ. فقلتُ: إلى أين ياأمَةَ الله؟ قالت: إلى صومعةٍ هاهنا لابنٍ لي. فمشَيتُ معها، فسمعتُ صوتًا من صومعةٍ:

ومُشتاقٍ وليس له قَرارُ ... نَفُورٌ ليس يَملِكُه العِذارُ[2]

ومُؤنِسُ قلبِهِ ليلٌ طَويلٌ ... يُلذِّذُهُ[3] ويُوحِشُه النَّهارُ

قَضَى وَطَرًا به فأفادَ عِلْمًا ... فهِمَّتُه[4] التَّعبُّدُ والفِرارُ

ألاَ صَبرًا على دُنياكَ صَبرًا ... فكلُّ أُمورِها فيها اغتِرار[5]

فقلتُ لها: منذُ كم صارَ ابنُكِ هاهنا؟ قالتْ: مُنذُ وهبتُه منه، وقبلَه منِّي[6].

* * *

---

(١) صفة الصفوة ٤/ ٣٧٢.

(٢) العِذار: ماسال من اللجام على خدّ الفرس.

(٣) في صفة الصفوة ٤/ ٣٧٣: «يلذّ به».

(٤) في صفة الصفوة: «فنهمته».

(٥) في صفة الصفوة: «اعتبار».

(٦) صفة الصفوة ٤/ ٣٧٣.

وقال عبد الرحمن بنُ زيد: لم أرَ مثلَ قومٍ رأيتُهم، هَجمنا مرّةً على نفرٍ من العُبّاد في بعضِ سواحلِ البحر، فتفرَّقوا[1] حين رأَوْنا، فبتنا تلك الليلةَ وأرفينا في تلك الجزيرةِ[2]، فماكنتُ أسمعُ عامّةَ الليلِ إلاَّ الصُّراخَ والتعَوُّذَ من النار. فلمّا أصبحنا طلبناهم، واتَّبعنا آثارَهم فلم نرَ منهم أحدًا.

رحمة الله عليهم.

* * *

الشام

قال معروفٌ الكَرْخِيُّ: رأيتُ رجلاً في الباديةِ شابًا حسنَ الوجه، له ذُؤابتان حسنتان، وعلى رأسه رداءُ قَصَبٍ، وعليه قميصُ كتّان، وفي رجلهِ نعلُ طاق. قال معروف: فتعجَّبتُ منه في مثلِ ذلك المكان، ومن زِيِّهِ. فقلت: السلامُ عليك ورحمةُ اللهِ وبركاته. فقال: وعليك السلامُ ورحمة اللهِ ياعمّ. فقلت: الفتى من أين؟ قال: من مدينةِ دمشق. قلتُ: ومتى خرجتَ منها؟ قال: ضَحوةَ النَّهار.

وقال معروف: فتعجَّبتُ! وكان بينه وبين الموضعِ الذي رأيتُهُ فيه مراحلُ كثيرة. فقلتُ له: وأين المقصِد؟ فقال: مكَّة. فعلمتُ أنّه محمول. فودَّعتُه ومضَى ولم أرهُ حتى مضَتْ ثلاثُ سنين، فلمّا كان ذات يومٍ وأنا جالسٌ في منزلي أتفكَّرُ في أمره، وماكان منه إذا أنا بشابٌ يدقُّ الباب، فخرجتُ إليه فإذا أنا بصاحبي، فسلَّمتُ عليه، وقلتُ له: مرحبًا وأهلاً. وأدخلتُه المنزل، فرأيتُهُ منقطِعًا وَالِهًا تالِفًا، عليه

(١) في (ب): «فنفر قوم».
(٢) في (ب): «الليلة».

زُرْمانُقَة[1] حافيًا حاسرًا، فقلت: هيه، أيُّ شيءِ الخبر؟ فقال: يا أُستاذ، لاطَفني حتى أدخلَني الشبكةَ، فرَمَاني، فمرَّةً يُلاطِفُني، ومرَّةً يُهدِّدُني، ويمنعُني مرَّةً، ويُكرمُني أُخرى، فليتَهُ وقفَني[2] على بعضِ أسرارِ أوليائه، ثم ليفعل بي ماشاء.

قال معروف: فأبكاني كلامُه، فقلتُ له: فحدِّثني ببعضِ ماجرى عليك مُنذُ فارقتَني. فقال: هيهات أن أُبديَه، وهو يُريد أن أُخفيه[3]، ولكن بُدَّيَا ما فعلَ في طريقي إليكَ مولايَ وسيِّدي، ثم استفرغَهُ البُكاء. فقلتُ: ومافعلَ بك؟ قال: جوَّعَني ثلاثين يومًا، ثم جِئتُ إلى قريةٍ فيها مَقْثَأَةٌ[4] قد نُبِذَ[5] منها الدُّود وطُرِح، فقعدْتُ آكلُ منه، فبَصُرَ بين صاحبُ المقثأة، فأقبلَ إليَّ يضرِبُ ظهري وبَطني ويقول: يالصُّ، ماخرَّبَ مقثأتي غيرُك، مُنذ كم أنا أرصدكَ حتى وقعتُ عليك؟ فبينا هو يضرِبُني إذ أقبلَ فارسٌ نحوه مُسرعًا إليه، وقلبَ السَّوطَ في رأسِه، وقال: تعمِدُ إلى وليٍّ من أولياءِ اللهِ فتقول يالص. فأخذَ صاحبُ المقثأة بيدي، فذهبَ بي إلى منزلِهِ فما أبقَى من الكرامةِ شيئًا إلاّ عمِلَه، واستَحلَّني، وجعل مقثأتَهُ لله ولأصحاب معروف.

فقلتُ له: صِفْ لي مَعروفًا. فوصَفَ لي، فعرفتُكَ ممَّا كنتُ قد شاهدتُهُ من صِفتك. قال معروف: فما استتمَّ كلامَه حتى دقَّ صاحبُ المَقثأةِ، ودخلَ إليَّ، وكانَ مُوسِرًا، فأخرجَ جميعَ مالِهِ وأنفقَهُ على الفقراء، وصحبَ

---

(١) زرمانقة: نوع جبةِ صوف، وهي فارسيَّة (المعجم المفصَّل بأسماءِ الملابس عند العرب). وقد جاء ضبطُها في (ب): «زُرْمانِقة» بكسر النون.
(٢) في (ب): «أوقفني».
(٣) في (أ): «يُخفيه».
(٤) المقثأة: المكانُ الذي زرع ونبتَ فيه القِثَّاء. معجم متن اللغة (قثأ).
(٥) في (ب): «قد نهد».

الشَّابُ سنةً، وخرجا إلى الحجِّ فماتا بالرَّبَذَة[1].

رحمة اللهِ عليهما[2].

* * *

وقال داودُ بن رُشَيْد: حدَّثني الصَّبيح والمَليح ـ شابان كانا يتعبَّدانِ بالشام، سُمِّيا الصَّبيحَ والمليحَ لحُسْنِ عبادتِهما ـ قالا: جعنا أيَّامًا، فقلتُ لصاحبي أو قال لي: اخرُجْ بنا إلى الصحراء، لعلَّنا نرى رجلاً نعلِّمُه بعضَ دينِه، لعلَّ اللهَ أنْ ينفعَنا به. فلمَّا أصْحَرنا استقبلَنا أسودُ على رأسِه حزمةُ حطبٍ، فدنونا منه فقُلنا له: ياهذا، مَنْ ربُّكَ؟ فرمى بالحزمةِ عن رأسه وجلسَ عليها، وقال: لاتقولا لي من ربُّك؟ ولكنْ قولا: أين محَلُّ الإيمانِ من قلبك؟ فنظرتُ إلى صاحبي، ونظرَ إليَّ صاحبي ثم قال: سَلا سَلا، فإنَّ المُريد لاتنقطِعُ مسائلُه. فلمَّا رآنا لانحيرُ جوابًا، قال: اللهمَّ، إنْ كنتَ تعلمُ أنَّ لك عِبادًا (١كلَّما سألوكَ أعطيتَهم فحوِّلْ حُزْمتي هذه ذهبًا. فرأينا قُضبانَ ذهبٍ تلمع. ثم قال: اللهمَّ إنْ كُنتَ تعلمُ أنَّ لك عبادًا١)[3]، الخمولُ أحبُّ إليهم من الشُّهرةِ فرُدَّها حَطَبًا. فرجعتْ واللهِ حطبًا. ثم حملَها على رأسه ومضى فلم نجترئْ أنْ نتبعَه[4].

* * *

وقال أبو بكر الكَتَّاني، وجماعةٌ من المشايخ قالوا: كان لأبي جعفر الدِّيْنَوَرِيِّ أخٌ يكونُ بالشام، وكان لايُقيمُ بقريةٍ ولا مدينةٍ أكثرَ من ليلةٍ أو

---

(١) الرَّبَذَة: من قرى المدينة، على ثلاثةِ أيام. معجم البلدان.

(٢) صفة الصفوة ٤/ ٢٨٩، روض الرياحين ٥٤٣ (الحكاية ٤٩٨).

(٣) (١ـ١) سقط مابينهما من (أ).

(٤) صفة الصفوة ٤/ ٢٩١، روض الرياحين ٢٨٣ (الحكاية ٢٢٠).

يوم، ثم يخرج. فدخلَ إلى قريةٍ فاعتلَّ فيها سبعةَ أيامٍ لم يأكلْ ولم يشربْ، ولم يُكلِّمْه أحدٌ فمات، فأصبحَ القومُ في اليوم الثامن فوجدوه مَيتاً، فغسَّلوه وحنَّطوه وكفَّنوه وصلَّوا عليه وحملوه ليدفِنوه، فجاءَ الناسُ من كلِّ قريةٍ إليهم، وقالوا: سمعنا صائحًا يَصيح: من أرادَ أن يحضرَ جنازةَ وليٍّ من أولياءِ اللهِ عزَّ وجلّ فليحضرْ قريةَ كذا وكذا.

قال: فصلُّوا عليه ودَفنوه. فلمَّا كانَ من الغدِ وجدوا الكفنَ والحَنُوط مَصروراً في محرابِهم، ومعه كتابٌ فيه مكتوبٌ: لاحاجةَ لنا في كفنكم هذا، يُقيمُ بين أظهركم وليٌّ من أولياء اللهِ تعالى سبعةَ أيامٍ لاعُدتُموه ولاعلَّلتموه ولاأطعمتموه ولاسَقيتُموه، ولاكلَّمتموه.

قال الكَتَّاني: فجعلَ أهلُ تلك القريةِ فيها بيتًا للضيافة[1].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.



* * *

وقال عبد الواحد بن زيد: خرجتُ إلى الشام في طلب العُبَّاد، فجعلتُ أجدُ الرجلَ بعدَ الرجل، كلٌّ منهم شديدُ الاجتهاد، حتى قال لي رجلٌ: قد كان هاهنا رجلٌ من النحو الذي تُريد، ولكنَّا فَقدنا من عقله، ولانَدري يُريدُ أن يحتجبَ من الناس بذلك أم هو شيءٌ أصابَهُ؟ فقلتُ: وما أنكرتُم منه؟ قال: إذا كلَّمَهُ أحدٌ قال: الوليدُ وعاتكة، لا يزيدُ عليه. قال: فقلتُ: فكيفَ لي به؟ قالَ: هذه مَدْرَجتُه[2]. فانتظرتُهُ، فإذا برجلٍ والِهٍ، كريهِ الوجه، كريهِ المنظر، وافرِ الشَّعَر، مُتغيِّرِ اللَّون، وإذا الصبيانُ حوله وخلفه، وهو ساكتٌ

(١) صفة الصفوة ٤/ ٢٩٢.
(٢) مدرجتُه: طريقه.

يمشي[1] قال: فتقدَّمتُ إليه فسلَّمتُ عليه. فالتفتَ فردَّ عليَّ السَّلام. فقلتُ: رحمَكَ الله، إنّي أريدُ أنْ أُكلِّمَكَ. فقال: الوليد وعاتكة. قلت: قد أُخبرتُ بقصَّتك. فقال: الوليدُ وعاتكة. ثم مضى، فدخلَ المسجدَ. فرجع الصِّبيانُ الذين كانوا يتْبعونه. قال: فاعتزلَ إلى ساريةٍ، فركعَ فأطالَ الرُّكوع، ثم سجدَ فدنوتُ منه، فقلتُ: رحمَكَ الله، رجلٌ غريبٌ[2] يُريدُ أن يُكلِّمَكَ ويسألَكَ عن شيءٍ، فإنْ شئتَ فأطِلْ، وإنْ شئتَ فأقْصِرْ، فلستُ ببارحٍ حتى تُكلِّمَني. قال: وهو في سجودِهِ يدعو ويتضرَّعُ؛ قال: ففهمتُ عنه وهو يقول: سِتَرَك سِتَرَك. قال: فأطالَ[3] السُّجودَ، حتى سئمتُ، فدنوتُ منه فلم أسمعْ له نفَسًا ولا حركةً. قال: فحرَّكتُهُ فإذا هو مَيتٌ كأنَّه قد ماتَ من دهرٍ طويلٍ. قال: فخرجتُ إلى صاحبي الذي دلَّني عليه، فقلتُ: تعالَ، فانظرْ إلى الذي زعمتَ أنَّكَ أنكرتَ من عقله. وقصصتُ عليه قصَّتَه. قال: فهيَّأناه ودفنَّاهُ[4].

رحمة الله عليه ورضوانه.



الشرق

قال صالح بن أحمد: جئتُ يومًا إلى المنزل، فقيل لي: قد وجَّهَ أبوك أمسِ في طلبِكَ. فقلتُ: وجَّهتَ في طلبي؟ فقال: جاءَني رجلٌ أمسِ كنتُ

---

(١) في صفة الصفوة ٤/٢٩٣: «وهو ساكتٌ يمشي، وهم خلفه سكوت يمشون، وعليه أطمار دنِسة، قال: فتقدمت...».
(٢) في (ب): «عزيته».
(٣) في (ب): «قال: فخرجت إلى برًا ثم دخلتُ فإذا هو في السجود».
(٤) صفة الصفوة ٤/٢٩٢.

أُحبُّ أن تراه، بينا أنا قاعدٌ في نَحْرِ الظهيرة[1] إذا أنا برجلٍ يُسلِّمُ بالباب، فكأنَّ قلبي ارتاحَ، فقمتُ ففتحتُ البابَ، فإذا أنا برجلٍ عليه فروةٌ، وعلى أُمِّ رأسِه خِرْقةٌ، ماتحتَ فروتِهِ قميص، ولامعه ركوةٌ، ولاجِراب ولاعُكَّازة، قد لوَّحتْه الشمسُ فقلتُ: ادخلْ. فدخلَ الدِّهليزَ، فقلت: من أين أقبلتَ؟ قال: من ناحيةِ المشرق، أُريدُ بعضَ السَّواحل، ولولا مكانك مادخلتُ هذا البلد، إلاَّ أنِّي نَويتُ السَّلامَ عليك. قال: قلتُ: على هذه الحالة؟ قال: نعم، ماالزُّهدُ في الدُّنيا؟ قلتُ: قِصَرُ الأمل. قال: وجعلتُ أعجبُ منه، فقلتُ في نفسي: ماعندي ذَهَبٌ ولافِضَّةٌ، فدخلتُ البيتَ فأخذتُ أربعةَ أرغفةٍ، فخرجتُ إليه، فقلتُ: ماعندي ذهبٌ ولا فضَّةٌ، وإنما هذا من قُوتي. قال: ويَسُرُّكَ أنْ أقبل ذلك ياأبا عبدالله؟ قلتُ: نعم. قال: فأخذَها فوضعها تحتَ حِضْنه. قال: أرجو أنْ يكفيني، هذه زادي إلى الرَّقَّة، أستودعُكَ الله. فلم أزلْ قائمًا أنظرُ إليه إلى[2] أنْ خرجَ. وكان يذكره كثيرًا[3].

رحمة اللهِ عليه رضوانه.

* * *

وقال أحمد بن عليٍّ الإخميمي[4]: كنَّا ذاتَ يومٍ عند ذي النُّون، وقد ذكرَ كراماتِ اللهِ عزَّ وجلَّ لأوليائه. فقالَ بعضُ من حضرَه: أنتَ رأيتَ منهم أحدًا ياأبا الفيض؟ فقال ذو النُّون: كان عندي فتًى من أهلِ خُراسان أعجمي

---

(١) نحر الظهيرة: حين تبلغ الشمس منتهاها من الارتفاع.
(٢) في (ب): «حتى».
(٣) صفة الصفوة ٤/ ١٧٥.
(٤) الإخميمي: نسبةٌ إلى إخميم، وهي بلدةٌ من ديار مصر من الصعيد على طريق الحاج. الأنساب ١/ ١٥٥.

بقيَ عندي في المسجد سبعةَ أيامٍ لايَطعمُ الطعام، وكنتُ أعرِضُ عليه [الطعامَ] فيأبَى، فبينا نحن جلوسٌ ذات يومٍ دخلَ سائلٌ يطلبُ شيئًا، فقال له الخراساني: لو قصدتَ اللهَ عزَّ وجلَّ دون خلقِهِ أغناكَ. فقال السائلُ: مالي هذا المكان؟ فقال له الخُراسانيُّ: أيَّ شيءٍ تُريد؟ فقال: ماسدَّ فاقتي، وسَتَرَ عَوْرَتي. فقامَ الخُراسانيُّ إلى المِحرابِ وصلَّى ركعتين، ثم أتاهُ بثوبٍ جديد، وطَبَقٍ فيه فاكهةٌ فأعطاهُ السائلَ.

قال ذوالنون: فقلتُ له: ياأبا عبد الله، لك هذا الجاهُ عند اللهِ عزَّ وجلَّ، وأنتَ منذُ سبعةِ أيامٍ لم تطعمْ شيئًا؟ فجثى على ركبتيه، وقال: ياأبا الفيض، كيفَ تَبسُطُ[1] الألسنَ بالمسألة، والقلوبُ مُمتلئةٌ بأنوار الرِّضا عنه؟ قال ذو النُّون: فقلتُ له: فالرَّاضون لايسألونَ شيئًا؟ فقال: منهم من يسألُ من بابِ الإدلال[2]، ومنهم من يملؤُه غنًى به، ومنهم من يستخرجُ المسألةَ منه عَطْفَةً على غيرِه. ثم أُقيمتِ الصلاةُ، فصلَّى معنا عشاءَ الآخرة، وأخذَ ركوتَهُ، وخرجَ من المسجد كأنَّه يُريدُ الطهارة، فلم أرَهُ بعدَ ذلك[3].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

وقال إبراهيمُ بنُ أدهم عن ابتدائه كيف كان، قال: كنتُ يومًا في مجلسٍ لي له مَنظرةٌ إلى الطَّريق، فإذا أنا بشيخٍ عليه أطمارٌ، وكان يومًا حارًّا، فجلسَ في فيْءِ القصر ليستريح. فقلتُ للخادم: اخرجْ إلى هذا الشيخ فأقرِئهُ منِّي السلام، وسَلْه[4] أنْ يدخلَ إلينا؛ فقد أخذَ بمجامعِ قلبي.

---

(١) في (ب): «كيف لاتبسط».
(٢) في (أ): «الإذلال».
(٣) صفة الصفوة ٤/١٧٦.
(٤) في (ب): «وادعه أن يدخل».

فخرج إليه، فقامَ معه فدخلَ إليَّ، فسلَّمَ فرددتُ عليه السلام، واستبشرْتُ بدخولِه، وأجلسْتُه إلى جانبي، وعرضتُ عليه الطعام، فأَبَى أنْ يأكلَ، فقلتُ له: من أين أقبلتَ؟ قال: من وراءِ النَّهر. فقلتُ: أين تُريد؟ فقال: الحجَّ إنْ شاءَ الله. قال: وكانَ ذلك أوَّلَ يومٍ من العَشرِ أو الثاني. فقلتُ: في هذا الوقت؟ قال: يَفْعَلُ اللهُ مايشاء. فقلت: فالصُّحبة؟ فقال: إنْ أحببتَ ذلك. حتى إذا كان الليلُ قال لي: قم. فقمتُ، فلبِستُ مايَصلُحُ للسَّفَر، وأخذَ بيدي، فخرجْنا من بَلْخ، فمررْنا بقريةٍ لنا، فلقيني رجلٌ من الفلاَّحين فأوْصَيتُهُ ببعضِ ما أحتاجُ إليه فقدَّم إلينا خُبزًا وبيضًا، وسألَنا أن نأكلَ، فأكلْنا، وجاءَ بماءٍ فشربْنا. ثم قال: بسم الله، قُمْ. فأخذَ بيدي فجعلنا نسيرُ، وأنا أنظرُ إلى الأرضِ تُجذَبُ من تحتِنا كأنَّها الموج، فمررنا بمدينةٍ بعد مدينةٍ، فجعلَ يقول: هذه مدينةُ كذا، هذه مدينةُ كذا، ثم قال: هذه مدينة الكوفة. ثم إنه قال: الموعدُ هاهنا، في مكانِكَ هذا في الوقت [الفلاني] يعني من الليل، حتى إذا كانَ الوقتُ إذا به قد أقبلَ، فأخذَ بيدي، وقال: بسم الله. قال: فجعلَ يقولُ: هذا منزلُ كذا، هذا منزلُ كذا، وهذا منزلُ كذا، وهذه فَيْد[1]، وهذه المدينة. وأنا أنظرُ إلى الأرضِ تُجْذَبُ من تحتنا كأنَّها الموجُ، فصرنا إلى قبرِ رسولِ اللهِ ﷺ فزرناه ثم فارقَني، وقال: المَوْعد في الوقت من الليل في المُصَلَّى. حتى إذا كانَ الوقتُ خرجتُ فإذا به في المُصلَّى، فأخذَ بيدي ففعلَ كفعلِه في الأولى والثانية حتى أتينا مكَّةَ في الليل، ففارقَني، فقبضْتُ عليه، فقلتُ: الصُّحبة؟ فقال: إنّي أُريدُ الشَّام. فقلتُ: أنا معك. فقال لي: إذا انقضى الحجُّ فالمَوعدُ هاهنا عند زَمْزَم. حتى إذا انقضى الحجُّ إذا به عند زمزم، فأخذَ بيدي، فطفنا بالبيت، ثم خرجنا من مكَّة، ففعلَ كفعلِه الأول والثاني والثالث، فإذا نحن ببيتِ المقدس، فلمَّا دخلَ المسجدَ قال لي: عليك السلامُ، أنا على المُقام إنْ

---

(١) فيد: منزلٌ بطريق مكة. معجم البلدان.

شاءَ الله هاهنا. ثم فارقني فما رأيتُهُ بعدَ ذلك، ولا عرَّفني باسمه.

قال إبراهيم: فرجعتُ إلى بلدي أسيرُ سيرَ الضُّعفاء، منزِلاً بعدَ منزلٍ حتى إذا رجعتُ إلى بَلْخ، فكان هذا أوَّلَ أمري[1].

رحمة الله عليهما.

* * *

صور

قال محمد بن خَفيف: خرجتُ من مصرَ أُريدُ الرَّمْلةَ للقاء أبي عليٍّ الرُّوذْباري، فقال لي عيسى بن يوسف المصري: إنَّ في صور شابًّا وكهْلاً قد اجتمعا على حالِ المُراقبةِ، فلو نظرتَ إليهما نظرةً لعلَّكَ تستفيدُ منهما.

فدخلتُ إلى صور، وأنا جائعٌ عطشان، وفي وسطي خِرْقةٌ، وليس على كتِفي شيءٌ، فدخلتُ المسجدَ فإذا أنا بشخصين جالسَيْنِ مُستقبلي القبلةَ، فسلَّمتُ عليهما، فما أجاباني، فسلَّمتُ ثانيًا وثالثًا فلم أسمع الجوابَ، فقلتُ: نشدتُكما باللهِ إلاَّ رددتُما عليَّ السلام. فرفعَ الشابُّ رأسه من مُرَقَّعتِه، فنظرَ إليَّ، وردَّ السلامَ عليَّ، وقال لي: يا ابنَ خَفيف، الدُّنيا قليل، ومابقيَ من القليل إلاَّ القليل، فخُذْ من القليل للكثير. ياابنَ خفيف، ماأقلَّ شغلكَ حتى تفرَّغتَ للقائنا، ثم نظر إليَّ، وطَأْطَأَ رأسَه.

فبقيتُ عندهما حتى صلَّينا الظُّهرَ والعصرَ فذهبَ جوعي وعطشي ونَصَبي[2]. فلمَّا كان وقتُ العصر قلتُ له: عِظْني. فرفعَ رأسه إليَّ، وقال: يا ابنَ خفيف، نحن أصحابَ المصائبِ ليس لنا لسانٌ لِعظةٍ. فبقيتُ عندَهما

---

(١) صفة الصفوة ٤/١٧٧.
(٢) كلمة «ونصبي» ليست في (ب).

ثلاثةَ أيّامٍ لا آكلُ ولا أشربُ ولا أنام، ولا رأيتُهما أكلا ولا شَربا ولا ناما. فلما كانَ في اليوم الرابع قلتُ في نفسي: أحلِّفُها يَعظاني لعلي أنتفعُ بعظتِهما. فرفع الشابُ رأسَه، وقال: يا ابنَ خفيف، عليك بصحبةِ من تُذكِّرك اللهَ رؤيتُه، وتقعُ هيبتُه على قلبِك، فيعظك بلسانِ فعلِه، ولا يعظكَ بلسانِ قوله، والسلام، قم عنَّا. فقمتُ.

رحمة الله عليهما ورضوانه.

* * *

الطرق

قال أبو يوسف، عُبيد اللهِ بن أبي نوح، وكان من العابدين: صحبتُ شيخًا في بعضِ طُرقِ مكَّةَ فأعجبتني هَيْئتُه[1]. فقلت: إنّي أُحبُّ أن أصحبَكَ. فقال: أنت وماأحببت. قال: فكان يمشي بالنّهار، فإذا أمسى أقامَ في منزلٍ كان أوغيره[2]. قال: فيقوم الليلَ يُصلِّي، وكان[3] يَصومُ في شدَّةِ ذلك الحرّ، فإذا أمسى عمَدَ إلى جُرَيبٍ معه، فأخرج منه شيئًا فألقاه إلى فيه مرَّتين أو ثلاثًا، وكان يدعوني فيقول: هلمَّ[4] فأصِبْ من هذا. فأقولُ في نفسي: ماهذا بمُجزيك أنت، فكيف أشركُكَ فيه؟ فلم يزل على ذلك. ودخلتْ له [في] قلبي هيبةٌ عندما رأيتُ من اجتهاده وصبره.

قال: فبينا نحن في بعضِ المنازل إذْ نظرَ إلى رجلٍ يسوقُ حمارًا فقال

---

(١) في (ب): «في بعض طريق مكة فأعجبني سمته».

(٢) جاء في حاشية صفة الصفوة ٤/٣٩٧: أي في منزل كان مسكونًا، أو هو قديم مهجور.

(٣) في (ب): «قال: وكان».

(٤) في (ب): «هلم إلي».

لي: انطلقْ فاشترِ ذلك الحمار. فانطلقتُ وأنا أقول في نفسي: واللهِ مامعي ثمنُه، ولاأعلمُ معه ثمنه، فكيف أشتريه؟ قال: فأتيتُ صاحبَ الحمار، فساوَمْتُه به، فأبى أن ينقصَه من ثلاثين دينارًا، قال: فجئتُ إليه، وقلت: قد أبى أن ينقصَه من ثلاثين دينارًا. قال: خذه، واستخرِ الله. قلت: الثمن؟ قال: قل بسم الله[1]، ثم أدخلْ يدَكَ في الجِراب فخذِ الثمنَ فأعطِه. قال: فأخذتُ الجِرابَ، ثم قلت: بسم الله. وأدخلتُ يدي فيه، فإذا صُرَّةٌ فيها ثلاثون دينارًا لاتزيدُ ولاتنقص. قال: فدفعتُها إلى الرجل، وأخذتُ الحمار، وجئتُ به، فقال لي: اركَبْ. فقلتُ له: أنتَ أضعفُ منِّي، فاركَبْ أنت. قال: فلم يُرادَّني الكلامَ وركب.

وكنتُ أمشي مع حماره، فحيث أدْركه الليلُ أقامَ، فإنَّما هو راكعٌ وساجدٌ حتى أتينا عُسْفَان، فلقيه شيخٌ فسلَّمَ عليه، ثم خَلَوا فجعلا يبكيان، فلمَّا أرادا أنْ يتفرَّقا قال صاحبي للشيخ: أوصِني. قال: نعم، الْزِمِ التَّقوى قلبَكَ، وانصُبْ ذِكرَ المعادِ أمامَكَ. قال: زِدْني. قال: استقبِلِ الآخرةَ بالحُسنى من عملك، وباشرْ عوارضَ الدُّنيا بالزُّهدِ من قلبك، واعلمْ أنَّ الأكياسَ هم الذين عرفوا عَيْبَ الدُّنيا حين عمي[2] على أهلِها، والسلامُ عليك ورحمةُ الله. ثم افترقا، فقلتُ لصاحبي: من هذا الشيخ يرحمُكَ الله؟ فما رأيتُ أحسنَ كلامًا منه. فقال: عبدٌ من عَبيدِ الله.

قال: فخرجنا من عُسْفان حتى أتينا مكَّةَ فلمَّا انتهينا إلى الأبْطَحِ نزلَ عن حمارِه، وقال لي: اثبُتْ مكانَك حتى أنظرَ إلى بيتِ الله نظرةً ثم أعودُ إليك إنْ شاء الله. قال: فانطلَقَ وعرضَ لي رجلٌ، فقال: تبيعُ الحمار؟ قلت: نعم. قال: بكم؟ قلتُ: بثلاثين دينارًا. قال: قد أخَذْتُهُ منك. قلتُ:

---

(١) في (ب): «قال: سم الله».
(٢) في (ب): «حتى عمي».

ياهذا، واللهِ ماهو لي، وإنَّما هو لرفيقٍ لي، وقد ذهبَ إلى المسجد، ولعلَّه أن يجيءَ الآن.

قال: فإنِّي لأكلِّمُهُ إذ طلعَ الشيخُ فقمتُ إليه، فقلت: إنِّي قد بعتُ الحمارَ بثلاثين دينارًا. قال: أما إنَّكَ لو كنتَ استزدْتَهُ لزادَكَ إن شاء الله، وأمَّا إذ بعتَ فأوجِزْ[1]. فأخذتُ من الرجلِ ثلاثين دينارًا، ودفعتُ الحمارَ إليه، وجئتُ بالدَّنانير، فقلت: ماأصنعُ بها؟ قال: هي لك، فأنفِقْها. فقلتُ: لاحاجةَ لي بها. قال: فألقِها في الجِراب. قال: فألقَيْتُها في الجِراب.

قال: فطلبنا مَنزِلاً بالأبطَحِ فنزلْناه. فقال: ابغني دواةً وقِرْطاسًا. فأتيتُه بدواةٍ وقرطاسٍ، قال: فكتبَ كتابَيْنِ ثم شدَّهما ودفعَ أحدَهما إليَّ، وقال: انطلِقْ به إلى عبَّادِ بن عبَّاد وهو نازلٌ في موضعِ كذا وكذا، فادفعْهُ إليه وأقرئه منِّي السلامَ، ومن حضَرَهُ من المسلمين. ثم دفعَ الآخرَ إليَّ وقال: ليكنْ هذا معك، فإذا كان يومُ النَّحرِ فاقرأه إنْ شاء الله. قال: فأخذتُ الكتابَ فأتيتُ به عبَّادَ بنَ عبَّادٍ وهو قاعدٌ يُحدِّثُ، وعندَه خلقٌ كثير، فسلَّمتُ عليه، ثم قلت: رَحمَكَ الله، كتابُ بعضِ إخوانِك إليك. فأخذَ الكتابَ فإذا فيه: بسم اللهِ الرحمن الرحيم، أمَّا بعدُ ياعبَّاد، فإنِّي أُحذِّرُكَ الفقرَ يومَ يحتاجُ الناسُ إلى الذُّخرِ، فإنَّ فقرَ الآخرةِ لايسدُّه غِنًى، وإنَّ مُصابَ الآخرةِ لاتُجبرُ مُصيبتُه أبدًا. وأنا رجلٌ من إخوانِك وأنا ميِّتٌ الساعةَ إنْ شاء الله، فاحضُرْني لتليني وتولَّى الصلاةَ عليَّ وإدخالي حُفرتي، وأستودعُكَ الله وجميعَ المسلمين، وأقرأْ على رسولِ الله ﷺ، وعليكم جميعًا السلامَ ورحمة اللهِ وبركاته.

قال: فلمَّا قرأ عبَّادٌ الكتاب، قال: ياهذا، أينَ هذا الرجلُ؟ قلتُ: بالأبْطَح. قال: فمريضٌ هو؟ قلت: لا، تركتُهُ الساعةَ صحيحًا. قال: فقامَ،

---

(١) في (ب): «فأوجره».

وقامَ الناسُ معه حتى دخلَ عليه، فإذا هو مستقبِلٌ القبلةَ ميِّتٌ مُسَجًّى، عليه عباءةٌ. فقال لي عبَّاد: هذا صاحبُك؟ قلت: نعم. قال: تركتَهُ صحيحًا؟ قلت: تركتُه الساعةَ صحيحًا. قال: فجلسَ يبكي عند رأسه، ثم أخذَ في جِهازِه، وصلَّى عليه ودفنَهُ. قال: واحتشدَ الناسُ في جِنازته.

فلمَّا كان يومُ النَّحر، قلتُ: واللهِ لأقرأنَّ الكتابَ كما أمرني، ففتحتُهُ فإذا فيه: بسم اللهِ الرحمن الرحيم، أمَّا بعدُ، وأنتَ ياأخي نفعَكَ اللهُ بمعروفِك يومَ يحتاجُ الناسُ إلى صالحِ أعمالهم، وجزاكَ الله عن صُحْبتنا خيرًا، فإنَّ صاحبَ المعروف يجدُهُ لجنبه يومَ القيامةِ مُضطجِعًا، وإنَّ حاجتي إليك إذا قضى الله نُسكَك أن تنطلقَ إلى بيت المقدس فتدفعَ مِيراثي إلى وارثي والسلامُ عليك ورحمةُ الله.

قال: فقلتُ في نفسي: كلُّ أمرِك ـ رحمكَ الله ـ عجيبٌ، وهذا من أعجَبِ أمرِك، كيف آتي بيتَ المقدِسِ ولم يُسمِّ لي أحدًا، ولم يصفْ لي موضِعًا، ولاأدري إلى من أدفعُهُ؟ قال: وخلَّفَ قدَحًا، وجِرابَهُ ذلك، وعصًا كان يتوكَّأُ عليها.

قال: وكفَّنّاهُ في ثوبَيْ إحرامِه، ولففنا العباءَ فوقَ ذلك. قال: فلمَّا انقضى الحجُّ قلت: واللهِ لأنطلقَنَّ إلى بيت المقدِس فلعلِّي أن أقعَ على وارثِ هذا الرَّجل. قال: فانطلقتُ حتى أتيتُ بيتَ المقدس، فدخلتُ المسجدَ وهم حَلَقٌ حَلَقٌ، قومٌ فقراءُ مساكين. قال: فبينا أنا أدورُ أتصفَّحُ الناسَ لاأدري عمَّن أسألُ إذ ناداني رجلٌ من بعضِ تلك الحَلَقِ باسمي: يافلان، فالتفتُّ إليه فإذا شيخٌ كأنَّه صاحبي، فقال: هاتِ ميراثَ فلان. قال: فدفعتُ إليه العصا، والقدَحَ، والجِرابَ ثمَّ ولَّيْتُ راجعًا.

قال: واللهِ ماخرجتُ من المسجدِ حتى قلتُ لنفسي: تضربُ من مكَّةَ إلى بيتِ المقدِس وقد رأيتَ من الشيخِ الأولِ مارأيتَ. ورأيتَ من هذا الشيخِ مارأيتَ، ولاتسألُ هؤلاءِ القومَ أيَّ شيءٍ قضيتهم؟ وتسألهم عن

أمرهم، ومن هم؟ قال: فرجعتُ وكان من رأيي أن لاأُفارقَ هذا الشيخَ الآخرَ حتى يموتَ أو أموت. قال: فجعلتُ أدورُ الحَلَقَ وأجتهِدُ على أن أعرِفَهُ أو أقعَ عليه.

قال: وجعلتُ أسألُ عنه، وأقمتُ أيّامًا ببيتِ المقدسِ أطلبه، وأسألُ عنه، فلم أجدْ أحدًا يدلُّني عليه، فرجعتُ منصرِفًا إلى العراق[1].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

وقال محمد بن سهل بن عَسكر البخاري قال: كنتُ أمشي في طريقِ مكة إذ رأيتُ رجلاً مَغربيًا وبين يديه منادٍ يُنادي: من أصابَ هِمْيانًا[2] له ألفُ دينار.

قال: وإذا إنسانٌ أعرجُ، عليه أطمارٌ رثّةٌ خُلْقَانٌ يقول للمغربي: أيُّ شيءٍ علامةُ الهِميان؟ فقال: كذا وكذا، وفيه بضائعُ لقومٍ، وأنا أُعطي من مالي ألفَ دينار. فقال الفقير: من يقرأُ الكتابة؟ قال ابنُ عسكر: فقلتُ أنا. قال: اعدِلوا بنا إلى ناحيةِ الطريق[3]. فعدَلْنا، فأخرجَ الهِميانَ فجعلَ المغربيُّ يقول: حبّتانِ لفلانةِ ابنةِ فلان بخمس مئة دينار، وحبّةٌ لفلانٍ بمئةِ دينار. وجعل يَعدُّ، فإذا هو كما قال. فحلَّ المغربيُّ هِميانَه، وقال: خُذْ ألفَ دينارٍ التي وعدتُ على وِجادةِ الهِمْيان. فقال الأعرَجُ: لو كانتْ قيمةُ الهِميانِ الذي أعطيتُك تعدِلُ عندي بعرتَيْنِ[4] ماكنتَ تراه، وكيفَ آخذُ منك ألفَ دينارٍ على ماهذا قيمتُه؟ وقامَ ومضى، ولم يأخذْ منه

---

(١) صفة الصفوة ٤/٣٩٧.
(٢) الهِميان: كيس للنفقة يُشدُّ في الوسط. متن اللغة.
(٣) في (ب): «اعدلوا بنا ناحيةً من الطريق».
(٤) في (ب): «أعطيتك تعدل عندي دينارًا».

شيئًا[1].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

وقال أبو الحسن اللؤلُئيّ، وكان خيّرًا فاضلاً، قال: كنتُ في البحر فانكسرَ المَركبُ، وغَرقَ كلُّ مافيه، وكان في وِطائي[2] لؤلؤٌ قيمتُهُ أربعةُ آلاف دينار، وقَرُبتْ أيّامُ الحجِّ، وخفتُ الفواتَ، فلمَّا سلَّم الله عزَّ وجلَّ روحي ونجّاني مَشَيتُ، فقال لي جماعةٌ كانوا في المركب: لو توقَّفْتَ عسى أن يَجيءَ من يُخرجُ شيئًا، فيُخرجُ لك من رَحلِكَ شيئًا. فقلتُ: قد علمَ اللهُ عزَّ وجلَّ مامرَّ مني كان في وِطائي شيءٌ قيمتُهُ أربعةُ آلافِ دينار، وماكنتُ بالذي أُوثرُه على وقفةٍ بعرَفَة. فقالوا: وماالذي ورَّثَكَ هذه المنزلة؟ فقلت: أنا رجلٌ مُولعٌ بالحجِّ، أطلبُ الرِّبحَ والثوابَ، حججتُ في بعضِ السنين، وعطِشتُ عَطَشًا شديدًا، فأَجلستُ عَديلي[3] في وَسَطِ المحمل، ونزلتُ أطلبُ الماء، والناسُ مُعطِشون أيضًا، فلم أزلْ أسألُ رجلاً رجلاً ومحملاً محملاً: معكم ماء؟ وإذا الناسُ شرعٌ واحد، حتى صرتُ في ساقَةِ[4] القافلةِ بميلٍ أو ميلين، فمررتُ بمصنعٍ مُصهرجٍ[5] وإذا رجلٌ فقيرٌ، جالسٌ في أرضِ المَصنعِ، وقد غرزَ عَصاهُ في أرضِ المصنَعِ، والماءُ ينبعُ من موضعِ العصا، وهو يَشربُ، فنزلتُ إليه، وشربتُ حتى رَوِيت، وجئتُ إلى القافلةِ

---

(١) صفة الصفوة ٤/٤٠١.

(٢) الوطاء: الفراش. انظر معجم متن اللغة (وطأ).

(٣) العديل: المِثل والنَّظير، المعادِلُ في الوزن والقدر في المحمل. معجم متن اللغة(عدل).

(٤) الساقة: المؤخرة. معجم متن اللغة (سوق).

(٥) المصنع: مايجمع فيه الماء، المصهرج: المطليُّ بالصاروج. معجم متن اللغة (صهرج).

والناسُ قد نزلوا، فأخرجتُ قِربةً ومضيتُ فملأتُها، ورجعت، فلمّا رأى الناسُ القِرْبَةَ على كتِفي مملوءةً وكأنّه نُودي فيهم: إنَّ الماءَ وراءكم. فتبادَوروا إليه بالقِرَب، فلما رَوِيَ الناسُ عن آخرِهم وسارتِ القافلةُ جئتُ لأنظرَ، فإذا البِرْكةُ ملأى تلتطِمُ بأمواجها، والناسُ يرمونَ الدِّلاءَ ويرتجزون عليه. ومَوسِمٌ يحضرُهُ مثل هؤلاء يقولون: اللهمَّ اغفِرْ لمن حضرَ الموقِفَ ولجماعةِ المسلمين أُوثر عليه أربعةَ آلافِ دينار؟ لاواللهِ ولاالدُّنيا بأسرِها. وتركَ اللؤلؤَ وجميعَ قماشه.

قال الشيخ: فبلغَني أنَّ قيمةَ ماكان غَرِقَ له خمسونَ ألفَ دينار[1].

* * *

وقال إبراهيم بنُ المُهَلَّب، أبو الأشهب السّائح: رأيتُ بين الثَّعْلَبيَّةِ والخُزَيميّةِ[2] غلامًا قائمًا يُصلّي عند بعضِ الأميال[3] قد انقطعَ عن الناس، فانتظرتُهُ حتى قطعَ صلاتَهُ، ثم قلتُ له: مامعكَ مُؤنسٌ؟ قال: بلى. قلتُ: وأين هو؟ قال: أمامي ومعي وخلفي وعن يميني وعن شمالي وفوقي. فعلمتُ أنَّ عندَه معرفةً. قلت: أما معك زادٌ؟ قال: بلى. قلتُ: فأينَ هو؟ قال: الإخلاصُ للهِ عزَّ وجلَّ، والتَّوحيدُ له، والإقرارُ بنبيِّه ﷺ، وإيمانٌ صادقٌ، وتوكُّلٌ واثق. قلتُ: هل لكَ في مُرافقَتي؟ قال: الرَّفيقُ يُشغِلُ عن الله عزَّ وجلّ، ولاأُحبُّ أنْ أُرافقَ أحدًا، فأشتغلَ به عنه طرفةَ عينٍ فيقطَعني عن بعضِ ماأنا عليه. قلتُ: أمَا تستوحِشُ في هذه البرِّيَّةِ وحدَك؟ فقال: إنَّ

---

(١) صفة الصفوة ٤/٤٠٢.

(٢) الثعلبيّة: من منازلِ طريق مكة من الكوفة. والخزيمية: منزل من منازل الحاج بعد الثعلبية من الكوفة. معجم البلدان.

(٣) الأميال: جمع ميل، وهو مايبنى في أنشازِ الأرضِ وأشرافِها للمسافر. معجم متن اللغة (ميل).

الأُنسَ باللهِ قطَعَ عنِّي كلَّ وحشةٍ حتى لو كنتُ بين السِّباعِ ماخفتُها، ولااستوحشتُ منها. قلت: فمن أين تأكلُ؟ فقال: الذي غذَّاني في ظلمةِ الأحشاء والأرحامِ صغيرًا قد تكفَّلَ برزقي كبيرًا. قلت: ففي أيِّ وقتٍ تجيئُكَ الأسباب؟ قال: لي حدٌّ معلوم، ووقتٌ مفهوم، إذا احتجتُ إلى الطعامِ أصبتُهُ في أيِّ موضعٍ كنتُ، وقد علمَ مايُصلِحُني، وهو غيرُ غافِلٍ عنِّي. قلتُ: ألكَ حاجة؟ قال: نعم. قلتُ: وماهي؟ قال: إنْ رأيتَني فلا تكلِّمْني، ولاتُعلِمْ أحدًا أنَّكَ تعرفُني. قلتُ: لكَ ذلك، فهل حاجةٌ غيرُها؟ قال: نعم. قلت: وماهي؟ قال: إنِ استطعتَ أن لاتَنساني في دُعائك، وعند الشدائدِ إذا نزلتْ بك فافعلْ. قلتُ: كيفَ يدعو مثلي لمثلِك؟ وأنتَ أفضلُ منِّي خوفًا وتوكُّلًا! قال: لاتقلْ هذا، إنَّكَ قد صلَّيتَ للهِ عزَّ وجل، وصُمتَ قبلي، ولك حقُّ الإسلام، ومعرفةُ الإيمان. قلت: فإنَّ لي أيضًا حاجة. قال: وماهي؟ قلتُ: ادعُ اللهَ لي. فقال: حَجَبَ اللهُ طرفَكَ عن كلِّ معصيةٍ، وألْهَمَ[1] قلبَكَ الفكر فيما يُرضيه حتى لايكونَ لك هَمٌّ إلاَّ هو. قلت: ياحبيبي، متى ألقاكَ؟ وأين أطلبُك؟ فقال: أمَّا في الدُّنيا فلا تُحدِّثْ نفسَكَ بلقائي فيها. وأمَّا الآخرة فإنَّها مجمعُ المُتَّقين، فإيَّاكَ أن تُخالفَ اللهَ فيما أمرَكَ ونَدَبَكَ إليه. وإنْ كنتَ تبغي لقائي فاطلُبْني مع النَّاظرين إلى اللهِ تباركَ وتعالى في زُمرتِهم. قلتُ: وكيف علمتَ ذاك؟ قال: علمتُ ذاك بغضِّ[2] طرفي له عن كلِّ مُحرَّم، واجتنابي فيه كلَّ مُنْكَرٍ ومأثم، وقد سألتُهُ أنْ يجعلَ جنَّتي النظرَ إليه. ثم صاحَ وأقبلَ يَسعى حتى غابَ عن بصري[3].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

---

(١) في (ب): «وألزم قلبك».

(٢) في (أ): «وكيف ذاك؟ قال: بغضِّ...».

(٣) صفة الصفوة ٤/٤٠٣.

وقال صالحُ بنُ عبدِ الكريم: رأيتُ غلامًا أسودَ في طريقِ مكةَ عند مِيلٍ يُصلِّي، فقلتُ له: عبدٌ أنتَ؟ قال: نعم. قلتُ: فعليك ضريبةٌ؟ قال: نعم. قلت: أفلا أُكلِّمُ مولاكَ أن يضَعَ عنك؟ قال: وماالدُّنيا كلُّها فأجزَعُ من ذُلِّها؟ قال: فاشتريتُهُ وأعتقتُه، فقعدَ يبكي، وقال لي: أعتقتَني؟ قلتُ: نعم. قال: أعتقكَ اللهُ يومَ القيامة. وقعدَ يبكي ويقول: اشتدَّ عليَّ الأمرُ. فناولتُهُ دنانيرَ فأبى أن يأخذَها. قال: فحججتُ بعدَ ذلك بأربعِ سنينَ فسألتُ عنه، فقالوا: غابَ عنَّا، فمُذْ غابَ قُحِطْنا، وصارَ إلى جُدَّة[1].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

وقال جعفر الخُلْديُّ: حججتُ سنةً من السِّنين، فصحِبَني بعضُ الصُّوفيَّة، وكان ممَّن يُشارُ إليه بالعلمِ والمعرفة، فأضاقَنا[2] الطريقُ إلى جبلٍ، وكُنَّا جماعةً، فاستسقيناهُ ماءً ولم يكنْ بالقِرَبِ ماءٌ[3]، فأخذَ ركوةً وأومَأَ بها إلى الجبلِ، فسمعتُ خَرِيرَ الماءِ بأُذُني حتى امتلأَتِ الركوةُ، فسقى الجماعةَ وكانتْ عيني إلى الموضعِ، فلا أرى للماءِ أثرًا، ولاشقًّا في الجبل.

قال أبي: فسألتُ جعفرًا عن هذا فقال: كرامةُ اللهِ تعالى لأوليائه[4].

رحمة اللهِ عليهم ورضوانه آمين.

* * *

(١) صفة الصفوة ٤/٤٠٥.
(٢) في (أ): «فأضافنا».
(٣) في (ب): «بالقُرْبِ منَّا ماء».
(٤) صفة الصفوة ٤/٤٠٥.

وقال محمد بن المُبارك الصُّوريّ: خرجنا حُجَّاجًا فإذا نحن بشابٍّ ليس معه زادٌ ولاراحلةٌ. فقلت: حَبيبي، في مثلِ هذا الطريق بلا زادٍ ولاراحلة. فقال لي: تُحسِنُ تقرأ؟ فقلت: نعم، فقرأتُ ﴿كهيعص﴾[مريم: ١]، فشهقَ شهقةً خرَّ مَغشيًا عليه، ثم أفاقَ فقال: ويحكَ تدري ماقرأتَ؟ كافٌ من كافٍ، وهاءٌ من هادٍ، وعَينٌ من عليمٍ، وصادٌ من صادِق، فإذا كان معي كافٍ وهادٍ وعليمٌ وصادِقٌ ماأصنَعُ بزادٍ وراحلة؟ ثم ولَّى وهو يقول:

ياطالبَ العلمِ هاهنا وهُنَا ... ومَعْدِنُ العلمِ بين جَنبَيكا
إنْ كنتَ ترجو الجِنانَ تسكنُها ... فمثِّلِ العرضَ بين عَينَيكا
إنْ كنتَ ترجو الحِسانَ تخطبُها ... فأسبِلِ الدَّمعَ فوقَ خدَّيكا
وقُمْ إذا قامَ كلُّ مجتهدٍ ... وادعوه كيما يقولُ لبَّيكا[1]

* * *

وقال عمرُ بنُ بحر: حدَّثني أبو الفَيض قال: كنتُ في تِيهِ بني إسرائيل أُريدُ الحجَّ، فرأيتُ غلامًا أمْرَدَ على المحجَّةِ يؤمُّ البيتَ العَتيقَ بلازادٍ ولاراحلة، فقلتُ لرفيقي: أبالله، إنْ كان مع هذا الغلامِ يَقين وإلاَّ هَلَكَ. فلحقْتُهُ فقلتُ: يافتى، فقال: لبَّيكَ. فقلتُ: في مثلِ هذا الموضعِ في هذا الوقتِ بلازادٍ ولاراحلةٍ؟ قال: فنظرَ إليَّ ثم قال: ياشيخ، ارفَعْ رأسَك، انظرْ هل ترى غيرَه؟ فقلتُ: ياحَبيبي، اذهبْ إلى حيثُ شئت[2].

* * *

وقال ذوالنُّون: حججتُ سنةً إلى بيتِ اللهِ الحرام فضلَلْتُ عن الطريق،

---

(١) صفة الصفوة ٤/٤٠٦.
(٢) صفة الصفوة ٤/٤٠٦.

ولم يكن معي ماءٌ ولازاد، وأشرفتُ على الهَلَكة، فلاحَتْ إليَّ أشجارٌ كثيرةٌ ومِحرابٌ، فطرحتُ نفسي في فيءِ شجرةٍ، فلما غرَبَتِ الشمسُ إذا أنا بشابٍ مُتغيِّرِ اللَّون، نحيلِ الجسم، يؤمُّ المِحرابَ (١فركلَ برجلِهِ ربوةً من الأرض، فظهرتْ عينٌ تبضُّ بماءٍ عذبٍ، فشرِبَ وتوضَّأَ وقام إلى مِحرابه١)[1] فقمتُ إلى العَين فشربتُ ماءً عذبًا، وقمتُ أُصلِّي بصلاتِه حتى بَرَقَ عمودُ الفَجْر، فلمَّا رأى الصُّبحَ وثبَ قائمًا على قدمَيه، ونادَى بأعلى صوتِه: ذهبَ الليلُ بما فيه، وأقبلَ النهارُ بدوَاهيه، ولم أقضِ من خدمتِكَ وَطرًا، آهٍ خسرَ من تعبَ لغيرِك بَدَنُه، ولجأتْ إلى سواكَ همَّتُه.

فلمَّا أرادَ أنْ يمضيَ ناديتُه: بالذي مَنَحَكَ لذيذَ الرَّغبِ، وأذهبَ عنكَ ملالَ التَّعَبِ إلاَّ خفضْتَ لي جناحَ الرَّحمةِ، فإنِّي غريبٌ أُريد بيتَ اللهِ الحرام، وقد ضَلَلْتُ عن الطريق. فقال: يابطَّال، وهل قطعَ بوفده دون البُلوغِ إليه؟ ثم قال: اتبعني. فرأيتُ الأرضَ تُطوى من تحتِ أرجلنا، حتى رأيتُ المحجَّةَ وسمعتُ ضجَّةً، فقال: ها قومُك، ثم أنشأَ يقول:

مَــن عــامــلَ اللهَ بتقْــواهُ ... وكــانَ فــي الخَلْــوةِ يَــرْعــاهُ

سَقاهُ كأسًا من صَفا حُبِّهِ ... يَسلُبُــه عــن لــذَّةِ دُنيــاهُ

فــأبعــدَ الخَلْــقَ وأقصــاهــم ... وانفــرَدَ العبــدُ بمــولاهُ[2]

* * *

وقال شَبيبُ بنُ شبَّه: كُنَّا بطريقِ مكة وبين أيدينا سُفرةٌ لنا نتغدَّى في يومٍ قائظٍ، فوقف علينا أعرابيٌّ ومعه جاريةٌ له زَنجيَّةٌ، فقال: ياقوم، أفيكم أحدٌ يقرأُ كلامَ اللهِ حتى يَكتبَ لي كتابًا؟ قال: قلتُ له: أَصِبْ من غدائنا

(١) (١ـ١) مابينهما ليس في (ب).

(٢) صفة الصفوة ٤/٤٠٧.

حتى نكتبَ لك ماتريد. قال: إنِّي صائمٌ. فعجِبْنا من صومِه في البرِّيَّة، فلمّا فرَغنا من غَدائنا دعوناه، فقلنا له: ماتُريد؟ فقال: أيُّها الرجل، إنَّ الدُّنيا قد كانتْ ولم أكنْ فيها، وستكونُ ولاأكونُ فيها، وإنِّي أردتُ أنْ أعتِقَ جاريتي هذه لوجه اللهِ عزَّ وجلَّ، ثم ليومِ العقبةِ، تَدري مايومُ العَقَبة؟ قوله عزَّ وجل: ﴿فلا اقتحَمَ العَقَبَةَ * وما أدراكَ ما العَقَبَة * فَكُّ رَقَبَة﴾[البلد: ١٠ـ١٢]، اكتبْ ماأقولُ ولا تزيدَنَّ عليَّ حرفًا: هذه فلانةٌ خادِمُ فلانٍ قد أعتقَها لوجه اللهِ عزَّ وجلَّ وليوم العَقَبة.

قال شبيب: فقدِمْتُ البصرةَ، وأتيتُ بغدادَ فحدَّثْتُ بهذا الحديثِ المَهديَّ، فقال: مئةُ نسمةٍ تُعتَقُ على عُهدةِ الأعرابي[1].

* * *

وقال إبراهيمُ بنُ أحمد الخوّاص: سلكتُ الباديةَ ستةَ عشرَ طريقًا على غيرِ الجادَّة، فأعجبُ مارأيتُ فيها: رجلٌ ليس له يدانِ ولارِجلانِ، وعليه من البلاءِ أمرٌ عظيم، وهو يزحفُ زحفًا؛ فتحيَّرْتُ منه، وسلَّمْتُ عليه، فقال: وعليك السلامُ ياإبراهيم. قال: فقلتُ له: بمَ عرفتني، ولم ترَني قبلَها؟ فقال: الذي جاءَ بك عرَّفَ بيني وبينك. فقلتُ: صدَقتَ، إلى أين تريد؟ فقال: إلى مكَّة. قلتُ: ومن أين أنت؟ قال: أنا من بُخارى. فبقِيتُ متعجِّبًا أنظرُ إليه. فنظرَ إليَّ شَزْرًا، وقال: ياإبراهيم، تعجبُ من قويٍّ يحملُ ضعيفًا، ويرفُقُ به؟ ثم دمَعَتْ عيناه، وأرسلَ الدُّموع، فقلتُ له: لا ياحبيبي. وتركتُهُ على حالِهِ ومَضَيتُ أنا. فلمَّا دخلتُ مكة رأيتُه في الطوافِ وهو يزحَفُ زحفًا.

رحمة اللهِ عليه.

* * *

---

(١) صفة الصفوة ٤/ ٣٨٠.

وقال أبو إسحاق إبراهيم الخوّاص رضي الله عنه: كنتُ في مكةَ في باديةٍ كنتُ سلكتُها مِرارًا، فضَلَلْتُ عن الطريق، فذهبتُ أمشي يومي حتى أدركَني المساءُ، فاغتممْتُ بسببِ الوضوءِ وفقْدِ الماء، وكانتْ ليلةً مُقمِرةً من الليالي البِيض، كأنَّها نهارٌ. فبينا أنا مُفكِّرٌ إذا أنا بصوتٍ ضعيفٍ لَطِيفٍ: إليَّ ياأبا إسحاق، فإنِّي سألتُ اللهَ أنْ يَحضُرَ وفاتي وليٌّ من أولياءِ الله تعالى، وأرجو أنْ يكونَ قد فعلَ، وأنا مُنتظرُكَ من صلاةِ الغَداةِ. فدنَوْتُ منه فإذا شابٌّ حسَنُ الوجه، مَطروحٌ ليس به حركة، وإذا عند رأسِهِ ضَبائرُ رياحين كثيرة منها ماعرفتُه، ومنها مالم أعرفْه. فتعجَّبتُ وقلت: يافدَيتُكَ، ماالذي حَبَسَكَ هاهنا؟ فقال: كنتُ بين أهلي في عِزٍّ ورفاهيةِ عيشٍ، فخطرَ على سِرِّي السَّفَرُ، وتمنَّيتُ الغُرْبةَ، فخرجتُ من مدينةِ سُمَيْسَاطَ[1]، حتى وقعتُ إلى هذه البقعةِ منذ شهرٍ، وقد احتُضِرْتُ. فقلتُ له: أَلَكَ وَالدان؟ قال: نعم، وإخوةٌ وأخواتٌ، وأهلٌ كثير. فقلتُ له: هل خطروا[2] على سرِّك؟ قال: لا، ماخطروا[3] على سِرِّي إلاَّ اليومَ، فإنِّي أحببتُ أن أشمَّهم، وأُجَدِّدَ العهدَ بهم، فاحتوشَتْ حولي جماعةٌ من الوحوش، وبكَوْا معي، وهذه الرَّياحينُ هم حملوها إليّ.

قال أبو إسحاق: فبَقِيتُ متحيِّرًا في أمري وأمره، وأتفكَّرُ، ووقع الشابُّ على قلبي وجذبَ سرِّي، فبينا أنا كذلك إذ أقبلتْ حيَّةٌ عظيمةٌ، معها طَاقَةُ نَرْجِس، وردُها نحو ثلاثةِ أذرعٍ في ثلاثةِ أذرعٍ إنْ شاءَ الله، وكأنَّها تقولُ لي: ياإبراهيم، اعدِلْ بسرِّكَ عنِ الشابِّ؛ فإنَّ الحقَّ غيور. فصحتُ صيحةً ماأفقتُ منها إلا والشابُّ قد فارقَ الدُّنيا، فقلت: إنَّا لله، هذه محنةٌ عظيمة،

---

(١) سميساط: مدينةن على شاطئِ الفرات، في طرف بلاد الروم، على غربي الفرات. معجم البلدان.

(٢) في (ب): «حضروا».

(٣) في (ب): «حضروا».

كيف أعمل في غسلِه وكفنِه ودَفنه؟ ثم وقعَ عليَّ النعاسُ، فنمتُ فما انتبهتُ إلاَّ بحرِّ الشمس، وإذا أنا على الجادَّةِ التي أعرِفُها. وأنا مُتحَسِّرٌ على الشابِّ منذُ ثلاثين سنة.

قال أبو إسحاق: فلمَّا رجعتُ من الحجِّ، قلتُ: واللهِ لأمضيَنَّ إلى سُمَيْساطَ ولأسألَنَّ عن الشابِّ، فلمّا بلغتُ مُصلَّى سُمَيْساطَ استقبلتْني امرأةٌ عليها مرقَّعَةٌ، وإزارٌ مرقوعٌ، وبيدها ركوةٌ. فما رأيتُ أحدًا أشبهَ بوجهِ الشابِّ من وجهها فقلت في نفسي: هذا فخٌّ من فُخوخِ الشيطان، فأطرَقت النظرَ بين يدي، فنادَتْني المرأةُ: ياأبا إسحاق، أنا أنتظرُكَ منذُ أيامٍ، حدِّثْني كيف رأيتَ الشابَّ قرَّةَ عيني، وثمرةَ فؤادي؟ فوصفتُ لها حالَهُ، وما شاهدتُ منه حتى بلغْتُ قولَه: أردتُ أن أشمَّهم. فقالت: هاه، قد بلغَ الشم الشم، ثم سقطتْ إلى الأرض مَيتةً، وذلك عند رِباطٍ من رِباطاتِ سُميساط. فخرجنَ أترابٌ لها عليهنَّ المُرَقَّعاتُ والفُوَط، فاحتوشْنَها وبَكَينها، وقالوا لي: ياأبا إسحاق، جزاكَ اللهُ تعالى خيرًا فقد أرحْتَها.

فحضرتُ جنازتَها، وحضرَ خلقٌ كثير عظيمٌ، لايعلمُ عددَهم[1] إلاَّ الله، وبقيتُ عند قبرِها في الرِّباط شهرًا ثم عدتُ إلى مصر[2].

رحمة اللهِ عليهم ورضوانه.

* * *

وقال يوسف بن حمدان رضي الله عنه: خرجتُ إلى مكَّةَ على طريق البصرةِ، ومعي جماعةٌ من الفقراء، وفيهم شابٌ كنتُ أغارُ عليه من حُسنِ صَمته، ومراعاةِ حالِه، واستكثارِهِ لذكرِ[3] ربِّه عزَّ وجلَّ، ودوامِ مناجاته،

---

(١) في (ب): «عدتهم».

(٢) روض الرياحين ١٤٦ (الحكاية ٦٥).

(٣) في (أ): «واستهتاره بذكر».

فلمَّا وصلْنا المدينةَ اعتلَّ الشابُ علةً شديدةً وانفردَ عنَّا، فصرتُ إليه مع جماعةٍ من أصحابنا نتعرَّفُ خبرَه، فلما رأينا شدَّةَ ما به، قال بعضُهم: لو أحضرْنا له طبيبًا ينظرُ إليه، ويصفُ له علَّتَه، فلعلَّهُ يكون عنده دواء. فسمع الشابُ مقالتَهُ، وتبسَّمَ من ذلك، فقال: يامشايخي وأحبَّائي، ماأقبحَ المخالفةَ بعد الموافقة! من أرادَ اللهُ له حالاً وأرادَ هو حالاً غيرَهُ أليس قد خالفَ اللهَ عزَّ وجلَّ في إرادته؟ قال يوسف: فخجِلْنا من كلامه، فنظرَ إلينا، وقال: لو عرفتم داءَ القتيلِ من داءِ السّلوانِ لطلبتُم لداءِ القتيلِ دواءً. إنَّ الأمراضَ والأسقامَ فيها تطهيرٌ وتكفيرٌ وتذكير، وداءُ القتيلِ مشاهدةُ النَّفسِ، وموافقةُ[1] الهوى، ثم أنشأ يقول:

بيـــد اللهِ دوائـــي ... وبعلـــمِ اللهِ دائـــي

إنَّمـــا أظلـــمُ نفســـي ... بـــاتِّبـــاعـــي لهـــوائـــي

كلَّمـــا داوَيـــتُ دائـــي ... غلـــبَ الـــداءُ دوائـــي

قال: فتركناه وقمنا من عنده[2].

* * *

وقال أبو بكر المصري: خرجتُ مع أبي الحسن النَّصِيبي من الجُحْفَة[3] نُريد الحجازَ إلى مكَّة، فلمّا صِرنا في بعضِ الطَّريقِ قعَدْنا تحت شجرةٍ، فإذا تحت الشجرةِ بَدْرةٌ[4] مختومةٌ مَوضوعةٌ، فقال: أيشٍ هذا؟ قلنا: بَدْرةٌ

---

(١) في (ب): «وموافقته».

(٢) روض الرياحين ٤٢٤ (الحكاية ٣٩٤).

(٣) الجحفة: قريةٌ كبيرةٌ على طريق المدينةِ من مكة على أربع مراحل. وهي ميقاتُ أهل مصرَ والشام إنْ لم يمرُّوا على المدينة، فإنْ مرُّوا بالمدينةِ فميقاتُهم ذو الحُليفة. معجم البلدان.

(٤) البدرة: كيسٌ فيه (١٠٠٠) أو (٧٠٠٠) أو (١٠٠٠٠) دينار، والبدرة جلدُ السَّخْلةِ إذا فُطِمتْ وسُمِّيَتِ البَدرةُ به. متن اللغة (بدر).

مختومةٌ، لاندري دنانيرُ هي أم دراهم. فقال: قوموا بنا، فإنَّها فتنةٌ لقوم، لم ندرِ من عَنَى ومن أرادَ بذلك. فسرنا حتى صِرنا بالجادَّةِ، فتخلَّفَ منَّا واحدٌ ممَّن كان معنا من الفقراء حتى أخذَ البَدْرَةَ، فما رأيناه بعدَ ذلك، فعلمنا أنَّه عَنَى ذلك الفقير، وأنَّها كانتْ فتنةً له.

* * *

وقال محمد بن أحمد السائحُ: بينا أنا أسير في طريق مكة إذا أنا برجلٍ من العُبَّادِ ناحلٍ ذابلٍ، فلمّا رأيتُه أعجبتْني رؤيتُهُ فقلتُ له: من أين أنتَ أيُّها الرجل؟ فقال: من بعضِ القرى. فقلتُ: مالكَ رفيق؟ فقال لي: أوَيحتاجُ العبدُ مع اللهِ إلى رفيق؟ ومن أرْفَقُ من الرَّبِّ بعبده؟ يارجل، اجعلِ اللهَ عزَّ وجلَّ أُنسَكَ إذا استوحشْتَ، ومُهديكَ إذا ضَلَلْتَ، وصاحبَكَ إذا افتقرتَ، ثم مُدَّ إليهِ يدَكَ، فإنَّه لايُخيِّبُ السائلَ ولايقطعُ الرجاء.

* * *

وقال أبو القاسم القَصْريُّ: رأينا جعفر[1] الخُلديَّ في آخرِ عُمرِه وفي فردِ رجلِه جَورَبٌ من جلود، فقالوا: أيُّها الشيخ، أيشٍ سببُ هذا، فردُ رجلِكَ مكشوفةٌ، وفردُ رجلِكَ مغطّاة؟! قال: حججتُ الحجَّةَ الأخيرةَ، فلمَّا رجعتُ من مكَّة كنتُ في كنيسةٍ، فجازَ عليَّ فقيرٌ فقال: أيُّها الشيخ، عندك رمَّانةٌ؟ فقلتُ له: ما هاهنا[2] موضِعُ رُمَّان؟ اطلبْ منِّي الذي يوجدُ هاهنا. فقال لي: وتريدُ أنتَ رُمَّانًا؟ قلتُ: نعم. فأدخلَ يدَهُ في كُمِّهِ، فأخرجَ رُمَّانةً، ورماها إلى المحمِل، ولم يزلْ يرمي رُمَّانةً رُمَّانةً حتى امتلأتِ

---

(١) في (ب): «رأينا أبا جعفر»...

(٢) في (أ): «هاهنا».

الكنيسةُ رُمَّانًا، ثم غابَ عني. قال: فبقِيتُ أتعجَّبُ منه، وفرَّقْتُ الرُّمَّانَ في القافلة، وحملتُ منه إلى بغداد، فلمَّا كان من غدٍ جازَ عليَّ فرآني نائمًا، وفردُ رجلي خارجُ الكنيسةِ فقال لي: مايكفيكَ أن تنامَ بين يدي سيِّدِكَ حتى تمدَّ رجلَك. وضربَ بفردِ كُمِّهِ على رجلي، فوقعَ في رجلي مثلُ النارِ، فكلَّما غطَّيتُها سكنَ الضَّرَبانُ، وكلَّما كشفتُها[1] يعودُ ذلك الضرَبان.

* * *

وقال أبو عبد اللهِ بن الجلاَّء: كنتُ بذي الحُليفةِ[2]، وأنا أريدُ الحجَّ، والناسُ يُحرِمون، فرأيتُ شابًا قد صبَّ عليه الماءَ يريد الإحرامَ، وأنا أنظرُ إليه فقال: ياربِّ أُريدُ أن أقولَ لك لبَّيكَ اللهمَّ لبَّيك، فأخشى أن تُجيبَني: لالبَّيكَ ولاسعدَيك. وبقِيَ[3] يردِّدُ هذا القولَ مرارًا كثيرةً، وأنا أتَسمَّعُ عليه، فلمَّا أكثرَ قلتُ له: أليسَ لك بدٌّ من الإحرام؟ فقل. فقال: ياشيخ، أخشى إنْ قلتُ لبَّيك اللهمَّ لبَّيك، أجابني: بلا لبَّيكَ ولاسعدَيْكَ. فقلتُ له: أحْسِنْ ظنَّكَ وقل معي: لبَّيكَ اللهمَّ لبَّيك. فقال: لبَّيكَ اللهمَّ. وطوَّلَها، وخَرَجَتْ نفسُه مع قولِه: اللهمَّ، فسقطَ ميتًا[4].

رحمة اللهِ عليه.

* * *

وقال عبدُ اللهِ بنُ جهضم: حجَّ عبدُ اللهِ الأقطع على فردِ قدمٍ. قال: فلمَّا بلغتُ بين المسجدين وقعَ في سرِّي أنَّه لم يحجَّ مثلي، فإذا أنا بمُقْعَدٍ

---

(١) في (أ): «أكشفها».

(٢) ذو الحليفة: قرية بينها وبين المدينة ستة أميال، ومنها ميقاتُ أهلِ المدينة. معجم البلدان.

(٣) في (ب): «وجعل».

(٤) صفة الصفوة ٤/٤٠٨.

يحبوا، فوقفتُ عليه أعجبُ منه. فقال لي: مالك تتعجَّبُ[1] من قويٍّ يحمِلُ ضعيفًا[2].

رحمة اللهِ عليه.

* * *

وقال الوليدُ بن مسلم: حدَّثني جابر[3] أنَّ أبا عبد ربٍّ كانَ من أكثرِ أهلِ دمشقَ مالاً، فخرجَ إلى أذْرَبِيجانَ في تجارةٍ، فأمسى إلى جانبِ مرعًى ونهرٍ، فنزلَ به. قال أبو عبد ربّ: فسمعتُ صوتًا يُكثرُ حمدَ اللهِ في ناحيةٍ، فاتَّبعتُهُ، فرأيتُ رجلاً في حَفيرٍ من الأرض مَلفوفًا في حَصيرٍ، فسلَّمتُ عليه وقلتُ: من أنتَ ياعبدَ الله؟ قال: رجلٌ من المسلمين. قلت: ماحالُكَ هذه؟ قال: حالُ نعمةٍ يجبُ عليَّ حمد اللهِ فيها. قال: قلتُ: وكيفَ وإنَّما أنتَ في حصير؟ قال: ومالي لاأحمَدُ اللهَ أن خلقَني فأحسنَ خلْقي، وجعلَ مولدي ومنشئي في الإسلام، وألبسَني العافيةَ في أركاني، وسترَ عليَّ ماأكره نشرَهُ، فمن أعظمُ نعمةً ممَّنْ أمسى في مثل ماأنا فيه؟ قلتُ: رحمَكَ الله، إنْ رأيتَ أن تقومَ معي إلى المنزلِ فإنَّا نُزولٌ على النَّهرِ هاهنا. قال: ولِمَه؟ قلتُ: لتُصيبَ من الطعامِ، ونُعطيَكَ مايُغنيك عن لُبْسِ الحصير. قال: فأبى. قال الوليدُ: فحسبتُ أنَّه قال لي: في أكلِ العشبِ كفايةٌ. قال أبو عبد ربّ: فأردْتُهُ على أن يتبعَني فأبى وقال: مابي من حاجةٍ. فانصرفتُ، وقد تقاصرَتْ إليَّ نفسي، فذكر أنَّه رجع من تجارته وتصدَّقَ بمالِه[4].

رحمة اللهِ عليهما.

* * *

---

(1) في (ب): «تعجب».
(2) صفة الصفوة ٤/ ٤٢٠ والخبر مرويٌّ فيه عن الخلدي.
(3) في صفة الصفوة ٤/ ٤٢٣: «ابن جابر».
(4) صفة الصفوة ٤/ ٤٢٣، مختصر تاريخ دمشق ٢٩/ ٦١.

وقال ذو النون: رأيتُ رجلاً في بَرِّيَّةٍ يمشي حافيًا، وهو يقول: المُحبُّ مَجروحُ الفؤاد، ولاراحةَ له، فسلَّمتُ عليه، فقال: وعليكَ السلامُ، ياذا النون. فقلت: عرفتني قبلَ هذا؟ قال: لا. قلتُ: فمن أين لكَ هذه الفِراسة؟ فقال: ممَّنْ يملِكُها، ليستْ منِّي، هو الذي نوَّرَ قلبي بالفِراسة حتى عرَّفني إيَّاكَ من غيرِ معرفةٍ سبقتْ منِّي، ياذا النُّون، قلبي عليل، وجسمي مشغولٌ، وأنا سائحٌ في البرِّيَّةِ أسيرُ فيها منذ عشرين سنة ماعرفتُ بيتًا، ولايُكنُّني سقفٌ يَستُرُني من الشمس إذا ألظَّتْ، ويحفظُني من الرِّياحِ إذا هبَّتْ، فصِفْ لي بعضَ ماأنا فيه إنْ كنتَ وصَّافًا. فقلتُ: القلبُ إذا كان عليلاً جالتِ الأحزانُ والأسقامُ فيه، ليس للقلبِ مع ذلك دواءٌ. فصرخَ صرخةً، ثم قال: مالي وللشكوى. ثم قال: ماصحبتُ صاحبًا منذ صَحِبتُه، أصحَبُكَ اليوم؟ قلتُ: فقمْ بنا. فقمْنا جميعًا نسيرُ بلازادٍ، فلمّا أوغَلْنا في البرِّيَّة، وطوينا ثلاثًا قال لي: قد جعتَ؟ قلت: نعم. قال: فأقسمْ عليه حتى يُطعمَك؟ قلت: لا، والذي فَلَقَ الحبّةَ وبرأَ النَّسمة لاسألتُهُ شيئًا، إنْ شاءَ أطعمَ وإنْ شاءَ تركَ. فتبسَّمَ وقال: امضِ الآن، فلقد أُفيضَ علينا من أطايبِ الأطعمةِ ولذيذِ الأشربة، حتى دخلنا مكّةَ سالمين، ثم فارقَني وفارقتُه.

وكان ذو النُّونِ كلما ذكرهُ بكى وتأسَّفَ على صحبته[1].

رحمة اللهِ عليهما ورضوانه.

* * *

وقال ذو النُّون: بينا أنا سائرٌ في بعض الطُّرقِ فإذا فتًى حَسَنُ الوجه، أثرُ التهجُّدِ بين عينيه، فقلتُ: حبيبي، من أين قدِمتَ؟ قال: من عنده. فقلتُ: وإلى أين تُريدُ؟ قال: إلى عنده. قال: فعرَضْتُ عليه النَّفَقة، فنظرَ إليَّ مُغضَبًا، ثم ولَّى، وأنشأ يقول:

---

(١) صفة الصفوة ٤/ ٤٢٤.

وكــافــرٍ بــاللهِ أمــوالُــهُ تـزدادُ أضعــافًـا علـى كُفْـرِهِ
ومـؤمــنٍ ليـس لـه دِرهـمٌ يَـزدادُ إيمــانًـا علـى فقـرِهِ
لاخيرَ فيمن لم يكنْ عاقلاً يمـدُّ رجليـهِ علـى قَـدْرِهِ[1]

* * *

وقال عبّاسُ بنُ يوسف، عن طاهر المقدسي: خرجتُ من عسقلان أُريدُ غزَّةَ في طلبِ البُدَلاء، فإذا أنا بفتًى عليه أطمارٌ رثَّةٌ [مارًا] على ساحلِ البحر. قال: فكأنّي لم أعبأْ به، فالتفتَ إليَّ فقال:

لاتَنْـبُ عنِّـي بـأنْ تـرى خَلَقـي وإنَّمــا الــدُّرُّ داخــلُ الصَّــدَفِ
عِلمـي جـديـدٌ ومَلْبَسـي خَلَـقٌ ومُنتهَى اللُّبْسِ مُنتهى الصَّلَفِ[2]

* * *

وقال محمد بن رافع: أقبلتُ من بعضِ بلادِ الشام، فبينا أنا في بعضِ الطَّرِيقِ رأيتُ فتًى عليه جُبَّةٌ من صوف، وبيدِهِ ركْوةٌ، فقلت: أين تُرِيد؟ قال: لاأدري. قلتُ: فمن أين جئتَ؟ قال: لاأدري. فظننتُه[3] مُوَسْوِسًا، فقلتُ: منْ خَلَقَك؟ فاصفرَّ حتى خلتُهُ صُبِغَ بالزَّعفران، ثم قال: خَلَقَني مَنْ لايَعزُبُ عنه مِثقالُ ذرَّةٍ في الأرضِ ولا في السماء. فقلت: رحمكَ الله، أنا من إخوانِكَ، وممَّنْ يأنسُ إلى أمثالِك، فلا تنقَبِضْ منِّي. فقال: كيف لا، إنِّي واللهِ أودُّ لو جازَ لي تركُ الجماعات حتى أنفرِدَ في شاهقٍ مُنيفٍ صَعبِ المُرْتَقى، أو في غارٍ مُوحِشٍ لعلِّي أجدُ قلبي ساعةً يَسلو عن الدُّنيا وأهلِها. فقلتُ: وماجَنَتْ عليك الدُّنيا حتى استحقَّتْ هذا البغض منك؟ فقال:

---

(١) صفة الصفوة ٤/ ٤٢٥.
(٢) صفة الصفوة ٤/ ٤٢٥، ومابين معقوفين مستدركٌ منه.
(٣) في (ب): «فظننت أنه».

جِناياتُها العَمَى عن جِناياتها. فقلتُ: هل من دواءٍ تُعالجُ به من هذا العَمَى الذي قد حجبَ عنّي مايُرادُ بي؟ قال: ماأراكَ تقدرُ على العِلاجِ، فاستعملْ من الدواءِ أيسرَه. قلت: صِفْ لي دواءً لطيفًا. قال: فما داؤكَ؟ قلتُ: حُبُّ الدُّنيا. فتبسَّمَ وقال: أيُّ قرحةٍ أعظمُ من هذه؟! ولكنِ اشرَبْ السُّمومَ الطريَّةَ والمَكارهَ الصَّعْبةَ. قلتُ: ثم ماذا؟ قال: مُرَّ الصَّبْرِ الذي لاجزَعَ فيه، والتَّعبَ الذي لاراحةَ فيه. قلتُ: ثم ماذا؟ قال: الوَحشَةَ التي لاأُنسَ فيها والفِرْقةَ التي لااجتماعَ معها. قلت: ثم ماذا؟ قال: السُّلوَّ عمَّا تُريد، والصَّبْرَ على ماتُحبُّ، فإنْ أردتَ فاستعمِلْ هذا وإلاَّ فتأخَّرْ واحذَرِ الفِتَنَ كأنَّها قِطْعُ الليلِ[1] المُظلم. قلت: فدُلَّني على عمَلٍ يُقرِّبُ[2] إلى اللهِ عزَّ وجلَّ. فقال: ياأخي، قد نظرتُ في جميعِ العباداتِ فلم أرَ أنفعَ من الفِرارِ من الناسِ وتركِ مُخالطتِهم. ياأخي، رأيتُ القلبَ عشرةَ أجزاء، تسعةٌ مع الناسِ وجُزْءٌ مع الدُّنيا، فمن قَويَ على الانفرادِ حازَ تسعةَ أجزاءٍ من القلب. ثم غابَ عنّي فلم أرَه[3].

رحمة اللهِ عليه.

* * *

وقال أحمد بن أبي الحَواري: حجَجْتُ أنا وأبو سُليمانَ رضي الله عنه، فبينا نحن نَسيرُ إذْ سقطتِ السَّطِيحةُ[4] منّي، فقلتُ لأبي سُليمان: فقدتُ السَّطيحة، وبقينا بلا ماءٍ، وكان البَرْدُ شَديدًا، فقال أبو سُليمان: اللهمَّ يارادَّ الضَّالَّةِ، وياهاديًا من الضَّلالةِ اردُدْ علينا الضَّالَّةَ. قال: وإذا واحدٌ يُنادي: مَنْ ذهبتْ له سَطِيحةٌ؟ فقال أحمد: قلتُ: أنا. وأخذتُها، فبينا نحنُ نَسيرُ

---

(١) في (ب): «فإنها كقطع الليل».
(٢) في (ب): «أتقرب به».
(٣) صفة الصفوة ٤/٤٢٦.
(٤) السطيحة: المزادة تكون من جلدين. متن اللغة (سطح).

وقد تدرَّعْنا الفِراءَ من شِدَّةِ البَردِ وإذا نحن بإنسانٍ عليه طِمران، وهو يَرشحُ عَرَقًا، فقال له أبو سليمان: تعالَ نَدفعْ إليك شيئًا ممَّا علينا من الثِّيابِ. فقال الرجلُ: ياأبا سُليمان، أتشيرُ إلى الزُّهدِ، وتجدُ البردَ[1]؟ وأنا أسيحُ في هذه البرِّيَّةِ مُنذُ ثلاثين سنةماانتفضْتُ ولاارتعدْتُ، يُلبِسُني في البردِ فَيْحًا[2] من محبَّتِه، ويُلبِسني في الصَّيفِ مَذاقَ بَرْدِ محبَّته.

ثم ذهبَ عنَّا [وهو يقول: ياداراني، تبكي وتَصيح، وتستريحُ إلى التَّرويح[3]؟

فكان أبو سُليمان يقول: لم يعرفني غيرُه][4].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

وقال أحمدُ بن أبي الحَوَاريّ: خرجتُ مع أبي سُليمان رضي الله عنه إلى جُبِّ يوسفَ عليه السلام، فلمَّا صِرنا في بعضِ الطَّريقِ لقِيَنا شابٌّ ناحلُ الجسم، كبير[5] الهمِّ. فسلَّمَ على أبي سُليمان سلامَ عارفٍ، ثم قال: ياأبا سُليمان، أنت المَذكورُ بالشام، الموصوفُ بين الضِّخام، إنَّ الله تعالى قد أفادَكَ دواءً، وقد انتفعَ به أقوامٌ، فهل لك أن تكسِبَ فيَّ، وتطلبَ ماعند اللهِ تعالى؟ قال أحمد: فاتَّكأَ أبو سليمان على عكَّازَتِه ثم قال: سَلْ مابدا

---

(١) في صفة الصفوة ٤/٣٧٩: فقال الرجل: ياداراني، الحرُّ والبردُ خُلقانِ للهِ تعالى، إنْ أمرهما أن يغشياني أصاباني، وإنْ أمرهما أن يتركاني تركاني، ياداراني، تصفُ الزُّهد وتخاف البرد؟ أنا أسيح...».

(٢) فاحَ الحرُّ: اشتدَّ سطوعُه وهاج.

(٣) الترويح: الراحة.

(٤) صفة الصفوة ٤/٣٧٩، ومابين معقوفين مستدركٌ منه.

(٥) في (ب): «كثير».

لك[١]. فقال: ياأبا سليمان، ماعلامةُ المُريد؟ قال أبو سليمان: ☆إقبالُهُ على من يُريد، وترك كلِّ خليطٍ لايُريد. قال: فصاحَ صَيحةً وخرَّ مَغشيًّا عليه، فرقَّ له أبو سليمان☆[٢] وجلسَ.

فلما أفاقَ من غَشيتِه، قال: ياأبا سليمان، أنا ميِّتُ القلب، قليلُ الفَهم، فارفُقْ بي قليلاً. قال له أبو سُليمان: قُلْ ماشئتَ. فقال: ياأبا سليمان، متى يَعلمُ المريدُ أنَّه مريد؟ قال أبو سليمان: إذا أنزَلَ[٣] الدُّنيا من نفسِهِ منزلةَ ربَّانٍ قد أرسَى في غيرِ مِرْساةٍ، فهو يتوقَّعُ ريحًا تُدمِّرُه، أو مَوجًا يُغرِقُهُ، أو حوتًا يَبتلعه، أو يَفنى زادُه فيموت مكانَه. فصرخَ صرخةً، ورمى نفسَه إلى الأرضِ حتى خرجَ الدَّمُ من مِنخرِهِ مَغشيًّا عليه.

فلمّا أفاقَ قال له أبو سليمان: قمْ صلِّ مافاتَكَ من صلواتِك. فاستوى جالسًا، وقال: ياأبا سليمان، أنا ممَّنْ كلُّه فائت. قال أحمد: فغمزَني أبو سليمان وقال لي: قُم بنا. فقمنا وتركناه، فسمعتهُ يقول: سيِّدي، عبادُكَ خلَّفوني، وبحسرتي تركوني، وإلى الهُمومِ والأحزانِ أسلموني. سيِّدي ومولايَ ومُؤمَّلي، أنا مُستجيرٌ بعفوِك، فاعفُ عنِّي.

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

وقال أبو محمد الجَريريُّ: حدَّثني بعضُ أشياخنا أنَّه خرجَ إلى مكَّةَ فلمّا كان بالقَرْعاءِ[٤] تفكَّرَ في استدعاءِ موسى عليه السلام ربَّه عزَّ وجلَّ

---

(١) قوله: «مابدا لك». ليس في (ب).
(٢) (☆-☆) مابينهما ليس في (أ).
(٣) في (ب): «نزَّل».
(٤) القرعاء: منزل في طريق مكة من الكوفة. معجم البلدان.

وقوله: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾[الأعراف: ١٤٢] وغلبَ عليَّ الفكرُ في تدبُّرِ الآيةِ، فبينا أنا أسير نحو زُبَالةٍ[1] رأيتُ رجلاً معه ابنٌ له وهما يحتشَّانِ ويَستقِيانِ من بئرٍ عندهما ويَشربان، فجلستُ إليهما، فالتفتَ الشيخُ إلى ابنه، وأمرَهُ بشيءٍ، فبادرَ وأخذَ حَبلاً وشدَّه في وسطه، وأخذَ أبوه طرفَ الحبلِ ودلاَّهُ في البئرِ، فلم يزلْ يُدلِّيه حتى بلغَ مَوضِعًا منها، وكانت بئرٌ عمِيقةٌ، فصاحَ بي الشيخُ: الحقْني. فجئتُهُ. فقال: عاونِّي على إخراجِ ابني، فإنِّي أخشى أن ينقطِعَ به الحَبلُ ويسقطَ في البئر. فقلتُ له: ماحَمَلَكَ على هذا الخطرِ؟ فقال: كان هاهنا طيرٌ يألَفُنا ونألَفُه سقطَ في هذا البئر. فقلتُ لابني: انزِلْ وأخرجْه، له علينا حقُّ الجِوار والأُلْفَة. فقلتُ له: نِعْمَ مافعلتَ. وعاونتُهُ على خُروجِ ابنِه من البئرِ سالمًا، وهو يقول: ياأبة، من أحبَّ أن يراهُ صَبَرَ على بلاه. وكان جَوابًا لما وقعَ في سِرِّي من الآيَة.

* * *



الطواف

قال قاسمُ بنُ عثمانَ الجُوعي: رأيتُ في الطَّوافِ رجلاً لايَزيدُ على قولِه: إلٰهي، قَضَيتَ حوائجَ المُنجحين، وحاجتي لم تَقضِ. فقلتُ له: مالَكَ لاتَزيدُ على هذا الكلام؟ فقال: أُحدِّثُكَ، كُنَّا سبعةَ أنفسٍ من بُلدانٍ شتَّى، ترافقنا، وغزَوْنا أرضَ العدوِّ واستُؤسِرْنا كلُّنا، فاعتزَلَ بنا بِطْرِيقٌ[2] إلى موضعٍ ليَضْرِبَ رقابَنا، فنظرتُ إلى السماء فإذا سبعةُ أبوابٍ مَفتوحةٍ، عليها سبعُ جوارٍ من الحُورِ العِينِ، على كلِّ بابٍ جاريةٌ، فقدَّمَ رجلاً منَّا

(١) زُبَالة: منزل معروفٌ بطريق مكة من الكوفة. معجم البلدان؟

(٢) البطريق: القائد من قواد الروم، تحت يده عشرة آلاف رجل. القاموس المحيط (بطرق).

فضَرَبَ عُنقَهُ؛ فرأيتُ جاريةً في يدِها مِنديلٌ، قد هبطَتْ إلى الأرضِ حتى ضرَبَ أعناقَ الستَّةِ، والجواري (*يتزلنَ بأيديهنَّ مناديل☆)[1]، وبقِيتُ أنا، وبقي بابٌ واحدٌ، فلمّا قُدِّمتُ لتُضرَبَ عُنقي استوهبَني بعضُ رجالِه، فوَهَبني له، فسمعتُها تقول: أيُّ شيءٍ فاتَك يامَحروم؟! وأغلقتِ الباب. فأنا ياأخي متحسِّرٌ على مافاتني.

قال قاسم الجُوعي: أراه أفضلَهم؛ لأنَّه رأى مالم يَرَوْا، وتُرِكَ يعمَلُ على الشَّوق[2].

* * *

وقال عمَّارُ بن عثمان: رأيتُ رجلاً يَطوفُ بالبيت وهو يَبكي ويقولُ في بكائه:

تمنَّ على ذِي العَرشِ ماشئتَ إنَّهُ غنـيٌّ كـريـمٌ لايُخيِّـبُ سـائـلا

قال: ثم شَهِقَ حتى ظَننتُ أنَّ نفسَه ستخرجُ. قال: فقلتُ له: ماشأنُكَ رحمَكَ الله؟ قال: أعظمُ الشَّأنِ، شأني نُدِبْتُ إلى أمرٍ، فقصَّرْتُ فيه. قال: ثم غُشِيَ عليه[3].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

وقال محمد بن صالح: بَينا أنا في الطواف إذْ نظرتُ إلى أعرابيٍّ بَدَوِيٍّ مُتعلِّقٍ بأستارِ الكعبة، وقد شَخَصَ ببصرِه نحو السَّماء، وهو يقول: ياخيرَ

---

(١) (☆-☆) مابينهما ليس في (أ).

(٢) صفة الصفوة ٤/٤١١.

(٣) صفة الصفوة ٤/٤١٢.

مَنْ وَفَدَ العبادُ إليه، ذهبتْ أيَّامي، وضَعُفَتْ قُوَّتي، وقد وردتُ إلى بيتِكَ المعظَّمِ المكرَّمِ بذنوبٍ كثيرةٍ لاتَسَعُها الأرضُ، ولاتَغْسِلُها البحار، مُستجيرًا بعفوكَ منها، وحَطَطْتُ رَحْلي بفِنائك، وأنفقتُ مالي في رِضاك، فما الذي يكونُ من جَزائك ياموْلاي؟

ثم أقبَلَ على الناسِ بوجهِهِ، فقال: معاشرَ الناس، ادعوا لمن وكَرَثَهُ الخطايا، وغمرَتْه البلايا، ارحموا أسيرَ ضُرٍّ، وغريبَ فاقةٍ، سألتُكم بالذي قد عمَّتكم الرَّغبةُ إليه إلاَّ سألتُم اللهَ تعالى أن يَهَبَ لي جُرْمي، ويغفرَ لي ذنوبي. ثم عاودَ، فتعلَّقَ بأستارِ الكعبة، وقال: إلٰهي وسيِّدي ومولاي، عظيمُ الذُّنوبِ مَكروبٌ، وعن صالحِ الأعمالِ مَردود، فقد أصبحتُ ذا فاقةٍ إلى رحمتِكَ ياموْلاي.

قال محمد بن صالح: ثم رأيتُهُ بعرفات وقد وضعَ يَسارَه على أُمِّ رأسِه يصرُخُ ويَبكي ويشهقُ، ويقول: إلٰهي وسيِّدي ومولاي، أضحكتَ الأرضَ بالزُّهرة، وأمطرتَ السماءَ بالرحمة، والذي أعطيت الموحِّدين، إنَّ نفسي لواثقةٌ لي ولهم منكَ بالرِّضا، وكيف لايكونُ كذلك؟ وأنتَ حبيبُ من تحبَّبَ إليك، وقُرَّةُ عَينِ من لاذَ بك وانقطعَ إليك، ياموْلاي حقًّا حقًّا أقول، لقد أمرتَ بمكارمِ الأخلاقِ، فاجعلْ وُفُودي إليك عتقَ رقَبتي من النار[١].

* * *

وقال إبراهيمُ الخوَّاص: رأيتُ شابًّا في الطَّواف، مُتَّزِرًا بعباءَةٍ، مُتَّشِحًا بأُخرى، كثيرَ الطَّوافِ والصلاة، فوقعَ في قلبي محبَّتُهُ، فَفُتِحَ عليَّ بأربعِ مئةِ دِرهم، فجئتُ بها إليه، وهو جالسٌ خلفَ المَقَام، فوضَعتُها على طَرَفِ عباءَتِه، وقلتُ له: ياأخي، اصرِفْ هذه الفضَّة[٢] في بعضِ حوائجك. فقام

---

(١) صفة الصفوة ٤/ ٤١٢.

(٢) في (أ): «القطعة».

وبدَّدَها في الحَصَى، وقال: ياإبراهيم، اشتريتُ هذه الجلسةَ من اللهِ بسبعين ألفَ دينار عين، تُريدُ أن تخدَعَني عن اللهِ بهذا الوسخ؟

قال إبراهيم: فما رأيتُ أعزَّ منه وهو ينظرُ، وأذَلَّ مِنّي وأنا أجمعُها من بين الحصَى. ثم قامَ وذهب[1].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

وقال ذو النُّون: رأيتُ أعرابيًا يَطوفُ بالكعبة، وقد نَحَلَ جسمُه، واصفرَّ لونُه، ودقَّ عظمُه، فقلتُ له: أمُحِبٌّ أنت؟ قال: نعم. قلتُ: حبيبُكَ منكَ قريبٌ أم بعيد؟ قال: قريب. فقلتُ: مُوافقٌ أم غيرُ مُوافق؟ قال: بل مُوافِق. فقلت: ياسُبحان الله، حبيبُك منك قَريب، ولك مُوافقٌ وأنت على هذه الحالةِ. فقال: يابطَّال، أمَا علمتَ أنَّ عذابَ القُربِ والمُوافقةِ أشدُّ من عذاب البُعدِ والمُخالفة.

* * *

وقال عبد الله بن طاهر: رأيتُ في الطَّوافِ شيخًا أعجميًا والناسُ يدعونَ ويتضرَّعُون وهو ساكت، فقلتُ له: ألا تدعو؟ فمدَّ يدَهُ ورفعَ بها شيبتَهُ وقال: ياخداه[2]، شيخٌ. ولم يزِدْ على ذلك.

* * *

وقال عمرُ بن شبَّه: كنتُ بمكَّةَ بين الصفا والمروةِ فرأيتُ رجلاً راكبًا

---

(١) صفة الصفوة ٤/ ٤١٣.

(٢) ياخداه: يا الله. بالفارسي.

بغلةٌ، وبين يديه غِلمانٌ يطوفون ويُعَنِّفون الناس، ثم إنِّي بعدَ حينٍ دخلتُ بغدادَ فكنتُ على الجِسر، فإذا برجلٍ حافٍ حاسرٍ، طويلِ الشَّعَر، قال: فجعلتُ أنظرُ إليه، وأتأمَّلُهُ. فقال: مالك تنظرُ إليَّ؟ فقلت: شَبَّهْتُكَ برجلٍ رأيتُه بمكَّة. ووصَفْتُ له الصفة. فقال: أنا ذلك الرجل. فقلتُ: مافعلَ الله تعالى بك؟ فقال: ترفَّعْتُ في موضعٍ يتواضَعُ الناسُ فيه، فوضعَني الله تعالى في موضعٍ يرتفعُ الناسُ فيه.

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

عبَّادان

قال أبو عاصم العَبَّادانيُّ: كان رجلٌ من بني سعد يقدمُ علينا في أوَّلِ مااتُّخذتْ عبَّادان، وكانتْ إذْ ذاكَ وَبِيئةً. قال: فكان يُصلِّي الليلَ والنَّهارَ لايكادُ يَفتُرُ، فإذا كان السَّحَرُ احتبَى واستقبلَ البحر. فجعلَ يَبكي وينوحُ على نفسِه. قال: فإذا أحسَّ بإنسانٍ أمسَكَ. قال: فخرجتُ ذاتَ ليلةٍ إلى الساحل، فإذا أنا بصوتِهِ، وإذا هو يَبكي ويقول في بُكائه:

ألا يـاعَيـنُ وَيحكِ أسعِـدِينـي ... بطولِ الدَّمعِ في ظُلَمِ اللَّيالي
لعلَّـكِ فـي القيـامـةِ أنْ تفُـوزي ... بطولِ الدَّمْعِ في تلك العَلالي[1]

قال: فلما أحسَّ بحسِّي أمسكَ، فرجعتُ وتركتُهُ[2].

رحمة اللهِ عليه.

* * *

---

(١) في (ب): «بخير الدهر في تلك العلالي».
(٢) صفة الصفوة ٤/ ٥٨.

وقال سلم بن زُرْعة بنِ حمّاد، أبو المرضى، شيخٌ بعبّادان له عِبادةٌ وفضلٌ، قال: مَلُحَ الماءُ عندنا مُنذُ نيّفٍ وستينَ سنة، وكان هاهنا رجلٌ من أهلِ السّاحل له فضلٌ. قال: ولم يكنْ في الصّهاريج شيءٌ، وحضرَتِ المغربُ، فهبطتُ لأتوضّأَ للصلاةِ من النّهْر، وذلك في رمضان، وحرٌّ شديد، فإذا أنا به وهو يقول: سيّدي، أرضيتَ عملي حتى أتمنّى عليك؟ أرضيتَ طاعتي حتى أسألَكَ؟ سيّدي، غُسالةُ الحمّام لمن عصاك كثيرٌ. سيّدي، لولا أنّي أخافُ غَضَبَك لم أذُقِ الماء، وقد أجهدَني[1] العَطَشُ. قال: ثم أخذَ بكفِّهِ فشربَ شربًا صالحًا؛ فتعجّبتُ على صَبرِه من مُلوحتِه، فأخذتُ من المَوضعِ الذي أخذَ فإذا هو بمنزلةِ السُّكَّر، فشربتُ منه حتى رَوِيتُ.

قال أبو المرضى: فقال لي هذا الشيخُ يومًا: رأيتُ فيما يرى النّائمُ كأنَّ رجلاً يقولُ لي: قد فرغنا من بناءِ دارِك، لو رأيتَها قرّتْ عيناك، وقد أُمرنا بنَجْدِها[2] والفراغ منها إلى سبعةِ أيام، واسمُها السُّرور، فأبشِرْ بخير. فلمّا كان يوم السابع، وهو يوم الجمعة بكّرَ للوُضوءِ فنزلَ في النهر وقد مَدَّ، فزَلَقَ فغَرِقَ، فأخرجناه بعد الصلاةِ، فدفنّاه.

قال أبو المرضى: فرأيتُهُ بعد ثالثةٍ في النّوم وهو يجيءُ إلى القَنْطَرة، وهو يكبّرُ، وعليه حُلَلٌ خُضْرٌ، فقال لي: ياأبا المرضى، أنزلني الكريمُ في دارِ السُّرور، فماذا أعدَّ لي فيها؟! فقلتُ: صِفْ لي. فقال: هَيهات، يَعجزُ الواصفونَ عن أنْ تَنطقَ ألسنتُهم بما فيها، فاكتسِبْ مثلَ الذي اكتسَبْتُ، وليتَ أنَّ العِبادَ يعلمون أنَّ اللهَ قد هيّأ لهم مَنازلَ معي فيها كلُّ ماشتهتْ أنفسُهُم، نعم وإخواني وأنتَ معهم إنْ شاءَ الله تعالى، ثم انتبهْتُ.

* * *

---

(١) في (ب): «وقد أجهدَني. قال».

(٢) النجد: متاع البيت من فرشٍ ونمارق وستور. معجم متن اللغة (نجد).

وقال عليُّ بنُ سعيد العطَّار: مَررتُ بعبَّادانَ بمَكْفوفٍ مجذوم، وإذا الزُّنْبُور يقعُ عليه، فيقطَعُ لحمَهُ، فقلتُ: الحمدُ للهِ الذي عافاني ممَّا ابتلاه، وفتحَ من عَيني ماأغلَقَ من عينه. قال: فبينما أنا أُردِّدُ الحمدَ إذْ صُرع. فبينا هو يتخبَّطُ نظرتُ إليه فإذا هو مُقعدٌ. فقلت: مَكفوفٌ يُصرَعُ، مُقعدٌ مَجذوم. قال: فما استَتْمَمْتُ حتى صاح: يامُكلِّف، مادخولُكَ فيما بيني وبين ربِّي؟ دَعْه يَعمَلُ بي ماشاءَ. ثم قال: وعزَّتِكَ وجلالِكَ لو قطَّعتني إربًا إربًا، أو صَبَبْتَ البلاءَ عليَّ صبًّا ماازدَدْتُ لك إلاَّ حُبًّا[1].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

وقال قيراطُ الورَّاق: حدَّثني عابدٌ بعبَّادانَ قال: مَكَثتُ ستَّةَ أيَّامٍ لم أطعَمْ شيئًا، قال: قلتُ: أُجرِّبُ نفسي على الصَّبرِ، فلما كانتِ الليلةُ السابعة دخلَ في قلبي من ذلك سُرورٌ، رأيتُ أنِّي قد صَبَرتُ، وعملتُ شيئًا، فإذا بقائلٍ يقول: لم تبلغْ كُنْهَ الصابرين، إنَّما الصابرون المُستقلُّونَ لأعمالِهم، الخائفونَ عليها من فسادِها، الوَجِلونَ من ردِّها عليهم، فأولئكَ هم الصابرون[2].

* * *

وقال أحمد بن محمد البزَّار: كنتُ بعبَّادان، وكانتْ ليلةُ عاشوراء، فدخلتُ إلى دارِ السَّبيل، فرأيتُ فقيرًا جالسًا يأكلُ خُبزَ الشَّعير ومِلحًا جَرِيشًا، فاحترَقَ قلبي عليه، وكان معي ألفُ دينار للتفرقةِ بعبَّادانَ، فسألتُ

---

(١) صفة الصفوة ٤/ ٦٠.
(٢) صفة الصفوة ٤/ ٦١.

عنه، فقالوا: هو أفضلُ من هاهنا في الزُّهدِ، ومنازلة الفقر. فقلتُ في نفسي: أُعطيه الدَّنانيرَ التي معي؛ فإنِّي لاأعرِفُ المُستحِقِّين، فلمَّا أصبحنا قصدتُهُ، وسلَّمتُ عليه، وجلستُ إليه، وباسطَني وباسطْتُهُ، فقلتُ له: رأيتُ الشيخَ البارحةَ يأكلُ خُبزَ الشَّعير ومِلحًا جَريشًا، وأعلمُ أنَّه كان صائمًا، فحملتُ إليه شيئًا ليتحكَّمَ فيه، وقدَّمْتُ إليه الكيسَ، وقلت: هو ألفُ دينار. فشدَّدَ النَّظرَ إليَّ، وقال: خُذْهُ، فإنَّ هذا جزاءُ من أفشى سرَّهُ إلى الناس[١].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

وقال أبو الخير الأسود المعروف بالعَسْقلاني: كان بعبَّادانَ رجلٌ زَنجِيٌّ مُفلفَلُ الشعَرِ، يأوي الخَراباتِ، فحملتُ معي شيئًا، وطلبتُهُ، فلمَّا رفعَ بصرَه تبسَّمَ[٢]، وأشارَ بيدِهِ إلى الأرضِ فرأيتُ حواليَّ إلى حيثُ أرى دراهمَ ودنانير تلمعان، ثم قال لي: هاتِ مامعكَ. فناولتُه وهربتُ، وهالَني أمرُهُ[٣].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

وقال عبادةُ بن كُلَيب[٤]: كنتُ بعبَّادانَ فرأيتُ شابًّا من قريشٍ عليه جُبَّةُ صُوفٍ، فسمعتُهُ يقولُ: إنَّ للهِ عِبادًا يَسترْوِحونَ إلى الغُموم. فقلتُ: رحمَكَ الله، تلبَسُ الصُّوف؟ فقال: إنَّما أنا عبدٌ، فإذا أُعتِقتُ لبِستُ.

---

(١) صفة الصفوة ٤/ ٦١.
(٢) في (ب): «فلما وقعَ بصرُه عليَّ تبسَّم».
(٣) صفة الصفوة ٤/ ٦١.
(٤) في صفة الصفوة ٤/ ٦٢: «عباد بن كليب».

فذكرتُ ذلك لشَريكٍ فقال: ماأكرَهُ لبسَ الصُّوف لمثلِ هذا، ماخرجَ هذا الكلامُ إلاَّ من كَنزٍ[1].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

وقال الشيخُ عبد الله بن عُبيد بعبَّادان: كنتُ في مسجدِ عبَّادانَ بعدَ صلاةِ العشاءِ الآخرةِ، وفي الصَّفِّ الأولِ ثلاثةُ نفرٍ قد صلَّوْا معنا ثم خرجوا نحو البحر، فوقعَ لي أنَّهم أولياءُ فتبِعتُهم، فلمّا جاؤوا إلى البحرِ امتدَّ لهم مثلُ الشِّراك من فضَّةٍ، فمرُّوا عليه، فوضعتُ رجلي عليه لأتبعَهم، فغاصَتْ رجلي في الماءِ، فقعدتُ أبكي، ثم انصرفتُ إلى المسجد.

فلمّا كان وقتُ الصُّبح إذا بهم في الصَّفِّ الأوَّلِ، فجلسوا في المسجدِ إلى أنْ صلَّوْا عشاءَ الآخرة، ثم خَرجوا نحوَ البحر، فامتدَّ لهم مثلُ الشِّرَاكِ من فضَّةٍ، فمرُّوا عليه، فوضعتُ رجلي، فغاصَتْ في الماء، فقعدتُ أبكي، ومَضَوْا، فانصرفتُ إلى المسجدِ.

فلمّا كان اليومُ الثالثِ إذا بهم في الصفِّ الأول، فقلتُ لنفسي: يانفسُ مِنكِ أُتيت، لو كانَ فيكِ خيرٌ لمررْتِ معهم. وعلمَ اللهُ تعالى منِّي الصِّدق. فخرجوا من الوقتِ الذي خرجوا كلَّ ليلةٍ، فامتدَّ لهم البحرُ مثلُ الشِّراكِ من فضَّةٍ، فمرُّوا عليه، فوضعتُ رجلي على الماءِ، فمررتُ معهم، فأخذَ واحدٌ منهم بيدي، وإذا هم سبعةُ أنفُس، كلُّ ثلاثِ ليالٍ تنزلُ عليه سبعُ سمكاتٍ، وكانتْ تلك الليلةُ الثالثة، فإذا مائدةٌ عليها ثماني سمكاتٍ فقعدتُ معهم آكلُ، فقلتُ: لو كانَ لنا مِلْحٌ. فقال لي: أَوَّه، أنت منهم؟ بلى أنت منهم.

---

(١) صفة الصفوة ٤/ ٦٢.

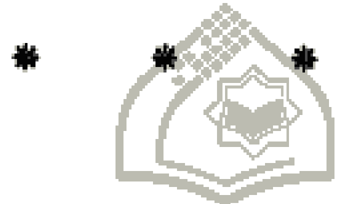
فأخذَ بيدي فإذا أنا في المَشْرَعة[1]. ومارأيتُهم بعد ذلك، وأنا أسألُ اللهَ تعالى حُسنَ التَّوفيق[2].

* * *

عرفات

قال ثابت البُناني: إنَّا لوقوفٌ بجبلِ عرفة، فإذا شابَّانِ عليهما العَباءُ القَطَوانيّ، نادَى أحدُهما صاحبَه: ياحبيب! فأجابَهُ الآخر: لبَّيكَ أيُّها المُحبّ. قال: ترى الذي تحابَبْنا فيه، وتوادَدْنا فيه مُعذِّبنا غدًا في القيامة؟ قال: فسمعنا مُناديًا سمعَتْهُ الآذانُ ولم ترَهُ الأعيُن يقول: لا، ليس بفاعِل[3].

* * *



وقال سفيانُ الثَّوريّ: سمعتُ أعرابيًا وهو مُستلقٍ بعرفةَ وهو يقول: إلٰهي، مَنْ أولَى بالزَّلَلِ والتَّقصيرِ منِّي؟ وقد خلقتني ضعيفًا؟ ومَنْ أولى بالعفوِ عنِّي منكَ، وعلمُكَ فيَّ سابق، وأمرُكَ بي مُحيط؟ أطعتُكَ بإذنِكَ، والمِنَّةُ لك عليّ؛ وعصيتُكَ بعلمِكَ والحجَّةُ لك، فأسألُكَ بوجوب حُجَّتك، وانقطاعِ حجَّتي، وبفقري إليك، وغِناكَ عنِّي أنْ تغفِرَ لي وترحمَني، إلٰهي، لم أُحسِنْ حتى أعطيتني، ولم أُسِئْ حتى قضيتَ عليّ؛ اللهمَّ، إنَّا أطعنَاكَ بنعمتِكَ في أحبِّ الأشياءِ إليك شهادةِ أنْ لاإلٰهَ إلاَّ الله، ولم نعصِكَ في

---

(١) المشرعة: الموضعُ الذي تنحدِرُ إلى الماءِ منه من شواطئِ الأنهار، وهو موردُ الشاربة. معجم متن اللغة(شرع).
(٢) روض الرياحين ٢١٥ (الحكاية ١٣٨).
(٣) صفة الصفوة ٤/٤٠٨.

أبغضِ الأشياءِ إليك الشِّرْك بك؛ فاغفِرْ لي مابينهما. اللهمَّ سرِّي إليك مَكشوف، وأنا إليك مَلهوف، إذا أوحَشَتْني الغُربةُ آنَسَني ذِكرُك، فإذا صَبَّتْ عليَّ الهمومَ لجأتُ إليك استجارةً بك. علمًا بأنَّ أزِمَّةَ الأمورِ بيدك، وأنَّ مَصدَرها عن قضائك[1].

* * *

وقال أحمدُ بنُ أبي الحَوَارِيِّ: دخلتُ على أبي سليمانَ الدَّارانيِّ فقال لي: ياأحمدُ، لي أيامٌ مابَكَيتُ. فقلتُ له: حدَّثني محمود بنُ خلف أنَّه رأى رجلاً عشيَّةَ عرفةَ على رأسِ جبل، فلمَّا دنا الانصرافُ سمعتُهُ يقول: الأمانَ الأمانَ، قد دنا الانصرافُ، فليتَ شعري ماصنعتَ[2] في حاجةِ المساكين؟ قال: فبكى حتى جعَلَتِ الدُّموعُ تَثِبُ من عينيه، فلا تسيلُ على خدِّه[3].

* * *

وقال محبوبُ تلميذُ أبي الأديان: سمعتُ أبا الأديانِ يقول: مارأيتُ خائفًا إلاَّ رجلاً واحدًا، كنتُ بالموقفِ فرأيتُ شابًّا مُطرِقًا منذُ وقفَ الناسُ إلى أن سقطَ القُرصُ. فقلتُ: ياهذا، ابسُطْ يديك للدُّعاء. فقال لي: ثمَّ وحشةٌ. فقلتُ له: هذا يومُ العفوِ عن الذُّنوب. قال: فبسَطَ يدَه، ففي بَسْطِ يدِه وقعَ ميتًا.

رحمة اللهِ عليه.

* * *

---

(١) صفة الصفوة ٤/٤٠٩.

(٢) في (ب): «مافعلت».

(٣) صفة الصفوة ٤/٤٠٩.

وقال أبو بكر محمد بنُ داود: حكيتُ لأبي الحسين بن حُدَيْق فقلتُ له: ياسيدي، ذُكرَ عن عليِّ بنِ الموفَّق رضي الله عنه أنَّه قال: حجَّ إحدى وثلاثين حجَّةً فأدركَهُ رقَّةٌ في الموقف على أهلِ الموقف، فقال: يارب، قد رحمتُ أهلَ الموقف، أُشهدُك وملائكتَكَ أنِّي قد وهبتُ لهم ثلاثين حجَّةً، وواحدةٌ لي.

فأُرِيَ في منامه في المكان: ياابنَ الموفَّق، أعليَّ تتسخَّى وأنا وهبتُ السَّخاءَ لمن أُريد؟ إنِّي قد وهبتُ من وردَ البيتَ السنةَ لك.

قال: فقال لي ابنُ حُدَيق: ذهبَ عليك يا أبا بكر.

قلتُ: يقولُ الشيخ: فقال: هذه الحكايةُ عندنا مجوَّدةٌ محكَّكةٌ أنَّه رأى بعرفات في المنام، فقال: يا ابنَ الموفَّق، تتسخَّى علينا، ونحن وهبنا السَّخاءَ لمن نُريد، أُشهدكَ أنَّا قد وهبناك[1] من وردَ هذا البيتَ من الموحِّدين إلى يوم القيامة. فقلتُ: هذا الخُلُق من أخلاقِ اللهِ عزَّ وجلَّ. فقال ابن حُدَيق: كان هاهنا عندنا بالمَصِّيصةِ رجلٌ أسخى من عليِّ بنِ الموفَّق. فقلت: ياسيِّدي، هذا بَذَلَ الآخرةَ، فأيشٍ أسخى من ذلك؟! فقال لي: ذاك استأثَرَ شيئًا من إحدى وثلاثين حجَّةً واحدةً لنفسِه، وهذا الشَّيخُ كان له ثمانونَ حجَّةً، مُقبلٌ على اللهِ تعالى، فزارَهُ أخوانِ له من أَذَنَةَ فلمّا سلَّما عليه قالا له: ياشيخَنا، ماجئنا إلى المَصِّيصةِ لحاجةٍ لنا بها إلاَّ السلامَ عليك. فقال الشيخ: قَبِلَكما الله تعالى، وقَبِلَ سعيَكُما. فقالا له: أنتَ تعلمُ أنَّ لنا لمكانًا وظهرًا نركبُ عليه، وماجئنا إلاَّ رجَّالةً إعظامًا لقدرِك. فقال الشيخ: اللهمَّ اقبَلْهما واقْبَلْ منهما، اللهمَّ إنْ كنتَ تعلمُ أنِّي عملتُ لك عملاً في طولِ عمري فقَبِلتَ ذلك العمَل منِّي فأُشهِدُكَ وملائكتَكَ أنِّي قد وهبتُ ثوابَ ذلك لهما. فهذا أسخى من عليِّ بن الموفَّقِ ياأبا بكر.

* * *

---

(١) في (ب): «لمن نريد، إنا وهبناك».

العواصم والثُّغور

قال أبو سُليمانَ المغرِبيّ: كنتُ أحمِلُ الحطَبَ من الجبل، وأتقوَّتُ منه، وكان طريقي فيه التوقِّي والتحرِّي. قال: فرأيتُ جماعةً من البصريِّين في النوم منهم الحسَن، ومالك بن دينار، وفَرْقَد السَّبخي، فسألتُهم عن علمِ حالي، فقلت: أنتم أئمَّةُ المسلمين، دُلُّوني على الحَلالِ الذي ليس للهِ عزَّ وجلَّ فيه تبِعَة، ولالخَلْقٍ[1] فيه مِنَّة. فأخذوا بيدي، فأخرجوني من طَرَسُوسَ إلى مرجٍ فيه خُبَّازَى، فقالوا: هذا الحلالُ الذي ليسَ للهِ عزَّ وجلَّ فيه تَبِعَة، ولا لمخلوقٍ فيه مِنَّة. قال: فمكثتُ آكلُ منه نصفَ سنةٍ، ثلاثةَ أشهرٍ في دار السَّبيلِ، وكنتُ آكلُه نِيئًا ومَطبوخًا. فصارَ لي حديثٌ، فقلتُ: هذه فِتنةٌ، فخرجتُ من دار السَّبيل، وكنتُ آكله ثلاثةَ أشهر أُخر، فأوجدني الله عزَّ وجلَّ قلبًا طيِّبًا، حتى قلتُ: إنْ كان أهلُ الجنَّةِ بهذا القلب الذي لي فَهُمْ ـ واللهِ ـ في شيءٍ طيِّب. وماكنتُ آنَسُ بكلامِ الناسِ، فخرجتُ يومًا من بابِ قَلَمْيَةَ[2] إلى صِهْرِيجٍ يُعرَفُ بالمُدْنَفِ. فجلستُ عنده، فإذا أنا بفتًى قد أقبَلَ من ناحيةِ لامِس[3]، يُريدُ طَرَسوس، وقد بقِيَ معي قُطيعاتٌ من ثمنِ الحطبِ الذي كنتُ أجيءُ به من الجبل، فقلت: أنا قد قنعتُ بهذا الخُبَّازَى، أُعطي هذه القِطعَ هذا الفقير إذا دخلَ طرَسوس اشترى بها شيئًا يأكلُه. فلمَّا دنا منِّي أدخلتُ يدي إلى جيبي حتى أُخرجَ الخِرْقَةَ، فإذا أنا

---

(١) في (أ): «مخلوق».

(٢) باب قلمية: أحدُ أبوابِ طرسوس، منسوبٌ لقلميةَ وهي كورةٌ واسعةٌ برأسِها من بلادِ الرُّوم، قربَ طرسوس. معجم البلدان ٤/ ٣٩٢.

(٣) في الأصل وصفة الصفوة ٤/ ٢٨٦: «لامش» وهو تحريف؛ لأنَّ لامش من قرى فرغانةَ في الشرق، و«لامس» قريةٌ على بعد مرحلةٍ من قلمية، على شطِّ بحر الرُّوم من ناحية ثغر طرسوس.

بالفقير حرَّكَ شفتيه، وإذا كلُّ ماحولي من الأرضِ ذهبٌ يتَّقِدُ، حتى كادَ يَخْطَفُ بصري، ولبِسَتْني منه هيبةٌ، فجازَ ولم أُسلِّمْ عليه من هيبتِه.

قال الشيخ أبو بكر: وزادَني أبو الفرج بنُ أبَانَ في هذه الحكايةَ قال: فقلتُ له: فرأيتَهُ بعدَ ذلك؟ فقال: نعم، خرجتُ يومًا إلى خارجِ طرسوس، فإذا أنا بالفتى جالسٌ تحت بُرجٍ من الأبرِجَةِ، وبين يديه رَكْوَةٌ فيها ماء، فسلَّمتُ عليه، ثم استدعَيْتُ منه موعظةً، فمدَّ رجلَه فقلبَ الماءَ، ثم قال لي: كثرَةُ الكلامِ يُنشِّفُ الحسنات كما نشفَتِ الأرضُ هذا الماء. قم يكفيك[١].

رحمة اللهِ عليهما.

* * *

وقال عليُّ بنُ الحسن بن موسى: قال رجلٌ لأمْتَحننَّ أهلَ البلاء. قال: فدخلتُ على رجلٍ بطرَسُوس، وقد أكلتِ الأكِلَةُ أطرافَه، فقلتُ له: كيف أصبَحْتَ؟ قال: أصبحتُ ـ واللهِ ـ كلُّ عِرقٍ وكلُّ عضوٍ يألمُ على حِدَتِهِ من الوَجَع، وإنَّ ذلك لَبِعَينِ الله، أحبُّهُ إليَّ أحبُّه إلى الله، وماقَدْرُ ماأخذَ ربِّي منِّي؟ ودِدْتُ أنَّ ربِّي قَطَعَ الأعضاءَ منِّي التي اكتَسَبْتُ بها الإثم، وأنَّه لم يُبْقِ منِّي إلاَّ لساني يكونُ له ذاكرًا. قال: فقال له رجلٌ: متى بدأتْ بك هذه العِلَّةُ؟ فقال: الخَلْقُ كلُّهم عَبيدُ اللهِ وعِيالُه، فإذا نزلتْ بالعِبادِ عِلَّةٌ فالشكوى إلى اللهِ ليس يُشكى إلى العباد[٢].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

---

(١) صفة الصفوة ٤/ ٢٨٥.

(٢) صفة الصفوة ٤/ ٢٨٧.

وقال عليُّ بن الحسن: كان رجلٌ بالمَصِّيصةِ ذاهبُ النِّصْفِ الأسفل، لم يبقَ منه إلاَّ روحُهُ في بعضِ جسدِه، ضريرٌ على سريرٍ مثقوب، فدخلَ عليه داخلٌ، فقال له: كيف أصبحتَ ياأبا محمد؟ قال: مَلِكُ[1] الدُّنيا، مُنقطِعٌ إلى الله، مالي إليه من حاجةٍ إلاَّ أن يتوفَّاني على الإسلام[2].

* * *

وقال أبو عبد الرحمن الأزديّ: كنتُ أدورُ على حائطِ بيروت، فمررْتُ برجلٍ مُتدَلِّي الرِّجلينِ في البحر، وهو يُكبِّر، فاتَّكأتُ إلى الشُّرَّفةِ التي إلى جنبه، فقلت: ياشابُّ، مالكَ جالسًا وحدَكَ؟ قال: اتَّقِ اللهَ، ولاتقلْ إلاَّ حقًّا، ماكنتُ قطُّ وحدي مُنذُ ولَدَتْني أُمِّي، إنَّ معي ربِّي حيثُ ماكنتُ، ومعي مَلَكانِ يحفظانِ عليَّ، ولي شيطانٌ مايُفارِقُني، فإذا عرضتْ لي حاجةٌ إلى ربِّي عزَّ وجلَّ سألتُه إيَّاها بقلبي، ولم أسألْهُ بلساني، فجاءَني بها[3].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

الغرب

قال ذو النُّون: بينا أنا أسيرُ في بلادِ الغرب إذا أنا برجلٍ على عَريشٍ من البلُّوط، وعندَهُ عينُ ماءٍ تجري، فأقمتُ عليه يومًا وليلةً أُريدُ أنْ أسمعَ كلامَه، فأشرفَ عليَّ بوجهِهِ، فسمعتُه يقول: شهدَ قلبي للهِ بالنَّوَازل، وكيف لايَشهدُ قلبي بذلك؟ هيهات، لقد خابَ لديك المقصِّرون. سيِّدي، ماأحلَى

---

(١) في (ب): «مالِك».

(٢) صفة الصفوة ٤/٢٨٧.

(٣) صفة الصفوة ٤/٢٨٧.

ذِكرَك، أليسَ قصدَك[1] مُؤمِّلوك؟ فنالوا ما أمّلُوا، وجدْتَ لهم بالزِّيادَةِ على ما طلبوا؟ فقلتُ له: ياحَبيبي، إنِّي مُقيمٌ عليك منذُ يومٍ وليلةٍ أُريدُ أنْ أسمعَ من كلامِه. فقال لي: قد رأيتُك يابطَّال حين أقبلتَ، ولكنْ ماذهبَ روعُكَ من قلبي إلى الآن. فقلتُ له: ولمَ ذاك؟ وماالذي أفزَعكَ منِّي؟ فقال: بِطالتُكَ في يومِ عملِكَ، وتركُكَ الزَّادَ ليوم مَعادِك، ومُقامُكَ على الظُّنون. فقلتُ له: ياحبيبي، ماهاهنا فِتيةٌ تستأنسُ بهم؟ فقال: بلى، هاهنا فِتيةٌ مُتفرِّقون في رؤوسِ الجبال. قلتُ: فما طعامُهم في هذا المكان؟ قال: أكلُهم الفِلَقُ من خُبزِ البَلُّوط، ولِباسهم الخِرَقُ من الثِّياب، قد يَئسوا من الدُّنيا ويئستِ الدُّنيا منهم، أعطَوُا المجهودَ من أنفسِهم، فلمَّا دَبِرَتِ[2] المَفاصلُ من الرُّكوعِ، وقرحتِ الجباهُ من السُّجودِ، وتغيَّرَتِ الألوانُ من السَّهرِ ضجُّوا إلى اللهِ بالاستغاثة[3].

رحمة اللهِ عليه.

* * *



وقال ذو النُّون: وُصِفَ لي رجلٌ بالمغرب، وذُكِرَ لي من حكمتِهِ وكلامِهِ ماحملَني على لِقائه، فرحلتُ إليه إلى المغرب، فأقمتُ على بابه أربعينَ صباحًا على أنْ يخرجَ من منزِله إلى المسجد، ويَقعُدَ. فكانَ يخرجُ وقتَ كلِّ صلاةٍ يُصلِّي ويرجعُ كالغَزالةِ[4] لايُكلِّمُ أحدًا. فقلتُ له يومًا: ياهذا، إنِّي مُقيمٌ هاهنا منذُ أربعين صباحًا لاأراكَ تُكلِّمُني. فقال: ياهذا، لِساني سَبُعٌ إنْ أنا أطلقتُهُ أكَلَني. فقلتُ له: عِظْني ـ رحمك الله ـ بموعظةٍ

---

(١) في (ب): «قصدوك».

(٢) دبرت: جرحت، وتقرَّحت. معجم متن اللغة(دبر).

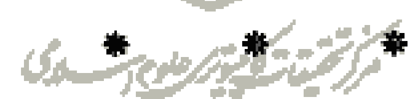
(٣) صفة الصفوة ٤/٣٣٧.

(٤) في صفة الصفوة: كالوالة، وليست اللفظة في (ب).

أحفظُها عنك. قال: وتفعَلُ؟ قلتُ: نعم إنْ شاء الله. قال: لاتُحبَّ الدُّنيا، وعُدَّ الفقرَ غِنًى، والبَلاءَ من اللهِ نعمةً، والمَنْعَ من الله عَطاءً، والوَحدَةَ مع اللهِ أُنسًا، والذُّلَّ عِزًّا، والطاعةَ حِرفةً، والتوكُّلَ مَعاشًا، واللهَ تعالى لكلِّ شديدةٍ عُدَّةً.

ثم مكثَ بعدَ ذلك شَهرًا لايُكلِّمُني. فقلتُ: رحمَكَ الله، إنِّي أُريدُ الرُّجوعَ إلى بَلدي، فإنْ رأيتَ أن تَزيدَني في الموعظةِ. فقال: اعلمْ أنَّ الزَّاهدَ في الدُّنيا قوتُهُ ماوجَدَ، ومَسْكَنُهُ حيثُ أدركَ، ولباسُهُ ماسترَ، والخَلْوةُ مجلسُه، والقرآنُ حديثُه، واللهُ الجبَّارُ العزيزُ أنيسُه، والذِّكرُ رفيقُه، والصَّمتُ جُنَّتُهُ[1]، والخوفُ سَجيَّتُه، والشَّوقُ مَطيَّتُه، والنَّصيحةُ نَهْمَتُه، والصَّبرُ وِسادُه، والصِّدِّيقونَ إخوانُه، والحِكمةُ كلامُه، والعقلُ دليلُه، والجُوعُ أُدْمُه، والبكاءُ دَأْبُه، واللهُ عُدَّتُه. قلت: بما تتبيَّنُ الزِّيادةَ من النُّقصان؟ قال: عند المُحاسبةِ للنُّفوس[2].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه، آمين ياربَّ العالمين.



***

الغزو

قال عبدُ اللهِ بن قيس، أبو أُميَّةَ الغِفاريّ: كُنَّا في غَزاةٍ لنا، فحضَرَ عدوُّهم، فصِيحَ في الناس، فهم يثوبون إلى مَصافِّهم إذا رجلٌ أمامي، رأسُ فرسي عند عَجُزِ فرسِهِ، وهو يُخاطبُ نفسَهُ ويقول: أيْ نفس، ألمْ أشهدْ مَشهدَ كذا وكذا؟ فقلتِ لي: أهلُكَ وعِيالُك؟ فأطعتُكِ ورجعت[3]؟ فواللهِ

---

(١) الجُنَّة: الوقاية، والسترة. معجم متن اللغة (ستر).

(٢) صفة الصفوة ٣٣٨/٤.

(٣) في صفة الصفوة ٤٢١/٤ تكرار لمخاطبته نفسه: «ألم أشهد مشهد كذا وكذا =

لأعرضَنَّكِ اليومَ على الله أخذَكِ أو تركَكِ.

فقلتُ: لأرمُقَنَّه اليوم. فرمَقْتُهُ فحمَلَ الناسُ على عدوِّهم، فكان في أوائلِهم، ثم إنَّ العدوَّ حمَلَ على الناسِ فانكشفوا، فكان في حُماتِهم، ثم إنَّ الناسَ حملوا فكانَ في أوائلِهم، ثم حمَلَ العدوُّ وانكشفَ الناسُ فكان في حُماتِهم. قال: فواللهِ مازالَ ذلك دَأْبُهُ حتى رأيتُهُ صَريعًا، فعددتُ به وبدابَّتِهِ ستين أو أكثرَ من ستين طعنة[1].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

وقال الأعمش[2]: خرجنا في غَزاةٍ لنا في ليلةٍ مَخُوفةٍ، فإذا رجلٌ نائمٌ، فأيقظناهُ، فقلنا له: تنامُ في مثلِ هذا المكان؟ فرفعَ رأسَه، فقال: إنِّي لأستحي من ذي العرشِ أنْ يعلمَ أنِّي أخافُ شيئًا[3] دونه. ثم ضربَ برأسِهِ فنام[4].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

وقال أبو غالب: صَحِبنا شيخٌ في بعضِ المغازي فكانَ يُحيي الليلَ حيثُ كان على ظهرِ دابَّتِهِ أو على الأرض، وكان إذا نظرَ إلى الفجرِ قد

= فقلت: أهلك وعيالك فأطعتك ورجعت».

(١) صفة الصفوة ٤/٤٢١.

(٢) في صفة الصفوة ٤/٤٢١: «شقيق».

(٣) في (ب): «من شيء».

(٤) صفة الصفوة ٤/٤٢١.

سَطَعَ ضَوؤه نادى: ياإخوتاه، عند بلوغِ الماءِ يَفرحُ الوارِدون بتعجيلِ الرَّواح، هنالك تنقطِعُ كلُّ هِمَّةٍ[1].

رحمة اللهِ عليه.

* * *

وقال مَيسرةُ الخادم: غَزَونا في بعضِ الغَزَوات فصافَّنا[2] العدوّ، فإذا بفتًى إلى جانبي مُقنَّعٍ في الحديد، فحمَلَ على الميمنةِ حتى ثناها، وحمَلَ على الميسرةِ حتى ثناها، وحملَ على القلبِ حتى ثناهُ، ثم أنشأيقولُ:

أحْسِـنْ بمـولاكَ سعيـدُ ظَنَّـا ... هـذا الـذي كنـتَ لـه تَمَنَّـى

تنـحَّ يـاحُـورَ الجِنـانِ عَنَّـا ... مـالَـكِ قـاتلنـا ولا قُتلنـا

لكـنْ إلـى سيِّـدِنـا اشتقنـا ... قـد عَلِـمَ السِّـرَّ ومـا أعْلَنَّـا

قال: فحمَلَ فقاتلَ، فقتَلَ منهم عددًا، ثم رجعَ إلى مَصافِّه، فتكالَبَ عليه العدوّ، فإذا به قد حَمَلَ على الناس، وأنشأَ يقول:

يالُعْبَةَ الخُلدِ قِفي ثمَّ اسمَعي ... مـالـكِ قـاتلنـا فكُفّـي وارْبَعـي

ثم ارجعي إلى الجِنان فأسْرِعي ... لاتطمَعـي لاتَطْمَعـي لاتطمَعـي

قال: فحمل فقاتلَ حتى قُتل[3].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه آمين.

* * *

---

(1) صفة الصفوة ٤/ ٤٢٢.

(2) في حلية الأولياء ١٠/ ١٦٥، وصفة الصفوة ٤/ ٤٢٢: «فصادفنا».

(3) حلية الأولياء ١٠/ ١٦٥، صفة الصفوة ٤/ ٤٢٢، الطبقات الصغرى للمناوي ٣٢٧.

الفَلَوات

قال سعيد بن أبي عَروبة: حجَّ الحجَّاجُ، فنزلَ بعضَ المياهِ بين مكَّةَ والمدينة، ودعا بالغداءِ، فقال لحاجبه: انظرْ من يتغدَّى معي، وأسأله عن بعضِ الأمر. فنظرَ نحو الجبل فإذا هو بأعرابيٍّ بين شَمْلتَيْنِ من شعَرٍ، نائمٍ، فضربَه برجلِه، وقال له: إيتِ الأميرَ. فأتاهُ، فقال له الحجَّاجُ: اغسِلْ يديكَ وتغدَّ معي. فقال: إنَّه دعاني من هو خيرٌ منك فأجبتُه. قال: ومَنْ هو؟ قال: الله تبارك وتعالى دَعاني إلى الصَّومِ فصُمتُ. قال: في هذا الحرِّ الشديد؟! قال: نعم، صُمتُ ليومٍ هو أشدُّ حَرًّا من هذا اليوم. قال: فأفطِرْ وصُمْ غدًا. قال: إنْ ضَمِنتَ لي البقاءَ إلى غدٍ أفطرتُ. قال: ليس ذاكَ إليَّ، قال: فكيفَ تسألُني عاجلاً بآجلٍ لاتَقْدِرُ عليه؟ قال: إنَّه طعامٌ طَيِّبٌ. قال: لم تطيِّبْه أنتَ ولا الطَّباخ إنَّما طيَّبَتْهُ العافية[1].

رحمة اللهِ عليه.

* * *

وقال ذو النُّون: خرجتُ في سفرٍ، فبينا أنا أسيرُ في بَرِّيَّةٍ، وقد اعتكرَ الليل، وتغشَّتْ ظُلمةُ الأُفُقِ، وسكنتْ حركاتُ البَشر إذا أنا بشخصٍ مارٍّ بين يدي فلحقتُه، فإذا رجلٌ كَهلٌ حَسَنُ الوجهِ، طيِّبُ الرِّيح، فصيحُ اللِّسان، عَذْبُ الكلام، عليه بِزَّةٌ حسَنةٌ، فسلَّمتُ عليه، فردَّ عليَّ السلامَ، فقلتُ: ياشيخ، ماالذي دَعاكَ إلى الوحدةِ والانفرادِ في هذا المكانِ القليلِ الأُلَّافِ، البعيدِ من الناس؟ فقال: طلَبُ الظَّفر بمنْ يَمْلكُ رزقَ البشر، وهو على كلِّ

---

(١) صفة الصفوة ٣٧٧/٤، روض الرياحين ٢٨٥ (الحكاية ٢٢٢).

شيءٍ قدير[١]. قلتُ: فعلى ماأنتَ مُقيمٌ يومك هذا؟ فقال: قد كادَتْ عيني تَرى أعلامَ المُستأنسين[٢]. فقلتُ له: ماالذي قطَعَ بك عن الوصولِ إلى ماهناك؟ فقال: ياذا النون، هاأناذا دائمُ القلَقِ، أضرَعُ إليه في الرَّاحة، وأسألُه بلوغَ الأُمنيّة، وهو العليمُ بما يُصلِحُ به النُّفوس. قلتُ: أفتجدُ على قلبِكَ من الخَلوةِ شدَّةً؟ فقال: ماأظنُّ أحدًا عرفَ ربَّهُ يحتاجُ مع أُنسِه إلى رؤيةِ الأهلين، ولا من انقطَعَ إليه يَكِلُه إلى أحدٍ من المَخلوقين. قلت: هل من وصيّةٍ وعِظَة[٣]؟ فقال: نعم. قلتُ: وماهي، رحمَك الله؟ فقال: مُبادرتُكَ إليهِ إذا دعاك، وتركُكَ التخلُّفَ عنه إذا ناداك، ودوامُ الإقبالِ عليه بِخَلْعِ الرَّاحةِ من نفسك، وحذفُ كلِّ ما دعاكَ إلى مايُبعِدُكَ منه، ويَحُولُ بينكَ وبين الظَّفَرِ بالمُراد، حتى لايفقدَكَ من عنده نفعُك، ولايجدَكَ عندَ مَضارِّك. قلت: زِدْني. قال: إيّاكَ أن تتركَ حالةً لحالةٍ حتى يُنفذَ ما أنتَ عليه من مُرادِك، فإنَّ للعدوِّ هاهنا مجالاً. قلتُ: زِدْني. قال: نعم، تملَّقْهُ، فإنَّ لتملُّقِهِ غدًا فرحةً تستوعِبُ جميعَ الأحزان، وتظفرُ بدارِ الكرامةِ والأمان. قلتُ: زِدْني. قال حسبُكَ ياذا النُّون، إنْ عملتَ بما أخبرتُك. ومضى رحمة اللهِ عليه.

* * *

وقال ذو النُّون: بينا أنا أسيرُ في بعضِ سياحتي إذا بصوتٍ حزينٍ كئيبٍ مُوجَعِ القلب. أسمعُ الصَّوتَ ولاأرى الشَّخصَ، وهو يقول: سبحانَ مُفني الدُّهور، سبحانَ مُخرِّبِ الدُّنيا، سبحانَ مميتِ القلوب، سبحانَ باعثِ من في القبور. فاتَّبعتُ الصوتَ فإذا أنا بنَقْبٍ، وإذا الصوتُ خارجٌ من النَّقب،

---

(١) في (أ): «مقتدر».

(٢) في (ب): «كادت نفسي ترى أعلامَ المشتاقين المستأنسين».

(٣) في (ب): «وموعظة».

وهو يقول: سبحان من لايَسَعُ الخَلْقَ إلاَّ سترُه، سبحانك ماألطَفَك بمن خالفَك! وماأوفاكَ بعهدِكَ! سبحانك ماأحْلَمَك عمَّنْ عصاكَ وخالفَ أمرَك! سيِّدي بحلْمِك نطقتُ، وبفضلِكَ تكلَّمْتُ، وماأنا والكلامُ بين يديك بما لايستأهلُ قدري، فياإلَهَ مَنْ مضى قبلي، وياإلَهَ من يكونُ بعدي، بالصالحين فألْحِقْني، ولأعمالِهم فوفِّقْني. ثم قال: أين الزُّهَّادُ والعُبَّاد؟ أين الذين شدُّوا مَطاياهم إلى مَنازِلَ معروفة، وأعمالٍ موصوفة، نزلَ بهم الزَّمانُ فأبلاهم، وحلَّ بهم البلاءُ[1] فأفناهم، فهل أنتظرُ إلاَّ مثلَ الذي نزلَ بهم؟ ثم أقبلَ على ماكان فيه.

فقلت: رجلٌ قد عزفَتْ نفسُه عن كلامِ الناس. فانصرفتُ وتركتُه باكيًا.

* * *

وقال سعيدُ بن سالم: نزلَ رَوْحُ بنُ زِنْباع[2] منزِلاً بين مكةَ والمدينةِ في حرٍّ شديدٍ فانقضَّ عليه راعٍ من جبلٍ، فقال: ياراعي، هلمَّ إلى الغداء. فقال: إنّي صائم[3]. فقال: وإنَّكَ لتصومُ في هذا الحر الشديد؟! قال: أفأدَعُ أيّامي تذهبُ باطلاً[4]؟ قال رَوح: لقد ضَنَنْتَ بأيّامِكَ ياراعي، إذْ جادَ به روحُ بن زِنباع[5].

* * *

(١) في (ب): «حل بهم الفناء».
(٢) روح بن زنباع: أمير فلسطين وسيد اليمانيةِ في الشام، وقائدُها وخطيبُها وشجاعُها؛ قيل: له صحبة، كان عبد الملك بن مروان يقول: جمع روحٌ طاعةَ أهل الشام، ودهاءَ أهل العراق، وفقهَ أهل الحجاز، له أخبارٌ مع عبد الملك وغيره. الأعلام ٣/ ٣٤.
(٣) في (ب): «الصائم».
(٤) في (ب): «يابطال».
(٥) صفة الصفوة ٤/ ٣٧٨.

وقال عبد اللهِ بن عُبيد بن عُمير: خرجْنا مع أبي فكنَّا في أرضٍ فلاةٍ، فرُفعَ لنا سَوادٌ فظنَنَّاه شجرةً، فلمَّا دَنَوْنا إذا رجلٌ قائمٌ يُصلِّي، فانتظرناهُ لينصرفَ فيرشِدُنا إلى القريةِ التي نُريد، فلمَّا لم ينصرفْ، قال له أبي: إنَّا نُريدُ قريةَ كذا وكذا، فأوْمِ لنا قِبَلَها بيدك. قال: ففعل. قال: فإذا له حَوْضٌ مُحوَّضٌ يابسٌ ليس فيه ماء، وإذا قِربةٌ يابسةٌ. فقال له أبي: إنَّا نراكَ بأرض فلاةٍ، وليس عندك ماءٌ، أفنجْعَلُ في قِرْبتِكَ من هذا الماءِ الذي عندنا؟ فأومأَ أنْ لا. فلم نبرَحْ حتى جاءتْ سحابةٌ فمطرتْ، فامتلأَ حوضُه ذلك.

فلمَّا أن دخلنا القريةَ ذكرناهُ لهم، فقالوا: نعم، ذاك فلانٌ لايكونُ في موضعٍ إلاَّ سُقي.

قال: فقال أبي: كم من عبدٍ صالحٍ لانعرِفُه[1].

* * *

وقال بهيمُ العِجْلي: ركبَ معنا شابٌّ من بني مُرَّةَ من أهلِ البَدْوِ والبحر[2] فجعلَ يبكي الليلَ والنهار، فعاتَبَهُ أهلُ المركبِ على ذلك، وقالوا: ارفُقْ بنفسِك قليلاً. فقال: إنَّ أقلَّ ماينبغي أن يكونَ لنفسي عندي أن أبكيها، وأبكي عليها أيَّامَ الدُّنيا؛ لعلمي بما يمرُّ عليها غدًا. قال: فما بقي في المركبِ أحدٌ إلاَّ بكى[3].

* * *

وقال مِسكينُ بن دينار: كان في تَيْمِ اللهِ شيخٌ مُتعبِّدٌ يجتمعُ إليه فتيانُ الحيِّ ونُسَّاكُهم، فيذكِّرُهم، فإذا أرادوا أن يتفرَّقوا، قال: ياإخوتاه، قوموا قِيامَ قومٍ قد يئسوا من المعاودةِ لمجلسِهم خوفًا[4] من خَطَفاتِ الموكَّلِ

---

(١) في (ب): «عبد للهِ صالح»، والخبر في صفة الصفوة ٤/ ٣٧٨.
(٢) في (ب): «من أهل البر والبحر».
(٣) صفة الصفوة ٤/ ٣٨١.
(٤) في (ب): «لمجلسهم هذا خوفًا».

بالنُّفوس. قال: فيبكي واللهِ ويُبكي[1].

* * *

وقال ابنُ قُرَيب الأصمَعِيُّ: كنتُ بالباديةِ أُعلِّمُ القرآنَ، فإذا أنا بأعرابيٍّ بيدِه سيفٌ يَقطَعُ الطريق، فلما دنا منِّي ليأخذَ ثيابي قال لي: ياحَضَريّ، ماأدخلكَ البَدْوَ؟ قلتُ: أُعلِّمُ القرآن. قال: ومالقرآن؟ قلتُ: كلامُ الله. قال: وللهِ كلام؟ قلت: نعم. قال: فأنشِدْني منه بيتاً. فقلت: ﴿وفي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وما تُوعَدُونَ﴾[الذاريات: ٢٢]. قال: فرَمَى بالسَّيفِ من يده وقال: أستغفِرُ الله، رزقي في السماءِ وأنا أطلبُهُ في الأرض. ثم لقِيتُه بعدَ سنةٍ في الطَّواف، فقال: ألستُ صاحبَكَ بالأمس؟ قلتُ: بلى. قال: فأنشِدْني بيتًا آخر. فقلت: ﴿فَوَرَبِّ السماءِ والأرضِ إنَّهُ لَحَقٌّ مثلَ ما أنَّكُمْ تَنطِقُون﴾[الذاريات: ٢٣]. قال: فوقفَ وبكى، وجعلَ يقولُ: ومن أَلْجَأَهُ إلى اليمين؟ فلم يزلْ يُرَدِّدُها حتى سقطَ ميتاً[2].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

وقال الأصمعيّ: قال أعرابيٌّ: إنِّي لبِمَضَلَّةٍ[3] من الأرض، إذْ بَصُرْتُ بأعرابيٍّ قد افترسَ الأسدُ ابنَهُ، ونفَرَ بعيرُهُ فدقَّ فخِذَهُ، وذلك بعدَ أنْ نازَلَ الأسدَ فجدَّلَهُ، فسمعتُهُ وهو يقولُ: للهِ درُّكِ من مُصيبةٍ جلَّتْ فلطفَتْ، وكبُرَتْ فصغُرَتْ! لئن كنتِ أحللْتِ قلبي ترَحًا لقد أورثتِني فرَحًا، وكيف لاتكوننَّ كذلك وقد رُوي أنَّكِ غنًى عظيم[4]، قد أورثتِني صبرًا جميلاً

---

(١) صفة الصفوة ٤/ ٣٨١.

(٢) صفة الصفوة ٤/ ٣٨١، ٣٨٢.

(٣) المضلَّة: مَتِيَهَةٌ يضلُّ فيها الطريق. معجم متن اللغة (ضلل).

(٤) كذا في الأصل، وفي صفة الصفوة ٤/ ٣٨٢: «وقد رُوي بك عني عظيم».

جسيمًا؟ فقلتُ: باللهِ ياأعرابيّ، مارأيتُ أربطَ منك جَأْشًا، ولاأصعبَ منك مِراسًا! فقال: ياهذا، إنَّ الصَّبرَ والجزَعَ ضِدَّانِ؛ أحدُهما بَصِيرةٌ بنجدةٍ، والآخرُ تهوُّرٌ بغِرَّةٍ، وليس بحزمٍ تتبُّعُ مافاتَ مطلبُه، وعزُبَتْ[1] أَوْبَتُه، ثم أنشأَ يقول:

وكذا أشتهي لحادثِ رَيْبِ الدَّهْرِ إذْ كانَ أنْ يَكونَ عَظيما[2]

* * *

وقال عبد الرحمن بن أبي نوح: ذُكِرَ لي عن رجلٍ من العرب فيه فهمٌ وخيرةٌ، فقصدتُ له في بعضِ البوادي حتى أصبتُهُ يَسنو[3] على بعيرٍ له، فقلتُ له: قلْ لي كلامًا أحفظُه عنك رحمَكَ الله. قال: انْطلِقْ لشأنِكَ، فإنَّ الفعلَ أولى بكَ من القول. فقلتُ: رحمَكَ الله، إنَّ دليلَ العملِ القولُ، ومِفتاحَه المعرِفة.

فأُعجِبَ بقولي، ثم أقبَلَ عليَّ فقال: ياأخي، إنَّ الشَّفقةَ لم تزَلْ بالمؤمنِ حتى أَوْفَدَتْهُ على خيرِ حالٍ، وإنَّ الغفلةَ لم تزلْ بالفاجرِ حتى أسلمَتْهُ إلى شرِّ حال، وماخيرُ عمرِ امرئٍ لايَدري ماعاقبةُ عمره؟ وماخيرُ عيشٍ لايَكملُ ماخفضَ منه؟ وإنْ كانتِ الرَّغبةُ في الدُّنيا هي المُسْتوليةُ على قلوبِنا كما استولَتْ على أبدانِنا لقد خِبْنا غدًا في القيامةِ وخسِرْنا[4].

* * *

وقال يحيى بن معاذ: كنتُ في سياحتي، فبينا أنا في بعضِ الفَلَواتِ إذْ لاحَ كوخٌ من قَصَبٍ، فقصدتُ نحوه، فإذا أنا بشيخٍ مُبتَلًى، قد أكلَ الدُّودُ

---

(١) عزُبَتْ: بعُدَتْ. معجم متن اللغة(عزب).

(٢) صفة الصفوة ٤/ ٣٨٢.

(٣) يسنو: يسقي. اللسان (سنو). وفي (ب): «يسير».

(٤) صفة الصفوة ٤/ ٣٨٢.

لحمَه، فوقعَ له في قلبي رحمةٌ، فقلتُ له: ياشيخ، أتحِبُ أنْ أسألَ اللهَ أنْ يُبرِئَكَ؟ قال: فرفعَ رأسَهُ، فإذا هو أعمى، فنظرَ إليَّ، وقال: يايحيى بن معاذِ الرَّازِيّ، وإنَّ لكَ عندَه هذه الدَّالَّة؟ فِلَمَ لاتسألُهُ أنْ يبغِّضَ إليكَ شهوةَ الرُّمَّان؟ قال يحيى: وكنتُ اعتقدتُ مع اللهِ تركَ الشَّهواتِ ماخلا الرُّمَّان، فلم أقْدِرْ على تركه لحُبِّي له. ثم نظرَ إليَّ، وقال لي: يايحيى بن معاذ، احذَرْ أن تتعرَّضَ لأولياءِ اللهِ فتفتضِحَ عندَهم[1].

رحمة اللهِ عليه.

* * *

وقال إبراهيم بن شَيبان: بقيَ إبراهيم[2] في الباديةِ[3] ماأكلَ ولاشربَ ولااشتهى شيئًا، فقال: فعارضتْني نفسي أنَّ لي عند اللهِ رتبةً، فلم أشعُرْ أنْ كلَّمَني رجلٌ عن يميني، فقال: ياإبراهيم، تُرائي اللهَ في سرِّك؟ فنظرتُ إليه، فقلت: قد كانَ ذلك. قال: الحمدُ للهِ، كم لي هاهنا لم آكلْ ولم أشربْ، ولم أشتهِ شيئًا، وأنا زَمِنٌ مَطروحٌ؟ قلتُ له: كم؟ قال: ثمانين يومًا، وأنا أستحي من اللهِ أنْ يقَعَ لي خاطِرُكَ، ولو أقسمتُ على اللهِ أنْ يجعلَ هذا الشجرَ ذهبًا لجعلَهُ.

قال: فكانتْ بركةُ رؤيتِهِ تنبيهًا لي، ورجوعًا إلى حالتي الأولى[4].

رحمة اللهِ عليهما.

* * *

---

(١) صفة الصفوة ٤/ ٣٨٣.

(٢) يعني نفسَه إبراهيم بن شيبان.

(٣) في صفة الصفوة ٤/ ٣٨٤: «بقي إبراهيم سنةً في البادية». وهذه الزيادةُ لاتتفقُ والخبر.

(٤) صفة الصفوة ٤/ ٣٨٤.

وقال الجُنيد بن محمد: دخلتُ الباديةَ بعقدِ التوكُّلِ في وسطِ السَّنةِ، فمضتْ عليَّ أيامٌ، فانتهيتُ إلى مجمعِ ماءٍ وخُضْرةٍ، فتوضَّأتُ، وملأتُ ركوتي، وقمتُ أركعُ، فإذا شابٌّ أقبلَ بِزِيِّ التجّار، كأنّه قد غدا من بيته إلى سُوقه، أو يرجعُ من سُوقه إلى بيته، فسلَّمَ عليَّ، فقلت: الشابُّ من أين؟ فقال: من بغداد. فقلت: مَتى خرجتَ من بغداد؟ قال: أمس. فتعجَّبْتُ منه، وكنتُ مضتْ عليَّ أيامٌ حتى بلغتُ إلى الموضع، فجلس يُكلِّمُني وأكلِّمُه، فأخرج شيئًا من كُمِّهِ يأكلُه، فقلتُ له: أطعِمْني ممَّا تأكلُ. فوضعَ في يدي حَنظلةً، فأكلتُهُ فوجدتُ طعمَهُ كالرُّطَب، ومضى وتركَني. فلمَّا دخلتُ مكةَ بدأتُ بالطَّواف، فجُذِبَ ثوبي من ورائي، فالتفتُّ فإذا الشَّابُّ كالشَّنِّ البالي، عليه قطعةُ عباءٍ على عاتقِه بعضُه. فقلتُ له: زِدْني في المعرفة. فقال: أنا الشَّابُّ الذي سَقيتني الماءَ، وأطعمتُكَ الحَنْظَلَ. فقلتُ له: ماشأنُكَ؟ فقال: ياأبا القاسم، داوَوْنا، حتى إذا أوْجَعونا قالوا: استمسِكْ.

رحمة اللهِ عليهما ورضوانه.

* * *

وقال أبو عبد الرحمن المَغَازِليُّ: دخلتُ على رجلٍ مُبتلًى بالحجاز، فقلتُ له: كيف تجدُكَ؟ قال: أجدُ عافيتَهُ أكثرَ ممَّا ابتلاني به، وأجِدُ نِعَمَهُ عليَّ أكثرَ من أن أُحصيَها. قلتُ: أتجدُ لما أنتَ فيه ألمًا شديدًا؟ فبكى ثم قال: سلَّى نفسي ألم مابي ماوعدَ عليه سيِّدي أهلَ الصَّبرِ من كمالِ الأجور في شدَّةِ يومٍ عسير. قال: ثم غُشيَ عليه، فمكثَ مَليًا ثم أفاقَ فقال: إنّي لأحسِبُ أنَّ لأهلِ الصبرِ غدًا في القيامةِ مَقامًا شريفًا لايتقدَّمُهُ من ثوابِ الأعمالِ شيءٌ إلاّ ماكان من الرِّضا عن اللهِ تعالى(١).

---

(١) في (ب): «منه».

رحمة اللهِ عليه ورضوانه[١].

* * *

وقال جعفرُ الخُلْدِيُّ: خرجتُ سنةً من السِّنين إلى الباديةِ، فبقِيتُ أربعةً وعشرين يومًا لم أطعَمْ فيها طعامًا، فلما كانَ بعدَ ذلك رأيتُ كوخًا وفيه غلامٌ، فقصدتُ الكُوخَ، فرأيتُ الغلامَ قائمًا يُصلِّي، فقلتُ في نفسي: بالعَشيِّ يجيءُ إلى هذا طعامٌ فآكلُ معه.

فبقِيتُ تلكَ الليلةَ والغدَ وبعدَ غدٍ ثلاثةَ أيَّامٍ لم يجئْهُ أحدٌ بطعامٍ، ولارأيتُ أحدًا. فقلتُ: هذا شيطانٌ، ليس هذا من الناس، فتركتُهُ وانصرفتُ. فلمَّا كان بعدَ أشهرٍ أنا قاعدٌ في منزِلي إذا داقٌّ يَدقُّ البابَ، فقلتُ: من هذا؟ ادخلْ. فدخلَ الغلامُ، وقال لي: ياجعفر، أنتَ كما سُمِّيْتَ جاع فر[٢].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

القدس الشريف

قال بشرُ بنُ بشَّار المُجَاشِعيُّ، وكان من العابدين: لقِيتُ عُبَّادًا ثلاثةً ببيتِ المقدِس، فقلتُ لأحدهم: أوصِني. قال: ألقِ نفسَكَ مع القَدَرِ حيثُ

(١) صفة الصفوة ٤/ ٣٨٤.

(٢) صفة الصفوة ٤/ ٣٨٤، ٣٨٥. وجاء في (أ) عقِبَ هذه الحكايةِ مانصُّه: «ذكرَ هذه الحكايةَ في حرفِ الجيم قد حكاه الشيخُ جعفر الخُلْديُّ ممّا وقعَ له بعينه، غيرَ أنّه قال بعدَ قوله: فتركتُهُ وانصرفت، فلمّا كان بعد وقتٍ أنا قاعدٌ في منزلي أميِّزُ شيئًا من الكتبِ إذا بداقٍّ يَدُقُّ الباب.. الخ. وكثيرًا ماكرَّرَ الحكاياتِ، ولعلَّ ذلك نسيانٌ أو فيه فوائدُ لما نعلمه» وهذه الزيادةُ من ناسخ(أ).

ألقاك، فهو أحرى أن يُفرغَ قلبَك ويُقِلَّ همَّك، وإيّاكَ أن تَسخَطَ ذلك فيحلَّ عليكَ السَّخَطُ وأنت عنه في غفلةٍ لاتشعُرُ به.

فقلتُ للآخر: أوصِني. قال: ماأنت[1] بمستوصٍ فأُوصيك. قلت: نعم، فعسى الله[2] أن ينفعَ بوصيَّتِكَ. قال: أمَا إذا أبيتَ إلاَّ الوصيَّةَ فاحفظْ عنِّي: التمسْ رضوانَهُ في تركِ مَناهيه، فهو أوصلُ لك إلى الزُّلْفَى[3] لديه.

قال: فقلتُ للآخر: أوصِني. فبكى واستحرَّ سَفْحًا للدُّموع، ثم قال: أيْ أخي، لاتبتغِ في أمرِكَ[4] تدبيرًا غيرَ تَدبيره فتَهلِكَ فيمن هَلَكَ وتَضِلَّ فيمن ضَلَّ[5].

* * *

وقال أحمدُ بنُ محمد الصُّوفي: قال لي أُستاذي أبو عبد اللهِ بن أبي شَيْبَةَ: كنتُ ببيتِ المقدسِ، وكنتُ أحبُّ أنْ أبيتَ في المسجدِ، وماكنتُ أتركُ ذلك، فلمَّا كانَ في بعضِ الأيَّامِ بصُرتُ في الرُّوَاقِ بحُصرٍ قائمةٍ، فلمّا أنْ صلَّيتُ العَتَمَةَ وراءَ الإمامِ أتيتُ الحُصرَ، فاختبأْتُ وراءَها، وانصرفَ الناسُ والقوَّامُ، ثم خرجتُ إلى الصَّحنِ، فلمَّا سمعتُ غَلْقَ الأبوابِ وقعتْ عَيني على المِحرابِ، فنظرتُ إليه وقد انشقَّ[6] ودخلَ منه رجلٌ، وثانٍ، وثالثٌ إلى أنْ تَمَّ سبعةٌ واصطفَّ القومُ وزالَ عقلي، فلم أزلْ واقفًا في مَوضعي، شاخِصًا، زائلَ العقلِ إلى أنِ انفجرَ الصُّبح، فخرج القومُ من

---

(١) في (أ): «ماأنا».
(٢) في (أ): «قلت: على ذاك، عسى الله».
(٣) الزُّلْفَى: القربةُ والمنزلةُ. القاموس المحيط (زلف).
(٤) في (ب): «لاتتبع في الأمور».
(٥) صفة الصفوة ٤/٢٤٦.
(٦) في (ب): «فوجدته وقد انشقَّ».

الطَّريقِ الذي دخلوا[1].

رحمة اللهِ عليهم ورضوانه.

* * *

وقال كلابُ بن جُرَي: رأيتُ شابًا ببيتِ المقدِس، قد عَمِشَ من طُولِ البُكاء، فقلتُ له: يافتى، كم تكونُ العينُ سليمةً على هذا البكاء؟ قال: فبكى، ثم قال: كم شاءَ ربِّي فلتكنْ، وإذا شاءَ سيِّدي فلتذهبْ، فليستْ أكرَمَ عليَّ من ربِّي[2]، إنَّما أبكي رجاءَ السُّرورِ والفرحِ في الآخرةِ، وإنْ تكنِ الأُخرى فهو واللهِ شقاءُ الدَّهر، وحزنُ الأبد، والأمرُ الذي كنتُ أخافُه وأحذَرُهُ على نفسي، وإنِّي أحتسِبُ على اللهِ غَفلتي عن نفسي وتقصيري عن حظِّي، ثم غُشيَ عليه[3].

رحمة اللهِ عليه.

* * *

وقال عبَّادُ بن عبَّاد أبو عُتبةَ الخوَّاص: رأيتُ شيخًا في مسجدِ بيتِ المقدِس، كأنَّه قد احترَقَ بالنَّار، عليه مِدرَعةُ شعرٍ سوداء، وعِمامةٌ سوداء. طويلَ الصَّمتِ، كريهَ المنظرِ، كثيرَ الشعر، شديدَ الكآبة، فقلت له: رحمَكَ الله، لو غيَّرْتَ لباسَكَ هذا، فقد علمتَ مافي البَياضِ[4]. فبكى، ثم قال:

---

(١) صفة الصفوة ٤/٢٤٦، ٢٤٧.

(٢) في صفة الصفوة ٤/٢٤٧: «أكرم عليَّ من بدني».

(٣) صفة الصفوة ٤/٢٤٧.

(٤) إشارةٌ إلى حديثِ المصطفى ﷺ: «البَسُوا البياض؛ فإنَّها أطهرُ وأطيب، وكفِّنوا فيها موتاكم» رواهُ الترمذي ٥/١١٧ (٢٨١٠) في الأدب، باب ماجاءَ في لبس البياض. وقال: حديثٌ حسن صحيح.

هذا أشبَهُ بِلِباسِ أهلِ المُصيبة، وإنَّما أنا وأنتَ في حِدادٍ، وكأنِّي بي وبكَ قد دُعينا. قال: فماتمَّ كلامَهُ حتى غُشِيَ عليه[1].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

وقال عثمانُ بنُ وكيع العبدي: جاءَ رجلٌ إلى بيت المقدِس، فمدَّ كِساءَهُ في ناحيةِ المسجدِ، فكانَ فيه الليل والنهار طُعَيمة في ذاكَ[2] الكِساءِ الذي قد مدَّه، قال: فيثبتُ[3] ليلَهُ أجمع يُصلِّي، فإذا طلعَ الفجرُ مدَّ بصوتٍ له: عند الصَّباح يغبِطُ القومُ السُّرى[4].

قال: وكان يُقال له: ألا تَرفُقُ بنفسِك؟! فيقول: إنَّما هي نفسي، أُبادِرُها أنْ تخرج[5].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

وقال الحسنُ بن علي: نظرتُ إلى رجلٍ في بيتِ المقدِس قد استفرغَهُ الولَهُ، فقلتُ له: ماالذي أثارَ منكَ ماأرى؟ قال: ذهبَ الزُّهَّادُ والعبَّادُ بصفوِ الإخلاص، وبقِيتُ في كَدَرِ الانتقاص، فهل من دليلٍ مُرشِدٍ، أو من حَكيمٍ مُوقظ؟[6].

رحمة اللهِ عليه.

* * *

---

(١) صفة الصفوة ٤/ ٢٤٧.

(٢) في (أ): «طعمه خلف ذاك».

(٣) في صفة الصفوة ٤/ ٢٤٨: «فيبيتُ».

(٤) كذا في الأصل، وفي مجمع الأمثال ٢/ ٣: عند الصَّبَاح يَحْمَدُ القومُ السُّرَى. أوَّلُ من قاله خالد بن الوليد. والسُّرَى: السَّيرُ ليلاً. وهو مثلٌ يُضرَبُ للرجلِ يحتمِلُ المشَقَّةَ رجاءَ الراحة.

(٥) صفة الصفوة ٤/ ٢٤٧، ٢٤٨.

(٦) صفة الصفوة ٤/ ٢٤٨، والخبر فيه عن ذي النُّون.

وقال أبو الجوَّال المغربيّ: كنتُ ببيتِ المَقدِسِ جالسًا مع رجلٍ صالحٍ، وإذا قد طلعَ علينا شابٌّ، والصِّبيانُ حولَهُ يَقذِفونَه[1] بالحجارةِ ويقولون: مجنون. فدخلَ المسجدَ وهو ينادي[2]: اللهمَّ أرِحْني من هذه الدَّار. فقلتُ له: هذا كلامُ حكيم، فمن أينَ لكَ هذه الحِكمة؟ فقال: من أخْلصَ في الخدْمةِ أورثَهُ طرائفَ الحكمة، وأيَّدَهُ بأسبابِ العِصْمة، وليس بي جنونٌ ووَلَق[3]، بل قَلَقٌ وفرَق، ثم جعلَ يقول:

هجرتُ الورَى في جَنْبِ من جادَ بالنِّعَمْ[4] وعِفتُ الكَرَى شَوْقًا إليهِ فلم أَنَمْ

ومَوَّهْتُ دَهري بالجُنونِ عن الورَى لأكتُمَ مابي من هواهُ فما انكتَمْ

فلمَّا رأيتُ الشَّوقَ والحبَّ بائحًا كشَفْتُ قِناعي ثم قلتُ: نعمْ نعمْ

فإنْ قيلَ مجنونٌ فقد جَنَّني الهوى وإنْ قِيلَ مِسقامٌ فما بيَ من سَقَمْ

وحقِّ الهوى والحُبِّ والعهدِ بيننا وحُرْمةِ روحِ الأُنسِ في حِنْدِسِ الظُّلَمْ[5]

لقد لامَني الواشونَ فيكَ جَهالةً فقلتُ لطَرْفي: أفصِحِ العُذْرَ فاحْتَشَمْ

فعاتبَهم طَرْفي بغيرِ تكلُّمٍ وأخبرَهم أنَّ الهوى يُورِثُ السَّقَمْ

فبالحِلْمِ ياذا المَنِّ لاتُبعِدَنَّني وقرِّبْ مَزاري منك يابارئَ النَّسَمْ

فقلتُ له: أحسنتَ، لقد غَلِطَ من سمَّاكَ مجنونًا، فنظرَ إليَّ وبكى، وقال: أوَلا تسألُني عن القومِ، كيف وصَلُوا فاتَّصَلوا؟ قلتُ: بلى، أخبرْني. فقال: طهَّروا له الأخلاقَ، ورَضُوا منه بيسيرِ الأرزاق، وهاموا من محبَّتِهِ في الآفاق، واتَّزَروا بالصِّدقِ، وارتدَوا بالإشفاق، وباعوا العاجلَ الفانيَ بالآجلِ الباقي، وركضوا في ميدانِ السُّبَّاق، وشمَّروا تشميرَ الجَهابذَةِ الحُذَّاقِ حتى

---

(١) في (ب): «يضربونه».

(٢) في (ب): «يقول».

(٣) الولق: شبه الجنون، وفي روض الرياحين: زلق، والزلق: العجز.

(٤) في (أ): «هجرتُ الورى في جنب من لاذَ». وفي صفة الصفوة: «في حُبِّ».

(٥) الحندِس: الليلُ المظلم. معجم متن اللغة(حندس).

اتَّصلوا بالواحدِ الرزَّاق، فشرَّدَهم في الشَّواهقِ، وغيَّبَهم عن الخلائق، لاتؤويهم دار، ولايُقِرُّهم قرار، فالنَّظَرُ إليهم اعتبار، ومحبَّتُهم افتخار، وهم صفوةُ الأبرار، ورُهبانُ أخيار، مَدَحَهم الجبَّارُ، ووصفَهم النبيُّ المختار: «إنْ حضَروا لم يُعرَفوا، وإنْ غَابُوا لم يُفقَدوا، وإنْ ماتوا لم يُشْهَدوا»[1].

ثم أنشأ يقول:

كنْ من جميعِ الخَلْقِ مُستوحِشًا ... من الورَى تَسْرِي إلى الحَقِّ

واصبِرْ فبالصَّبْرِ تنالُ المُنى ... وارضَ بما يَجْري من الرِّزْقِ

واحذَرْ من النُّطقِ وآفاتِهِ ... فآفةُ المؤمنِ في النُّطقِ

وجِدَّ في السَّيرِ مُمِرًّا كما ... شمَّرَ أهلُ السَّبْقِ للسَّبْقِ

أولئكَ الصَّفوةُ ممَّنْ سما ... وخِيرةُ اللهِ من الخَلْقِ

قال: فأُنسيتُ الدُّنيا عند حديثِه، ثم ولَّى هاربًا، وأنا متأسِّفٌ عليه[2].

رحمة اللهِ عليه.

* * *

وقال جعفر الخلدي: رأيتُ رجلاً مُلتفًّا في عَباءةٍ نَهارًا طويلاً، ثم ثارَ ووثَبَ، ورفعَ رأسَهُ إلى السماء، فقال: أيُّما أحبُّ إليك أنْ تُطعمَني مَضِيرةً[3] وفالوذَجًا[4] وإلاَّ كسرتُ قَناديلَك؟

---

(١) رواهُ ابن ماجه ١٣٢٠/٢ (٣٩٨٩) في الفتن: باب من ترجى له السلامةُ من الفتن، عن معاذِ بن جبل، وفي إسنادِه عبد اللهِ بن لَهيعة وهو ضعيف؛ وعيسى بن عبد الرحمن وهو متروك.

(٢) صفة الصفوة ٢٤٨/٤، وروض الرياحين ٩٩ (الحكاية رقم ٢٥).

(٣) المَضِيرة: مُريقة تطبخ باللبن المضير، وربما خلط بالحليب، أو هي أن يطبخ اللحمُ باللبن الصريح؛ وهي تشبه مايُسمَّى اليوم بالشاكرية. انظر معجم متن اللغة (مضر).

(٤) الفالوذ: حلواء تسوَّى من لُباب الحِنطة، معرَّب بالوزة، وتسمَّى فالوذق وفالوذج، وتعرَفُ اليوم باسمها الفارسي بالوزة. معجم متن اللغة (فلذ).

قال: ثم رجعَ ونام. فقلت: إنّا لله، إمّا أن يكونَ سوداويًا، أو وَليًا للهِ عزَّ وجلَّ مُدِلاً. فبينا أنا كذلك أُفكّرُ في أمرِه إذْ أقبلَ رجلٌ ومعه زِنْبيلٌ كبير، فجعلَ ينظرُ يمينَه ويسارَه حتى لمَحَهُ، فقعدَ عندَ رأسِه، ثم قال له: اقعُدْ. ثم أخرجَ من الزِّنبيلِ مَضِيرةً وفالوذَجًا حارًا. فقعدَ الفقيرُ يأكلُ حتى شبعَ، ثم قال له: ردَّ الباقي إلى صِبيانك. فقامَ الرجلُ من عنده، وذهب.

قال: فتبعتُهُ، فقلتُ له: سألتُك باللهِ عزَّ وجلَّ هل بينك وبين هذا الفقيرِ معرفةٌ؟ فقال: لا والله، ولارأيتُه إلاَّ في وقتي هذا. اشتهى عليَّ صبياني يومَ أمس مَضِيرةً وفالوذَجًا حارًا، وأنا رجلٌ حمَّالٌ، فقلتُ لهم: مايمكنُ اليومَ، فإنْ فتحَ الله تعالى بشيءٍ فعلتُ. فكسبتُ اليومَ دينارًا، فاشتريتُ به حوائجَ المَضيرةِ والفالوذَجِ وغلبتْني عينايَ، فنمتُ فهتَفَ بي هاتفٌ: قُمْ، فاحمِلْ هذه المَضيرةَ والفالوذَجَ إلى المسجدِ، فاجعلْهُ بين يدي الرجلِ الملفوفِ بالعباءة؛ فإنّا أصلَحناهُ له؛ فما بقِيَ منه فأطعِمْهُ لصبيانك. فانتبهتُ، وقد قرَّبوه لنأكلَ، فأخذتُه وجئتُ به إلى هذا النائمِ كما رأيتَ، فقلتُ له: قد وُفِّقْتَ إنْ شاءَ الله تعالى، وأنشدَ رضي الله عنه:

حَسْبي سُؤالي في الهوى أنْ تَعْلَما[1] ... أنْ ليسَ حقُّ مودَّتي أنْ أُظلَما
ثمَّ امْضِ في ظُلمي على عِلمي بهِ ... لامُقصِرًا عنه ولا مُتهجِّما
فوحقِّ ماأخذَ الهوى من مُهْجَتي ... فأذابَ من بَدَني عليكَ وأسْقَما
لجَفاكَ عن علمٍ بما أنا واجدٌ ... أحْظَى لديَّ من الرِّضا مُتَوهَّما

ثم أنشدَ رضي الله عنه:

شئتَ هجري فلا تَصِلْني فإنّي ... مُستلِذُ الذي يَسرُّكَ منّي
هاتِ ماشئتَ من جفاءٍ وصدٍّ ... واجتنابٍ وصَبْوةٍ وتجنِّي

---

(١) في (أ): «حسبي سواء في الهوى أن نعلما».

أنتَ عندي فإنْ تغيَّبْتَ عنِّي أجتني منكَ كلَّ طِيبٍ وحُسْنِ
فمتى شئتَ أنْ تراني قَتيلاً فدَعِ الهجرَ والصُّدودَ وصِلْني

* * *

الكوفة

قال أبو سعيد[1] البقَّال: رأيتُ رجلاً بالكوفةِ قدِ استعدَّ للموتِ مُنذُ ثلاثينَ سنةً. قال: مالي على أحدٍ شيءٌ، ولالأحدٍ عندي شيءٌ، ومأأُريدُ أن أُكلِّمَ أحدًا من الناسِ، ولايُكلِّمَني أحدٌ إلاَّ بذكرِ اللهِ تعالى. وكان يأوي الجبَّانَ والمقابر[2]

رحمة الله عليه.

* * *

وقال الشَّعبيُّ: جاءَ رجلانِ إلى شُريح، فقال أحدُهما: اشتريتُ من هذا دارًا، فوجدتُ فيها عشرةَ آلافِ درهم[3]، فقال: خُذْها. فقال له: إنَّما اشتريتُ الدارَ بما ليسَ فيها[4]. فقال للبائع: فخذْها أنت. فقال: لِمَ؟ قد بعتُهُ الدارَ بمافيها. فأدارَ الأمرَ بينهما فأبيا، فأتى زيادًا[5] فأخبرَهُ، فقال:

---

(١) في (أ): «سعد».
(٢) صفة الصفوة ٣/ ١٨٣.
(٣) في (ب): «دينار».
(٤) عبارة «بما ليس فيها» ليست في (أ).
(٥) هو زيادُ بن أبيه: أميرٌ من الدُّهاةِ القادةِ الفاتحين الولاة، من أهل الطائف، اختُلفَ في اسم أبيه فقيل عبيد الثقفي، وقيل أبو سفيان ولدَتْهُ سميَّةُ جاريةُ الحارثِ بن كلدة، وتبنَّاهُ عبيد الثقفي، أسلمَ في عهدِ أبي بكر، وكان كاتبًا للمغيرةِ بن شعبة، ولأبي موسى الأشعري، ولأَّهُ عليٌّ كرَّمَ اللهُ وجهه فارس، ولما تُوفِّي عليٌّ امتنع زيادٌ على معاوية، وتبيَّنَ لمعاويةَ أنه أخوه من أبيه، فكتبَ بذلك إليه، فقدم عليه زيادٌ وألحقَهُ معاويةُ بنسبِهِ سنة ٤٤هـ وولاهُ البصرةَ والكوفةَ وسائرَ العراق، فلم =

ماكنتُ أرى أنَّ أحدًا هكذا بَقي. وقال لشُريح: ادخلْ إلى بيتِ المال فألقِ في كلِّ جِرابٍ قَبْضةً حتى تكونَ للمُسلمين[1].

* * *

وقال عبد اللهِ بن عمر الكوفي: كان عندنا بالكوفةِ رجلٌ قد خرَجَ عن دُنيا واسعةٍ وتعبَّدَ؛ قال: وكان الفُضيلُ بالكوفةِ في أيّامِه، قال: فقدمَ ابنُ المبارك، فقالَ له الفُضيل: إنَّ هاهنا رجلاً من المُتعبِّدين قد خرجَ عن دُنيا واسعةٍ، فامضِ بنا إليه ننظرْ عقلَهُ.

قال: فجاؤوا إليه وهو عَلِيل، وعليه عَباءةٌ، وتحتَ رأسِه لَبِنَةٌ، قال: فسلَّمَ ابنُ المبارك عليه، ثم قال له: ياأخي، بلَغَنا أنّه ماترَكَ عبدٌ شيئًا للهِ إلاَّ عوَّضَهُ اللهُ ماهو أكثر منه[2]، فما عوَّضَكَ؟ قال: الرِّضا بما أنا فيه. فقال ابنُ المبارك: حَسْبُك. وقاما على ذلك[3].

رحمة اللهِ عليهم.

* * *

وقال أبو سعيد البقَّال: كنتُ محبوسًا[4] في دِيماسِ[5] الحجَّاج، ومعنا إبراهيم التَّيميّ، فقلتُ: ياأبا أسماء، في أيِّ شيءٍ حُبِسْتَ؟ قال: جاءَ

= يزلْ في ولايتِهِ إلى أنْ تُوفِّي. الأعلام ٣/ ٥٣.

(١) صفة الصفوة ٣/ ١٨٣، ١٨٤.

(٢) إشارة إلى حديث رسول اللهِ ﷺ: «ماترك عبدٌ شيئًا لله لايتركُه إلا له إلا عوَّضَه اللهُ منه ماهو خيرٌ منه في دينه ودنياه». رواه أبو نعيم في الحلية ٢/ ١٩٦ عن ابن عمر، وقال: هذا حديثٌ غريبٌ من حديثِ الزهري. لكن له شواهد انظرْ كشف الخفا ٢/ ١٨٣.

(٣) صفة الصفوة ٣/ ١٨٥.

(٤) في (ب): «مسجونًا».

(٥) ديماس الحجاج: سجنٌ كان للحجاج بواسط. معجم البلدان ٢/ ٥٤٤.

العَريفُ[1] فتبرّأَ منّي، وقال: إنَّ هذا يُكثِرُ الصلاةَ والصَّومَ، فأخافُ أن يرى رأيَ الخَوارج.

قال: فواللهِ إنَّا لنتحدَّثُ عند مَغيبِ الشمس، ومعنا إبراهيم التَّيمي، إذا نحنُ برجلٍ قد دخلَ علينا السِّجن، فقلنا: ياعبد الله، ماقصَّتُك، ماأمرُك؟ قال: لا والله، ماأدري، ولكنّي أظنُّ أُخِذْتُ في رأيِ الخوارج. فيالله! إنَّهُ لرأيٌ مارأيتُه، ولاهَويتُه، ولاأحببتُه، ولاأحببتُ أهلَه. ادعُوا ليَ بوَضوءٍ، فدَعَونا له بماءٍ، فتوضَّأَ ثم قامَ فصلَّى أربعَ ركعاتٍ، وقال: اللهمَّ، إنَّكَ تعلمُ على إساءتي وظُلْمِي وإسرافي أنّي لم أجعلْ لكَ ولَدًا ولانِدًّا، ولاصاحبةً ولاكفوًا، فإنْ تُعذِّبْ فعبدُكَ، وإنْ تعفو فإنَّكَ أنتَ العزيزُ الحَكيم. اللهمَّ، إنِّي أسألُكَ يامن لاتُغلِّطُهُ المسائلُ، ويامَنْ لايَشغلُه سمعٌ عن سمع، ويامنْ لايُبرمُهُ إلحاحُ المُلحِّين أنْ تجعلَ لي في ساعتي هذه فَرَجًا ومخرَجًا من حيثُ أحتسِبُ ومن حيثُ لاأحتسِب، ومن حيثُ أعلمُ، ومن حيثُ لا أعلم، ومن حيثُ أرجو، ومن حيثُ لاأرجو، وخُذْ لي بقلبِ عبدِكَ الحجَّاجِ وسمعِه، وبصرِهِ ولسانِهِ ويدِه ورجلِه، حتى يُخرجَني من ساعتي هذه؛ فإنَّ قلبَهُ وناصيتَهُ في يدِك. أيْ ربِّ، أيْ ربِّ، أي ربِّ.

قال: فأكثرَ، فواللهِ الذي لاإلهَ غيرُه، ماقطَعَ دُعاءَهُ حتى ضُرِبَ بابُ السجن، وقائلٌ يصيح: أينَ فلان؟ فقام صاحبُنا، فقال: ياهؤلاء، إنْ تكنِ العافيةُ فواللهِ لاأدَعُ الدُّعاءَ، وإنْ تكنِ الأُخرى فجمعَ اللهُ بيننا وبينكم في رحمته.

فبلغَنا من غدٍ أنَّهُ خُلِّيَ عنه[2].

---

(١) العريف: القيِّمُ بأُمورِ الجماعةِ من الناس، يلي أمورَهم، ويتعرَّفُ الأميرُ منه أحوالَهم. معجم متن اللغة (عرف).

(٢) الفرج بعد الشِّدَّة لابن أبي الدُّنيا ٨٤، والفرج بعد الشدَّة للتنوخي ١/٢٦١، ٢٦٢.

رحمة اللهِ عليه.

* * *

وقال إبراهيم التَّيميّ: حبسَني الحجّاجُ، فدخلتُ على اثنين في قَيدٍ واحد، في مكانٍ ضَيِّقٍ، لايجدُ الرجلُ إلاَّ موضِعَ مَجْلسِه، فيه يأكلون، وفيه يتغوَّطون، وفيه يُصلُّون، فجيءَ برجلٍ من أهلِ البَحرَين، فأُدخلَ علينا فلم يجدوا له مَكانًا، فجعلوا يترامَونَ به، فقال: اصبِروا، فإنَّما هي اللَّيلة. فلمَّا كانَ الليلُ قامَ يُصلِّي فقال: يارب، مننْتَ عليَّ بدينِك، وعلَّمتني كتابَكَ، ثم سلَّطْتَ عليَّ شَرَّ خلقِك. يارب الليلةَ لا أُصبحُ فيه.

فما صلَّينا حتى ضُرِبَ بابُ السجن: أينَ البَحرانيّ؟ فقلنا: ما دَعا به الساعةَ إلاَّ ليُقتل. فخُلِّيَ سبيلُه. فجاءَ فقامَ على البابِ فسلَّمَ علينا، وقال: أطيعوالله لايَعصِكم[1].

رحمة اللهِ عليه.



وقال إبراهيم بنُ الأشعث: سمعتُ الفُضيلَ رضي الله عنه يقول: أتى عليَّ وقتٌ لم أطعَمْ فيه شيئًا ثلاثةَ أيّام، فبينا أنا في مَسجدٍ بالكوفةِ مَشغولٌ بحالِي، إذا أنا بمجنونٍ قد أقبلَ في عُنُقِه غُلٌّ ثقيل، وبيده حجرٌ، فجعلَ يُلائمُني، حتى خَشِيتُ منه على نفسي، ثم أنشأَ يقول:

مَحَلُّ بيانِ الصبرِ منك عزيزةٌ[2] ... فياليتَ شعري هل لصَبْرِكَ من أجْرِ

---

(١) في (ب): «لايعصيكم» وفي الفرج بعد الشدّة للتوخي ١/ ٢٦٠: «لايضيّعكم»، والخبر فيه، وفي الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا ٨٣.

(٢) في (ب): «محل مكان»، وفي روض الرياحين ١٠٦: «محل نبات الصبر منك غريزة».

قال الفُضيل: فغيَّبَ عنّي جنُونَه ماسمعتُ من كلامِه. فقلتُ له: يافتى، لولا الرجاءُ لم أصبِر. فقال لي: وأينَ مَسكنُ الرجاءِ منك؟ فقلت: موضعُ مُستقرِّ هُموم العارفين. فقال: أحسنتَ واللهِ، إنما هو قلبٌ، الهمومُ عمرانُه، والأَحزانُ أوطانُه، عرفتُهُ فاستأنستُ به، وأحببتُه فارتحلتُ إليه.

قال الفُضيل: فسمعتُ من كلامِهِ ماقطعَني عن جَوابه، فقلتُ له: رحمَكَ الله، عِظْني وأوجِزْ. فقال لي: يافُضيل، مثلُكَ يقولُ هذا؟ أما علمتَ أنَّ الله تعالى له عِبادٌ قَطَعهم الجَزَعُ عن كَلَفِ الألْسُن، فكلَّتِ الألْسُنُ[1] من غيرِ عِيٍّ عن محاسِنِ الوَصفِ خوفَ العقاب، فاغتبطوا عند اللهِ تعالى، وإنَّ حاجةَ أحدِهم لتردَّدُ في صدرِهِ، لايأذَنُ لنفسِه إطلاقَها خوفًا من شرِّ نفسِه، فأصبحوا مع حُسْنِ هذه الصفةِ في الدُّنيا مَحزونين[2] مَغمومين، وعقولٌ صحيحةٌ، ويقينٌ ثابت، والألسنُ ذاكرةٌ، وجوارحُ مُعلَّقَةٌ، وأرواحٌ في الملكوتِ سارحةٌ، ثم ولَّى وهو يقول:

أحسنْتَ ظنَّكَ بالأيامِ إذ حَسُنَتْ ... ولم تَخَفْ سوءَ مايأتي به القَدَرُ
وسالمَتْكَ الليالي فاغتررْتَ بها ... وعندَ صَفوِ الليالي يَحدُثُ الكَدَرُ

* * *

المدينة

قال نافع: خرجتُ مع ابنِ عمرَ في بعضِ نواحي المدينة، ومعه أصحابٌ له، فوضعوا سُفْرةً لهم، فمرَّ بهم راعٍ، فقال له عبدُ الله: هلمَّ ياراعي، فأصِبْ من هذه السُّفْرة. فقال له: إنِّي صائمٌ. فقال له عبد الله:

---

(١) عبارة «فكلت الألسن» ليست في (أ).
(٢) في (ب): «مجزوبين».

في مِثلِ هذا اليومِ الشديدِ حرُّه، وأنت صائمٌ في هذه الشِّعاب في آثارِ هذه الغنم! وبين الجبالِ ترعى هذه الغنم وأنت صائم! فقال الرَّاعي: أُبادِرُ أيَّامي الخالية. فعجبَ ابنُ عمر، فقال: هل لك أن تبيعَنا شاةً من غنمك نَجْتزِرها، ونُطعمكَ من لحمِها ماتُفطِرُ عليه، ونُعطيكَ ثمنَها؟ فقال: إنَّها ليستْ لي، إنَّها لمولاي. قال: فما عسَيتَ أنْ يقولَ لك مولاك إنْ قلتَ أكَلَها الذئبُ؟ فمضى الرَّاعي، وهو رافعٌ أُصبعَه إلى السماءِ، وهو يقول: فأين الله؟

قال: فلم يزلِ ابنُ عمر يقول: قال الراعي: فأين الله؟ فما عَدَا أنْ قَدِمَ المدينةَ، فبعثَ إلى سيِّدِه، فاشترى منه المَواشيَ والرَّاعي، فأعتقَ الرَّاعيَ، ووهبَ له الغَنَم(١).

* * *

وقال محمد بن المُنكدِر: إنِّي لفي ليلةٍ مُواجه هذا المِنبر جوفَ الليلِ أدعو، إذا بإنسانٍ عند أُسطوانةٍ، مقنِّعٍ رأسَه، فأسمعُهُ يقول: أيْ ربِّ، إنَّ القحطَ قدِ اشتدَّ على عِبادِك، وإنِّي مُقسمٌ عليكَ ياربِّ إلاَّ سَقَيْتَهم.

قال: فما كان إلا ساعة إذا بسحابةٍ قد أقبلتْ، ثم أرسلَها اللهُ عزَّ وجلَّ، وكان عزيزًا على ابن المُنكدر أنْ يخفَى عليه أحدٌ من أهلِ الخير، فقال: هذا بالمدينةِ ولاأعرفُه! فلمّا سلَّمَ الإمامُ تقنَّعَ وانصرَف، واتَّبعتُه، ولم يجلسْ للقاصِّ حتى دخلَ(٢) دارَ أنَسٍ، فدخلَ مَوضعًا، فأخرجَ مِفتاحًا، ففتح ثم دخلَ. قال: ورجعتُ، فلمَّا أصبحتُ أتيتُه فإذا أنا أسمعُ نَجْرًا في بيته، فسلَّمتُ ثم قلت: أأدخلُ؟ فإذا هو يَنْجُرُ أقداحًا يعملُها، فقلتُ له:

---

(١) صفة الصفوة ٢/١٨٨.

(٢) في (ب): حتى أتى.

كيفَ أصبحتَ، أصلحَكَ اللهُ؟ قال: فاستشهرها وأعظمَها منِّي، فلمَّا رأيتُ ذلك قلتُ: أخي، سمعتُ أقسامَكَ البارحةَ على الله، ياأخي، هل لك في نفقةٍ تُغنيك عن هذا وتُفرِّغُكَ لما تُريدُ من الآخرة؟ قال: لا، ولكنْ غير ذلك لاتَذكرني لأحدٍ، ولاتَذكرْ هذا لأحدٍ حتى أموت، ولاتأتِني ياابنَ المُنكدر؛ فإنَّك إنْ تأتِني شَهرتَني للناسِ. فقلت: إنِّي أُحبُّ أنْ ألقاكَ. قال: الْقَني في المسجد. وكان فارسيًّا. قال: فما ذكرَ ذلك ابنُ المُنكدر لأحدٍ حتى مات الرجل.

قال ابنُ وهب: بلغَني أنَّه انتقلَ من تلك الدارِ فلم يُرَ، ولم يُدْرَ أين ذهب. فقال أهلُ تلكَ الدار: اللهُ بيننا وبين ابنِ المنكدِر، أخرجَ عنَّا الرجلَ الصالح.

* * *

وقال محمد بن المنكدِر: كانتْ لي ساريةٌ في مسجدِ رسولِ الله ﷺ أجلسُ إليها بالليل، فقُحِطَ أهلُ المدينةِ سنةً، فخرجوا يَستسقون، فلم يُسقَوا، فلمَّا كانَ من الليلِ صلَّيتُ عشاءَ الآخرة في مسجدِ رسولِ اللهِ ﷺ، ثم جئتُ فتساندتُ إلى ساريَتي، فجاءَ رجلٌ أسودُ تَعلوهُ صُفرةٌ، متَّزرٌ بكساءٍ، وعلى رقبتِه كساءٌ أصغرُ منه، فتقدَّمَ إلى الساريةِ التي بين يدي، وكنتُ خلفَه، فقام فصلَّى ركعتين، ثم جلسَ، فقال: أيْ ربِّ، خرجَ أهلُ حَرَمِ نبيِّكَ يَستسقون فلم تَسقِهم، فأنا أُقسِمُ عليك لمَّا سَقيتَهم.

قال ابنُ المنكدر: فقلتُ: مجنون. قال: فما وضعَ يدَه حتى سمعتُ الرَّعدَ، ثم جاءتِ السماءُ بشيءٍ من المطر أهمَّني الرجوعُ إلى أهلي. فلمَّا سمعَ المطرَ حَمِدَ اللهَ بمحامِدَ لم أسمعْ بمثلِها قطُّ. قال: ثم قال: ومن أنا؟ ومـاأنـا حتـى استجبـتَ لـي[1]، ولكـنْ جُـدْتَ بحمـدِك، وعُـذْتَ

---

(١) في (أ): «حيث استجبت».

بطَولِك[1]. ثم قام، فتوشَّحَ بكسائه الذي كان مُتَّزِرًا به، وألقَى الكساءَ الآخرَ الذي كان على ظهرِه في رجليه، ثم قامَ فلم يَزَلْ قائمًا يُصلِّي حتى إذا أحسَّ الصُّبحَ سجدَ وأوْتَرَ وصلَّى ركعتي الصُّبح، ثم أُقيمتْ صلاةُ الصبح، فدخلَ في الصلاةِ مع الناس، ودخلتُ معه؛ فلمَّا سلَّمَ الإمامُ قامَ فخرج، وخرجتُ خلفَه، حتى انتهى إلى بابِ المسجد، فخرجَ يرفَعُ ثوبَه يَخوضُ الماء. فخرجتُ خلفَه رافِعًا ثوبي أخوضُ الماءَ، فلم أدرِ أينَ ذهب.

فلمَّا كان الليلةُ الثانية صلَّيتُ العشاءَ في مسجدِ رسولِ الله ﷺ، ثم جِئتُ إلى ساريتي، وتوسَّدْتُ إليها، وجاءَ وقام فتوشَّحَ بكسائه، وألقى الكِساءَ الآخرَ الذي كان على ظهرِه في رجليه، وقامَ يُصلِّي. فلم يزَلْ قائمًا حتى إذا أحسَّ بالصُّبح[2] سجدَ ثم أوْتَرَ، ثم صلَّى ركعتي الفجر، وأُقيمتِ الصلاة، فدخلَ مع الناسِ في الصلاة، ودخلتُ معه، فلمَّا سلَّمَ الإمامُ خرجَ من المسجد، وخرجتُ خلفه، فجعلَ يَمشي وأتبعُه[3] حتى دخلَ دارًا قد عرفتُها من دُورِ المدينة، ورجعتُ إلى المسجدِ.

فلمَّا طلعتِ الشَّمسُ وصلَّيتُ وخرجتُ حتى أتيتُ الدَّارَ، فإذا أنا به قاعدٌ يَخرِزُ، وإذا هو إسكاف؛ فلمَّا رآني عرَفني، فقال: ياأبا عبد اللهِ[4] مرحبًا، ألَكَ حاجةٌ، تُريدُ أن أعملَ لك خُفًّا؟ فجلستُ، فقلتُ: ألستَ صاحبي بارحةَ الأولى؟ فاسودَّ وجهُهُ، وصاحَ بي وقال: ياابنَ المُنكدر، ماأنتَ وذاكَ؟ وغضِبَ، ففرَقْتُ واللهِ منه، وقلت: أخرجُ من عنده الآن.

فلمَّا كان في الليلةِ الثالثةِ صلَّيتُ العشاءَ الآخرة في مسجدِ رسولِ الله

---

(١) في(أ): «عُدتَ بحمدك، وعدتَ بطولك»، وفي صفة الصفوة ٢/ ١٩٠: «عُذْتُ بحمدك وعُذْتَ بطَوْلك».

(٢) في (أ): خشي الصبح.

(٣) في (ب): واتبعه.

(٤) في (أ): «ياعبد الله».

ﷺ، ثم أتيتُ ساريَتي، فتساندتُ إليها، فلم يجئ. قال: فقلتُ: إنّا للهِ، ماصنعتُ[1]؟ فلما أصبحتُ جلستُ في المسجدِ حتى طلعتِ الشمس، ثم خرجتُ حتى أتيتُ الدَّارَ، التي كان فيها. فإذا بباب البيتِ مفتوحٌ، وإذا ليس في البيتِ شيءٌ[2]، فقالَ لي أهلُ الدار: ياأبا عبد الله، ماكانَ بينك وبين هذا أمس؟ قلت: مالَهُ؟ قال: لمَّا خرجتَ من عندِهِ أمس بَسَطَ كساءَهُ في وسطِ البيتِ، ثم لم يدَعْ في بيتِه جِلدًا ولاقالبًا إلاَّ وضعَهُ في كِسائه ثم حمَلَه، ثم خرج، فم نَدْرِ أين ذهب؟

قال محمد بن المنكدر: فما تركتُ في المدينةِ دارًا أعلمُها إلاَّ وقد طلبتُهُ فيها فلم أجِدْه[3].

رحمة اللهِ عليه.

* * *

وقال محمد بنُ سُويد: إنَّ أهلَ المدينةِ قُحِطوا، وكان فيها رجلٌ صالحٌ لازمًا لمسجدِ النبيِّ ﷺ، فبينا هم في دُعائهم إذا أنا برجلٍ عليه طِمرْانِ خَلِقان، فصلَّى ركعتين أَوْجَزَ فيهما، ثم بسطَ يديه إلى الله[4] تعالى، فقال: ياربِّ، أقسمتُ عليك إلاَّ أمطرْتَ علينا السَّاعة. فلم يَرُدَّ يدَهُ، ولم يَقطَعْ دعاءَهُ حتى تغشَّتْ بالغيم، وأُمطِروا، حتى صاحَ أهلُ المدينةِ الغرَق. فقال: يارب، إنْ كنتَ تعلمُ أنَّهم قد اكتفَوا فارفَعْ عنهم. فسكنَ. وتبعَ الرجلَ صاحبَ المطرِ حتى عَرفَ موضعَهُ، ثم بكَّرَ عليه، فنادَى: ياأهلَ البيت، فخرجَ الرجلُ. فقال: قد أتيتُك في حاجةٍ. قال: وماهي؟ قال: تَخصُّني

---

(١) في(ب): «ماذا صنعت».
(٢) في (ب): «أحد».
(٣) صفة الصفوة ٢/ ١٩٠ـ١٩٢.
(٤) في (ب): «يدعو الله».

بدعوةٍ. قال: سبحانَ الله! أنتَ أنتَ وتسألُني أنْ أخصَّكَ بدعوةٍ، ماالذي بلغَكَ، مارأيتَ منِّي؟ فأخبرَهُ، فقال: ورأيتَني؟ قال: نعم. قال: أطعتُ اللهَ فيما أمرني ونهاني، فسألتُه فأعطاني[1].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

وقال: أبو عامر الواعظ: بينما أنا جالسٌ في مسجدِ رسولِ اللهِ ﷺ إذْ جاءَني غلامٌ أسودُ برقعةٍ فقرأتُها، فإذا فيها مكتوبٌ:

بسم اللهِ الرحمن الرحيم، متَّعكَ اللهُ بمسامرةِ الفكْرَة، ونعَّمَكَ بمؤانسةِ العِبْرة، وأفردَكَ بحبِّ الخَلْوة. ياأبا عامر، أنا رجلٌ من إخوانك، بلغني قُدومُكَ المدينة، فسُررتُ بذلك، وأحببتُ زيارتَك، وبي من الشَّوقِ إلى مُجالستك والاستمتاع[2] بمُحادثتِكَ مالو كان فوقي لأظلَّني، ولو كان تحتي لأقلَّني. فسألتُكَ بالذي حَباكَ[3] بالبلاغةِ لمَّا ألحفتني جناحَ التوصُّل بزيارتك والسلام.

قال أبو عامر: فقمتُ مع الرَّسولِ حتى أتى بي إلى قُباء[4]، فأدخلَني مَنزِلاً رَحْبًا خَرِبًا، فقال لي: قِفْ هاهنا حتى أستأذِنَ لك. فوقفتُ، فخرجَ إليَّ، فقال لي: لِجْ. فدخلتُ، فإذا ببيتٍ مُفرَدٍ في الخَرِبة، له بابٌ من جَريدِ النَّخل، فإذا بكَهْلٍ قاعدٍ مُستقبلَ القِبْلةِ تخالُهُ من الوَلَهِ مَكروبًا، ومن الخَشيةِ محزونًا، قد ظهرتْ في وجهِهِ أحزانُه، وذهبتْ من البُكاءِ عيناه، ومرضتْ أجفانُه، فسلَّمْتُ عليه، فردَّ عليَّ السلام، ثم تحلَّلَ فإذا هو أعمى

---

(١) صفة الصفوة ٢/١٩٣.
(٢) في (أ): «الاستماع».
(٣) في (ب): «جاء».
(٤) قباء: قريةٌ على ميلين من المدينةِ على يسار القاصد إلى مكة، وبها مسجد التقوى. معجم البلدان ٤/٣٠٢.

أعرجُ مِسقامٌ، فقال لي: ياأبا عامر، غَسَلَ من رَانِ[1] الذُّنوبِ قلبَك، فلم يزلْ قلبي إليك توَّاقًا، وإلى سماعِ الموعظةِ منك مُشتاقًا، وبي جرحٌ نَغِلٌ[2] قد أعيا الواعظين دواؤه، وأعجزَ المُتطبِّبين شفاؤه. وقد بلغَني نفعُ مَراهِمِكَ للجراحِ والألم. فلا تألُ ـ رحمَكَ الله ـ في إيقاعِ التِّرْياقِ وإنْ كان مُرَّ المَذاق، فإنَّني ممَّن يَصبِرُ على مرِّ الدَّواء رجاءَ الشِّفاء.

قال أبو عامر: فنظرتُ إلى منظرٍ بهَرَني، وسمعتُ كلامًا قطعني، فأفكرتُ طويلاً ثم تأتَّى من كلامي ماتأتَّى، وسهل من صُعوبتِهِ مامنه رقَّ لي. فقلتُ: ياشيخ، ارمِ ببصرِ قلبك[3] في ملكوتِ السَّماء، وأجِلْ سمعَ معرفتك في سكانِ الأرجاء، فتنقل بحقيقةِ إيمانك إلى جنَّةِ المأوى، فترى ماأعدَّ اللهُ فيها للأولياءِ، ثم تُشرفُ على نارٍ تلظَّى[4]، فترى ماأعدَّ الله فيها للأشقياء. فشتَّانَ مابين الدَّارَيْن، أليس الفريقانِ في الموتِ سواء؟

قال أبو عامر: فأنَّ أنَّةً، وصاحَ صيحةً، وزَفَرَ والتوى، وقال: ياأبا عامر، وقعَ واللهِ دواؤك على دائي، وأرجو أنْ يكونَ عندَك شِفائي، زِدْني رحمَكَ الله. فقلتُ له: ياشيخ، اللهُ عالمٌ بسريرتك، مُطَّلِعٌ على حَقيقَتك، شاهدٌ لك في خَلواتِك، بعينه كنتَ عند استتارِكَ من خَلْقِهِ ومُبارزتِه. قال: فصاحَ صَيحةً كصيحتِهِ الأولى، ثم قال: من لفقري؟ من لفاقتي؟ من لذنبي؟ من لخطيئتي؟ أنت مولاي[5] وإليك مُنقلَبي. ثم خرَّ مَيتًا رحمه الله.

قال أبو عامر الواعظ: فأُسقطَ في يدي، وقلت: ماذا جَنيتُ على نفسي؟ إذ خرجتْ إليَّ جاريةٌ عليها مِدْرعةٌ من صُوف، وخِمارٌ من صوف،

---

(١) الرانُ: الطبع والدنس والتغطية. معجم متن اللغة (رين).
(٢) جرح نغِلٌ: جرحٌ فسد.
(٣) في (أ): «ببصرك قلبك».
(٤) في (أ): «نار لظى».
(٥) في (ب): «أنت يامولاي»، وفي صفة الصفوة ٢/ ١٩٥: «أنت لي يامولاي».

قد ذهبَ السُّجودُ بجبهتِها وأنفِها، واصفرَّ لطولِ القيامِ لونُها، وتورَّمَتْ قَدَماها، فقالت: أحسنتَ واللهِ ياهادي[١] قلوبِ العارفين، ومُثيرَ أشجانِ علِلِ[٢] المَحزونين، لانَسِيَ لك هذا المقامَ ربُّ العالمين؛ ياأبا عامر، هذا الشيخُ والدي، وهو مُبتلًى بالسَّقَمِ مُنذُ عشرين سنة[٣] صلَّى حتى أُقعِدَ، وبَكَى حتى عَمِي، وكان يتمنَّاكَ على الله، ويقول: حضرتُ مجلسَ أبي عامرٍ البُناني، فأحيا مَواتَ فِكري، وطردَ وَسَنَ نومي، وإنْ سمعتُهُ ثانيًا قتلني، فجزاكَ اللهُ من واعظٍ خيرًا، ومتَّعَكَ من حكمتك بما أعطاك. ثم أكبَّتْ على أبيها تقبِّلُ عينيه وتبكي، وتقول: ياأبي، ياأبتاه، يامن أعماه البُكاءُ على ذنبِه[٤]، ياأبتاه، يامنْ قتلَهُ ذِكرُ وَعيدِ ربِّه. ثم علا البُكاءُ والنَّحِيبُ والاستغفارُ والدُّعاء، وجعلتْ تقول: ياأبي ياأبتاه، ياحَليفَ الحرقةِ والبكاء، (٥ياأبي ياأبتاه، ياجليسَ الابتهالِ والدُّعاء، ياأبي ياأبتاه، ياصَريعَ المُذكِّرين والخُطباء٥)[٥]، ياأبي ياأبتاه، ياقَتيلَ الوُعَّاظِ والحُكماء.

قال أبو عامر: فأجبتُها، وقلتُ لها: أيَّتُها الباكيةُ الحَيْرَى، والنَّادبةُ الثَّكْلَى، إنَّ أباكِ نَحْبَهُ قد قَضَى، وورَدَ دارَ الجَزاء، وعايَنَ كلَّ ماعَمِلَ، وعليه يُحصى في كتابِ عندَ ربي لايَنْسى، فمُحْسِنٌ فله الزُّلفَى، أو مُسيءٌ فوارِدٌ دارَ من أساء. فصاحَتِ الجاريةُ كصيحةِ أبيها، وجعلتْ ترشَحُ عرقًا، وخرجتُ مُبادرًا إلى مسجدِ رسولِ اللهِ ﷺ، وفزعتُ إلى الصلاة، والدُّعاء، والاستغفار، والتضرُّع، والبُكاء، حتى كان عند العصرِ فجاءني الغلامُ الأسودُ فآذنني بجنازتيهما، فقال[٦]: احضرِ الصلاةَ عليهما ودفنيهما.

---

(١) في صفة الصفوة : «ياحادي».
(٢) في (أ): «غليل».
(٣) في صفة الصفوة: «منذ عشر سنين».
(٤) في (ب): «خطيئته».
(٥) (٥ـ٥) مابينهما ليس في (أ).
(٦) في صفة الصفوة: «فقلت».

فحضرتُ، وسألتُ عنهما، فقيل لي: من وَلَدِ الحُسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

قال أبو عامر: فمازلتُ جَزِعًا ممَّا جنيتُ حتى رأيتُهما في المنامِ، عليهما حُلَّتانِ خَضراوتان، فقلتُ: مرحبًا بكما وأهلاً، فمازلتُ حَذِرًا ممَّا وعظتُكما به، فماذا صنعَ اللهُ بكما؟ فقال الشيخ:

أنتَ شريكي في الذي نِلتَهُ ... مُستأهِلاً ذاكَ أبا عامرِ

وكلُّ مَنْ أيقظَ ذا غَفْلةٍ ... فنِصفُ ما يُعطاهُ للآمِرِ

مَن ردَّ عَبدًا آبِقًا مُذْنِبًا ... كانَ كمَنْ راقَبَ للقاهِرِ

واجْتَمَعَا في دارِ عَدْنٍ وفي ... جوارِ ربٍّ سيِّدٍ غافِرِ[1]

* * *

وقال: مُصعَبُ بنُ ثابت بن عبد الله بن الزُّبير، وكان مُصعبٌ يُصلِّي في اليوم واللَّيلةِ ألفَ ركعة، ويصومُ الدَّهرَ، قال: بِتُّ ليلةً في المسجدِ بعدَ ماخرجَ الناسُ منه، فإذا برجلٍ جاءَ إلى بيتِ النبيِّ ﷺ ثم أسندَ ظهرَهُ إلى الجِدار، ثم قال: اللهمَّ، إنَّكَ تعلمُ أنِّي كنتُ أمس صائمًا، ثم أمسيتُ فلم أُفطِرْ على شيءٍ؛ اللهمَّ فإني أمسيتُ أشتهي الثَّرِيدَ فأطْعِمْنيه من عندِك. قال: فنظرتُ إلى وَصيفٍ داخلٍ من خَوخةِ المَنَارة[2] ليس في خِلْقَةِ وُصفَاءِ[3] الناس، معه قصعةٌ، فأهوى بها إلى الرَّجلِ، فوضعَها بين يديه، وجلسَ الرجلُ يأكلُ وحَصَبَني[4]، فقال: هلمَّ. فجئتُهُ، وظننتُ أنَّها من

---

(١) صفة الصفوة ٢/ ١٩٣ـ١٩٧.

(٢) الخَوخَة: كوَّةٌ في البيت، تؤدِّي إليه الضوء. متن اللغة (خوخ).

(٣) في (أ): «وصفاء وصفان». والوَصيف: الخادم الشاب. معجم متن اللغة (وصف).

(٤) حصبني: رماني بالحصباء. وفي (ب): «نظرني».

الجنَّةِ، فأحببتُ أنْ آكلَ منها لقمةً. فأكلتُ طعامًا لايُشبهُ طعامَ أهلِ الدُّنيا، ثم احتشمتُ، فقمتُ فرجعتُ إلى مَجلسي، فلما فرَغَ من أكلِهِ أخذَ الوَصيفُ القَصعةَ، ثم أهوى[1] راجعًا من حيثُ جاء، ومالَ الرَّجلُ مُنصرِفًا، فتبعتُهُ لأعرفَهُ، فلا أدري أينَ سلَكَ؟ فظننتُهُ الخَضِرَ عليه السلام[2].

* * *

وقال محمد بن إسماعيل بن أبي فُدَيْك: كان عندنا رجلٌ يكنى أبا نَصر، من جُهينَةَ، ذاهبُ العقل، في غيرِ ماالنَّاسُ فيه، لايتكلَّمُ حتى يُكلَّمَ، وكان يجلسُ مع أهلِ الصُّفَّةِ في آخرِ مسجدِ رسولِ اللهِ ﷺ، وكانَ إذا سُئلَ عن شيءٍ أجابَ فيه جوابًا حسنًا مُعجبًا، فأتيتُهُ يومًا وهو في مؤخرِ المسجدِ مع أهلِ الصُّفَّةِ مُنكِّسًا رأسَه، واضعًا جبهتَه بين رُكبتيه، فجلستُ إلى جَنبه، فحرَّكتُهُ، فانتبهَ فزِعًا، فأعطيتُه شيئًا كان معي، فأخذَهُ وقال: قد صادفَ منَّا حاجةً. فقلتُ له: ياأبا نصر، ماالشَّرَف؟ قال: حملُ ماناب العشيرةَ أدناها فأقصاها، والقَبولُ من مُحسِنِها، والتجاوزُ عن مُسيئها. قلتُ له: فالمروءةُ؟ قال: إطعامُ الطعام، وإفشاءُ السلام، وتوقِّي الأدْناس. قلتُ له: فما السَّخاءُ؟ قال: جَهدُ مُقِلٍّ. قلتُ له: فما الضَّحِك[3]؟ قال: أُفٌّ. وحوَّلَ وجهَهُ عنِّي، فقلتُ: تُجيبُني؟ قال: قد أجبتُك.

وقدمَ علينا هارونُ فأُخليَ له المسجد، فوقفَ على قبرِ رسولِ اللهِ ﷺ وعلى مِنبره، وفي موقفِ جبريلَ عليه السلام، واعتنقَ أُسطوانةَ التَّوبةِ، ثم قال: قِفوا بي على أصحابِ الصُّفَّةِ. فلمَّا أتاهم حُرِّكَ أبو نصر، وقيل: هذا أميرُ المؤمنين. فرفعَ رأسَه، وقال: أيُّها الرجلُ، إنَّه ليس بين عبادِ اللهِ وأُمَّةِ

---

(١) في (ب): «فأهوى بها».

(٢) صفة الصفوة ٢/١٩٧.

(٣) في صفة الصفوة: «فما البخل». وهو أشبه بالصواب.

نبيِّهِ ورعيتِكَ وبين اللهِ خَلْقٌ غيرك، وإنَّ الله سائلُكَ عنهم، فأعدَّ للمسألةِ جوابًا. وقد قال عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه: لو ضاعتْ سخلةٌ في شاطئِ الفراتِ لخافَ عمرُ أنْ يَسألَهُ اللهُ عنها. فبكى هارونُ، ثم قال: ياأبا نصر، رعيَّتي ودَهري، غيرُ رعيَّةِ عمرَ ودهرِه. فقال له: هذا واللهِ غيرُ مُغنٍ عنك، فانظرْ لنفسِك، فإنَّكَ وعمرَ تُسألانِ عن ماخوَّلكما الله. فدعا هارونُ بصُرَّةٍ فيها ثلاثُ مئةِ دينار، فقال: ادفعوا بها إلى أبي نصر. فقال أبو نصر: ماأنا إلاَّ رجلٌ من أهلِ الصُّفَّة، فادْفعوها إلى فُلانٍ يُفرِّقُها عليهم، ويجعلني رجلًا منهم.

وكان أبو نصرٍ يَخرجُ في كلِّ يومِ جُمعةٍ صلاةَ الغَداة، فيدخلُ السُّوقَ ممَّا يلي الثَّنِيَّةَ فلا يزالُ يقفُ على مِربعةٍ مربعةٍ ويقول: أيُّها الناس ﴿اتَّقُوا يومًا لا تَجْزي نفسٌ عن نفسٍ شيئًا ولايُقْبَلُ منها عَدْلٌ ولا تَنْفَعُها شفاعةٌ﴾[البقرة: ١٢٣]، إنَّ العبدَ إذا ماتَ صحِبَهُ أهلُه ومالُه وعملُه، فإذا وُضِعَ في قبرِهِ رجعَ أهلُه وماله وبقيَ عملُه[1]، فاختاروا لأنفسِكم مايؤنسكُم في قبورِكم، رحمكم الله.

ثم لايزالُ يفعلُ ذلك في مِرْبعةٍ مِربعةٍ حتى يأتي مُصلَّى رسولِ اللهِ ﷺ ثم يمضي إلى الجُمعةِ، فلا يَخرجُ من المسجدِ حتى يُصلِّيَ العِشاءَ الآخرة.

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

---

(١) قوله هذا إشارةٌ إلى حديثِ رسولِ اللهِ ﷺ المرويِّ عن أنسٍ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «يتبعُ الميتَ ثلاثٌ: أهلُه ومالُه وعملُه، فيرجِعُ اثنان، ويبقى واحد، يرجعُ أهلُه ومالُه، ويبقى عمله». رواهُ البخاري ١١/ ٣٦٢ (٦٥١٤) في الرقاق: باب سكرات الموت؛ ومسلم (٢٩٦٠) في الزهد: في فاتحته؛ والترمذي (٢٣٨٠) في الزهد: باب ٤٦.

مصر

قال يوسفُ بنُ الحُسين: كان شابٌّ يَحضُرُ مجلسَ ذي النُّونِ بنِ إبراهيم المِصريِّ مُدَّةً، ثم انقطعَ عنه زَمانًا، ثم حَضَرَ عنده وقد اصفرَّ لونُه، ونحلَ جسمُه، وظهرتْ آثارُ العبادةِ والاجتهادِ عليه، فقال له ذو النُّون: يافتى، ماالذي أكسبتْكَ خِدمةُ مَولاكَ واجتهادُكَ من المواهبِ التي مَنَحَكَ بها، ووهبَها لك[1]، واختصَّكَ بها؟ فقال الفتى: ياأُستاذ، هل رأيتَ عبدًا اصطنعَهُ مولاهُ من بين عَبيده، واصطفاهُ وأعطاهُ مفاتيحَ الخزائنِ، ثم أسرَّ إليه سِرًّا، أيَحسُنُ أنْ يُفشيَ ذلك السِّرَّ؟ ثم أنشأَ يقول:

مَنْ سارَرُوهُ فأبدَى السِّرَّ مُجتهدًا   لم يأمَنُوهُ على الأسْرارِ ماعاشا
وباعَدُوهُ فلم يَسْعَدْ بقُربِهِم   وأبْدَلُوهُ من الإيناسِ إيحاشا
لايَصطفونَ مُذيعًا بعضَ سِرِّهِم   حاشا وِدادِهِمُ من ذلكمْ حاشا[2]

* * *

وقال الأوزاعيُّ: حدثني حكيمٌ من الحُكماء، قال: مررتُ بعريشِ[3] مِصر وأنا أُريدُ الرِّباط، فإذا أنا برجلٍ في مِظلَّةٍ قد ذهبتْ عيناه ويداه ورجلاه، وبه أنواعٌ من البلاء، وهو يقول: الحمدُ للهِ حمدًا يُوافي مَحامدَ خَلقِكَ بما أنعمتَ عليَّ، وفضَّلتني على كثيرٍ ممَّنْ خَلقتَ تفضيلاً. فقلت:

---

(١) في (ب): «ووهبك إياها».

(٢) صفة الصفوة ٤/٣٢٣، ٣٢٤، والأبيات في روض الرياحين ٣٠١ (الحكاية ٢٤٤) وفيها زيادة بيت:

فكن بهم ولهم في كلِّ نائبةٍ   إليهم ما بقيت الدهر هشاشا

(٣) العريش: مدينةٌ على ساحلِ البحر المتوسط. قال ياقوت: آخر مدينةٍ تتصل بالشام من أعمال مصر.

لأنظرنَّ، أشيءٌ عُلِّمَهُ أم ألهمَهُ اللهُ إلهامًا؟ فقلت: على أيِّ نعمةٍ من نعمِهِ تحمدُهُ؟ أم على أيِّ فضيلةٍ تشكره؟ فواللهِ ماأرى شيئًا من البلاءِ إلاَّ وهو بك. فقال: ألا ترى ماقد صنعَ بي، فواللهِ لوأرسَلَ السماءَ عليَّ نارًا فأحْرقتني، وأمرَ الجبالَ فدكْدَكتني، وأمرَ البحار فغرَّقتني ماازددتُ له إلاَّ حَمدًا وشكرًا، وإنَّ لي إليك حاجةً؛ بُنيَّةٌ لي كانت تخدمني وتعاهدني عند إفطاري فانظرْ هل تُحِسُّ بها؟

وقال عبد الوهاب: بُنيٌّ كان لي. فقلتُ: واللهِ إنِّي لأرجو أنْ يكونَ لي في قضاءِ حاجةِ هذا العبدِ الصالح قُربةٌ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ. فخرجتُ أطلبُها بين تلك الرِّمالِ، فإذا السَّبُعُ قد أكلَها، فقلت: إنَّا للهِ وإنَّا إليه راجعون منْ أن آتيَ هذا العبدَ الصالحَ فأُخبره بموتِ ابنتِه، فأتيتُه، فقلتُ له: أنتَ أعظمُ منزلةً عند اللهِ أمْ أيُّوبُ عليه السلام ابتلاهُ اللهُ في مالِهِ وولدِه وأهلِه وبدَنِهِ حتى صارَ غَرَضًا للناس؟ فقال: لا، بل أيُّوب. قلت: فإنَّ ابنتكَ التي أمرتني بطلبِها أصبتُها وإذا السَّبُعُ قد أكلَها. فقال: الحمدُ للهِ الذي لم يُخرجْني من الدُّنيا وفي قلبي منها شيءٌ. ثم شَهَقَ شهقةً فمات. فقلت: إنَّا للهِ وإنَّا إليه راجعون، من يُعينُني على غسلِهِ ودفنِه؟ فإذا أنا بركبٍ يُريدون الرِّباطَ، فأشرتُ إليهم، فأقبلوا إليَّ، فأخبرتُهم بالذي كان من أمره، فغسَّلْناهُ وكفَّنَّاه، ودفنَّاهُ في مِظلَّتِهِ تلك، ومَضى القومُ، وبتُّ ليلتي في مِظلَّتِهِ آنسًا به، حتى إذا مَضى من الليلِ قدرُ ثُلثِه، إذا أنا به في روضةٍ خضراءَ، وإذا عليه حُلَّتانِ خَضراوتان، وهو نائمٌ يتلو القرآنَ. فقلتُ: ألستَ صاحبي بالأمس؟ قال: بلى. فقلتُ: فما صيَّرَكَ إلى ماأرى؟ قال: وردتُ من الصابرين على درجةٍ لم ينالوها إلاَّ بالصَّبرِ على البلاء، والشُّكرِ عند الرَّخاء[1].

رحمة اللهِ عليه.

* * *

---

(١) صفة الصفوة ٣٢٦/٤، ٣٢٧.

وقال أبو بكر المصريُّ: خرجتُ من عَيْنَونة[1] أُريد الرَّملةَ، فبينا أنا أمشي إذا بفقيرٍ يمشي حافيَ القدمين، حاسرَ الرَّأسِ، وعليه خِرقتان، مُتَّزِر بإحداهما، مُرتدٌ بالأخرى، ليس معه زَادٌ ولاركوةٌ. فقلتُ في نفسي: لوكان مع هذا ركوةٌ وحبلٌ، فإذا وردَ الماءَ توضَّأَ وصلَّى كان خيرًا له. فلحقتُ به وقد اشتدَّتِ الهاجرةُ، فقلت: يافتي، لو جعلتَ هذه الخِرقةَ التي على كتفك على رأسِك تتوقَّى بها الشمسَ كان خيرًا لك. فسكتَ ومَشى. فلمَّا كان بعدَ ساعةٍ، قلتُ له: أنتَ حافٍ، أيُّ شيءٍ ترى في نعلٍ تلبسُها ساعةً وأنا ساعة؟ فقال: أراكَ كثيرَ الفضولِ، ألمْ تكتبِ الحديثَ؟ قلت: بلى. قال: فلمْ تكتبْ عن النَّبيِّ ﷺ «إنَّ من حُسنِ إسلامِ المرءِ تركه مالا يعنيه»[2]؟ فسكتُ ومشى، وعطشتُ وأنا على ساحلِ البحرِ، فالتفتَ إليَّ، فقال: أنت عطشان؟ فقلت: لا. فمشى ساعةً، وقد[3] كظَّني العطشُ[4]. ثم التفتَ إليَّ وقال: أنتَ عَطشان؟ فقلت: نعم، وماتقدرُ أن تعملَ في مثلِ هذا الموضعِ؟ فأخذ الرَّكوةَ منِّي، ودخلَ البحرَ، وغرفَ من الماء، وجاءني به، وقال: اشربْ. فشربتُ ماءً أعذَبَ من ماءِ النِّيل، وأصفى لونًا، وفيه حَشيشٌ. فقلتُ في نفسي: هذا وليٌّ للهِ تعالى، ولكنْ أدَعُهُ حتى إذا وافَينا المنزلَ سألتُهُ الصُّحْبةَ. فوقفَ، وقال: أيُّما أحبُّ إليك تمشي أو أمشي؟ فقلتُ: إنْ تقَدَّمَ فأتني، ولكنْ أتقدَّمُ أنا وأجلسُ في بعضِ المواضعِ، فإذا جاءَ سألتُهُ

---

(١) في الروض المعطار ٤٢٢: عينونا في طريق مكة من مصر.

(٢) رواه مالك في الموطأ ٢/٩٠٣ في حسن الخلق: باب ماجاء في حسن الخلق؛ والترمذي (٢٣١٨، ٢٣١٩) في الزهد: باب رقم ١١؛ وابن ماجه (٣٩٧٦) في الفتن: باب كف اللسان في الفتنة. قال شيخنا عبد القادر الأرناؤوط حفظه الله تعالى: وهو حديثٌ حسن، وهو أصلٌ عظيمٌ من أصول الأدب. جامع الأصول ١١/٧٢٩.

(٣) في (أ): «وقلت».

(٤) كظَّهُ العطشُ: كربه وجهده وملأه. معجم متن اللغة (كظظ).

الصُّحبةَ. فقال: يا أبا بكر إنْ شئتَ تقدَّمْ وأجلسُ، وإنْ شئتَ فتأخَّرْ؛ فإنَّك لا تصحَبُني، ومضى وتركني، فدخلتُ المنزِلَ وكان لي به صديقٌ، وعندَهم عليلٌ، فقلتُ لهم: رشُّوا عليه من هذا الماءِ. فرشُّوا عليه فبَرَأَ، وسألتُهم عن الشَّخصِ فقالوا: مارأيناه[1].

رحمة اللهِ ورضوانه.

* * *

وقال ذو النُّون: إنَّه خرجَ بمصرَ يَستسقي، فاستعانَ بمفلوجٍ قد قَطَعَ الجُذامُ يديه ورجليه، وسألَهُ أنْ يَستسقي، فنظرَ المفلوجُ إلى السماءِ، وضحكَ، وقال: بقربِ ماكان بيننا البارحة. ثم قال:

ربـــاه أنـــت خلقتنـــي[2] ورَزَقْتَنـــي وستـــرتَنـــي
وعـــن العبـــادِ بفضـــلِ مـــا خـــوَّلْتنـــي أغنيتنـــي
وإذامَـــرِضـــتُ شَفيتَنـــي وإذا دَعـــوتُ أجبتَنـــي
وإذا هـــربـــتُ ردَدْتَنـــي وإذا زَلَلْـــتُ أقلتنـــي
وإذا عصيـــتُ رحِمتَنـــي وإذا أطعـــتُ جـــزَيتنـــي
يـــاسيِّـــدي، كـــنْ راضيًـــا عنِّـــي، فقـــد أَرْضَيتَنـــي

ثم قال: ياذا النون، إنَّ اللهَ تعالى يُريدُ قربَ القُلوبِ لاعمَلَ الجَوارح.
قال: فمُطِرْنا كأفواهِ القِرَب.

رحمة اللهِ عليه.

* * *

(١) صفة الصفوة ٣٢٨/٤، ٣٢٩.
(٢) في الأصل: «إلهي خلقتني»، وأثبت ما يناسب الوزن.

مَكَّة حرسها الله تعالى

قال عبد اللهِ بن المُبارك: كنتُ بمكَّةَ فأصابهم قَحطٌ، فخرجوا إلى المسجدِ الحرامِ يَستسقون، فلم يُسقَوْا، وإلى جانبي أسودُ مَنهوكٌ، فقال: اللهمَّ، إنَّهم قد دَعَوْكَ فلم تُجِبْهم، وإنِّي أُقسمُ عليك أنْ تسقِيَنا. قال: فواللهِ مالبِثْنا أنْ سُقينا. فانصرفَ الأسودُ واتَّبعتُه، حتى دخلَ دارًا في الحنَّاطين[1]، فعلَّمْتُها[2]. فلمَّا أصبحتُ أخذتُ دنانيرَ وأتيتُ الدار، وإذا رجلٌ على بابِ الدار، فقلتُ: مَنْ ربُّ هذه الدَّار؟ قال: أنا. قلتُ: مَملوكٌ لك أردتُ شِراءَه. فقال: لي أربعةَ عشرَ مملوكًا أُخرجُهم إليك. فأخرجَهم، فلم يكنْ فيهم، فقلتُ له: بقي شيءٌ؟ فقال: لي غلامٌ مريض. فأخرجَهُ فإذا هو الأسودُ، فقلتُ: بِعْنِيهِ[3]. فقال: هو لكَ ياأبا عبد الرحمن. فأعطَيتُهُ أربعةَ عشرَ دينارًا، وأخذتُ المملوكَ، فلمَّا صِرنا إلى بعضِ الطَّريقِ قال: يامولاي، أيُّ شيءٍ تَصنعُ بي وأنا مريض؟ فقلتُ: لِمَا رأيتُ منكَ عشيَّةَ أمس. قال: فاتَّكأَ على الحائطِ فقال: اللهمَّ إذْ شهرْتَني فاقبِضْني إليك. قال: فخرَّ مَيتًا. قال: فانجشرَ عليهِ أهلُ مكَّة.

وفي روايةٍ أُخرى أتمَّ من هذه، قال ابنُ المُبارك: قدِمتُ مكةَ فإذا الناسُ قد قُحِطوا من المطر، وهم يَستسقونَ في المسجدِ الحرام، وكنتُ في الناسِ ممَّا يلي بابَ بني شَيْبَةَ إذْ أقبلَ غلامٌ أسودُ، عليه قطعتا خيشٍ، قدِ اتَّزَرَ بإحداهما، وألقى الأخرى على عاتقه، فصارَ في موضِعٍ خفيٍّ إلى جانبي، فسمعتُهُ يقول: إلٰهي، أخلقتِ الوجوهَ كثرةُ الذُّنوب، ومساوئُ

---

(١) الحناطين: موضع بمكة، انظر تاريخ مكة للأزرقي ٢/٢٣٤، ٢٥١، والروض المعطار ١٩٤، وقد تحرفت في صفة الصفوة إلى الخياطين.

(٢) في (ب): «فعرَّفتها».

(٣) في (أ): «بعينه».

الأعمال، وقد منعتنا غيثَ السماءِ لتؤدِّبَ الخليقةَ بذلك؛ فأسألُكَ ياحليمًا ذا أناةٍ، يامَنْ لايعرفُ عِبادُهُ منه إلاَّ الجميلَ، اسقِهِمُ الساعةَ. فلم يزلْ يقول: الساعةَ الساعةَ حتى اسودَّتِ السماءُ بالغَمام[1]، وأقبلَ المَطرُ من كلِّ مكانٍ، وجلسَ مكانَهُ يُسبِّحُ، وأخذتُ أبكي، إذْ قامَ فاتَّبعتُهُ حتى عرفتُ موضعَهُ. فجئتُ إلى فُضيلِ بن عِياض، فقال لي: مالي أراكَ كئيبًا؟ فقلتُ: سبقَنا إليه غيرُنا، فتولاَّه دوننا. قال: وماذا؟ فقصصتُ عليه القصَّةَ. فصاحَ وسقطَ، وقال: ويحكَ ياابنَ المُبارك، خُذني إليه؛ قلت: قد ضاقَ[2] الوقتُ، وسأبحثُ عن شأنِه.

فلمَّا كانَ من الغدِ صلَّيتُ الغداةَ، وخرجتُ أُريدُ الموضعَ، فإذا شيخٌ على البابِ قد بُسِطَ له، وهو جالسٌ، فلمَّا رآني عرفَني، وقال: مرحبًا بك ياأبا عبد الرحمن، حاجتُكَ؟ فقلت له: احتجتُ إلى غُلامٍ أسود. فقال: نعم، عندي عِدَّةٌ، فاخترْ أيَّهم شئتَ. فصاحَ: ياغلام. فخرج غلامٌ جَلْدٌ، فقال: هذا محمودُ العاقبةِ أرضاهُ لك. فقلتُ: ليس هذا حاجتي. فما زالَ يُخرجُ واحدًا واحدًا حتى أخرجَ إليَّ الغلامَ، فلمَّا بصُرْتُ به بَدَرَتْ عينايَ فقال: هذا هو؟ قلتُ: نعم. فقال: ليسَ إلى بيعِه سَبيلٌ. قلت: ولِمَ؟ قال: قد تبرَّكْتُ بموضِعِه في هذه الدَّار، وذاكَ أنَّه لايَرْزَؤني شيئًا[3]. قلت: ومِنْ أين طعامُه؟ قال: يكسبُ[4] من فتلِ الشَّريطِ نصفَ دانقٍ أو أقلَّ أو أكثر، فهو قُوتُه، فإنْ باعَهُ في يومِهِ وإلاَّ طَوى ذلك اليوم، وأخبرني الغِلمانُ عنه أنَّه لاينامُ هذا الليلَ الطَّويل، ولايختلطُ بأحدٍ منهم، مُهتمٌّ بنفسِه، وقد أحبَّهُ قلبي.

فقلتُ: أنصرفُ إلى سفيانَ الثوريِّ وإلى فُضيلِ بنِ عِياض بغيرِ قضاءِ حاجة؟ فقال: إنَّ مَمشاكَ عندي كثير، خُذْه بما شئتَ. فاشتريتُهُ، فأخذتُ نحوَ دارِ فُضيل بن عياض، فمشيتُ ساعةً، فقال لي: يامَولاي، قلت:

---

(١) في (أ): «حتى استوت بالغمام».
(٢) في (ب): «خذني إليه فقد ضاق».
(٣) لا يرزؤني: لا يصيبُ من طعامي شيئًا.
(٤) في (ب): «يكتسب».

لبَّيكَ. قال: لاتقلْ لي لبَّيك، فإنَّ العبدَ أولى بأنْ يُلبِّيَ مولاه. قلتُ: حاجتُكَ ياحبيبي. قال: أنا ضعيفُ البَدَنِ لاأطيقُ الخدمةَ، وقد كان لك في غيري سعةٌ، وقد أخرجَ إليكَ منْ هو أجلدُ منِّي. فقلتُ: لايَراني اللهُ وأنا أستخدِمُك، ولكنْ أشتري لك مَنزِلاً وأُزوِّجُكَ وأخدُمُك أنا بنفسي. فبكى، فقلتُ له: مايُبكيك؟ فقال: أنت لم تفعلْ بي هذا إلاَّ وقد رأيتَ بعضَ مُتَّصلاتي باللهِ تعالى، وإلاَّ فلِمَ اخترتَني من بين أُولئكَ الغِلمان؟ فقلتُ: ليس بك حاجةٌ إلى هذا. فقال لي: أسألُكَ باللهِ إلاَّ أخبرتَني. فقلتُ: بإجابةِ دَعوتك. فقال لي: إنِّي أحسبُكَ إنْ شاءَ الله رجلاً صالحًا، إنَّ للهِ عزَّ وجلَّ خِيرَةً من خَلْقِه، لايكشفُ شأنَهم إلاَّ لمن أحبَّ من عِبادِه، ولايُظهرُ عليهم إلاَّ منِ ارتضى[1]. ثم قال لي: ترى أنْ تقفَ لي قليلاً؛ فإنه قد بقِيَتْ عليَّ ركعاتٌ من البارحة. قلتُ: هذا منزلُ فُضيل قريبٌ. قال: لا، هاهنا أحبُّ إليَّ، أمرُ اللهِ تعالى لايُؤخَّرُ. فدخلَ من بابِ الباعةِ إلىالمسجدِ، فمازالَ يُصلِّي حتى أتى على ماأراد، ثم التفتَ إليَّ، وقالَ: ياأبا عبد الرحمن، هل من حاجةٍ؟ قلتُ: ولمَ؟ قال: لأنِّي أُريدُ الانصراف. قلت: إلى أين؟ قال: إلى الآخرةِ. قلت: لاتفعلْ، دَعني أُسرَّ بك. فقال لي: إنَّما كانتْ تَطيبُ الحياةُ حيث كانتِ المُعاملةُ بيني وبينه تعالى، فإذا اطَّلعتَ عليها فسيطَّلعُ عليها غيرُك، فلا حاجةَ لي في ذلك. ثم خرَّ لوجهه، فجعلَ يقول: إلٰهي، اقبِضْني الساعةَ الساعة. فدنوتُ منه فإذا هو قد ماتَ، فواللهِ ماذكرتُهُ قطُّ إلاَّ طالَ حزني، وصَغرتِ الدُّنيا في عيني.

رحمة اللهِ عليهما ورضوانه.

* * *

وقال أبو سعيد الخرَّاز: كنتُ بمكةَ ومعي رفيقٌ لي من الوَرِعين، فأقمنا ثلاثةَ أيَّامٍ لم نأكلْ شيئًا. وكان بحذائنا فقيرٌ معه كُوَيزةٌ، وركوةٌ مُغطَّاةٌ بقطعةِ

---

(١) في (ب): «ارتضاه».

خيشٍ، وربَّما كنتُ أراهُ يأكلُ خبزَ حُوّارَى[1]، فقلتُ في نفسي: واللهِ لأقولَنَّ لهذا: نحن الليلةَ في ضيافتك. فقلت له، فقال: نعَمْ، وكرامة.

فلمَّا جاءَ وقتُ العِشاء جعلتُ أُراعيه ولم أرَ معه شيئًا، فمسح يدَهُ على ساريةٍ فوقعَ على يده شيءٌ، فناولَني، فإذا دِرهمانِ لاتُشْبهُ الدَّراهم، فاشترينا خبزًا وأُدمًا، فلمَّا مضى لذلك مدَّةٌ جئتُ إليه وسلَّمتُ عليهِ، وقلتُ: إنِّي مازلتُ أُراعيكَ تلك الليلة، وأنا أُحبُّ أن تُعرِّفَني بما وَصلتَ إلى ذلك؟ فإنْ كانَ يبلغُ به أحدٌ بعملٍ فعرِّفني[2]؟ فقال: ياأبا سعيد، ماهو إلاَّ حرفٌ واحدٌ. قلتُ: ماهو؟ قال: تُخرِجُ قدرَ الخلقِ من قلبكَ تصلْ إلى حاجتِك[3].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

وقال بُنانُ المِصريُّ: كنتُ بمكَّةَ قاعدًا، وشابٌ بين يدي فجاءَهُ إنسانٌ، وحملَ إليه كيسًا فيه دَراهمُ، فوضعه بين يديه، فقال: لاحاجةَ لي فيه. فقال: فرِّقْهُ على المساكين. ففرَّقَهُ. فلمَّا كان العشاءُ رأيتُهُ في الوادي يطلبُ شيئًا لنفسِه، فقلت: لو تركتَ لنفسِكَ ممَّا كان معكَ شيئًا. فقال: لم أعلمْ أنِّي أعيشُ إلى هذا الوقت[4].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

---

(١) الحُوّارَى: الدقيق المنقَّى، وهو لُباب الدقيق وأخلصُه. معجم متن اللغة (حور).

(٢) في (أ): «فحدثني».

(٣) صفة الصفوة ٢/ ٢٧٢.

(٤) صفة الصفوة ٢/ ٢٧٣.

وقال محمد بن يَعقوب الفرَجيُّ: دخلتُ مكَّةَ فوجدتُ بها شابًا ضريرًا. ثم غبتُ عنها أربعين سنةً ودخلتُها فوجدتُه شيخًا بصيرًا، فقلتُ له: إنِّي أرى عجبًا! قال: ومالذي ترى؟ قلتُ: رأيتُكَ شابًا ضريرًا، وأراكَ اليومَ شيخًا بَصيرًا! فقال: نعم، خرجتُ ليلةً مُقمرةً أطوفُ حول البيت، فلما أتيتُ الرّكنَ لأستلمَ الحجَر، وقعتْ عينايَ على امرأةٍ جميلةٍ حسناء، فأخذتْ بقلبي، فقلتُ: اللهمَّ، إنّك تعلمُ أنّي ماتعمَّدْتُ معصيتَكَ، ولاكان ذلك بقصدٍ منّي، ولكنْ عينايَ عَصتاكَ فخُذْهما، فلاحاجةَ لي فيهما، فأصبحتُ ضَريرًا كما رأيتَ، فلمَّا كان بعد ذلكَ في ليلةٍ مُظلمةٍ مُرعدةٍ مُبرقةٍ مُمطرةٍ قمتُ إلى وِرْدِي فطلبتُ[1] طهوري، فاستصعبَ عليَّ طلبُهُ، فقلت: اللهمَّ، إنِّي احتجتُ إلى عيني لإقامةِ حقِّكَ، اللهمَّ فردَّهما عليَّ. فأصبحتُ كما ترى.

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

وقال أبو بكر الكتّانيُّ: كان عندنا بمكةَ فتًى عليه أطمارٌ رثّةٌ، فكان لايُداخِلنا ولايُجالِسُنا. فوقعتْ محبّتُهُ في قلبي ففُتحَ لي بمئتي دِرهم من وجهٍ حلالٍ، فحملتُها إليه، ووضعتُها على طَرَفِ سجّادته، وقلتُ له: إنَّ هذا فُتح لي من وجهِ حلالٍ، فصرِّفْهُ في بعضِ أُمورِك. فنظرَ إليَّ شَزْرًا، ثم قال لي: اشتريتُ هذه الجلسةَ مع اللهِ تعالى على الفَراغِ بسبعين ألف دينار غير الضياع والمستغلّات، تُريدُ أن تخدعَني عنها بهذه. ثم قام وبدَّدَها، فقعدتُ ألتقطُها. فما رأيتُ كعزِّهِ حين قامَ وذهب، وكذُلّي حين التقطتُها.

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

---

(١) في (ب): «فأردت».

وقال عُبيد اللهِ بن أبي نوح: قال عابدٌ كان بمكةَ: ماتركتِ النارُ للعاقلِ سرورًا في أهلٍ ولاوَلد، وبئسَ المصيرُ مصيرُ مُفرطٍ في المُهلَة، متّكلٍ على الغِرَّةِ وطولِ الغَفْلة.

وقال لنا: لتكنِ الأثرةُ للهِ في قلوبكم المُستولية على جميعِ أُموركم، يُوشِكُ أن تفوزوا بذلك يومَ يَخسَرُ المبطلون.

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

اليمن

قال طاوس: بينا أنا بمكةَ بعثَ الحجَّاجُ فأجلسَني إلى جنبِه، وأتكأني على وِسادةٍ، إذْ سمعَ مُلبّيًا يُلبّي حولَ البيتِ رافعًا صوتَهُ بالتَّلبيةِ، قال: عليَّ بالرجل. فأُتيَ به، فقال: ممَّنِ الرَّجلُ؟ فقال: من المسلمين. فقال: ليسَ عن الإسلامِ سألتُ. قال: فعمَّ سألتَ؟ قال: سألتُكَ عن البلد. قال: من أهلِ اليَمن. قال: كيفَ تركتَ محمد بنَ يوسف ـ يريدُ أخاه ـ؟ قال: تركتُهُ عظيمًا جَسيمًا لبَّاسًا ركَّابًا خرَّاجًا ولأَّجا. قال: ليس عن هذا سألتُكَ. قال: فعمَّ سألتَ؟ قال: سألتُكَ عن سِيرتِه. قال: تركتُهُ ظَلومًا غَشومًا مُطيعًا للمَخْلُوقِ عاصيًا للخالِق. فقال له الحجَّاجُ: ماحمَلَكَ على أن تتكلَّمَ بهذا الكلام، وأنت تعلمُ مَكانَه منِّي؟ قال الرجلُ: تراهُ بمكانِهِ منكَ أعزَّ منِّي بمكاني[1] من اللهِ عزَّ وجلَّ، وأنا وافدُ بيتِهِ، ومُصدِّقُ نبيِّه، وقاضي دينه؟ قال: فسكتَ الحجَّاجُ فما أحارَ جوابًا، وقامَ الرجلُ من غيرِ أن يُؤذَنَ له، فانصرفَ.

---

(١) في (ب): «أعز به من مكاني».

قال طاوس: فقمتُ في أثرِه، وقلتُ: الرجلُ حَكيم. فأتى البيتَ فتعلَّقَ بأستارِهِ، ثم قال: اللهمَّ بكَ أعوذُ، وبك ألوذُ، اللهمَّ اجعلْ لي في اللَّهفِ إلى جودِكَ، والرِّضا بضمانِكَ مَندوحةً عن مَنعِ الباخلين، وغنًى عمَّا في أيدي المُستأثرين، اللهمَّ فرجَكَ القَريبَ ومعروفَكَ القديم، وعادتَكَ الحسنة. ثم ذهبَ في الناسِ فرأيتُه عَشيَّةَ عرفَةَ وهو يقول: اللهمَّ، إنْ كنتَ لم تقبلْ حجِّي وتَعبي ونَصَبي فلا تحرمْني الأجرَ على مُصيبتي بتركِكَ القبولَ منِّي. ثم ذهبَ في الناس، فرأيتُه غَداةَ جمع[1]، وهو يقول: واسوءتاه منك واللهِ وإنْ عَفَوْتَ. يُرَدِّدُ ذلك[2].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

وقال ذو النُّون: وُصِفَ لي رجلٌ باليمن قد برزَ على الخائفين، وسمَا على المجتهدين، وذُكِرَ لي باللُّبِّ والحِكمة. فخرجتُ حاجًا، فلمَّا قضيتُ نُسكي مَضيتُ إليه لأسمعَ كلامَه، وأنتفعَ بموعظتِه أنا وناسٌ كانوا معي يَطلبونَ منه مِثْلَ ماأطلب، وكانَ معنا شابٌ عليه سيماءُ الصالحين، ومَنظرُ الخائفين، وكان مصفارَّ الوجهِ من غيرِ مرضٍ، أعمشَ العينين من غيرِ عَمَشٍ، ناحلَ الجسمِ من غيرِ سقَمٍ، يُحبُّ الخَلوةَ، ويأنسُ بالوحدةِ، تراهُ أبدًا كأنَّه قريبُ العهدِ بالمُصيبة، فخرجَ إلينا فجلسْنَا إليه، فبدأَ الشابُّ بالسلامِ عليه، وصافَحَه، فأبدى له الشيخُ البِشرَ والترحيبَ، ثم سلَّمْنا عليه، فقال الشابُّ: إنَّ اللهَ بمنِّهِ وفضلِه قد جعلَكَ طَبيبًا لسقامِ القلوب، ومُعالِجًا لأوجاعِ الذُّنوب، وبي جرحٌ نَغِلٌ، وداءٌ قد استكمَلَ، فإنْ رأيتَ أن تتلطَّفَ لي ببعضِ مَراهمِك، وتُعالجَني برفقِك. فقال له الشيخ: سلْ مابدا لك

---

(١) غداة جمع: في غداة يوم من أيام منى. انظر معجم متن اللغة (جمع).
(٢) صفة الصفوة ٢/٢٩٨، ٢٩٧، روض الرياحين ٢٨٥ (الحكاية: ٢٢٣).

يافتى. فقال له الشابُ: يرحمُكَ الله، ماعلامةُ الخوفِ من الله؟ قال: أنْ يؤمِّنَهُ خوفُهُ كلَّ خوفٍ غيرَ خوفِه. قال: متى يتبيَّنُ للعبدِ خوفُه من الله؟ قال: إذا نزَّلَ نفسَه من الدُّنيا منزلةَ السَّقيم، فهو يحتمي من أكلِ الطعامِ مخافةَ السقام، ويَصبِرُ على مَضَضِ كلِّ دَواءٍ مخافةَ طولِ الضَّنَى. فصاحَ الفتى صيحةً، ثم بقي باهتًا ساعةً، ثم قال: رحمكَ الله، ماعلامةُ المُحِبُّ لله؟ فقال له: حبيبي، إنَّ درجةَ الحبِّ درجةٌ رفيعةٌ. قال: فأنا أُحبُّ أنْ تصفَها لي. قال: إنَّ المُحبِّينَ للهِ تعالى شُقَّ عن قلوبِهم، فأبصروا بنورِ القلبِ عن جلالِ الله، فصارتْ أبدانُهم دنياويَّةً، وأرواحُهم حجبيَّةً، وعقولُهم سماويَّةً، يَسرحُ بين صفوفِ الملائكةِ، وتشاهدُ تلك الأمورُ باليقين فعبدوه بمبلغِ استطاعتِهم حُبًّا له، لا طَمَعًا في جنَّةٍ، لاخَوفًا من نارٍ. فشهقَ الفتى وصاحَ صيحةً كانت فيها نفسُهُ. قال: فأكبَّ الشيخُ عليه يَلثمُه، ويقول: هذا مصرعُ الخائفين، وهذه درجةُ المُجتهدين[1].

رحمة الله عليه ورضوانه.

* * *

وقال أبو بكر القرشي: قرأتُ في كتاب جعفر الخُلْدِيّ[2] بخطِّه قال سلامة: كنتُ باليمن في بعضِ مَخاليفِها[3]، فإذا رجلٌ معه ابنٌ شابٌّ، فقال: إنَّ هذا أبي، وهو خيرُ الآباء، ولي بقَرٌ تأتيني مساءً، فأحلبُها ثم آتي أبي وهو في الصلاةِ فأحبُّ أن يكونَ عيالي يشربونَ فضلَه، فلا أزالُ قائمًا عليه، والإناءُ في يدي، وهو مُقبلٌ على صلاتِه، فعسى أن لاينفتِلَ ويُقبلَ حتى يَطلعَ الفجرُ. قلتُ للشيخ: ماتقول؟ قال: صدَق. وأثنى على ابنه،

---

(١) صفة الصفوة ٢/٢٩٩، ٣٠٠.

(٢) في صفة الصفوة ٢/٣٠١: «جعفر الآدمي».

(٣) المخاليف في اليمن كالكُورِ بالعراق، والأجنادِ بالشام. مفردُها مِخْلاف، وهو الصُّقْع أو المدينة. انظر معجم متن اللغة (خلف).

وقال: إنّي أُخبركَ بعُذري: إذا دخلتُ في الصلاةِ فاستفتحتُ القرآنَ ذهبَ بي مذاهبَ، وشغلَني حتى ماأذكرهُ حتى أُصبح.

قال سلامةُ: ذكرتُ أمرَهما لعبد اللهِ بن مَرزوق فقال: هذانِ يُدفعُ بهما عن أهلِ اليمن.

قال: وذكرتُ أمرَهما لابنِ عُيينةَ فقال: هذانِ يُدفَعُ بهما عن أهلِ الأرض[1].

رحمة اللهِ عليهما ورضوانه.

* * *

وقال أبو عمرو الخيّاط: قال لي الخَضِرُ عليه السلام: ماكنتُ أظنُّ أنَّ للهِ عزَّ وجلَّ وليًا إلاَّ وقد عرفتُهُ، فكنتُ بصنعاءِ اليمنِ في المسجد، والناسُ حولَ عبد الرزّاق يستمعونَ منه الحديث، وشابٌّ جالسٌ في ناحيةِ المسجد، فقال لي: ماشأنُ هؤلاء؟ قلتُ: يستمعونَ من عبد الرزّاق. فقال: عن مَنْ؟ فقلتُ: عن فلانٍ عن فلانٍ عن النبيِّ ﷺ. قال: فهلاَّ سمعوا من الرزّاقِ عزَّ وجلَّ؟ قلتُ له: فأنتَ ممَّن يسمعُ عن اللهِ عزَّ وجلّ؟ فقال: نعم. فقلت: من أنا؟ فقال: الخَضِر. فعلمتُ أنَّ للهِ عزَّ وجلَّ أولياء ماعرفتُهم[2].

رحمة اللهِ عليه.

* * *

---

(١) صفة الصفوة ٢/٣٠١.

(٢) روض الرياحين: ١٨٢ (الحكاية ١٠٦) وفيه عن الخضر أنه سأله بعضُ الأبدال ... دخلت مسجد ... والمكان في مدينة رسول الله ﷺ.

أمكنةٌ مجهولة

قال شقيق: كنتُ في زرعٍ إذ أقبلتْ سحابةٌ تَرَهْيَأُ[1]، قال: فسمعتُ فيها صوتًا: أمطري زرعَ فلان. قال: فأتيتُ الرجلَ فسألتُه: ماتصنعُ في زرعِك؟ قال: أبذُرُ ثُلُثَه، وآكلُ ثُلُثَه، وأتصدَّقُ بثُلُثِه[2].

رحمة اللهِ عليه.

* * *

وقال البَختريُّ بن حارثة: دخلتُ على عابدٍ مرَّةً فإذا بين يديه نارٌ قد أجَّجَها، وهو يُعاتِبُ نفسَه. فلم يزلْ يُعاتِبُها حتى مات[3].

رحمة الله عليه.

* * *

وقال ميمونُ بنُ سِياه: كنتُ أنا وخالد الرَّبَعيُّ ونفَرٌ من أصحابِنا نذكرُ الله، فوقفَ علينا رجلٌ أسودُ فقال: هل ذكرتُمُ الموتَ فيما أنتم فيه[4]؟ قال: قلنا: إنَّا لنذكرُه كثيرًا، وماذكرْناهُ يومَنا هذا. قال: فبكى وقال: لقد أغفلتُمْ مالايُغفِلكم، ونَسِيتُم مايُحصي عليكم الأنفاسَ لقدومِهِ عليكم. ثم مالَ ليسقطَ، فساندَهُ رجلٌ من القوم، فخرجتْ نفسُه، وإنَّا لننظرُ إليه. قال: فنظرنا فلم نجدْ أحدًا يعرِفُه، قال: فغسَّلْناهُ، وحنَّطْناهُ، وكفَّنَّاهُ ودفنَّاه[5].

رحمة اللهِ عليه.

* * *

---

(١) ترهيأ السَّحاب: اضطرب، وتهيأ للمطر. معجم متن اللغة (رهو).

(٢) صفة الصفوة ٤/ ٤٣١.

(٣) صفة الصفوة ٤/ ٤٣٢.

(٤) في (أ): «فيما كنتم فيه».

(٥) صفة الصفوة ٤/ ٤٣٣.

وقال شُعيب بن حرب: صحِبَني رجلانِ في سفينةٍ، فأخذَ أحدُهما حبَّةً من حنطةٍ فألقاها في فيه، فقال له صاحبُهُ: مَهْ، أوَأيَّ شيءٍ وضعتَ[1]؟ قال: سهَوتُ. قال: لأنْ تأكلَني السِّباعُ أحبُّ إليَّ من أن أصحَبَ رجلاً يَسهو عن اللهِ عزَّ وجلَّ. قال: ثم قال: ياملاح، قرِّبْ. فخرجَ.

قال شُعيب: فسمعنا زئيرَ الأسدِ من الغَيضةِ، فما نَدْري ماحالُ الرجل. قال: فالتفتَ إليَّ صاحبُه، فقال: إنَّ هذا صاحبي مُنذُ أربعين سنةً أو نيِّفٍ وأربعين سنةً مارأى عليَّ زلَّةً قبلَها[2].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه آمين.

* * *

وقال أيوب الحمَّالُ: كان فتًى ينتحلُ التوكُّلَ، وكان عزيزًا عند الأخذِ من الناس، وكان إذا احتاجَ إلى قُوتِهِ وجدَهُ موضوعًا، فقيل له: احذَرْ، لايكونُ الشيطانُ يَخدعك. فقال: أنا إلى اللهِ تعالى ناظرٌ، ومنه آخُذُ مارزَقَني، فإنْ كان عدوِّي قد سُخِّرَ لي فلا فرَّجَ الله عنه، وأيُّ شيءٍ أحسنُ منِّي؟ يخدمني عدوِّي[3]، وأنا ساكنٌ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ لاإليه[4].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

وقال حَيدَرةُ بنُ عُبيد: دخلنا على رجلٍ من العُبَّادِ نَعودُه، فقلنا له: كيفَ تجِدُك؟ قال: ذنوبٌ كثيرةٌ، ونفسٌ ضعيفةٌ، وحسناتٌ قليلةٌ، وسَفْرَةٌ طويلةٌ، وغايةٌ مَهُولَةٌ. قال: قلنا: فما معكَ من الزَّادِ لما ذكرتَ؟ قال: معي

---

(١) في (أ): «أو أي شيءٍ صنعت؟».
(٢) صفة الصفوة ٤/٤٣٣.
(٣) في (أ): «وأي شيء يخدمني أحسن مني عدوي».
(٤) صفة الصفوة ٤/٤٣٤.

الأمَلُ في السيِّدِ الكريم. ثم قال: اللهمَّ، لا تقطَعْ بمُؤمِّلِكَ في تلك الغَمَرات، وارحمْهُ في تلك الحَيرة والحسرات إذا انخلعتِ القلوبُ يومَ[1] النَّدامات. وجعل يتشهَّدُ حتى مات[2].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

وقال أبو عبد الله الدِّينَوَرِيُّ: إنَّهُ كان يومًا جَالِسًا، فدخلَ عليه فقيرٌ عليه آثارُ الضُّرِّ، قال: فطالبتني نفسي أن أجيئَهُ بشيءٍ، فهممتُ أن أرهَنَ نعلي فمنعتْني نفسي، وقالت: كيف تتمُّ لك الطهارةُ مع الحَفاء؟ فقلت. أرهَنُ ركوتي، فمنعتْني نفسي، وقالت: فبأيِّ شيءٍ تتوضَّأُ؟ فهممتُ أنْ أرهَنَ مِنديلي، فمنعتني، وقالتْ تبقَى مكشوفَ الرَّأسِ. فقلت: ومافي ذلك؟ فجعلتُ أُراجعُها في ذلك. فقامَ الفقيرُ، فشدَّ وسطَهُ، وأخذَ عصاهُ بيده، ثم التفتَ إليَّ، وقال: ياخَسيسُ، احفظْ مِنديلَكَ فإنِّي خارجٌ.

فاعتقدْتُ مع اللهِ أنْ لا آكلَ الخبزَ حتى ألقاهُ. فقِيلَ إنَّه أقامَ ثلاثين سنةً لايأكلُ الخبزَ[3].

رحمة اللهِ عليه ورضوانه.

* * *

---

(١) في (ب): «انخلعت إليك يوم».

(٢) صفة الصفوة ٤/ ٤٣٤، ٤٣٥.

(٣) روض الرياحين ٢٨٦ (الحكاية ٢٢٤).

الباب الثاني من القسم الثاني

في النساء المجهولات الأسماء

البصرة

قال عُوَيْذ[1] بن أبي عمران الجَوْنِيِّ: كانتْ أُمِّي تقومُ من الليلِ فتُصلِّي حتى تَعصِبَ ساقيها بالخِرَق، فيقولُ لها أبو عِمران الجَوْني: دون هذا ياهذه! فتقول: هذا عند طُولِ القيامِ في المَوقفِ قليل. فيسكتُ عنها[2].

رحمة اللهِ عليها.

* * *

وقال أبو يوسف البزَّار: تزوَّجَ رياحُ القيسيُّ امرأةً، فبَنَى بها، فلمَّا أصبح، قامتْ إلى عَجينِها، فقال: لو نظرتِ إلى امرأةٍ تكفيكِ هذا؟ فقالت: إنَّما تزوَّجتُ رياحًا القيسيَّ، ولم أراني تزوَّجتُ جبَّارًا عَنيدًا.

فلمَّا كان الليلُ نامَ ليختبِرَها، فقامتْ رُبعَ الليلِ، ثم نادَتْه: قم يارياح. فقال: أقومُ. فلم يَقم. فقامتِ الرُّبُعَ الآخر، ثم نادَتْهُ قم يارياح. فقال: أقومُ. فلم يقم[3]. فقامتِ الرُّبعَ الآخر ثم نادتْهُ: قم يارياح. فقال: أقومُ.

---

(1) كذا في الأصل، وهو كذلك في التاريخ الكبير ٧/ ٩٢، والثقات ٨/ ٥٢٦، أما ماجاء في الجرح والتعديل ٧/ ٤٥، والأنساب ٣/ ٣٧٧ فهو: عَوبد. قال محقق كتاب التاريخ الكبير رحمه الله: ووقع في الميزان، ولسان الميزان ٤/ ٣٨٦ «عويذ» لكن الظاهر من ترتيبهما أنه عوبد، فإنه في الميزان بين عوام وعوسجة، وفي اللسان بين عوانة وعوسجة.

(2) صفة الصفوة ٤/ ٤٣.

(3) في (أ): «فقامت الربع الآخر فنادته، فقالت: قم يارياح. فقال: أقوم. فلم يقم. =

فقالتْ: مَضى عسكرُ[1] الليلِ، وعسكرَ المُحسِنونَ وأنتَ نائم، ليت شِعري من غَرَّني بك ياًرياح. وقامتِ الرُّبعَ الباقي[2].

رحمة الله عليها ورضوانه.

* * *

وقال سفيانُ الثَّوريُّ: دخلتُ على بنتِ أمِّ حسَّان الأسديَّة، وفي جبهتِها مِثلُ ركبةِ العَنْزَةِ من أثرِ السُّجود. فقلتُ لها: يابنتَ أُمِّ حسَّان، ألا تأتينَ عبدَ اللهِ بنَ شهاب بن عبد الله؟ فلو رفعتِ إليه رُقعةً لعلَّهُ أن يُعطيكِ من زكاةِ مالِهِ ماتُغيِّرينَ به بعضَ الحالةِ التي أراها بك. فدعتْ بمِعْجَرٍ[3] لها، فاعتجَرَتْ به، وقالتْ: ياسفيان، قد كانَ لك في قلبي رُجحانٌ كثير أو كبير، فقد أذهبَ اللهُ برجحانِكَ من قلبي ياسفيان. أتأمُرُني أنْ أسألَ الدُّنيا من لايَملِكُها؟! وعزَّتِهِ وجلالِهِ إنِّي لأستحي أنْ أسألَهُ الدُّنيا، وهو يَملِكُها.

قال سفيان: وكانتْ إذا جنَّ عليها الليلُ دخلتْ مِحرابًا لها، وأغلَقَتْ عليها ثم نادَتْ[4]: إلٰهي، خلا كلُّ حَبيبٍ بحبيبه، وأنا خاليةٌ بك يامَحبوب. فما كان من سِجْنٍ تَسجنُ[5] فيه من عَصاك إلاَّ جهنَّم؟ ولاعذابٍ إلاَّ النار؟

قال سفيان: فدخلتُ عليها بعد ثلاثٍ فإذا الجُوعُ قد أثَّرَ في وجهها،

= فقامت الربعَ الآخر ثم نادته قم يارياح. فقال: أقومُ. فقالت: مضى عسكر».

(١) العسكر: الكثير من كلِّ شيء. معجم متن اللغة (عسكر).

(٢) صفة الصفوة ٤/ ٤٣، ٤٤. وقد تقدمت هذه الحكاية، انظر الصفحة ٢٦٠ من هذا الجزء.

(٣) المعجر: ثوب أصغر من الرداء، وأكبر من المِقنعة، تلفُّه المرأة على استدارةِ رأسها ثم تتجلببُ فوقه بجلبابها. معجم متن اللغة (عجر).

(٤) في (ب): «وأغلقت عليها بابها وقالت».

(٥) في صفة الصفوة ٤/ ٤٥: «سُخْنٍ يُسخَّن».

فقلتُ لها: يابنتَ أُمِّ حسَّان، إنَّكِ لن تُؤتَي أكثرَ ممَّا أُوتيَ موسى والخضِر عليهما السلام ﴿إذ أتَيَا قريَةً استطعما أهلها﴾[الكهف: ٧٦]. قالت: ياسفيان، قلِ الحمدُ لله. فقلتُ: الحَمدُ لله. فقالت: اعترفتَ له بالشُّكر؟ قلتُ: نعم. قالت: وجبَ عليك من معرفتِه[1] الشُّكر، وبمعرفةِ الشُّكرَيْنِ شكرٌ لايَنقضي أبدًا. قال سفيان: فقَصُرَ واللهِ علمي وفَتَرَ[2] لساني، فولَّيتُ أُريدُ الخروجَ. فقالت: ياسفيان، كفَى بالمرءِ جهلاً أن يُعجبَ بعلمِه، وكفى بالمرءِ عِلمًا أن يَخشى اللهَ عزَّ وجلّ. اعلمْ أنَّه لن تُنقَّى القلوبُ من الرَّدِيءِ حتى تكونَ الهمومُ كلُّها في اللهِ همًّا واحدًا.

قال سفيان: فقَصُرَتْ واللهِ إليَّ نفسي[3].

رحمة الله عليها ورضوانه.

* * *

وقال أبو الأحوص: كانت مولاةٌ لإبراهيمَ تعمِدُ إلى اليوم الشديدِ الحرِّ فتصومُه. فقيل لها: إنَّكِ تَعمِدِينَ إلى أشدِّ الأيامِ حرًّا فتصومينَهُ. فقالت: إنَّ الشِّعْرَ إذا رَخُصَ اشتراهُ كلُّ أحد.

رحمة الله عليها ورضوانه.

* * *

وقال أبو الحسن محمدُ بنُ هلال بن المحسِّن[4] في «تاريخه»: كانتْ

---

(١) في صفة الصفوة: «معرفة».

(٢) في (أ): «وفه» والفَهَّةُ: العِيُّ. القاموس (فهه).

(٣) صفة الصفوة ٤/ ٤٥، ٤٦.

(٤) هو محمد بن هلال بن المحسِّن بن إبراهيم الصابئ أبو الحسن غِرْسُ النِّعمة، مؤرِّخٌ أديبٌ مترسِّل، من أهلِ بغداد، كان محترمًا عند الخلفاءِ والملوك. له «عيون التواريخ» والكتاب من سنة ٤٤٨ إلى سنة ٤٧٩. توفي سنة ٤٨٠. الأعلام ٧/ ١٣٢.

عجوزٌ زاهدةٌ صالحةٌ بالبصرةِ تُعرفُ بالماوردِيَّة، قاربتْ ثمانين سنة، وبقيتْ خمسين سنةً لم تُفطر، ولم تَنَمِ الليلَ، ولم تأكلْ خُبزًا ولا رُطَبًا ولاتَمرًا، وإنَّما تطحنُ لها باقِلَّاء، وتخبزُ لها منه خبزًا تقتاتُهُ، وتأكلُ التِّينَ اليابسَ دونَ الرَّطْب، وتنالُ من الزَّبيب والعِنَبِ واللَّحمِ الشيءَ اليسير، وكانتْ تكتبُ وتقرأُ وتَعِظُ النِّسوان، وكانت كثيرةَ الخيرِ والبركة، وتُوفِّيَتْ يوم الجمعةِ لخمسٍ بَقينَ من ذي الحجَّةِ سنةَ ستٍّ وستين وأربع مئة، وتبع جنازتَها أكثرُ الناسِ، ودُفنتْ خارجَ البلدِ، عند قُبورِ الصالحين[1].

رحمة اللهِ عليها ورضوانه.

* * *

وقال أبو مُحْرِز الطُّفَاويّ: شكوتُ إلى جارةٍ لنا ضِيقَ المَكسبِ عليَّ، وأنا شابٌّ، فقالتْ لي: يابُني، استعِنْ[2] بعزِّ القناعةِ عن ذُلِّ المطالبِ. فكثيرًا ـ واللهِ ـ مارأيتُ الكثيرَ عادَ وَخيمًا. وكثيرًا ـ واللهِ ـ مارأيتُ القليلَ عادَ سليمًا.

قال أبو مُحْرِز: مازلتُ بعدُ أعرفُ بركةَ كلامِها في قُنوعي[3].

رحمة اللهِ عليها ورضوانه.

* * *

وقال الحسينُ بنُ جعفر: سمعتُ أبي قال: صلَّيتُ العيدَ في الجَبَّان، ثم انفردتُ، فإذا أنا بعجوزٍ رافعةٍ يديها، وهي تقول: انصرفَ الناسُ، وقد أشعرَ قلبي الياسُ، ياصاحبَ الصَّرْفةِ، هاأناذا مُنصرفة، فليتَ شعري مازوَّدْتني؟ ربِّ ارحمْ ضَعْفي، وكِبَرَ سنِّي، خرجتُ أرجوكَ فلا تخيِّبْ حُسْنَ

---

(١) المنتظم ٨/ ٢٨٩، وصفة الصفوة ٤/ ٤٧.
(٢) في (ب): «استغْنِ».
(٣) صفة الصفوة ٤/ ٤٨.

ظنّي بك. وهي تبكي. فما انتفعتُ بنفسي يومي[1].

رحمة اللهِ عليها ورضوانه.

* * *

وقال حمَّادُ بن سَلمة: ألحَّ علينا المطرُ سنةً من السِّنين، وفي جِواري امرأةٌ من المتعبِّداتِ، لها بناتٌ أيتامٌ، فوكفَ السَّقفُ عليهن، فسمعتُها تقول: يارَفيق، ارفُقْ بي. فسكَنَ المطرُ. فأخذتُ صُرَّةً فيها عشرةُ دنانير، وقرعتُ بابَها، فسمعتُها تقول: ربِّ، اجعلْهُ حمَّادَ بنَ سلمة. قلتُ: أنا حمَّادُ بنُ سلمة، سمعتُكِ وقد تأذَّيتِ بالمطر، فقلتِ: يارفيق، ارفُقْ بي، فما بلغَ من رِفقِه بك؟ فقالتْ: سكَّنَ المطرَ، وأدفأَ الصِّبيان، وجفَّفَ البيتَ. فأخرجتُ الدَّنانيرَ، وقلتُ: انتفعي بهذه. فإذا صَبيَّةٌ عليها مِدْرَعةٌ من صوفٍ، تستبين خُروقها، وقد خرجتْ عليَّ، وقالت: ألاَ تسكتُ ياحمَّاد، تعترضُ بيننا وبين ربِّنا ومولانا؟ ثم قالت: ياأُمَّاه، قد علمنا أنَّا لما شكَونا مَولانا أنَّه سيبعثُ إلينا بالدُّنيا ليطرُدَنا من بابه. ثم ألصقتْ خدَّها بالتُّراب، وقالت: أما أنا ـ وعزَّتِكَ ـ لازايَلْتُ بابَكَ وإنْ طردْتَني. ثم قالت: ياحمَّادُ ردَّ ـ عافاكَ اللهُ ـ دنانيرَكَ إلى الموضِعِ الذي أخرجتَها منه؛ فإنَّا رفعنا حوائجَنا إلى مَنْ يَقبلُ الودائعَ، ولايَبخسُ العاملين[2].

رحمة اللهِ عليهم ورضوانه.

* * *

وقال رُزَيق الصُّوفي: حدثني عبدُ الواحدِ: قال عُتبةُ الغلام: خرجتُ من البصرةِ فإذا بخِباءِ أعرابٍ قد زَرعوا [زرعًا]، وإذا أنا بخيمةٍ، وفي الخيمةِ جاريةٌ مجنونةٌ عليها جُبَّةُ صوفٍ عليها مكتوبٌ: لاتُباعُ ولاتُشترَى.

---

(١) صفة الصفوة ٤/٤٩.

(٢) في (ب): «المعاملين»، والخبر في صفة الصفوة ٤/ ٥٠.

فدنوتُ فسلَّمْتُ فلم تردَّ عليَّ السلام، ثمَّ ولَّيتُ فسمعتُها تقول:

زَهِدَ الزاهدونَ والعابدونا | إذ لمولاهم أجاعوا البُطونا
أسهروا الأعينَ القريحةَ فيهِ | فمضَى ليلُهم وهم ساهرونا
حَيَّرتْهُم محبَّةُ اللهِ حتى | عَلِمَ الناسُ أنَّ فيهم جُنونا
هم ألِبَّاءُ ذُو عُقولٍ ولكنْ | قد شَجَاهم جميعُ مايعرفونا

قال فدنوتُ منها، وقلتُ: لمنِ الزَّرعُ؟ فقالت: لنا، إنْ سلِمَ. فتركتُها وأتيتُ بعضَ الأخبيةِ، فأرخَتِ السماءُ كأفواهِ القِرَب. فقلت: واللهِ لآتينَّها، فأنظرَ قصَّتَها في هذا المطر، فإذا أنا بالزَّرعِ قد غَرِقَ، وإذا بها قائمةٌ، وهي تقول: والذي أسكنَ قلبي من طرفِ صفاءِ مودَّةِ محبَّتِهِ، إنَّ قلبي ليوقِنُ منك بالرِّضا. ثم التفتَتْ إليَّ فقالت: ياهذا، إنَّه زَرَعَهُ فأنبتَهُ، وأقامَهُ فسَنْبَلَه، وركَّبَهُ فشقَّقَه، وأرسَل عليه غَيثًا مُتَغَطْمِطًا[1] فسقاه، واطَّلَعَ عليهِ فحفِظَهُ، فلما دَنا حصادُهُ أهلَكَه. ثم رفعتْ رأسَها نحوَ السماء، فقالت: إلٰهي، العبادُ عبادُك، وأرزاقُهم عليك، فاصنَعْ ماشئتَ. فقلتُ لها: كيف صَبْرُكِ؟ فقالت: اسكتْ ياعتبة:

إنَّ إلٰهي لغَنِيٌّ حَميدْ | في كلِّ يومٍ منه رِزْقٌ جَديدْ
الحمدُ للهِ الذي لم يزَلْ | يَفعلُ بي أكثرَ ممَّا أُريدْ

قال عُتبة: فواللهِ ماذَكرتُ كلامَها إلاَّ هيَّجَني[2].

رحمة اللهِ عليها.

* * *

---

(١) الغَطْمَطَةُ: اضطرابُ موجِ البحر، وصوتُ السيل في الوادي. القاموس (غطمط).
(٢) صفة الصفوة ٤/٥١، ٥٢، روض الرياحين ١٠٣ (الحكاية ٢٩).

بغداد

قال الجُنيد بن محمد: كان أبو شُعيب البَرَاثيُّ أوَّلَ من سكنَ بَرَاثا[1] في كوخٍ يتعبَّدُ فيه، فمرَّتْ بكوخِهِ جاريةٌ من بناتِ الكِبار من أبناءِ الدُّنيا كانتْ رُبِّيَتْ في قصورِ المُلوك، فنظرتْ إلى أبي شُعيب فاستحسنَتْ حالَهُ وماكان عليه، فصارتْ كالأسيرِ له، فعزَمَتْ على التجرُّدِ من الدُّنيا والاتِّصالِ بأبي شُعيب، فجاءتْ إليه، وقالت: أُريدُ أن أكونَ لك خادمةً. فقال لها: إنْ أردتِ ذلك فغيِّري من هيئتِك، وتجرَّدي ممَّا أنتِ فيه حتى تَصلُحي لِما أردتِ. فتجرَّدَتْ عن كلِّ ماتملكُهُ، ولبِسَتْ لبسةَ النُّسَّاكِ وحَضَرَتْهُ فتزوَّجَها.

فلمَّا دخلتِ الكوخَ رأتْ قطعةَ خُصَّافٍ[2] كان يجلسُ عليها أبو شُعيب تقيهِ من النَّدَى. فقالت: ماأنا بمقيمةٍ فيها حتى تُخرِجَ ماتحتك؛ لأنِّي سمعتُكَ تقول: إنَّ الأرضَ تقولُ لابنِ آدَم: تجعلُ اليومَ بيني وبينك حِجابًا، وأنتَ غدًا في بطني؟ فما كنتُ لأجعلَ بيني وبينها حِجابًا. فأخذَ أبو شعيب الخُصَّافَ فرمى بها.

فمكثَتْ معه سنين كثيرةً يتعبَّدانِ أحسنَ عِبادة، حتى تُوفِّيا على ذلك مُتعاوِنَيْنِ.

رحمة اللهِ عليهما.

* * *

وقال نُوحٌ الأسود: كانتِ امرأةٌ تأتي أبا عبد اللهِ البَرَاثيَّ فتجلِسُ تسمعُ كلامَه، ولاتكادُ تتكلَّمُ، ولاتسألُ عن شيء. فقلتُ لها ذاتَ يومٍ: لاأُراكِ ـ رحمَكِ الله ـ تكلَّمينَ ولاتسألينَ عن شيء؟! فقالت: قليلُ الكلامِ خيرٌ من

---

(١) انظر الحاشية رقم (٤) ص ٢٤٠ من هذا الجزء.

(٢) الخُصَّاف: حصير من خوص (ورق النخيل). معجم متن اللغة (خصف).

كثيرِه، إلاَّ ماكان من ذكر اللهِ تعالى؛ والمُنصِتُ أفهمُ للمعرفةِ والمَوعظةِ، ولن يَنصحكَ امرؤٌ لاينصحُ نفسَه؛ وجملةُ الأمرِ ياأخي، إنْ أردتَ اللهَ بطاعتِه أرادَكَ برحمتِه، وإنْ سَلكتَ سبيلَ المُعرِضين فلا تَلُمْ إلاَّ نفسَكَ إذا حُشرتَ غدًا في زُمرةِ الخاسرين. قال: ثم استبكَتْ، فقامتْ.

وسمعتُها تعظُ ابنًا لها يومًا وتقول: ويحك [يابُني، احذَرْ بِطالاتِ الليلِ والنهار، فتنقضي مُهلاتُ الأعمار][1] وأنتَ غيرُ ناظرٍ لنفسِكَ، ولامُستعدٌ لسفرِكَ، ويحك يابُني، مامن المَحبّةِ[2] عِوَضٌ، ولا في رُكوب المعاصي ثمنٌ من حلولِ النار. ويحكَ يابُني، احذَرْ بِطالاتِ الليلِ والنهار. ويحكَ يابُني، امهدْ لنفسِك قبلَ أنْ يُحالَ بينك وبين ذلك، وجِدَّ قبلَ أن يَجِدَّ[3] الأمرُ بك، واحذرْ سطواتِ الدُّهورِ، وكيدَ الملعونِ عند هجومِ الدُّنيا بالفتن، وتقلُّبِها بالعِبَر، فعند ذلك يَهتمُّ التقيُّ، كيف يَنجو من مصائبِها؟ ثم قالت: بُؤسًا لك يابُنيَّ إنْ عصَيتَ اللهَ وقد عرَفْتَه، وعرفتَ إحسانَه، وأطعتَ إبليسَ وقد عرفتَهُ، وعرفتَ طُغيانَه[4].

رحمة اللهِ عليها ورضوانه.

* * *

وقال علاّنُ[5] صاحبُ سَريّ: كان لسَريٍّ تلميذةٌ، وكان لها وَلَدٌ عند المعلِّمِ في الكُتّاب، فبعثَ به المعلِّمُ إلى الرَّحى[6]، فنزلَ الصبيُّ في الماءِ،

---

(1) مابين معقوفين مستدركٌ من صفة الصفوة ٢/ ٥٢٩.

(2) في صفة الصفوة: «مامن الجنة».

(3) في (أ): «وجد قبل لايجد».

(4) صفة الصفوة ٢/ ٥٢٩، ٥٣٠.

(5) في صفة الصفوة ٢/ ٥٣٠: غيلان، وأظنُّه هو الصواب. انظر ترجمةَ غيلان السمرقندي في طبقات الأولياء ٣٥٠.

(6) الرَّحى: الحجر المستدير يطحنُ به. متن اللغة (رحي) أقول: أي أرسلَه إلى طاحونةٍ مائية.

فغرِقَ، فجاءَ المُعلِّمُ إلى سريٍّ فأخبرَهُ بذلك، فقال سريٌّ: قُوموا بنا. فمضَوا إلى أُمِّه، فجلسَ عندَها، وتكلَّمَ عليها سَرِيٌّ في علم الصَّبرِ، إلى حدٍّ ما، [ثم] تكلَّمَ عليها في علمِ الرِّضا. فقالت له: ياأستاذي، وأيَّ شيءٍ تُرِيدُ بهذا؟ فقال لها: إنَّ ابنَكِ قد غَرِقَ. فقالت: ابني!؟ فقال لها: نعم. فقالت: إنَّ ربِّي عزَّ وجلَّ مايفعلُ هذا. ثم عادَ السَّرِيُّ في كلامِه في الصبرِ والرِّضا، فقالتْ: قوموا بنا. فقاموا معها حتى انتهَوْا إلى النَّهرِ، فقالتْ: أينَ غَرِقَ؟ قالوا لها: هاهنا. فصاحتْ: ابني محمد. فأجابَها: لَبَّيكِ ياأُمَّاه. فنزلتْ، فأخذَتْ بيدِهِ، ومضَتْ به إلى منزِلِها.

قال علاَّن: فالتفتَ سريٌّ إلى الجُنيد وقال: أيُّ شيءٍ هذا؟ فقال الجُنيد: أقولُ ياسريّ؟ فقال: قل. قال: إنَّ المرأةَ مُراعيةٌ لما للهِ عزَّ وجلَّ عليها، وحكْمُ من كان مُراعيًا للهِ عزَّ وجلَّ أن لاتحدثَ حادثةٌ حتى يُعلمَ بذلك، فلمَّا لم تكنْ حادثةٌ لم يُعلمْها بذلك، فأنكرتْ وقالتْ: إنَّ ربِّي عزَّ وجلَّ مافعل هذا[1].

* * *

وقال أبو الحسن البَحرانيُّ، صاحبُ إبراهيم الخوَّاص: سألتِ امرأةٌ من المتعبِّداتِ إبراهيم الخوَّاص عن تغيُّرٍ وجدَتْه في قلبِها، (١وتغيُّرٍ في أحوالِها. فقال لها عليكِ بالتفقُّدِ. فقالت: قد تفقَّدْتُ فما رأيتُ شيئًا. فأطرقَ الخَوَّاصُ ساعةً١)[2]، ثم رفعَ رأسَه، فقال لها: أما تذكرينَ ليلةَ المِشْعَل؟ فقالتْ: بلى. فقال: هذاالتغيُّرُ من ذلك. فبكتْ وقالت: نعم، كنتُ أغزِلُ فوق السَّطْحِ فانقطَع خَيطي[3]، فمرَّ مِشعَلُ السُّلطان، فغزلتُ في ضَوئهِ خيطًا، ثم أدخلتُ ذلك الخَيطَ في غَزْلٍ، ونسجتُ منه قميصًا ولبِسْتُه.

---

(١) صفة الصفوة ٢/ ٥٣٠، ٥٣١، روض الرياحين ١٣١ (الحكاية ٥٤).

(٢) (١ـ١) مابينهما ليس في (أ).

(٣) في (ب): «حبلي».

ثم قامتْ إلى ناحيةٍ ونزعَتِ القميصَ وقالت: ياإبراهيم، إنْ أنا بعتُه، وتصدَّقْتُ بثمنِه يرجعُ قلبي إلى الصَّفَاء؟ فقال: إنْ شاءَ الله تعالى ذاك[1].

رحمة اللهِ عليها.

* * *

الجبال

قال محمد بن أحمد السُّمَيْسَاطِيُّ: سمعتُ ذا النُّونِ يقول: بينا أنا أسيرُ في جبالِ أنطاكِيَةَ فإذا أنا بجاريةٍ كأنَّها وَالهةٌ مجنونةٌ، عليها جبَّةُ صوفٍ. فسلَّمْتُ عليها، فردَّتْ عليَّ السلام، ثم قالت: ألستَ ذا النُّونِ المِصري؟ قلتُ: عافاكِ الله كيف عرَفتني؟ قالتْ: فتقَ الحبيبُ بيني وبين قلبِكَ فعرفتُكَ باتِّصالِ حُبِّ الحبيب، ثم قالت: أسْألُكَ مسألةً؟ قلت: سَليني. قالت: أيُّ شيءٍ هو السَّخاءُ؟ قلت: البَذلُ والعَطاء. قالت: هذا السَّخاءُ في الدُّنيا، فما السَّخاءُ في الدِّين؟ قلتُ: المُسارعةُ في طاعةِ المَولى. قالت: فإذا سَارعتَ إلى طاعةِ المَولى تُحبُّ به الجزاء؟ قلت: نعم، للواحدِ عشرةٌ[2]. قالت: مُرَّ يابطَّال، هذا في الدِّين قَبيحٌ، ولكنَّ المُسارعةَ إلى طاعةِ المولى أنْ يطَّلعَ على قلبك، وأنت لاتُريدُ منه شيئًا بشيءٍ. ويحكَ ياذا النُّون المصري إنِّي أُريدُ أن أقسمَ[3] عليه في شهوةٍ منذُ عِشرين سنةً فأستحيي منه أنْ أكونَ كأجيرِ السَّوء إذا عَمِلَ طلَبَ الأجرةَ. ولكنْ أعملُ تعظيمًا لهَيبتِه عزَّ جلالُه. ثم ذهبتْ وتركتْني[4].

---

(١) صفة الصفوة ٢/ ٥٣١، ٥٣٢.

(٢) إشارة إلى حديثِ رسولِ الله ﷺ: «من قرأ حرفًا من كتاب اللهِ فلهُ به حسنةٌ، والحسنةُ بعشر أمثالِها...» رواه الترمذي (٢٩١٢) في ثواب القرآن: باب ماجاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن.

(٣) في صفة الصفوة: «أن أطلب».

(٤) صفة الصفوة ٤/ ٤٣٠، الكواكب الدرية ١/ ٢٢٨.

رحمة اللهِ عليها ورضوانه.

* * *

وقال محمد بنُ المبارك الصُّوري: بينا أنا أجولُ في بعضِ جبالِ بيتِ المقدِس، إذا أنا بشخصٍ مُنحدرٍ من جبلٍ، فإذا هي امرأةٌ عليها مِدرَعةٌ من صوف، وخِمارٌ من صوف، فسلَّمتُ فردَّتْ، فقالتْ: ياهذا، من أين أقبلتَ؟ فقلتُ: رجلٌ غريبٌ. فقالت: (٢سبحان الله! وهل تجدُ مع سيِّدِكَ وَحْشةَ الغُربةِ، وهو مؤنِسُ الغرباء، ومحدِّثُ الفقراء؟ فبكيتُ، فقالت٢)[1]: مِمَّ بكاؤك؟ ماأسرعَ ماوجدتَ طعمَ الدَّواء! قلتُ: أوَلا يَبكي العَليلُ إذا وجدَ طعمَ العافية؟ قالتْ: لا. قلتُ: لِمَ؟ قالتْ: لأنَّه ماخَدَم القلبَ خادمٌ هو أحبُّ إليه من البُكاء، ولاخَدَمَ البُكاءَ خادمٌ هو أحبُّ إليه من الشَّهيق والزَّفيرِ في البكاء. قلت: علِّميني رحمكِ الله؛ إنِّي أراكِ حَكِيمةً. فأنشأتْ تقول:

دُنيـاكَ غـرَّارةٌ فَـذَرْهـا ... فـإنَّهـا مَـرْكَـبٌ جَمـوحُ

دونَ بُلـوغِ الجَهـولِ منهـا ... مُنيَتُـهُ نفسُـهُ تطيـحُ

لاتَـرْكَـبِ الشـرَّ واجْتَنِبْـهُ ... فـإنَّـهُ فـاحـشٌ قَبيـحُ

والخيـرُ فـاقْـدَمْ عليه تَرشُـدْ ... فـإنَّـهُ واسـعٌ فَسيـحُ

فقلتُ: زيديني. فقالتْ: أحببْ ربَّكَ شَوقًا إلى لِقائهِ، فإنَّ له يومًا يتجلَّى لأوليائه[2].

رحمة اللهِ عليها ورضوانه.

* * *

---

(١) (٢ـ٢) مابينهما ليس في (أ).

(٢) صفة الصفوة ٤/ ٣٥٢، ٣٥٣.

السَّواحل

قال ذو النُّون: بينا أنا أسيرُ على ساحلِ البحرِ إذْ بصُرتُ بجاريةٍ عليها أطْمارُ شعَرٍ، وإذا هي ناحلةٌ ذابلةٌ، فدنَوْتُ منها لأسمعَ ماتقول، فرأيتُها مُتَّصلةَ الأحزانِ بالأشجانِ، وعَصَفتِ الرِّياحُ، فاضطربتِ الأمواجُ، فصرختْ ثمَّ سقطَتْ إلى الأرضِ، فلمَّا أفاقت نحبَتْ، ثم قالت: سيِّدي، بكَ تفرَّدَ المُتفرِّدون في الخَلَوات، ولعظمتِكَ سبَّحَت النِّينانُ[1] في البِحار الزَّاخراتِ، ولجلالِ قُدسِكَ اصطفَقَتِ الأمواجُ المُتلاطمات، أنتَ الذي سجَدَ لك سوادُ الليلِ، وضوءُ النَّهار، والفلكُ الدوَّار، والبحرُ الزَّخَّار[2]، والقمرُ النوَّار، وكلُّ شيءٍ عندك بمقدار، وقالت:

يامؤنسَ الأبرارِ في خَلَوَاتِهم ... ياخيرَ مَنْ حَطَّتْ به النُّزَّالُ

فقلت: زيدينا من هذا. فقالت: إليكَ عنِّي. ثم رفعتْ طرفَها نحو السماء وقالت:

أُحِبُّكَ حُبَّيْنِ حُبَّ الوِدادِ ... وحبًّا لأنَّكَ أهلٌ لذاكا
فأمَّا الذي هو حُبُّ الوِدادِ ... فحبٌّ شُغلتُ به عن سِواكا
وأمَّا الذي أنتَ أهلٌ له ... فكشفُكَ للحُجْبِ حتَّى أراكا
فما الحَمْدُ في ذا ولاذاكَ لي ... ولكنْ لكَ الحمدُ في ذا وذاكا

ثم شهقتْ شهقةً فإذا هي قد فارقَتِ الدُّنيا، فبقِيتُ أتعجَّبُ ممَّا رأيتُ منها، فإذا أنا بِنسْوةٍ قد أقبلْنَ، عليهنَّ مَدارعُ الشَّعَرِ، فاحتمَلْنها فغيَّبْنَها عنِّي فغسَّلنَها، ثم أقبلْنَ بها في أكفانِها، فقلنَ لي: تقدَّمْ فصلِّ عليها. فتقدَّمتُ فصلَّيتُ عليها، وهنَّ خَلفي، ثم احْتمَلْنَها ومَضَين[3].

---

(١) النينان: جمع نون، والنون الحوت.
(٢) في الأصل: «الزاخر»، والمثبت من صفة الصفوة.
(٣) صفة الصفوة ٤/ ٣٧٤، ٣٧٥.

رحمةَ اللهِ عليهنّ.

* * *

وقال ذو النُّونِ المِصريِ: بينا أنا أسيرُ على شاطئِ النِّيل إذا أنا بجاريةٍ تدعو، وتقولُ: يامَنْ هو عندَ أَلْسُنِ الناطقين، ويامَنْ هو عند قلوبِ الذاكرين، ويامَنْ هو عند فِكر الحامدين، قد علمتَ ماكان منِّي، ياأمَلَ المؤمِّلين. ثم صرخَتْ، وخرَّتْ مَغشيًا عليها[1].

رحمةَ اللهِ عليها.

* * *

الشام

قال أحمدُ بنُ أبي الحَوَاريّ: بينا أنا ذاتَ يومٍ في بلادِ الشامِ في قُبَّةٍ من قِبابِ المقابرِ ليس عليها بابٌ إلاّ الكِساءُ، قد أرسلْتُهُ، فإذا أنا بامرأةٍ تدقُّ الحائطَ، فقلتُ: من هذا؟ قالت: امرأةٌ ضالَّةٌ، دُلَّني على الطريق، رحمك الله. قلتُ: عن أيِّ الطريقِ تسألين؟ فبكتْ، ثم قالتْ: عن طريقِ النجاة. قلتُ: هيهات، إنَّ بيننا وبين طريقِ النجاةِ عِقابًا[2]، وتلك العِقابُ لاتُقطَعُ إلاّ بالسَّيرِ الحثيثِ، وتَصحيحِ المُعاملة، وحذفِ العلائقِ الشاغلةِ من أمر الدُّنيا والآخرة. قال: فبكتْ بُكاءً شديدًا، ثم قالتْ: ياأحمد، سبحانَ من أمسكَ عليك قلبَك[3] فلم يَنقطعْ، وحَفظَ عليكَ فؤادَكَ فلم يَنْصَدِعْ. ثم خرَّتْ مَغشيًا عليها. فقلتُ لبعضِ النساء: انظرْنَ أيُّ شيءٍ حالُ هذهِ الجارية؟ فقُمنَ إليها ففتَّشْنَها، فإذا وصيَّتُها في جيبِها: كفِّنوني في أثوابي

---

(١) صفة الصفوة ٤/ ٣٧٥.

(٢) العِقابُ: جمعُ عَقَبة، وهي طريقٌ في الجبلِ وعرٌ، أو المرقى الصعبُ في الجبال.

(٣) ليست اللفظةُ في (أ). وفي صفة الصفوة: «جوارحك فلم تنقطع».

هذه، وإنْ كان لي عند اللهِ خيرٌ فهو أسعدُ لي، وإنْ كان غيرُ ذلك نَبُعدًا لنفسي. وحرَّكوها فإذا هي مَيتة. فقلتُ: لمن هذه الجارية؟ قالوا: جاريةٌ قُرشيَّة، كانتْ تشكو إلينا وَجَعًا بجوفِها، فكُنّا نصِفُها لمُتطَبِّبي الشام، فكانتْ تقول: خلُّوا بيني وبين الطَّبيب الرَّاهب ـ تعني أحمدَ بنَ أبي الحَوَارِيّ ـ أشكو إليه بعضَ ماأجدُ من بَلائي لعلَّه يكونُ عنده شِفائي[1].

رحمة اللهِ عليها ورضوانه.

* * *

وقال محمد بن سعيد التَّيميُّ: رأيتُ جاريةً سوداءَ في بعضِ مُدِنِ الشام، وبيدِها خُوصٌ تسُفُّه[2]، وهي تقول في سَفِّها:

لـكَ عِلْـمٌ بمـا يجنُّ فُـؤادي فارحَمِ اليومَ ذِلَّتي وانفِرادي

فقلتُ: ياسوداءُ، ماعَلامةُ المُحِبِّ؟ وإذا رجلٌ قد صُرِعَ بالقربِ منها، فنظرتْ إليَّ وإلى الرجلِ، وقالتْ: يابَطَّال، علامةُ المُحِبِّ الصادِقِ للهِ في حُبِّهِ أنْ تقولَ لهذا المجنونِ: قُمْ، فيقوم. فإذا الرجلُ قد قام. وإذا الجِنِّيَّةُ تقولُ لها على لسانِهِ: وحقِّ صدقِ حُبِّكِ لِرَبِّكِ لارجعتُ إليه أبدًا[3].

رحمة اللهِ عليها.

* * *

الطُّرُق

قال ذو النُّون: بينا أنا أسيرُ في الباديةِ إذْ رأيتُ امرأةً مُتعبِّدةً، فلمَّا أن دَنَتْ منِّي، سلَّمَتْ عليَّ، فرَدَدْتُ عليها السلامَ، فقالت لي: من أين أقبلتَ؟

---

(١) صفة الصفوة ٤/٣٠٧.

(٢) سفُّ الخوصَ: نسجَ الخوص (وهو ورق النخل) بعضه على بعض بالأصابع. معجم متن اللغة (سفف). وفي (ب) تشقه.

(٣) صفة الصفوة ٤/٣٠٨.

قلتُ: من عند حكيم[1] لايوجدُ مثله. فصاحَتْ وقالتْ: ويحك، كيف فارقتَهُ، وهو أنيس الغُرباء؟ فأوجعَ قلبي كلامُها، فبكيتُ، فقالت: ممَّ بكاؤك؟ قلتُ: وقعَ الدَّواءُ على الدَّاءِ، فأسرعَ في نجاحه. قالت: فإنْ كنتَ صادقًا، فلِمَ بكَيتَ؟ قلت: والصادقُ لايبكي؟ قالت: لا، لأنَّ البُكاءَ راحةُ القلبِ، وهذا نقصٌ عند ذوي العقولِ يابطَّال. قلتُ: علِّميني شيئًا ينفعُني اللهُ به. قالت: ويحك أما أفادَكَ الحكيمُ من الفوائد ماتستغني به عن طلبِ الزَّوائد؟ فقلتُ: إنْ رأيتِ أنْ تُعلِّميني شيئًا فعلتُ. فقالتْ: اخدُمْ مولاكَ شَوقًا إلى لِقائه؛ فإنَّ له يومًا يتجلَّى فيه لأوليائه، وإنَّه تعالى سَقاهم في الدُّنيا من محبَّتِه كأسًا لايظمَؤون بعدَها أبدًا. ثم أقبلتْ تَبكي، وتقول: سيِّدي، إلى كم تدَعُني في دارٍ لاأجدُ فيها من يُساعدُني على بَلائي؟ ثم مضتْ وهي تقول:

إذا كانَ داءَ العبدِ حبُّ مَليكِهِ ... فمَنْ دونه يرجو طَبيبًا مُداويا[2]؟

* * *

وقال ذو النُّون بنُ إبراهيم: كنتُ في تِيهِ بني إسرائيل ومعي صاحبٌ لي، فرأيتُ امرأةً عليها مِدْرَعةٌ من شعر، وخِمارٌ من صوف، وفي كفِّها[3] عُكَّازةٌ من حديدٍ. فقلتُ: السَّلامُ عليكِ ورحمةُ الله. فقالتْ: وعليكَ السلام، ماللرَّجُلِ[4] وخطابِ النساء عافاكَ الله؟ فقلتُ: أخوكِ ذو النون. فقالتْ: مرحبًا، حيَّاكَ اللهُ بالسلامِ. قلتُ: ماتَصنعينَ هاهنا؟ قالتْ: كلَّما أتيتُ إلى بلدٍ يُعصَى فيه الحَبيبُ، ضاقَ عليَّ ذلك البَلدُ، وأنا أطلبُ بُقعةً طاهرةً أخِرُّ عليها ساجدةً، أُناجيهِ بقلبٍ ذابَ من شِدَّةِ الشَّوقِ إلى لِقائه.

---

(١) في (ب) من عند حليم.
(٢) صفة الصفوة ٤/٤٢٧، ٤٢٨.
(٣) في (ب): «بيدها».
(٤) في (ب): «ماللرجال».

قلتُ: ماسمعتُ أحدًا يَذكرُ الحبيبَ أحسنَ من ذكرِكِ، فأيُّ شيءٍ المحبّةُ؟ قالت: سبحانَ الله! وأنتَ الحكيمُ الواعظُ، وتسألُني عن المحبّة؟ أوّلُ المحبّةِ تبعثُ على الكَدِّ الدائم، حتى إذا وَصلتْ أرواحُهم إلى أعلى الصَّفا جرَّعَهم من محبّتِه لذيذَ الكؤوس. ثم صاحتْ، وخرَّتْ مَغشيًّا عليها، وأفاقتْ وهي تقول:

أُحِبُّكَ حُبَّينِ حبَّ الرِّضا ... وحُبًّا لأنَّكَ أهلٌ لذاكا
فأمّا الذي هو حُبُّ الرِّضا ... فذِكرٌ شُغلْتُ به عن سِواكا
وأما الذي أنتَ أَهْلٌ له ... فكشْفُكَ للحُجْبِ حتى أراكا
فما الحمدُ في ذا ولاذاكَ لي ... ولكنْ لك الحمدُ في ذا وذاكا[1]

* * *

وقال ذو النون: بينا أسيرُ في تِيهِ بني إسرائيل، إذا أنا بجاريةٍ سوداءَ قدِ استلَبَها الوَلَهُ من حُبِّ الرَّحمن، شاخصةٍ ببصرِها نحو السماء، فقلت: السلامُ عليكِ ياأُختاه. فقالتْ: وعليكَ السلامُ ياذا النُّون. فقلت لها: من أينَ عَرفتيني ياجارية؟ فقالت: يابطَّال، «إنَّ اللهَ خلقَ الأرواحَ قبلَ الأجسادِ بألْفَيْ عام، ثم أدارَها حولَ العرشِ فما تعارفَ منها ائتلَف، وماتناكَرَ منها اختلَف»[2]. فعرفتْ روحي روحَكَ في ذلك الجَولانِ. قلت: إنّي لأراكِ حكيمةً فعلِّميني شيئًا ممّا علَّمَكِ الله. فقالت: ياأبا الفَيض، ضَعْ على جوارِحِكَ ميزانَ[3] القِسطِ حتى يذوبَ كلُّ ماكانَ لغيرِ الله، ويبقَى القَلبُ مصفًّى ليس فيه غيرُ الرَّبِّ عزَّ وجلَّ، فعندَ ذلك يُقيمُكَ على الباب، ويُولِّيكَ ولايةً جديدةً، ويأمرُ الخُزَّانَ لك بالطاعةِ. فقلت: ياأُختاه، زيديني.

---

(١) صفة الصفوة ٤/٤٢٩، ٤٣٠.
(٢) حديثٌ ذكره العجلوني في كشف الخفا ١/١١٢ (٣١٥) وقال: حديث ضعيفٌ جدًا.
(٣) في (ب): «نيران».

فقالت: ياأبا الفيض، خُذْ من نفسِكَ لنفسِكَ، وأطِعِ اللهَ إذا خَلوتَ فيُجيبَكَ إذا دَعَوتَ[1].

رحمة اللهِ عليها ورضوانه.

* * *

وقال أبو بلال الأسود: خرجتُ حاجًّا، فلمَّا صرتُ في بعضِ الطَّرِيقِ إذا أنا بامرأةٍ ليس معها زادٌ ولاإداوةٌ. فقلتُ لها: من أينَ؟ قالت: من بَلْخ. فقلتُ: ماأرَى معكَ زادًا، ولاماتحملينَ فيه الزَّادَ والماء. فقالت: خرجتُ من بلخٍ معي عشرةُ دراهم، وقد بقِيَ بعضُها. فقلتُ لها: فإذا نَفِدَتْ، ماتصنعين؟ قالت: عليَّ هذه الجُبَّةُ أبيعُها، وأجدُ دونَها، وأُنفِقُ مابين ذلك. قلتُ: فإذا فَنِيَ، ماتصنعين؟ قالت: أبيعُ هذا الخِمارَ، وآخذُ دونه، وأنفقُ مابين ذلك. قلتُ: فإذا فَنِيَ، ماتصنعين؟ قالت: يارجل، أسألُهُ فيُعطيني. فقلت لها: ألا سألتِهِ قبلَ ذلك؟ فقالت لي: وَيحَك، إنِّي أستحيي أنْ أسألَهُ شيئًا من الدُّنيا، ومعي فضلٌ من عُروضِها. فقلتُ لها: اعتقِبي هذا الحِمارَ عقبةً. فقالتْ: دَعْهُ. فتركتُهُ معها، وتخلَّفتُ لحاجةٍ، فلمَّا قضيتُ حاجتي أسرعتُ في أثرِها، فإذا أنا بالحِمارِ واقف، والخُرجُ ملآنٌ من الفُرانيِّ الحُوَّارَى[2]. ولم أرَ لها أثرًا، فطلبتُها، فلم أرها بعدَ ذلك[3].

رحمة اللهِ عليها.

* * *

---

(1) صفة الصفوة ٤/ ٤٣٠، ٤٣١.

(2) الفرني: خبزةٌ تُشوى ثم تُروَّى سمنًا ولبنًا وسكَّرًا. معجم متن اللغة (فرن). والحُوَّارَى: الدَّقِيقُ المنقى، وهو لُبابُ الدقيق وأخلصُه.

(3) صفة الصفوة ٤/ ١٦٦، ١٦٧، وفي (ب): «فلم أر لها بعد ذلك خبرًا».

الطوَاف

قال مالك بن دينار: بينا أنا أطوفُ بالبيت إذا أنا بجُويرِيةٍ مُتعبِّدةٍ، وإذا هي تقول: يارب، كم من شهوةٍ قد ذهبتْ لذَّتُها بقيتْ تبعتُها. يارب، ماكان لك عُقوبةٌ ولاأدبٌ إلاَّ النار. قال: فواللهِ مازالَ ذلك مقالَها[1] حتى طلَعَ الفجر.

قال مالك: فوضعتُ يدي على رأسي، ثم صرَخْتُ، وجعلتُ أقول: ثكلتْ مالكًا أمُّه وعدِمَتْه، جُويريةٌ مُنذُ الليلةِ قد بطَّلَتْه[2].

رحمة الله عليها.

* * *

وقال وُهيبُ بنُ الورْد: بينما امرأةٌ في الطوافِ ذاتَ يوم، وهي تقول: يارب، ذهبتِ اللذاتُ، وبقيتِ التَّبِعات. يارب سُبحانك، وعزَّتِك إنَّكَ لأرحمُ الراحمين، يارب، مالك عُقوبةٌ إلاَّ النار. فقالتْ صاحبةٌ لها كانت معها: ياأُخيَّة، دخلتِ بيتَ ربِّكِ اليوم؟ قالت: واللهِ ماأرى هاتين[3] القدمين ـ وأشارَتْ إلى قدمَيها ـ أهلاً للطَّوافِ حول بيتِ ربِّي، فكيفَ أراهما أهلاً أطَأُ بهما بيتَ ربِّي؟ وقد علمتُ حيثُ مَشَتا[4]، وإلى أين مشتا[5]؟

رحمة اللهِ عليهما.

* * *

(١) في (أ): «مقامها».
(٢) صفة الصفوة ٤/ ٤١٤.
(٣) في (ب): «هاذين».
(٤) في (ب): «مشيا وإلى أين مشيا.».
(٥) صفة الصفوة ٤/ ٤١٥.

وقال عبد الرحمن القُرَشي: حُدِّثْتُ عن الحسنِ قال: رأيتُ بدويَّةً دخلتِ الطَّوافَ، فقالت: ياحَسَنَ الصُّحبةِ، جئتُكَ من بعيد، أقبلتُ أسألُكَ سترَكَ الذي لاتخرقُه الرِّمَاح، ولاتُزيلُه الرِّياح[1].

رحمة اللهِ عليها.

* * *

وقال عبد العزيز بن أبي رَوَّاد: دخلَ قومٌ حُجَّاجٌ، ومعهم امرأةٌ تقول: أين بيتُ ربِّي؟ فيقولون: الساعةَ تَرَيْنَه. فلما رأوه، قالوا: هذا بيتُ ربِّكِ، أما تَرَيْنَه؟ فخرجتْ تشتدُّ وتقول: بيتُ ربِّي، بيتُ ربِّي. حتى وضعتْ جبهتَها على البيت. فواللهِ مارُفِعَتْ[2] إلاَّ ميتة[1].

رحمة اللهِ عليها.

* * *

وقال إبراهيم بنُ مسلم المَخْزُوميُّ: وقفتِ امرأةٌ متعبِّدَةٌ في جَوفِ الليلِ فتعلَّقَتْ بأستارِ الكعبةِ، ثم بكتْ، وقالت: ياكَرِيمَ الصُّحْبةِ، وياحسَنَ المعرفة، أتيتُكَ من شُقَّةٍ بَعيدةٍ، مُتعرِّضَةً لمعروفك الذي وَسِعَ خلقَكَ فأَنِلْني معروفَكَ، معروفًا تُغنيني به عن سواك، ياأهلَ التقوى، وأهلَ المغفِرة. قال: ثم صرَخَتْ صرْخةً سقطَتْ لوجهِها، فحُمِلتْ مَغشِيًّا عليها[1].

رحمة اللهِ عليها.

* * *

وقال سعيد الأزرقُ الباهليّ: دخلتُ الطَّوافَ ليلاً[3]، فبينا أنا أطوفُ وإذا بامرأةٍ في الحِجْر[4] مُلتزِمةٍ للبيت قد علا نَشِيجُها، فدنوتُ منها وهي

---

(١) صفة الصفوة ٤/٤١٥.

(٢) في (ب): «مارفعته».

(٣) في (ب): «مرة».

(٤) الحجر: الحائط المستدير من جهة المِيزاب في الكعبة المشرفة. متن اللغة (حجر).

تقول: يامَنْ لاتَراهُ العُيون، ولاتُخالطُه الأوهامُ والظنون، ولاتُغَيِّرُه الحوادث، ولايَصِفُهُ الواصفون، ياعالمًا بمثاقيلِ الجبال، وبمكاييلِ البحارِ وعدد قَطْرِ الأمطار، وورَقِ الأشجار، وعددِ ماأظلمَ عليه الليل، وأشرقَ عليه النهار، لايُواري منه سماءٌ سماءً، ولاأرضٌ أرضًا، ولاجبلٌ إلاَّ يعلمُ مافي وعرِهِ، ولابحرٌ إلاَّ يعلمُ مافي قعرِه[1]، أسألُكَ أنْ تجعلَ خيرَ عُمري آخرَه، وخيرَ عملي خواتمَه، وخيرَ أيَّامي يومَ ألقاك، وخيرَ ساعاتي ساعةَ مُفارقةِ الأحياءِ في دار الفناء إلى دار البقاء، التي تُكرِمُ فيها من أحببتَ من أوليائك، وتُهينُ فيها من أبغضتَ من أعدائك. أسألُك إلٰهي عافيةً جامعةً لخيرِ الدُّنيا والآخرة مَنًّا منك عليَّ، وتطوُّلاً ياذا الجَلالِ والإكرام. ثم صرختْ وغُشيَ عليها[2].

رحمة اللهِ عليها ورضوانه آمين.



* * *

وقال ذو النُّون: خرجتُ حاجًّا إلى بيتِ اللهِ الحرام، فبينا أنا في الطَّوافِ إذا بشخصٍ[3] مُتعلِّقٍ بأستارِ الكعبةِ يَبكي، ويقول في بكائه: كتمتُ بلائي عن غيرِك، ويُحتُ بسرِّي إليك، واشتغلتُ بكَ عمَّنْ سواك، عجبتُ لمن عرفَكَ كيف يَسلو عنك؟ ولمن ذاقَ حبَّكَ كيفَ يَصبِرُ عنك؟ ثم أقبلَ على نفسِهِ فقال: أمهَلَكِ فما ارعويتِ، وسترَ عليكِ فمااستحييتِ. وسلَبكِ حلاوةَ المُناجاةِ فما باليتِ. ثم قال: عزيزي، مالي إذا قمتُ بين يديك ألقيتَ عليَّ النُّعاس، ومَنعتَني حلاوةَ الخدمةِ، لِمَ ياقُرَّةَ عيني لِمَه؟ ثم أنشأَ يقول:

---

(١) في (أ): «ولاجبل مافي وعره، ولابحر مافي قعره».
(٢) صفة الصفوة ٤/٤١٦.
(٣) في (ب): برجل.

رَوَّعتَ قلبي بالفراقِ فلم أجدْ شيئًا أمرَّ من الفراقِ وأوجَعَا
حسْبُ الفِراقِ بأنْ يُفرِّقَ بيننا ولَطالَما قد كنتُ منه مُفَزَّعَا

قال: فلم أتمالكْ أنْ أتيتُ الكعبةَ مُستخفيًا، فلما أحسَّ بي جلَّلَ الخِمار[1] عليه، ثم قال: ياذا النون، غُضَّ بصرَكَ، فإنّي حرامٌ. فعلمتُ أنّها امرأةٌ. فقلتُ: واللهِ لقد شغلَني قولُكِ عن كثيرٍ ممّا كنتُ فيه. فقالت: ولِمَ عافاكَ الله؟ أمَا علمتَ أنَّ للهِ عبادًا لايشغلُهم سواه، ولايميلونَ إلى ذكرِ غيرِه[2].

رحمة اللهِ عليهم.

* * *

وقال ذو النُّون: كنتُ في الطَّوافِ فسمعتُ صوتًا حزينًا، وإذا بجاريةٍ مُتعلِّقةٍ بأستارِ الكعبةِ وهي تقول:

أنتَ تدري ياحبيبي مَنْ حبيبي أنت تدري
ونُحولُ الجِسمِ والدَّمْـ ـعُ يَبوحانِ بسِرّي
ياعزيزي قد كتمتُ الـ ـحبَّ حتى ضاقَ صدري

قال ذو النُّون: فشجاني ماسمعتُ، حتى انتحبتُ وبكَيتُ. وقالتْ: إلٰهي وسيِّدي ومولاي، بحبِّكَ لي إلاَّ غفرتَ لي. قال: فتعاظَمَني ذلك، وقلتُ: ياجارية، أما يكفيكِ أنْ تقولي بحبِّي لك؟ فقالت: ياذا النون، أما علمتَ أنَّ للهِ عزَّ وجلَّ قومًا يُحِبُّهم ويُحبُّونه[3]؟ فسبقتْ محبَّتُهُ لهم. فقلتُ: من أين علمتِ أنّي ذو النُّون؟ فقالتْ: يابطَّال، جالتِ القلوبُ في ميدانِ

---

(١) في (أ): «جلل بخمار».
(٢) صفة الصفوة ٤/٤١٦، ٤١٧.
(٣) في صفة الصفوة: «أما علمت أن لله تعالى قومًا يحبهم قبل أن يحبوه؟ أما سمعتَ الله عز وجل يقول: ﴿فسوف يأتي اللهُ بقومٍ يُحبُّهم ويُحِبُّونَهُ﴾[المائدة: ٥٤] فسبقت...

الأسرارِ فعرفتُكَ. ثم قالت: انظرْ مَنْ خلفَك. فأدَرْتُ وجهي، فلا أدري السماءُ اقتلعتْها أمِ الأرضُ ابتلعتْها[1].

رحمة اللهِ عليها.

* * *

وقال أبو الأشهب السائح: بينا أنا في الطَّوافِ إذا بجُويريةٍ قد تعلَّقتْ بأستارِ الكعبةِ، وهي تقول: ياوَحشتي بعد الأُنس، وياذِلَّتي بعدَ العِزّ، ويافقري بعد الغِنى. فقلتُ لها: مالَكِ؟ أذَهَبَ لكِ مالٌ، أو أُصِبتِ بمُصيبةٍ؟ قالت: لا، ولكنْ كان لي قلبٌ فقدتُهُ. قلتُ: وهذه مُصيبتُك؟ قالت: وأيُّ مُصيبةٍ أعظمُ من فَقْدِ القلوبِ، وانقطاعِها عن المَحبوب؟ فقلتُ لها: إنَّ حُسْنَ صوتِك قد قَطَعَ[2] على مَنْ سمعَ الكلامَ الطَّوافَ. فقالت: ياشيخ، البيتُ بيتُكَ أم بيتُه؟ فقلتُ: بل بيتُه. قالت: فالحرَمُ حرمُكَ أم حرمُه؟ فقلت: بل حَرَمُه. قالت: فدعنا نتدلَّلُ عليه على قدر ماستزارنا إليه. ثم قالت: بحبِّكَ لي إلاَّ رددْتَ عليَّ قلبي. فقال: فقلت: من أين تعلمين أنَّه يحبُّك؟ فقالتْ: جيَّشَ من أجلي الجيوش، وأنفقَ الأموالَ، وأخرجَني من دارِ الشِّرْكِ، وأدخلَني في التَّوحيدِ، وعرَّفني نفسَه بعد جهلي إيَّاه. فهل هذا إلاَّ لعنايةٍ؟ قلت: وكيفَ حبُّكِ له؟ قالت: أعظمُ شيءٍ وأجلُّه. قلتُ: وتعرفين الحبَّ؟ قالت: فإذا جَهلتُ الحبَّ أيَّ شيءٍ أعرف؟ إنَّه لحلوُ المُجتنَى[3] [مااقتصر]، فإذا أفرَطَ عادَ خبلاً قاتلاً، وفسادًا مُعطِّلاً. وهي شجرةٌ غرسُها كرَمُه[4] ومَجناها لذيذ ـ ثم ولَّتْ وأنشأتْ تقول:

وذي قلَقٍ لايَعرفُ الصَّبرَ والعزَا   له مُقلةٌ عَبْرَى أضرَّ بها البُكا

---

(١) صفة الصفوة ٤/٤١٧، ٤١٨، روض الرياحين ٥١٨ (الحكاية ٤٧٧).

(٢) في (أ): «عطَّل».

(٣) في (أ): «المجتبى».

(٤) في (أ): «كرمة». وفي صفة الصفوة: «كريه».

وجِسمٌ نَحِيلٌ من شجَى لاعجِ الهَوَى　　فمن ذا يُداوي المُستهامَ من الضَّنَى
ولاسيَّما والحبُّ صَعْبٌ مَرامُه　　إذا عطَفتْ عنه العواطِفُ بالغنا(١)

* * *

وقال الجُنيد: حججتُ على الوَحدة، فجاورتُ بمكةَ، فكنتُ إذا جنَّ الليل دخلتُ الطَّوافَ، فإذا أنا بجاريةٍ تطوفُ وتقول:

أبَى الحبُّ أنْ يَخْفَى وكم قد كتَمْتُهُ　　فأصبحَ عندي قد أناخَ وطنَّبا
إذا اشتدَّ شَوقي هامَ قلبي بذكرِهِ　　وإنْ رُمتُ قربًا من حبيبي تقرَّبَا
ويبدو فأفْنَى ثم أحيا به له　　فيُسعِدني حتى ألَذَّ وأطرَبَا

قال: فقلتُ لها: ياجارية، أما تتَّقِينَ اللهَ تعالى، في مِثلِ هذا المكانِ تتكلَّمين بمثلِ هذا الكلام! فالتفتتْ إليَّ وقالتْ: ياجُنيد:

لولا التُّقى لم تَرَني　　أهجرُ طِيبَ الوَسَنِ
إنَّ التُّقى شرَّدَني　　كما ترى عن وَطَني
أفِرُّ من وَجْدي به　　فحبُّهُ هيَّمَني

ثم قالت: ياجُنيد، تطوفُ بالبيتِ أم بربِّ البيت؟ فقلتُ: أطوفُ بالبيت. فرفعتْ رأسَها إلى السماء، وقالت: سبحانك، سبحانك! ماأعظمَ مشيئتكَ في خَلْقِكَ! خلقٌ كالأحجار! ثم أنشأتْ تقول:

يطوفونَ بالأحجارِ يَبغونَ قُربةً　　إليكَ وهُمْ أقسى قلوبًا من الصَّخرِ
وتاهوا فلم يَدروا من التِّيهِ مَنْ همُ　　وحلُّوا(٢) محلَّ القُربِ في باطِنِ الفكرِ
فلو أخلصوا في الوُدِّ غابتْ صِفاتُهم　　وقامَتْ صِفاتُ الودِّ للخلق(٣) بالذكرِ

---

(١) في صفة الصفوة: «بالفنا»، والخبر فيه ٤/٤١٨، ٤١٩.
(٢) في صفة الصفوة: «وخلوا».
(٣) في صفة الصفوة: «للحق».

قال الجُنيد: فغُشي عليّ من قولِها، فلمَّا أفقتُ لم أرها[1].

رحمة الله عليهما ورضوانه.

* * *

الفلوات

قال أبو بكر الهُذَليُّ: كانتْ عجوزٌ في بني عبد القيس مُتعبِّدةٌ، وكانت تقول: عامِلوا اللهَ على قدرِ نِعَمِهِ عليكم، وإحسانِهِ إليكم. فإنْ لم تُطيقوا فعلى قَدْرِ سَترِه، فإنْ لم تُطيقوا فعلى الحياءِ منه، فإنْ لم تُطيقوا فعلى الرَّجاءِ لثوابِهِ، فإنْ لم تُطيقوا فعلى خوفِ عِقابِهِ[2].

رحمة الله عليها

* * *

وقال أبو بكر الهُذَليُّ: كانت عَجوزٌ في عبد القيس مُتعبِّدةٌ، فكان إذا جاءَ الليلُ تحزَّمَتْ ثم قامتْ إلى المحراب. وكانتْ تقولُ: المُحِبُّ لايَسأمُ من خدمةِ حبيبِه. فإذا جاءَ النَّهارُ خرجَتْ إلى القُبورِ. فبلَغَني أنَّها عُوتبتْ في كثرةِ إتيانِها المقابر، فقالتْ: إنَّ القلبَ القاسي إذا جَفَا لم يُلَيِّنْه إلاَّ رسومُ البِلَى، وإنِّي لآتي القبورَ فكأنِّي أنظرُ وقد خَرَجوا من بين أطباقِها، فكأنِّي أنظرُ إلى تلك الوجوهِ المُتعفِّرةِ، وإلى تلك الأجسامِ المُتغيِّرةِ، وإلى تلك الأكفانِ الدَّسِمةِ، فيالَه من مَنظرٍ لو أشربَهُ العِبادُ قلوبَهم ماأنْكلَ مرارتَهُ للأنفس، وأشدَّ إتلافَه للأبدان[3]!

* * *

---

(١) صفة الصفوة ٤/٤١٩، ٤٢٠، روض الرياحين ١١٧ (الحكاية ٤٤).

(٢) صفة الصفوة ٤/٣٩١.

(٣) صفة الصفوة ٤/٣٩١، ٣٩٢.

وقال الأصمعيُّ: مات ابنٌ لأعرابية، فمازالتْ تبكي حتى خدَّ الدُّموعُ في خدِّها، ثم استرجعتْ، فقالت: اللهمَّ إنَّك قد علمتَ فرطَ حُنوِّ الوالدَيْنِ على ولدِهما فلذلك لم تأمرْهما ببرِّه، وعلمتَ قَدْرَ عقوقِ الولد لوالديه، فمن أجلِ ذلك حضضتَهُ على طاعتهما، وألزمتَهُ برَّهما. اللهمَّ وقد كان ولدي من البِرِّ بوالديه على مايكونُ الوالدانِ بولدِهما فأجْرِه بذلك منِّي صلاةً، ولقِّهِ سُرورًا ونضرةً. فقال لها أعرابيٌّ: نِعْمَ مادعوتِ له، لولا أنَّكِ شبتهِ من الجزعِ بما لايُجدِي عليه. فقالتْ: إذا وقعتِ الضَّروراتُ لم يَجْرِ عليها حكمُ المُكتسبات، وجَزَعي على ابني غيرُ مُمكنٍ في الطاقةِ صَرفُهُ، ولا في القُدرةِ مَنْعُهُ، واللهُ وَلِيَّ عُذري بفضلِهِ، فقد قالَ الله عزَّ وجلَّ ﴿فمنِ اضطرَّ غيرَ باغٍ ولا عادٍ فلا إثمَ عليه إنَّ الله غفورٌ رَحِيم﴾[البقرة: ١٧٣][(١)].

* * *

وقال أبو عبد الرحمن القُرشيُّ عن رجلٍ من بني تَغْلَب، قال: شَهدتُ امرأةً من أهل الباديةِ تُوصي ابنًا لها، وأرادَ سفرًا فقالت: يابُنيّ، أُوصيكَ بتقوى اللهِ، فإنَّ قليلَها أجدى[(٢)] عليكَ من كثيرِ عقلِكَ. وإيَّاكَ والنَّمائمَ؛ فإنَّها تَزرعُ الضَّغائنَ، وتُفرِّقُ بين المُحبين، ومَثِّلْ لنفسِك ماتَستَحْسِنُهُ من غيرِكَ مِثالاً، ثم اتَّخِذْهُ إمامًا، واعلمْ أنَّه من جَمَعَ بين السَّخاءِ والحياءِ فقد استجادَ الحُلَّةَ إزارَها ورداءَها[(٣)].

* * *

وقال أبو بكر الشِّيرازيُّ: تِهتُ في باديةِ العراقِ أيَّامًا كثيرةً لم أجِدْ[(٤)] شيئًا أرْتفِقُ به، فلمَّا كانَ بعدَ أيامٍ رأيتُ في الفلاةِ خِباءَ شَعَرٍ مَضروبًا،

---

(١) صفة الصفوة ٤/ ٣٩٢.

(٢) في (ب): «أجرى».

(٣) صفة الصفوة ٤/ ٣٩٣.

(٤) في (ب): «لم أر».

فقصدتُهُ فإذا بيتٌ وعليه سترٌ مُسْبَلٌ، فسلَّمتُ فردَّتْ عليَّ عجوزٌ من داخلِ الخِباء، وقالت: ياإنسان، من أين أقبلتَ؟ قلت: من مكةَ. قالت: وأين تُريدُ؟ قلت: الشام. فقالت: أرى شَبحَكَ شبحَ إنسانٍ بطَّالٍ، ألا لزمتَ زاويةً تَجلِسُ فيها إلى أن يَأتيَكَ اليَقينُ؟ ثم تنظرُ هذه [الكِسرةَ] من أينَ تأكلُها؟ ثم قالتْ: تقرأُ القُرآنَ؟ قلت: نعم. فقالت: اقرأْ عليَّ آخرَ سورةِ الفُرقان. فقرأتُها، فشَهقَتْ وأُغمِيَ عليها. فلمَّا أفاقَتْ بعدَ هَوِيٍّ[1]، قرأتْ هي الآياتِ، فأَخذتْ منِّي قراءَتُها أخذًا شَديدًا، ثم قالت: ياإنسان، اقرأها ثانيةً. فقرأتُها، فلَحِقَها مثلُ مالحقها في الأول، وصبرت أكثرَ من ذلك ولم تُفِقْ، فقلتُ: كيف أستكشِفُ حالَها ماتَتْ أم لا؟ فتركتُ البيتَ على حالِهِ، ومَشيتُ أقلَّ من نصفِ مِيلٍ، فأشرَفْتُ على وادٍ فيه أعرابٌ، فأقبلَ إليَّ غُلامانِ مَعَهما جاريةٌ، فقالَ أحدُ الغُلامَين: ياإنسان، أتيتَ البيتَ، في الفَلاة؟ قلتُ: نعم. قال: وتقرأُ القرآن؟ قلت: نعم. قال: قتلتَ العجوزَ وربِّ الكعبةِ. فمشيتُ مع الغُلامين والجاريةِ حتى أتينا البيتَ فدخلتِ الجاريةُ فكشفتْ عنها فإذا هي مَيتة. فأعجَبَني خاطرُ الغلام، فقلتُ للجارية: من هاذانِ الغُلامان؟ فقالت: هاذان جَعافرةٌ، وهذه أُختُهم، مُنذُ ثلاثين سَنةً ماتستأنِسُ بكلام الناسِ، إذا نزلنا تُواري بيتَها في الفلاة، تأكل في كلِّ ثلاثةِ أيامٍ أكلةً أو شربةً[2].

رحمة اللهِ عليها.

* * *

وقال أبانُ بنُ تغلِب[3]: رأيتُ أعرابيَّةً تُمرِّضُ ابنًا لها، وهو لِما

---

(١) الهَوِيُّ: الهزيع من الليل، ويضمُّ، أي ساعة ممتدَّة منه. معجم متن اللغة (هوي).

(٢) صفة الصفوة ٤/٣٩٣، ٣٩٤.

(٣) في الأصل: «ثعلب»، وهو أبان بن تغلب بن رباح البكري الجريري، قارئ لغويّ، من أهل الكوفة من كتبه: «غريب القرآن» ولعلَّه أول من صنف في هذا الموضوع، و«القراآت». توفي سنة ١٤١ هـ. انظر الأعلام ١/٢٦.

به[1]. فلمَّا فاظَ[2] أغمضتهُ، ثم تنحَّتْ عن مَقعدِها عندَ رأسِه، ورجعتْ إلى مَجلسها تجاهَهُ، فقالتْ: يافلان، ماحقٌّ من أُلبِسَ العافيةَ، وأُسبغتْ عليه النِّعمةُ، وأُطيلتْ له النَّظِرَةُ أنْ يَعجزَ عن التَّوثُّقِ لنفسه قبل حلِّ عُقْدته، والحلولِ بعقوبته، والحيالِ بينه وبين نفسه. قال: فأجابَها أعرابيٌّ: إنَّا لم نزلْ نَسمعُ أنَّ الجزعَ إنَّما هو للنِّساء فلا يَجْزَعَنَّ رجلٌ بمصيبةٍ بعدَكَ، ولقد كَرُمَ صبرُك، وماأشبهتِ النساءَ. فأقبلتْ عليه بوجهِها، ثم قالت: ماميَّزَ رجلٌ بين الصبرِ والجزَعِ إلاَّ أصابَ بينهما مَنهجَيْنِ بعيدي التفاوتِ في حالَيْهما. أمَّا الصَّبرُ فحسَنُ العلانيَّة، محمودُ العاقبة. وأمَّا الجَزَعُ فغير مُعوَّضٍ مع مأثمِهِ. ولو كانا رجلَين في صورةٍ كان أوْلاهُما بالغلبةِ وحسن الصُّورةِ مع كرمِ الطَّبيعةِ في عاجلةٍ من الدِّين، وآجلةٍ من الثَّواب، وكفى ماوَعَدَ اللهُ فيه لمن ألهمَه إيَّاه[3].

رحمة اللهِ عليها ورضوانه.



* * *

القدس

قال [أبو] جعفر السَّائح: رأيتُ عَجوزًا في بيت المقدسِ تقول: حَجَجْتُ ماشيةً اثنتي عشرةَ حجَّةً، ماركبتُ فيها، أشتري كلَّ سنةٍ بأربعةِ دراهم سَقَطًا[4] فيكونُ ذلك زادي في ذهابي ومُنْصرَفي. قال: فقلتُ لها: في بيت المقدسِ مثلُكِ من المتعبِّدات؟ فذكرتْ نِسوةً يفعلنَ مثلَ ماتفعلُ،

(١) قال محقق صفة الصفوة ٤/٣٩٦: أي أنه في حال من الإعياء أو الكرب الشديد. وهذا التعبير شائع في أساليب القدماء. انظر مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ج ١٧.

(٢) فاظَ: مات. وفي (ب): «فاض» وهما بمعنى. انظر معجم متن اللغة (فوظ).

(٣) صفة الصفوة ٤/٣٩٦.

(٤) السقَطُ: مالاخيرَ فيه من الطعام. معجم متن اللغة (سقط).

[قالت:] فإذا رجعنا حَمَلْنا مَغازِلَنا إلى المسجدِ فلا نَخرجُ منه إلاَّ لحدثٍ[1] أو لحاجةٍ. قلتُ: فكم بَقِيَ اليوم من هذه الصِّفَة؟ قالتْ: نحوٌ من عشرةٍ. قلتُ: فمنْ أعبدُكُنَّ اليوم؟ قالت: امرأةٌ من قريش، ماتَراها تُكلِّمُ أحدًا إنَّما هي في الصلاةِ قائمةً وراكعةً وساجدةً، يأتيها أهلُها بما يُصلِحُها[2].

رحمة اللهِ عليها.

* * *

وقال سعيد الإفريقِيّ: كنتُ ببيتِ المقدس مع أصحابٍ لي في المسجد، فإذا أنا بجاريةٍ عليها درعُ شعرٍ وخِمارُ صوفٍ، وإذا هي تقول: إلٰهي وسيِّدي، ماأضيقَ الطريقَ على منْ لم تكنْ دليلَه! وأوحشَ خلوةَ من لم تكنْ أنيسَه! فقلتُ: ياجارية، ماقطعَ الخلقُ عن اللهِ عزَّ وجلَّ؟ قالت: حُبُّ الدُّنيا، ألاَ إنَّ للهِ عِبادًا سقاهم من حُبِّهِ شربةً، فَوَلِهَتْ قلوبُهم، فلم يُحبُّوا مع اللهِ غيرَه، ثم قالتْ:

تَـزوَّدْ قَـرِينًـا مـن فِعـالِـكَ إنَّمـا ... قَرِينُ الفَتى في القَبْرِ ماكانَ يَعمَلُ
ألا إنَّمـا الإنسـانُ ضَيـفٌ لأهلِـهِ ... يُقيمُ قَليلاً عِنْدَهم ثمَّ يَرْحَلُ[3]

* * *

وقال [أبو] جعفر السَّائحُ[4]: رأيتُ امرأةً في بيت المقدس في مُتعبَّدٍ لها، عليها مِدْرَعَةٌ من شعَرٍ، وخِمارٌ من شَعَرٍ، وسِواراتِ من حَديد، وكان لها سِلْسِلةٌ تُعلِّقُ بها نفسَها بالليلِ، فقلتُ لها: منذُ متى أخذتِ فيما أنتِ فيه؟ قالت: مُنذُ ثماني سنين. قال: فرأيتُ نسوةً كثيرةً عليهنَّ مَدارعُ صوفٍ

---

(١) في (أ): «الحديث».
(٢) صفة الصفوة ٤/ ٢٥١. ومابين معقوفين مستدركٌ منه.
(٣) صفة الصفوة ٤/ ٢٥٢.
(٤) في الأصل: «جعفر». والمثبت من الأنساب ٧/ ٢١، وصفة الصفوة ٤/ ٢٥٢.

وخُمُرٌ مُعتكفاتٍ في المسجدِ لايتكلَّمنَ بالنَّهار[1].

رحمة اللهِ عليهن ورضوانه.

* * *

وقال عثمانُ المَرْجَانيُّ[2]: خرجتُ من بيت المقدس أُريدُ بعضَ القُرى، فلقيَتْني عجوزٌ عليها جبّةُ صوف، فسلَّمْتُ، فردَّتْ عليَّ السلام، ثم قالت: يافتى، من أين أقبلتَ؟ فقلت: من هذه القرية. قالت: وأين تُريد؟ قلت: إلى بعضِ القُرى في حاجةٍ. قالت: كم بينَكَ وبين أهلِكَ ومنزِلِك؟ قلت: ثمانيةَ عشرَ ميلاً. قالت: ثمانيةَ عشرَ ميلاً في حاجة! إنَّ هذه لحاجةٌ مهمة. قلتُ: أجل. قالت: فما اسمُكَ؟ قلت: عُثمان. فقالت: ياعُثمان، ألا سألتَ صاحبَ هذه القريةِ أن يُوجِّهَ إليك بحاجتِك ولاتَتَعَنَّى؟ قال: ولم أعلمْ الذي أرادَتْ، قلتُ: ياعَجوز، ليسَ بيني وبين صاحبِ هذه القريةِ معرفةٌ. قالت: ياعثمان، وماالذي أوْحَش بينك وبين مَعرفتِه، وقطعَ بينك وبين الاتصالِ به؟ فعرفتُ الذي أرادتْ فبكيتُ، فقالت: من أيِّ شيءٍ تبكي؟ من شيءٍ كنتَ فعلتَهُ ☆ونسيتَهُ، أو من شيءٍ☆[3] نسيتَهُ وذكرتَهُ؟ قلت: لا، بل من شيءٍ كنتُ أُنسيتُهُ وذكرتُه. فقالت: ياعثمان، احْمَدِ اللهَ الذي لم يترُكْكَ في حيرتِك، أتحبُّ اللهَ عزَّ وجلَّ؟ قلتُ: نعم. قالت: فاصدُقْني. قلت: إي واللهِ، إنِّي لأحِبُّ اللهَ عزَّ وجلَّ. قالت: فما الذي أفادَكَ من طرائف[4] حكمتِهِ إذا أوصلَكَ إلى مَحبَّتِه؟ قال: فبقِيتُ لاأدري ماأقول. قالت: ياعثمان، لعلَّكَ ممَّنْ يحبُّ أنْ يكتمَ المحبّةَ؟ قال: فبقِيتُ

---

(١) صفة الصفوة ٤/ ٢٥٢.

(٢) كذا في الأصل، وفي صفة الصفوة أثبت في المتن: «الرجاني»، وفي الحاشية: «الرحاني».

(٣) (☆-☆) مابينهما ليس في (أ).

(٤) في (أ): «صريف».

بين يديها متحيِّرًا لا أدري ما أقولُ. فقالت: يأبَى اللهُ أن يدنِّسَ طرائفَ حكمتِه، وخَفِيِّ معرفته، ومكنونَ محبَّتِه بممارسةِ قلوبِ البطَّالين. قلت: رحمَكِ الله، لو دَعوتِ اللهَ عزَّ وجلَّ أن يَشغلَني بشيءٍ من مَحبَّتِه. فنفضَتْ يدَها في وجهي، فأعدتُ القولَ أقتضي الدُّعاءَ، فقالت: ياعبد الله، امضِ لحاجتِك، فقد علمَ المحبوبُ ماناجاهُ الضميرُ من أجلِك. ثم ولَّتْ وقالت: لولا خوفُ السَّلْبِ لبحتُ بالعجب. ثم قالت: أوَّه من شوقٍ لا يَبرأُ إلاَّ بك، ومن حنينٍ لايَسكنُ إلاَّ إليكَ. فأينَ لوجهي الحياءُ منك؟ وأين لعقلي الرُّجوعُ إليك؟

قال عثمان: فواللهِ ماذكرتُ ذلك إلاَّ بكَيتُ وغُشيَ عليَّ[1].

رحمة اللهِ عليهما.

* * *

الكوفة

قال سعدانُ: أمَرَ قومٌ امرأةً ذاتَ جمالٍ بارعٍ أن تتعرَّضَ للرَّبيع بن خُثَيم؛ فلعلَّها تفتنه. وجعلوا لها إنْ فعلت ذلك ألفَ درهم. فلبِستْ أحسنَ ماقدرتْ عليه من الثِّياب، وتطيَّبتْ بأطيبِ ماقدرتْ عليه من الطِّيبِ، ثم تعرَّضتْ له حين خرجَ من مَسجدِهِ. فنظرَ إليها فراعَهُ أمرُها، فأقبلَتْ عليه، وهي سافرةٌ. فقال لها الرَّبيعُ: كيف بكِ لو قد نزلتِ الحُمَّى بجسمِكِ، فغيَّرتْ ماأرى من لونِكِ وبهجتِكِ؟ أم كيفَ بك لو قد نزَلَ بكِ مَلَكُ الموتِ، فقطَعَ منك حبلَ الوَتين؟ أم كيف بك لو قد ساءَلَكِ مُنكرٌ ونكير؟ فصرختْ صرخةً، فسقطتْ مَغشيًا عليها. فواللهِ لقد أفاقتْ وبلغَتْ من عِبادةِ ربِّها أنَّها كانت يومَ ماتت كأنَّها جِذعٌ مُحترِقٌ[2].

---

(١) صفة الصفوة ٤/٢٥٣، ٢٥٤.

(٢) صفة الصفوة ٣/١٩١، روض الرياحين ٣٩٥ (الحكاية ٣٥٣).

رحمة اللهِ عليها.

* * *

وقال عبد اللهِ بن نافع: أُتيَ الرَّبيعُ بن خُثيم في منامه، فقيل: إنَّ فلانةَ السَّوداءَ زوجتُكَ في الجنَّةِ. فلمَّا أصبَحَ سألَ عنها، فدُلَّ عليها، فإذا هي ترعى أعنُزًا لها. فقال: لأُقيمَنَّ عندها فأنظرَ ماعملُها، فأقامَ عندَها ثلاثًا، لايَراها تَزيدُ على الفريضةِ، فإذا أمستْ جاءتْ إلى عنزٍ لها فحلَبَتْ، ثم شربَتْ، ثم حلبتْ فسقَتْهُ. فقال لها في اليوم الثالث: ياهذه (١لِمَ لاتسقيني من غيرِ هذا العنز؟ فقالت: ياعبدَ الله، إنَّها ليستْ لي. قال: فلِمَ سَقيتِني من هذه؟ قالت: إنَّ هذه١)[1] مُنِحتُها، أشربُ من لبنِها، وأسقي من شئتُ. فقال: ياهذه، فليسَ لكِ من العملِ أكثرُ ممَّا أرى؟ قالت: لا، إلاَّ أنّي ماأصبحتُ على حالٍ قطُّ فتمنَّيتُ أنّي على حالٍ سِواها رضًا بما قسمَ اللهُ لي. فقال: ياهذه، علمتُ أنّي رأيتُ في المنامِ أنَّكِ زوجتي في الجنَّة. قالتْ له: فأنتَ الرَّبيعُ بنُ خُثيم؟

قال الراوي: فقلتُ لعبدِ اللهِ بنِ نافع: كيفَ عَلِمَتْ هذا؟ فقال: لعلَّها أنْ تكونَ رأتْ في منامِها مثلَ ماأُرِيَ[2].

رحمة اللهِ عليها.

* * *

وقال محمد بن قُدامةَ: سمعتُ أبا بشرٍ يقول: كانتْ جاريةٌ لمنصورِ بن المعتمر، وكان لها ابنتانِ لاتَصعدانِ إلى السَّطحِ إلاَّ بعدَ مايَنامُ الناسُ، فقالت إحداهما ذاتَ ليلةٍ: ياأُمّاه، مافعلتِ القائمةُ التي كنتُ أراها في سطحِ فلان؟ فقالت: يابُنيَّة، لم تكنْ تلك قائمةً، إنَّما كان ذلك مَنصور يُحيي

---

(١) (١ـ١) مابينهما ليس في (أ).

(٢) صفة الصفوة ٣/١٩٢، روض الرياحين: ٢٢٧ (الحكاية ٢٤٦).

الليلَ كلَّه في ركعةٍ، لايَسجدُ فيها ولايركع. فقالت: ياأُمَّاه، بلغَ به العبادةُ والفرَقُ من النارِ هذا؟! فما فعل؟ قالت: ماتَ ودفنوه. قالت: ياأُمَّتاه، انطلقي فاشتري لي مِدرَعةً أتعبَّدُ فيها، فواللهِ لايجمعُ رأسي ورأسَ رجلٍ أبدًا، رجلٌ لاينامُ عشرين سنةً فرَقًا من النار!

قال: فاشترَتْ لها مِدْرعةً من شعَرٍ، فدخلتِ البنتُ الأُخرى معها في العبادة، فتعبَّدتا بعد ذلك عشرين سنةً لاتَناماِن الليلَ، ولاتُفطرانِ بالنَّهار[1].

رحمة اللهِ عليهما ورضوانه.

* * *

وقال عبد اللهِ بن الزُّبير، عن سُفيان، أنَّه ذكرَ يومًا امرأةً من أهلِ الكوفةِ، كانتْ تعبَّدَتْ[2]، فذَكرَ عنها فضلاً، فقلتُ: أيُّ شيءٍ تحفظُ من كلامها؟ قال: قالوا إنَّها كانت تقولُ: لو نادَى مُنادٍ من السماء: ليمُتْ أعظمُ الناسِ جُرْمًا، لرأيتُ أنَّ نفسي أوَّلُ ذائقةٍ للموتِ.

وكانت تقول: طُولُ الأمَلِ بطَّأَ بي عن سُبُلِ النَّجاة[3].

رحمة اللهِ عليها.

* * *

وقال سُويد بن عمرو الكلبي: كانتِ امرأةٌ عابدةٌ في غِنًى، فكانتْ لاتنامُ الليلَ إلاَّ يَسيرًا. فعُوتبتْ في ذلك. فقالتْ: كفى بالموتِ، وطولِ الرَّقْدةِ في القبورِ للمؤمنين رُقادًا.

قال أبو بكر: وزادَني في هذا الحديث عن محمد بن الحُسين: وكانتْ

---

(١) صفة الصفوة ٣/١٩٣.

(٢) في (ب): «تعبد».

(٣) صفة الصفوة ٣/١٩٣، ١٩٤.

تصومُ في شِدَّةِ الحرِّ حتى يَسودَّ لونُها ويتغيَّرَ وجهُها، فيُقال لها في ذلك، فتقول: إنَّما أدورُ على طُولِ الرِّيِّ والشِّبعِ في الآخرة.

وكانت قد بكتْ حتى اسودَّ مَجاري دموعِها من وجهها، وكان يأتيها محمد بن النَّضر وأصحابُه، فتُحادثُهم ساعةً ثم تقول: قُوموا فالحديثُ هناك طيِّبٌ في دارٍ لاهمَّ فيها ولامَوتَ ولاتعَب[1].

رحمةُ اللهِ عليها.

* * *

المدينة

على ساكِنِها أفضلُ الصلاةِ والسلام

قال عبد اللهِ بنُ زيد بنِ أسلم عن أبيه عن جدِّه أسلم، قال: بينا أنا مع عمرَ بن الخطَّاب، وهو يَعُسُّ المدينةَ إذْ عَيِيَ، فاتَّكأَ إلى جانِبِ جدارٍ في جوفِ الليل، فإذا امرأةٌ تقولُ لابنتِها: يابنتاه، قومي إلى ذلك اللَّبنِ فامذُقيه بالماء. فقالت لها: ياأُمَّتاه، وماعلمتِ بما كان من عَزمةِ أميرِ المؤمنين اليوم؟ قالت: وماكانَ من عَزْمتِه يابُنيَّة؟ قالت: إنَّه أمَرَ مُناديًا فنادَى: أنْ لايُشابَ اللبَنُ بالماء. فقالت لها: يابُنيَّة، قومي إلى اللبَنِ فامذُقيه بالماء، فإنَّكِ بموضعٍ لايَراكِ عمرُ ولامنادي عمر. فقالتِ الصبيَّةُ لأُمِّها: ياأُمَّتاه، واللهِ ماكنتُ لأُطيعَهُ في الملأِ، وأعصِيَهُ في الخَلاء.

وعمرُ يسمعُ كلَّ ذلك. فقال: ياأسلم، علِّمِ البابَ، واعرِفِ الموضعَ. ثم مضى في عَسِّهِ. فلمَّا أصبحَ قال: ياأسلمُ، امضِ إلى الموضِع، فانظُرْ منِ القائلةُ، ومَنِ المقولُ لها؟ وهل لهم من بعلٍ؟ فأتيتُ الموضِعَ، فنظرتُ فإذا

---

(١) صفة الصفوة ٣/١٩٤، ١٩٥.

الجاريةُ أيِّمٌ لابعلَ لها، وإذا تيكَ أُمُّها، وإذا ليسَ لهم رجلٌ، فأتيتُ عمرَ بن الخطاب، فأخبرتُهُ، فدعا عمرُ ولدَه فجمعَهم، فقال: هل فيكم من يحتاجُ إلى امرأةٍ أُزوِّجه؟ ولو كان بأبيكم حركةٌ إلى النِّساءِ ماسبَقَه منكم أحدٌ إلى هذه الجارية. فقال عبد الله: لي زوجةٌ. وقال عبد الرحمن: لي زوجةٌ. وقال عاصم: ياأبتاهُ، لازوجةَ لي، فزوِّجْني. فبعثَ إلى الجاريةِ فزوَّجَها من عاصم، فولَدَتْ لعاصمٍ بنتًا، وولدتِ البنتُ بنتًا وولدتِ الابنةُ عمرَ بنَ عبد العزيز.

قال بعضُ العلماء: كذا وقعَ في روايةِ الآجُرِّيّ. وهو غلطٌ، ولاأدري من أيِّ الرُّواةِ وقعَ، وإنَّما الصوابُ: فولدَتْ لعاصمٍ بنتًا، وولدتِ البنتُ عمرَ بن عبد العزيز. كذلك نسبه العلماء[(١)].

* * *

وقال أبو تُراب[(٢)] رجلٌ من قريش: إنَّ امرأةً من أهلِه كانت مُجتهدةً في العبادةِ، وتُديمُ الصِّيام، وتُطيلُ القيام. فأتاها الملعونُ فقال: إلى كم تُعذِّبين هذا الجسدَ وهذه الرُّوح؟ لو أفطرتِ وقصَّرتِ عن القيامِ كانَ أدومَ لك وأقوى. قالت: فلم يزلْ يُوسوسُ لي حتى هَممتُ واللهِ بالتقصيرِ. قالت: ثم دخلتُ مسجدَ رسولِ اللهِ ﷺ مُعتصِمَةً بقبره، وذلك بين المَغرِبِ والعِشاء، فذكرتُ اللهَ، وصلَّيتُ على رسوله ثم ذَكرتُ مانزلَ بي من وَساوسِ الشيطان، واستغفرتُ، وجعلتُ أدعو اللهَ أنْ يَصرفَ عنِّي كيدَهُ ووساوسَه. قالت: فسمعتُ صوتًا من ناحيةِ القبرِ يقول: ﴿إنَّ الشيطانَ لكمْ عَدُوٌّ فاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إنَّما يدعو حِزْبَهُ ليكونُوا من أصحابِ السَّعِيرِ﴾[فاطر: ٦] قالتْ: فرجعتُ مَذعورةً وجِلَةَ القلبِ. فواللهِ ماعاودتْني تلكَ الوسوسةُ

---

(١) صفة الصفوة ٢/٢٠٣، ٢٠٤ و٤/٤٤١ مختصرة.

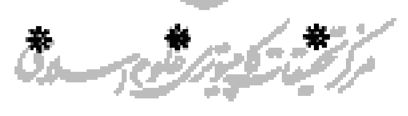
(٢) في صفة الصفوة: «أبو أيوب».

بعد تلك الليلة[1].

* * *

وقال عبدُ اللهِ ابنُ أختِ مُسلم بن سعدان[2]: أردتُ الحجَّ، فدفعَ إليَّ خالي مُسلم عشرةَ آلافِ درهم، وقال لي: إذا قدمتَ المدينةَ فانظرْ أفقرَ أهلِ بيتٍ بالمدينة، فأعْطِهم. فلمّا دخلتُ سألتُ عن أفقرِ أهلِ بيتٍ بالمدينة فدُلِلْتُ على أهلِ بيتٍ، فطرقتُ البابَ، فأجابتْني امرأةٌ: من أنت؟ فقلتُ: أنا رجلٌ من أهلِ بغداد، أُودِعتُ عشرةَ آلافِ درهم، وأُمرتُ أن أُسلِّمَها إلى أفقرِ أهلِ بيتٍ بالمدينة، وقد وصفتم لي، فخذوها. فقالت: ياعبد الله، إنَّ صاحبَكَ اشترطَ أفقرَ أهلِ بيتٍ، وهؤلاء الذين بإزائنا أفقرُ مِنّا. فتركتُهم وأتيتُ أولئك، فطرقتُ البابَ، فأجابتْني امرأةٌ، فقلتُ لها مثلَ الذي قلتُ لتلك المرأةِ. فقالت: ياعبد اللهِ، نحن وجيراننا في الفقرِ سواء، فاقسِمْها بيننا وبينهم[3].

رحمة اللهِ عليهن ورضوانه.



* * *

مصر

قال أبو عبد اللهِ محمدُ بن شجاع الصُّوفي: كنتُ بمصرَ أيامَ سياحتي، فتاقتْ نفسي إلى النِّساء، فذكرتُ ذلك لبعضِ إخواني، فقال لي: هاهنا امرأةٌ صُوفيّةٌ، لها ابنةٌ مثلُها جميلةٌ قد ناهزتِ الاحتلامَ. قال: فخطَبتُها، وتزوَّجتُها. فلمّا دخلتُ إليها وجدتُها مُستقبلةَ القبلةِ تُصلِّي، فاستحييتُ أنْ تكونَ صبيّةٌ في مثلِ سنِّها تُصلِّي وأنا لاأُصلِّي. فاستقبلتُ القبلةَ، وصلَّيتُ

(1) صفة الصفوة ٢/ ٢٠٥.

(2) في صفة الصفوة: «سعد».

(3) صفة الصفوة ٢/ ٢٠٦.

ماقُدِّرَ لي حتى غلبتْني عَيني، فنمتُ في مُصلاَّيَ، ونامَتْ في مُصلاَّها، فلما كان في اليومِ الثاني كان مثلُ ذلك أيضًا، فلمَّا طالَ عليَّ، قلت: ياهذه، ألاجتماعِنا[1] معنًى؟ قال: فقالتْ لي: أنا في خدمةِ مولاي، ومن له حقٌّ فما أمنعُه. قال: فاستَحييتُ من كلامِها، وتمادَيتُ على أمري نحو الشهر، ثم بدا لي في السَّفَرِ، فقلتُ: ياهذه، قالت: لبَّيكَ. قلتُ: إنِّي قد أردتُ السفَرَ. قالت: مُصاحبًا بالعافية. فقمتُ، فلمّا صِرْتُ عند البابِ قامتْ، فقالتْ لي: ياسيِّدي، كان بيننا في الدُّنيا عهدٌ لم يُقضَ بتمامِه، عَسى في الجنَّةِ إنْ شاءَ الله. فقلتُ لها: عسى. فقالت لي: أستودعُكَ الله خيرَ مستودَع. قال: فتودَّعْتُ منها، وخرجتُ.

قال: ثم عُدتُ إلى مصرَ بعدَ سنين، فسألتُ عنها، فقيلَ لي: هي على أفضلِ ممَّا تركتَها عليه من العبادةِ والاجتهاد[2].

رحمة اللهِ عليها ورضوانه.

* * *

وقال ذو النُّون المِصرِي رضي الله عن: دخلتُ إلى سَوادِ نيلِ مصر فجنَّني الليلُ، فقمتُ بين زُروعِها، فإذا أنا بامرأةٍ سوداءَ قد أقبلتْ إلى سُنبلةٍ ففركتها، ثم تركتْها، وبكتْ، وقالت: يامَنْ حبَّةُ بدرًا يابسًا في أرضِه، ولم يكُ شيئًا، أنت الذي صيَّرْتَهُ حَشيشًا، ثم جعلتَهُ عُودًا قائمًا، وجعلتَ فيه حبًا مُتراكِبًا، وكوَّنتَه بتكوينكَ، وأنتَ على كلِّ شيءٍ قدير، ثم قالت: عجبتُ لمن هذه قدرتُهُ كيف يُعصى؟ وعجبتُ لمن هذه مشيئتُهُ كيف لايُطاع؟ وعجبتُ لمن هذه صَنعتُهُ كيف يُشكى؟ فدنوتُ منها، فقلتُ: من يَشكو؟ فقالت لي: أنت ياذا النون، إذا اعتللتَ فلا تشتكِ[3] علَّتك إلى

---

(١) في روض الرياحين: هل لاجتماعِنا

(٢) صفة الصفوة ٤/ ٣٣٢، ٣٣٣، روض الرياحين ٣٨٢ (الحكاية ٣٣٨).

(٣) في الأصل: «فلا تشتكي».

مخلوقٍ مثلِك، واطلُبْ دواءَك ممَّنِ ابتلاك، وعليكَ السلامُ، فلا حاجةَ لي في مُناظرةِ البطَّالين، ثم أنشأتْ تقول:

وكيف تنامُ العينُ وهي قَريرةٌ ولم تَدْرِ في أيِّ المَحلَّيْنِ تنزلُ

* * *

مكة

حرسها الله وحماها

قال أبو عبد الرحمن المَغَازِليّ: كانت امرأةٌ عابدةٌ، وكانت حَكيمةً مُجاورةً بمكة، فدخلنا عليها ذاتَ يوم، فقالت لها امرأةٌ كانت تخدمُها: إخوانُكِ جاؤوكِ يُحِبُّونَ أنْ يَسمعوا كلامَكِ. قال: فبكتْ طويلاً، ثم أقبلَتْ علينا، فقالت: إخواني وقُرَّةَ عيني، مثِّلوا القيامةَ نُصبَ أبصارِ قلوبِكم، وردُّوا على نفوسِكم ماقد تقدَّمَ من أعمالكم، فما ظَننتم أن يجوزَ في ذلك اليوم، فارغبوا إلى السيِّدِ في قبولِه وتمامُ النِّعمةِ فيه، وماخفتم أن يُردَّ في ذلك اليوم عليكم فخذوا في إصلاحِه من اليوم، ولا تغفُلوا عن أنفسِكم، فيُردَّ عليكم حيثُ لايوجدُ البَدَلُ ولايُقدَرُ على الفِداء.

قال: ثم بكتْ طويلاً، ثم أقبلتْ علينا فقالت: إخواني وقُرَّة عيني، إنَّما صلاحُ الأبدانِ وفسادُها حُسنُ النِّيَّةِ وسوئها. إخواني وقُرَّةَ عيني، إنَّما نالَ المُتَّقُونَ المحبَّةَ لمحبَّتِهم له، وانقطاعِهم إليه، ولولا اللهُ ورسولُه مانالوا ذلك، ولكنَّهم أحبُّوا اللهَ ورسولَه، فأحبَّهم عِبادُ اللهِ لحُبِّهم اللهَ ورسولَه. إخواني وقُرَّةَ عيني، كلَمَ الخوفُ قلوبَ أهلِهِ واقتطعَهُمْ ـ واللهِ ـ وشغلَهُمْ عن مَطاعِمِ اللذَّاتِ والشهوات. إخواني وقُرَّةَ عيني، بقَدْرِ ماتُعرِضُون عن اللهِ يُعرِضُ عنكم بخيرِهِ، ويقَدْرِ ماتُقبِلون عليه كذلك يُقبِلُ عليكم ويَزيدكم من فضلِهِ، إنَّه واسعٌ كريم.

* * *

وقال محمد بن بكار: كانتْ عندنا بمكَّةَ امرأةٌ عابدةٌ، وكانتْ لاتَمرُّ بها ساعةٌ إلاّ وهي صَارخةٌ، فقيل لها يومًا: إنَّا لَنراكِ على حالٍ مانَرى غيرَكِ عليها، فإنْ كان بكِ داءٌ عالجناكِ. قال: فبكتْ وقالتْ: من لي بعلاجِ هذا الدَّاء؟ وهل فرَّحَ قلبي إلاَّ التفكُّرُ في نَيلِ مُعالجته؟ أوَلَيسَ عَجيبًا أن أكونَ حيَّةً بين أظهرِكم وفي قلبي من الاشتياقِ إلى ربِّي مثلُ شُعَلِ النار التي لاتُطفأُ حتى أصيرَ إلى الطَّبيبِ الذي عنده برءُ دائي، وشِفاءُ قلبٍ قد أنضَجَهُ طُولُ الأحزانِ في هذه الدَّارِ التي لاأجِدُ فيها على البُكاءِ مُسْعِدًا[1].

* * *

اليمن

قال محمد بن سليمان القُرَشيُّ: بينا أنا أسيرُ في طريقِ اليمنِ إذا أنا بغُلامٍ واقفٍ في الطريقِ في أُذنيهِ قُرطانِ في كلِّ قرطٍ جَوهرةٌ، يُضيءُ وجهُهُ من ضوءِ تلك الجَوهرةِ، وهو يمجِّدُ ربَّه بأبياتٍ من الشِّعرِ، فسمعتُه وهو يقول:

مَلِيكٌ في السماءِ به افتِخَاري عَـزِيـزُ القَـدرِ ليس بـه خَفَـاءُ

فدنَوتُ منه فسلَّمْتُ عليه، فقال: ماأنا برادٍّ عليك حتى تؤدِّيَ من حقِّي الذي يَجِبُ عليك. قلت: وماحقُّكَ؟ قال: أنا غلامٌ على مَذهبِ إبراهيمَ الخليل[2] ﷺ، لاأتغدَّى ولاأتعشَّى كلَّ يومٍ حتى أسيرَ المِيلَ والمِيلَيْنِ في طلبِ الضَّيفِ، فأجبتُهُ إلى ذلك، فرحَّبَ بي، وسِرتُ معه حتى قَرُبنا من خيمةِ شعرٍ، فلمّا قَرُبنا من الخيمةِ صاحَ: ياأُختاه، فأجابَتْهُ جاريةٌ من الخيمةِ: يالبَّيكاه. قال: قومي إلى ضَيفِنا. فقالتِ الجارية: حتى أبدأَ بشكر

---

(١) مسعِدًا: معينًا، أسعده على الشيء: أعانه، ولايقال إلا في البكاء. متن اللغة (سعد). والخبر في صفة الصفوة ٢/ ٢٨١، ٢٨٢.

(٢) في حب الأضياف، وتقديم القِرَى.

المولى الذي سبَّبَ لنا هذا الضَّيف. فقامتْ فصلَّتْ ركعتينِ شُكرًا للهِ، فأدخلني الخيمةَ فأجلسَني، وأخذَ الغُلامُ الشَّفرةَ، وأخذَ عَنَاقًا[1] ليذبَحَها، فلما أُجلستُ في الخيمةِ نظرتُ إلى أحسنِ الناس وجهًا، فكنتُ أُسارِقُها النظرَ، ففطنَتْ لبعضِ لحظاتي إليها، فقالت لي: مَهْ، أما علمتَ أنَّه قد نُقِلَ إلينا عن صاحبِ يثربَ ﷺ: أنَّ زِنَى العين النظر[2]. أما إنِّي ماأردتُ بهذا أن أوبِّخَكَ، ولكنِّي أردتُ [أن] أؤدِّبَكَ لكي لاتعودَ لمثلِ ذا.

فلمّا كان النَّومُ بِتُّ أنا والغلامُ خارجًا، وباتتِ الجاريةُ في الخيمةِ، فكنتُ أسمعُ دَوِيَّ القرآنِ الليلَ كلَّه بأحسنِ صوتٍ يكونُ وأرقِّه. فلمَّا أصبحتُ قلتُ للغلام: صوتُ من كان ذاك؟ فقال: تلك أُختي تُحيي الليلَ كلَّه إلى الصباح. فقلتُ: ياغلام، أنت أحقُّ بهذا العمل من أُختِك؛ أنت رجلٌ وهي امرأة. قال: فتبسَّمَ، ثم قال: ويحك يافتى، أما علمتَ أنَّه مُوَفَّقٌ ومَخذولٌ؟[3].

* * *

أمكنة مجهولة

قال جُويريةُ بنُ أسماء: إنَّ إخوةً ثلاثةً من بني قطيعةَ شهدوا يومَ تُستَرَ[4] فاستُشهِدوا، فخرجتْ أُمُّهم يومًا إلى السُّوقِ لبعضِ شأنِها، فتلقَّاها

---

(١) العَنَاق: الأنثى من أولاد المعزى إذا أتت عليها سنة، أو مالم تتم سنة. معجم متن اللغة (عنق).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٣/٣٢٩ عن أبي هريرةَ عن رسولِ الله ﷺ قال: «العين تزني والقلب يزني، فزنا العين النظر، وزنا القلب التمنِّي، والفرج يصدق ماهنالك أو يكذبه». وأخرجه أبو داود عن سهل بن أبي أُمامة ٥/٢٠٩ رقم (٤٩٠٤) في الأدب: باب الجسد، بلفظ: «والعين تزني والكف والقدم والجسد واللسان، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه».

(٣) صفة الصفوة ٢/٣٠٣ ـ ٣٠٥.

(٤) تُستَر: أعظمُ مدينةٍ بخُوزِسْتان (عربستان) فتحها أبو موسى الأشعري زمنَ عمرَ بنِ الخطاب الذي ضمَّها إلى البصرة. معجم البلدان ٢/٢٩.

رجلٌ قد حَضَر أمْرَ تُستَر، فعرفته، فسألتْهُ عن بَنِيها، فقال: استُشْهِدوا. فقالت: أمُقْبِلينَ أم مُدْبِرين؟ فقال: مُقبلين. فقالت: الحمد للهِ، نالوا الفوزَ وحاطوا الذِّمار، بنفسي هم وأبي وأمي[1].

رحمة اللهِ عليهم.

* * *

وقال عبد اللهِ بن محمد[2]: إنَّه سمعَ امرأةً من المُتعبِّداتِ تقول وبكَتْ: واللهِ لقد سَئِمتُ من الحياةِ حتى لو وجدتُ الموتَ يُباعُ لاشتريتُهُ شوقًا إلى اللهِ، وحُبًّا للقائه. قال: قلتُ لها: على ثقةٍ أنت من عملك؟ قالت: لاوالله، ولكنْ لحبّي إيَّاه، وحُسْنِ ظني به، أفَتراهُ يُعذِّبني وأنا أُحبُّه[3]؟

رحمة اللهِ عليها.

* * *

وقال الحسين بن جعفر[4]: إنَّه سمعَ أباهُ يقول: مررتُ بدارٍ فإذا عجوزٌ مَكفوفةٌ تبكي وتقول: ياحليم[5]، تقرَّبَ الناسُ إليك بالأعمالِ يدعونَكَ بها، وكيفَ أدعوكَ بالذُّنوبِ ولاعملَ أرضاه؟ ياربِّ، فهبْ لي من حِلمك ماتكفيني به، وتُنجِّيني من عذابِك. قال: فوقفتُ عليها فوعظتُها، وقلتُ: هل لك وَلد؟ قالت: لا. قلتُ: مَنْ مَعَكِ في دارِك؟ قالتْ: سبحان الله! معي من أُناجيه، فهل عليَّ وَحْشةٌ معه وهو أنيسي؟ قال: فأبكتني، فقلتُ لها: مامعاشُكِ؟ قالت: دعْ عنك ما لا يُحتاجُ إليه، بلغتُ هذا المبلغ من السِّنِّ فما أحوجَني إليكَ ولا إلى غيرِك، أما تقرأُ القرآن: ﴿والذي هو

---

(١) صفة الصفوة ٤/ ٤٣٥، ٤٣٦.

(٢) في صفة الصفوة: عبيد الله بن محمد.

(٣) صفة الصفوة ٤/ ٤٣٩.

(٤) في صفة الصفوة: الحسن بن جعفر.

(٥) في (ب): «ياحكيم».

يُطعمُني ويسقينِ * وإذا مَرِضْتُ فهو يَشْفِينِ﴾[الشعراء: ٧٩، ٨٠]؟ فقلت: ائذَني لي في زيارتِك؟ فقالت: أعزِمُ عليكَ إنْ فعلتَ، أو ذكرتَ لي اسمًا. ثم أجافَتِ الباب[١].

رحمة اللهِ عليها ورضوانه آمين.

* * *

وقال عبدُ الملك بنُ شَبيب عمَّنْ حدَّثَهُ عن رجلٍ من ولد عبد الرحمن ابن أبي ليلى، قال: دخلتْ عليَّ امرأةٌ وأنا أقرأُ سورةَ هودٍ، قالت لي: ياعبد الرحمن، هكذا تقرأُ سورةَ هود؟ واللهِ إنِّي فيها مُنذُ ستةِ أشهرٍ، ومافرغْتُ من قراءَتِها[٢].

رحمة الله عليها ورضوانه.

* * *

وقال بِشرُ بنُ الحارث: أتيتُ المُعافَى بنَ عِمران، فدقَقْتُ عليه البابَ فقيل: من هذا؟ فقلت: بِشرُ الحافي. فقالت لي بُنَيَّةٌ له من داخل: لو اشتريتَ نعلاً بدانِقَينِ ذهبَ عنك هذا الاسم[٣].

رحمة اللهِ عليها.

* * *

وقال عبدُ اللهِ بنُ محمد بن وهب: كان ليحيى بنِ مُعاذ ابنةٌ صغيرةٌ، فطلبتْ من أبيها شيئًا، فقال لها: يابنتي، اطلُبِي ذلك من الله. فقالت: يأبة، وماأستحي من اللهِ أنْ أتقدمَ إليه في شيءٍ يُؤكل؟

رحمة اللهِ عليها ورضوانه.

* * *

---

(١) أجافتِ الباب: ردَّته. القاموس(جوف). والخبر في صفة الصفوة ٤/ ٤٣٩.
(٢) صفة الصفوة ٤/ ٤٤٠.
(٣) صفة الصفوة ٤/ ٤٤٢.

وقال أبو العباس بنُ مسروق: كنتُ باليمن فرأيتُ صيّادًا يَصطادُ السمَكَ على بعضِ السَّواحل، وإلى جنبِه بنيّةٌ له، كلّما اصطادَ سمكةً فتركَها في دَوْخَلةٍ[1] معه ردَّتِ الصبيّةُ السَّمَكَ إلى الماء، فالتفتَ الرجلُ فلم يرَ شيئًا، فقال لابنتِه: أيَّ شيءٍ عملتِ بالسَّمَكِ؟ فقالت: ياأبي، أليس سمعتُكَ تَروي عن النبيِّ ﷺ أنّه قال: «لاتقعُ سمَكَةٌ في شبَكَةٍ إلاَّ إذا غفَلَتْ عن ذكر اللهِ عزَّ وجلَّ»[2]؟ فلم أُحبَّ أن تأكلَ شيئًا غَفَلَ عن ذكر اللهِ عزَّ وجلَّ. فبكى الرجلُ ورمى بالصنّارة[3].

رحمة الله عليها ورضوانه.

* * *

وقال: بلغنَا أنَّ أميرَ بلدةٍ حاتمِ الأصمّ اجتازَ على بابِ حاتمٍ فاستسقَى ماءً[4] فلمّا شربَ رمَى إليهم شيئًا من المال، فوافقه أصحابُه، ففرِحَ أهلُ الدار سوى بُنيّةٍ صغيرةٍ[5]، فإنّها بكَتْ، فقيل لها: مايُبكيك؟ فقالت: مخلوقٌ نظرَ إلينا فاستغنينا، فكيف لو نظرَ إلينا الخالق[6]؟.

رحمة اللهِ عليها ورضوانه آمين ياربَّ العالمين، والعاقِبةُ للمتّقين ولاعدوانَ إلاَّ على الظالمين.

* * *

---

(١) الدَّوخلةُ: سفيفةٌ كالزنبيل من خُوص (ورق النخيل). معجم متن اللغة (دخل).

(٢) لم أجده بهذا اللفظ، وفي حلية الأولياء ٧/ ٢٤٠ عن أبي هريرةَ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «ماأصيد من صيدٍ، ولاقطع من شجرٍ إلاَّ بتضييعه التسبيح» قال أبو نُعيم: غريب تفرَّدَ به محمد بن عبدالرحمن القشيري عن مسعر.

(٣) صفة الصفوة ٤/ ٤٤٢، ٤٤٣، روض الرياحين ٢٨٧ (الحكاية ٢٢٦).

(٤) في (أ): «فاستسقى ماءً من دارٍ. فلما...»

(٥) في (أ): «صفية».

(٦) صفة الصفوة ٤/ ٤٤٣.

نهاية نسخة (أ):

قد تمَّ هذا الكتابُ «المُختار من مناقبِ الأخيار» بفضلِ اللهِ وبرحمتِهِ وحُسنِ توفيقه ومعونته في الرابعَ عشرَ من شهرِ رمضانَ المُعظَّمَ قدرُه وحرمتُه سنةَ سبعين وتسعِ مئة بمصرَ المحروسة على يد المسكين الحقير بئس العبدُ الفقير نجم الدين بن أبي اليسر بن عثمان فخر الدِّين المُقرئ الشافعيّ تابَ اللهُ عليه وعلى والديه وعفا عنه وعنهما وأحبابه والمسلمين، ولمن يدعو له ولهم بالتَّوبةِ والمغفرةِ وحُسنِ العاقبةِ، والحمدُ للهِ وحدَهُ وصلواتُه على خيرِ خلقِه محمد وآلِه وسلم تسليمًا كثيرًا. وحسبنا الله ونعمَ الوَكِيل. ولاحولَ ولاقوَّةَ إلاَّ باللهِ العليِّ العظيم. والحمد للهِ وحده.

* * *

ماجاء في نهاية نسخة (ب):

والله أعلم. والحمدُ لله ربِّ العالمين وصلى الله على سيِّدِنا محمدٍ معدِنِ الفضائلِ ومَنبَعِ الفواضل، وعلى آلهِ وأصحابِه وأزواجِه وأولاده وذرِّيته، وعلى تابعيهم وتابعي التابعين ومن تابعهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين، ورضي الله عن جميع السادةِ العارفين، والعلماءِ المحقِّقين، والأولياءِ الواصلين وأربابِ المناقبِ والمآثرِ أجمعين، ونسألُ اللهَ أن يتوفَّانا على محبَّتِهم أجمعين، وأن يَحشُرَنا في زُمرتِهم يومَ الدِّين، تحتَ لواءِ سيِّدِ المرسلين. آمين، إنَّه بالإجابةِ جَدير، وهو على جَمعِهم إذا يشاءُ قدير. اللهمَّ صلِّ على سيِّدِنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِه والعارفين وحَسبنا اللهُ ونعمَ الوكيل، ولاحولَ ولاقوَّةَ إلاَّ باللهِ العليِّ العظيم(١)

تمَّ الجزءُ الثاني من كتاب «المختار من مناقب الأخيار» وبتمامه كملَ الكتابُ بحمد اللهِ وعونهِ وحُسْنِ توفيقه، في ليلةٍ سفرَ صباحُها عن نهارِ الأربعاءِ المُبارك الحادي عشر من شهر جُمادَى الآخرةِ سنة أربعٍ وأربعين وثماني مئة. غفَرَ الله لمؤلِّفِهِ وكاتِبِهِ ولمالكِهِ. رحم اللهُ من يقول: آمين آمين.

قُوبلتْ على نُسخةٍ مُقابلةٍ حسَبَ الاستطاعةِ، وللهِ الحمدُ وله الفضل.

---

(١) جاء بالقرب من هذا القول في الهامش:

لعلَّ فتًى منكم إلى جَذْبِ عاجزٍ ... شديدُ القُوى سَهلٌ عليه اجتذابُهُ

تراجم الجزء الخامس

حرف النون

حرف الواو

الصحابة

التابعون

حرف الهاء

حرف الياء

الباب الثالث من القسم الأول

في النساء المعروفات الأسماء

وفيه فصلان

الفصل الأول – في الصحابيات

الفصل الثاني

من غير الصحابيات من النساء

القسم الثاني

فيمن لم يعرف اسمه

وفيه بابان

الباب الأول – في الرجال

الباب الثاني

من القسم الثاني

في النساء المجهولات الأسماء